

جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع والديمقراطية



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم تخصص علم الاجتماع الجنائي

عوامل وأثار السلوك الانحرافي لدى شباب العشوائيات الحضرية دراسة ميدانية ببعض الأحياء العشوائية بمدينة سطيف

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد بومخلوف

إعداد الطالبة:

فايزة مجدوب

السنة الجامعية 2017-2018

فهرس المحتويات

	فهرس الجداول
	فهرس الخرائط
	فهرس الصور
01	مقدمة
الباب الأول: البناء المنهجي والنظري للبحث الفصل الأول: بناء الموضوع والمنهج والمقاربة النظرية	
06	أولاً: مبررات اختيار الموضوع
06	1- الأسباب العلمية والعملية
07	2- أهمية الموضوع
07	3- أهداف البحث
08	ثانياً: الإشكالية
12	ثالثاً: الفرضيات
12	رابعاً: تحديد مفاهيم البحث الأساسية
24	خامساً: بناء المنهج والأدوات
31	سادساً: المقاربة النظرية للموضوع
33	سابعاً: الدراسات السابقة
الفصل الثاني: السلوك الانحرافي: رؤية نظرية متعددة	
46	تمهيد
46	أولاً: الإطار المرجعي لسوسيولوجيا الانحراف
49	ثانياً: أنواع ومستويات السلوك المنحرف
53	ثالثاً: النظريات المفسرة للسلوك الانحرافي
53	1- النظرية الجغرافية
54	2- النظريات الأنثروبولوجية
57	3- النظريات الاجتماعية
68	4- النظريات النفسية
72	5- النظريات الثقافية

74	6- النظريات الاقتصادية
76	7- المقاربة السياسية
77	8- المقاربة الدينية
77	9- المقاربة التكاملية
80	خلاصة
الفصل الثالث: المداخل المعرفية والاتجاهات النظرية للدراسة العشوائيات الحضرية	
82	تمهيد
82	أولا: تاريخ نشأة المدن وتنظيمها
86	ثانيا: تعريف المدينة عند بعض العلماء
92	ثالثا: خصائص العشوائيات الحضرية
99	رابعا: الاتجاهات النظرية المفسرة لظاهرة العشوائيات الحضرية
99	1- النظرية الايكولوجية - المدخل السوسيو ثقافي (مدرسة شيكاغو)
101	2- الاتجاه الانثروبولوجي
102	3- أرنست بروجس ونظرية الدوائر المتركرة
104	4- لويس ويرث الحضرية كطريقة في الحياة
106	5- تمثلات الفقراء لثقافة الفقر
109	6- الهامشية الحضرية
111	7- البطالة والاقتصاد الهامشي
113	8- المقاربة السياسية
115	خلاصة
الفصل الرابع: التحضر ومشكلات الشباب في العشوائيات الحضرية بالجزائر	
117	تمهيد
118	أولا: السكن العشوائي
120	ثانيا: أنواع المناطق العشوائية
121	ثالثا: العشوائيات الحضرية في بعض بؤرها العالمية والعربية
123	رابعا: الأحياء العشوائية والتشوه العمراني في المدينة الجزائرية
125	خامسا: أسباب نشوء العشوائيات الحضرية وخصائصها في الجزائر
130	سادسا: الآثار المترتبة عن انتشار البناء العشوائي
136	سابعا: تحولات المدينة الجزائرية والتمظهرات السلوكية لشبابها
138	ثامنا: مشكلات الشباب الجزائري في الوسط الحضري العشوائي

146	تاسعا: مسألة الاندماج الاجتماعي للشباب الجزائري في الحي العشوائي
150	خلاصة
الباب الثاني: نتائج الدراسة الميدانية الفصل الخامس: المجال العام للدراسة الميدانية	
153	تمهيد
153	أولا: التعريف بمدينة سطيف
153	1- الموقع الجغرافي
153	2- المساحة
154	3- التطور التاريخي والعمري للمدينة
158	4- النمو الديمغرافي
159	ثانيا: العشوائيات الحضرية المحيطة بمدينة سطيف
161	1- عشوائية شوف لكداد
164	2- عشوائية عين الطريق
165	3- عشوائية الشيخ العيفة (فرماتو)
168	ثالثا: تقديم حالات الدراسة
179	خلاصة
الفصل السادس: بنية الحي العشوائي ومساهمتها في الانحراف السلوكي للشباب	
181	تمهيد
181	أولا: البناء السوسيواقتصادي للحي العشوائي ومساهمة في انحراف للشباب
195	ثانيا: التشوه العمري في الحي العشوائي: هل هو أرضية الانحراف لدي الشباب؟
204	ثالثا: البعد النفسي والانتماء للحي العشوائي وعلاقته بانحراف الشباب
208	رابعا: الإقصاء والتهميش في الحي العشوائي وأثاره على الشباب
219	خامسا: نتائج الفرضية الأولى
222	خلاصة
الفصل السابع : العلاقات بين السكان والضبط الاجتماعي في الحي العشوائي وانعكاساتها على السلوك الانحرافي للشباب	
224	تمهيد
224	أولا: العلاقات القرابية في الحي العشوائي وسلوك الشباب المنحرف
232	ثانيا: إفرزات الهجرة والتهميش الحضري في الحي العشوائي
240	ثالثا: الوسط الحضري العشوائي واحتواء مجموعات الشباب

248	رابعا: الصدمات مع رجال الأمن والعلاقة مع المدينة المركز
255	خامسا: نتائج الفرضية الثانية
257	خلاصة
الفصل الثامن: غياب مؤسسات التأطير والهيكلية الاجتماعية في عالم الشباب بالحي العشوائي	
259	تمهيد
259	أولا: أنماط التأطير الحر للشباب في الحي العشوائي
270	ثانيا: المؤسسات الرسمية للتأطير وتواجدها الميداني لاستقطاب الشباب المنحرف
277	ثالثا: التأطير والإدماج الاجتماعي بعد الخروج من السجن: صعوبات أم حماية اجتماعية؟
288	رابعا: نتائج الفرضية الثالثة
290	خلاصة
291	الاستنتاج العام
294	خاتمة
297	قائمة المراجع
309	الملاحق
	1- دليل المقابلة
	2- الخرائط

فهرس الجداول

الصفحة	عنوان الجدول	الرقم
19	الفرق بين الانحراف والجريمة	01
52	منطلقات المشاكل الاجتماعية وكيفية تدرجها للانحراف والجريمة	02
135	نسبة تنامي الجريمة بين الشباب في الوسط الحضري	03
160	مراحل النمو السكاني وتطور عدد المساكن بمدينة سطيف والتجمعات الثانوية المحيطة بها	04
161	تعداد الأحياء والتجمعات الثانوية لولاية سطيف 2008	05
168	تقديم حالات الدراسة	06
177	تاريخ إجراء المقابلات والجهات التي تمت معها ومكان إجرائها	07
178	توزيع حالات الدراسة حسب المجال الجغرافي	08
178	توزيع حالات الدراسة حسب الجنس	09

فهرس الخرائط

الصفحة	عنوان الخريطة	الرقم
163	التخطيط الحضري لحي شوف لكداد	01
323	المخطط العمراني لمدينة سطيف سنة 1942	02
324	مراحل التوسع المجالي لمدينة سطيف والتجمعات المحيطة به	03
325	التوسع العمراني لمدينة سطيف سنة 1997	04

فهرس الصور

الصفحة	عنوان الصورة	الرقم
163	الصورة رقم 01 الشكل العام والحيز المكاني للعشوائية الحضرية شوف لكداد	01
165	الصورة رقم 02 الشكل العام والحيز المكاني للعشوائية الحضرية عين الطريق	02
167	الصورة رقم 03 الشكل العام والحيز المكاني لعشوائية الشيخ العيفة (فرماتو)	03
183	الصورة رقم 04 و 05 التداخل العمراني بين القرية القديمة والبنائات الجديدة في تجمع عين الطريق	04
184	الصورة رقم 06 و 07 الشكل العمراني لعشوائية شوف لكداد	05
184	الصورة رقم 08 و 09 التداخل السكاني والفوضى في عشوائية شوف لكداد	06
185	الصورة رقم 10 و 11 نماذج من بناء العشوائي والفوضى في عشوائية الشيخ العيفة	07
185	الصورة رقم 12 و 13 شكل الممرات والطرق في عشوائية الشيخ العيفة (فرماتو)	08
189	الصورة رقم 14 السوق الفوضى في عشوائية عين طريق	09
198	الصورة رقم 15 مكان تواجد إسطبل للحيوانات في عشوائية عين الطريق	10
199	الصورة رقم 16 و 17 تواجد إسطبل للحيوانات في عشوائية بشوف كداد	11
200	الصورة رقم 18 و 19 أماكن رمي النفايات في وسط العشوائية الحضرية بعين الطريق	12
200	الصورة رقم 20 و 21 وضعية الرمي العشوائي وتلوث المحيط في عشوائية بشوف لكداد	13
201	الصورة رقم 22 و 23 تظهر الوضعية قنوات الصرف الصحي شكلها ف محيط عشوائية بشوف لكداد	14
252	الصورة رقم 24 و 25 الفرق والتمايز في الحي الواحد تفصل بينهما الطريق في عشوائية شوف لكداد	15
260	الصورة رقم 26 و 27 أماكن جلوس وسهر الشباب في العشوائية الحضرية عين الطريق	16
261	الصورة رقم 28 و 29 بقايا حديقة عمومية بعشوائية الشيخ العيفة (فرماتو)	17

مقدمة :

تعد الجريمة والانحراف من سمات المدن الحديثة فلا تكاد تخلو مدينة منها، خاصة بعد الظاهرة الحضرية التي عرفتها كافة بلدان العالم، حيث أصبح التحكم في نموها وما تفرزه من ظواهر محل اهتمام كل الحكومات كما يتجلى ذلك في السياسات الحضرية وسياسات المدن التي تتبعها، كل حسب ظروفها وقدراتها، وكذا محل اهتمام البحوث والدراسات متعددة التخصصات من علم الاجتماع الحضري والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع الجنائي وغيرها.

وأكثر ما نلاحظه في ظواهر التحضر وإفرازاته هي ما يتعلق بالجريمة وانحراف الشباب في مدن البلدان المتخلفة التي تتميز بسرعة النمو والتوسعات العشوائية، وقلة التحكم في التخطيط العمراني والضبط الاجتماعي، وهي تعكس في واقع الأمر ما تعرفه من خلل تنموي بين قطاعاتها الاقتصادية الزراعية والصناعية والخدماتية، وبين قطاعاتها الجغرافية الريفية والحضرية، زيادة عن قلة خبرتها في رسم السياسات الكفيلة بإحداث توازنات النمو والتنمية التي تنعكس آثارها على الحياة في المدن.

وتتقاسم المدينة الجزائرية الكثير من الخصائص التي تتميز بها مدن البلدان المتخلفة من حيث سرعة النمو والتوسع وما يترتب عليه من ظواهر كالبطالة، انتشار تعاطي المخدرات، مشاكل مصاحبة للهجرة الريفية، التفكك الاجتماعي والأسري، الجنوح والجريمة، ومن أهم سمات نموها التوسع نحو ضواحيها ونمو التجمعات السكانية التي تتحول بسرعة إلى تجمعات حضرية عشوائية مشكلة بيئات لكثير من الظواهر تأتي في مقدمتها ظاهرة الجريمة والانحراف كونها بعيدة عن مؤسسات الضبط الرسمي وقلة الهيكلة الاجتماعية الحضرية، وتعبير عن صراع القيم والضغوط الاجتماعية المتشعبة الأبعاد في الوعي الثقافي والتمثلات التي يتم إنتاجها في الوسط الحضري، هذا الأخير الذي يتأسس تارة على التنظيم وتارة على اللاتنظيم والعشوائية بفعل التحول والتغير الذي يطرأ على مختلف البنيات والنظم المشكلة للحياة الحضرية، والتي تصبح غير قادرة على تلبية حاجات سكانها وتوفير إطار معيشي ملائم لهم، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى عدم فعالية التخطيط الحضري، وفشله في ضمان نسيج عمراني متوازن ومتناسق وظيفيا وجماليا واجتماعيا.

وقد عرفت مدينة سطيف على غرار مختلف المدن الجزائرية خاصة منها الكبيرة والصناعية توسعا حضريا جعل منها قطبا عمرانيا وتجاريا هاما يحتوي العديد من التناقضات التي أفرزت الكثير من المشكلات الاجتماعية منها الطلب المتزايد على السكن الذي أدى إلى توسع التجمعات الحضرية المحيطة بالمدينة المركز، والتي تستقطب كثافة سكانية معتبرة تتسم بالعديد من الخصائص والمميزات، وعرفت

عدة ظواهر منها شيوع وانتشار الجرائم بها، وكذا انتشار المخدرات، وغلق الطرق والاحتجاجات المتكررة للمطالبة بترحيلها لمساكن لائقة أو الحصول على مرافق عمومية، وبالتالي شكلت وضعيتها محل اهتمام بحثي للعوامل والاثار المسببة لسلوك الانحرافي والاجرامي لدي فئة الشباب والتي تتقاسم نفس الظروف مع سكانها وتتأثر بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ومنه فقد أصبح من الضرورات السوسولوجية والمنهجية التعرف على مشكلاتهم النفسية، الشخصية والمجتمعية في هذه الفضاءات العمرانية العشوائية والمتمثلة أولاً في تأثير العوامل الايكولوجية من حيث الطبيعة العمرانية والشكلية، وطبيعة العلاقات والروابط الاجتماعية فيها و غياب أو حضور مؤسسات تهتم بتأطيرهم.

هذا وقد قسمنا البحث إلى بابين خصصنا الباب الأول النظري إلى أربع فصول الأول للبناء المنهجي والنظري للبحث ينطلق من طرح الإشكالية وبناء المنهج وعرض أدوات جمع البيانات والتعريف بعينة الدراسة وهي مجموعة الحالات التي أجريت معها الدراسة، وكذا المنهج المعتمد في التحليل وهو المنهج الكيفي، وتحديد المفاهيم الاساسية وبناء أطروحة البحث ومقاربتة النظرية، والفصل الثاني مخصص لدراسة السلوك الانحرافي والإجرامي برؤية نظرية متعددة شملت كل الاتجاهات النظرية وهي الانثروبولوجية، الاجتماعية، النفسية، الاقتصادية والثقافية، وذلك لتوضيح الرؤية باعتبارها ظاهرة متعددة العوامل والأسباب والتأثيرات.

أما الفصل الثالث فقدمنا المجال الذي نعالج فيه هذه السلوكات الانحرافية والإجرامية وهو العشوائيات الحضرية بداية من التعريف بفضاء المدينة ورؤية العلماء لتأسيسه في كتابتهم وآرائهم، ثم ذكر بعض خصائص هذه العشوائيات وبعدها التركيز على أهم النظريات المفسرة لظهورها نبدأ من النظرية المحورية والمؤسسة لفهم هذه الظاهرة وهي النظرية الايكولوجية (مدرسة شيكاغو) بعده الاتجاه الأنثروبولوجي، وباقي النظريات كنظرية الفقر الحضري، الهامشية الحضرية، البطالة والاقتصاد الهامشي، والمقاربة السياسية، وعليه تم التركيز على كل هذه النظريات المحددة في الدراسة لقراءة مسببات وعوامل السلوك الانحرافي لدي الشباب في العشوائيات الحضرية .

وبعدها الفصل الرابع يتطرق لظاهرة التحضر ومشكلات الشباب في الأحياء العشوائية من حيث مسبباتها وخصائصها في الوسط الحضري بالجزائر وأهم المشاكل والآثار التي تسببها لسكانها وللمحيط العمراني العام، و تحولات المدينة الجزائرية وتمظهرات السلوكية لشبابها وبعدها مسألة اندماج الشباب

الجزائري في الحي العشوائي، وجاء هذا الفصل لدراسة السلوكيات الانحرافية والإجرامية لدى فئة الشباب في المجتمع العام أولاً والمشاكل والصعوبات التي تتلقاها في الوسط العمراني العشوائي بشكل خاص .

أما الباب الميداني يتوزع على أربعة فصول يحاول الإجابة على ثلاث فرضيات، أولاً الفصل الخامس خصص للتعريف بمجال الدراسة العام - العشوائيات الحضرية - بمدينة سطيف من ناحية الموقع الجغرافي، المساحة، والتطور التاريخي لها، وعرض حالات الدراسة، يأتي بعدها الفصل السادس لبداية عرض وتحليل النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى التي تبحث في العوامل الايكولوجية والتركيبية البنائية للحي العشوائي وتأثيرها ومساهمتها في السلوك الانحرافي لدي الشباب، ثم الفصل السابع مقابل الفرضية الثانية للإجابة على دور العلاقات الاجتماعية والضبط الاجتماعي بنوعية التقليدي والحديث وانعكاساتها على شكل ضغوط وتضييق تدفع الشباب نحو السلوك الانحرافي والإجرامي، والفصل الثامن يقابل الفرضية الثالثة التي تجيب على دور العوامل المتعلقة بفلسفة التأطير والهيكلية الاجتماعية الموجودة في العشوائيات الحضرية، وكيف تساهم وتعمل في حالة وجودها أو غيابها في خلق فضاءات موازية بعيدة عن الرقابة الاجتماعية، الأسرية والرسمية وتكون من العوامل الداعمة للتوجيه الشباب نحو الانحراف والإجرام، طبعاً مع عرض النتائج الجزئية عند نهاية تحليل كل فرضية، وفي الأخير عرض النتائج العامة المتوصل إليها من خلال أطوار الدراسة كاملة، وبعدها خاتمة للبحث، ثم إدراج قائمة المصادر والمراجع، وأخيراً إدراج الملاحق المرافقة للدراسة وهي دليل المقابلة ومجموعة من الخرائط .



الباب الأول:
البناء المنهجي والنظري للبحث





الفصل الأول: بناء الموضوع والمنهج والمقاربة النظرية

أولاً: مبررات اختيار الموضوع.

1- الأسباب العلمية والعملية

2- أهمية الموضوع

3- أهداف البحث

ثانياً: الإشكالية

ثالثاً: الفرضيات

رابعاً: تحديد مفاهيم البحث الأساسية.

خامساً: بناء المنهج والأدوات

سادساً: المقاربة النظرية للموضوع

سابعاً: الدراسات السابقة

أولاً: مبررات اختيار الموضوع.

1- الأسباب العلمية والعملية

تهتم الدراسات الخاصة بالفضاءات الاجتماعية النسقية المصغرة بتغطية واسعة لهذه الأنساق من كل جوانبها المتداخلة مع الأوضاع الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، الثقافية والدينية للمجتمع الكلي، وعليه كان اختيارنا للعشوائيات الحضرية كمجتمع مصغر بكل ما يحتويه من إفرازات سلوكية ذات خصوصية طبعا لظروفها، و كانت الأسباب العلمية والعملية لاختيارنا لهذا الموضوع هي:

- أما عن أهم سبب لاختيار الموضوع هو الرغبة في دراسة هذه العشوائيات باعتبارها أنها كانت محط تساؤل للباحثة في دراستها لنيل شهادة الماجستير المعنونة بعلاقة العنف الأسري بانحراف الأحداث وكانت من بين النتائج المحصلة هي أن أغلب عينة الدراسة من الأحداث المنحرفين تنحدر من العشوائيات الحضرية ويدرجون ضمن فئة الشباب من الناحية العمرية وأغلبهم موجود بمراكز إعادة التربية وعليه محاولة معرفة الأوضاع والأسباب في ذلك.

- الاهتمام بطبيعة السلوك الانحرافي لدي الشباب كإحدى القضايا الأساسية في المجتمع بصفة عامة باعتبارها نتيجة منطقية للإفرازات التي أنتجها التغير في الوضع الاجتماعي والاقتصادي والجغرافي.

- تكشف الدراسة الراهنة محاولة التعرف على الظاهرة ميدانيا وذلك ببعض عشوائيات مدينة سطيف وربما كلها باعتبارها منطقة عرفت تحول ديمغرافي و عمراني أفرز عديد المعطيات العامة كارتفاع نسب الإجرام والانحراف بها وعدم تكيف أفرادها وسوف نتعمق بدراسة الجانب المتعلق بفئة الشباب والوضعية التي تعيشها والتي تساهم في توجيه سلوكياتهم داخل هذا الوعاء العمراني.

- محاولة رصد مختلف أشكال الانحراف والإجرام والعنف والتحليل لدي سكان هذه العشوائيات وفئة الشباب بالأخص من أجل التكيف والتأقلم ومقاومة الظروف الصعبة التي يواجهونها.

- تحاول هذه الدراسة التعرف على الخصائص الديمغرافية، الاجتماعية، الاقتصادية، والثقافية لشباب التجمعات العشوائية ورصد المشكلات اليومية لها وانعكاساتها السلبية في تحديد علاقتهم بالمدينة وما تخلقه من ضغوطات تترجم في سلوك الانحراف خصوصا عند فئة الشباب.

2- أهمية الموضوع

تستمد الدراسة الحالية أهميتها من عدة مبررات علمية وواقعية ويمكن عرضها في النقاط التالية:

- تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولة التعمق أكثر في جانب الانحراف والجريمة بالتفصيل والاهتمام بالأنماط والأشكال الصادرة عن هذه العشوائيات، باعتبارها خضعت لدراسات أخرى ركزت على الجوانب العامة من بينها زاوية الانحراف ولكن كمحصلة لمجموعة نقاط فقط وليس كمحور أساسي وأيضاً التركيز على فئة دون غيرها (الشباب) لتتجلى لنا دراسة معمقة ومدققة.

- كما أن التطورات التي تحدث في المجتمع عامة تؤدي إلى خلق ظروف اجتماعية اقتصادية وثقافية يرافقها تطور الجريمة والانحراف، وانعكاسها هي الأخرى على هذه العشوائيات باعتبارها أماكن استقطاب ومعروفة بأنها بؤرة لانتشار الانحرافات تترجم في الدافعية الموجودة لدى سكانها والأخص الفئات التي تعاني من التهميش وتعيش فراع واسع، وهم الشباب وتمثل خطورة بالنسبة للمدينة من خلال إفراغ هذه الشحنتات بوسط وفضاء أوسع نتيجة لضغوطات والتناقضات.

- تكوين تصور سوسيولوجي ينطلق من فهم المجتمع كنسق عام ومجتمع العشوائيات كنسق خاص وما يحمله من إفرازات سلوكية تؤثر على المدينة ومحيطها، مع وضع صورة دقيقة لفهم الظواهر المستجدة بهذه العشوائيات وتأثيرها على شبابها.

3- أهداف البحث

إن الأهداف هي النهاية التي تحرك البحوث نحوها لأجل طرحها ضمن تصور علمي يعطي الدراسة حقها من التناول ولعل ظاهرة العشوائيات الحضرية تنطلق من نقطة محورية تتعلق أساساً بمحاولات تحليل آليات وأسباب وجودها داخل المحيط العمراني ومخلفاتها وانعكاساتها على فئاتها الاجتماعية، وخصوصاً الشباب لكونهم الأكثر تضرراً وتأثيراً في المجتمع باعتبارهم النسبة الأكبر في المجتمع الجزائري والنقطة الثانية هي جملة هذه الانعكاسات السلبية المتمثلة في السلوكات المنبوذة والمرفوضة اجتماعياً وخضوعها تحت طائلة القانون أحياناً باعتبارها سلوكات تحمل الضرر للمحيط ولل فرد معاً، ومن أهم الأهداف ما يلي:

- معرفة الأنماط والأشكال السلوكية السائدة أو الصادرة عن هذه العشوائيات الحضرية خصوصاً ذات الطابع الإنحرافي والإجرامي لدى فئة الشباب.

- الوقوف على الاختلالات العمرانية الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية والايكولوجية بهذه العشوائيات المساهمة في السلوك الانحرافي عند شبابها وكيفية تبلوره وتأثيره على ساكنيه.
- تهدف الدراسة إلى إعطاء صورة ولو جزئية عن حقيقة الانحراف والإجرام والعنف الصادر عن أفراد وسكان هذه المناطق بكل ما تحمله من خصوصيات المجتمع الجزائري وعاداته عند شبابها.
- التعرف على طبيعة التنشئة الاجتماعية في هذه الأحياء العشوائية وأشكال الضبط الاجتماعي والعلاقات بين سكانها، من حيث الثقافة وعامل الهجرة والتعرف على طرق الاندماج والتكيف أم الانحراف والخروج عن المعايير والقيم الاجتماعية العامة.
- كما تهدف للسعي والكشف عن وضعية الشباب في المجتمع كقناة مهمة من الناحية الديمغرافية وكيف تتأطر اجتماعيا في هذه الأحياء العشوائية.

ثانيا: الإشكالية

عرفت المدينة الجزائرية في العقود الاخيرة نموا حضريا متسارعا نتج عنه اختلالات وتحولات كانت نتيجة الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية، التي عرفت منحى تصاعديا ومستمر نتيجة عاملي النمو الديمغرافي والهجرة الريفية التي فرضت مطالب جديدة أدت إلى تعقد وتشابك الأوضاع الحياتية، وفي ظل غياب رؤية استراتيجية وسياسات عمرانية مبنية على دراسات علمية تأخذ بعين الاعتبار الطابع الاجتماعي والجمالي للمدينة كل هذا خلق مشاكل بنيوية مست الفرد والمجتمع .

ومع هذا الحجم من الاستقطاب وجدت المدينة الجزائرية كغيرها من المدن عبر كل الدول والفترات التاريخية نفسها أمام حشد عمراني، كان من المرفوض أن يشكل فضاء يحتوي نتاج اجتماعي وتاريخي وعمل فني يتأتى فيه التمايز والتكوين الكلي لهذا الحيز المكاني المتحضر بعيدا عن كل أشكال البدائية والعشائرية والهمجية، التي أثبتت الدراسات أنه كلما تقدم التمدن والتحضر انحصرت دائرة العنف والجرم والانحراف، لاعتبارات تتعلق بنظم الإدارة والقوانين وأنواع الديمقراطيات والأنظمة التي تسيرها وفقا للنصوص النظرية المتأصلة لها انطلاقا من قواميس العنف الجماعي في العلوم الانثربولوجية، السياسية والاجتماعية لإيجاد مقاربة تعكس إدراكا و أسلوبا في تشخيص الحالة القائمة لكن حقيقة لم تتقارب مع أي من الحالات فهي تخرج عن نظرية لوسيان ليفي برول التي ربط فيها العنف والانحراف بعقليات ما قبل منطقية ولا تنطبق مع حالة عنف التسمية والتصنيف للمجتمعات المختلفة عن المجتمعات الأوروبية التي تمثل الخطاب الاستعماري، وتبتعد عن نظرية العنف البيولوجي الذي تفسره كنتيجة لدوافع وحاجات

الإنسان، أو نظرية التبادل التي تحدد طبيعة الحاجات البشرية بوصفها مقننة اجتماعيا وقانونيا حتى أنها لا تتوافق مع التوجهات الفرويدية التي تؤمن بالطبيعة العدوانية للإنسان كدوافع غريزية تستهدف تحقيق اللذة والمصلحة الذاتية¹، وبعيدا عن هذه الأطر النظرية دخلت المدينة في تحدي خلق نظام في مستوى الإنسان والطبيعة لإنتاج عالم يراعي فيه تفاعل الفرد مع محيطه، دون المساس بجوهر فكرة التحضر التي لم ترقى لظروف معينة و لوقائع روبا طبيعية أو تاريخية وأيضا لتقديرات بشرية خاطئة جعلت منها مدن دون مقومات بيئية وطبيعة وعمرانية وتنظيمية طمست هويتها وشوهدت مشهدها الذي بدا منقسما ما بين المظاهر العشوائية والريفية ومثاقفة لعمارة شاذة مستوردة تفضح في صورتها أزمة تعاني منها المدينة أدخلتها في فوضى تفاعل الفرد مع المحيط.

وبرزت كل هذه الانماط المتداخلة في حيز عمراني تتنوع بين العشوائية سواء داخل المدن أو على ضواحيها، إلى البناءات الفوضوية إلى السكن الاجتماعي الجماعي، البناء التطوري إلى الفلل الفاخرة²، وشكلت العشوائيات الحضرية إحدى أهم المشاكل الحضرية والتي تعتبرها الدراسات التاريخية قديمة منذ عهد الاستعمار الفرنسي وتطورت بفعل المراحل والسياسات التنموية التي لم تستطع أن تحتوي كل أفرادها من خلال إيجاد تمفصلات بين الحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاجتماعية لكافة أفرادها.

حيث اعتبرت من الناحية العمرانية والحضرية كأحياء مهمشة ومتخلفة وعشوائية في إطارها القانوني، وتعاني من أوضاع معيشية لا توفر الحياة المريحة لسكانها، واعتبرت من الناحية الاجتماعية أيضا كمجتمعات تحمل ثقافات خاصة بها في كل النواحي وخصوصا في الجانب الانحرافي والإجرامي باعتبارها بؤر للجريمة والعنف، بسبب عدم مواكبتها لواقع الفضاء الحضري الواسع بكل ما يحمله من تناقضات لمختلف فئاته باعتبارها وعاء يستوعب كافة الشرائح والأعمار، ويعتبر عنصر الشباب الطرف المفصلي في هذه الوضعية لكون مشكلاته مرتبطة بعوامل مختلفة ذات أبعاد نفسية واجتماعية وحضرية نتجت جراء فشله في تحقيق متطلباته وأصبحت مسيرتها تزيد عن طاقاته وإمكانياته، فهي فئة لا تمثل فقط ثقل ديمغرافي بل فاعل اجتماعي له القدرة على التأثير حاضرا ومستقبلا حتى وإن كانت مستويات تأثيره

¹ يسار عابدين، العنف الجماعي ضد المدينة، استباحة للتاريخ والتراث دون مقاومة، مجلة فكر، العدد 113، جانفي 2010، ص ص84-85

² عبد الحميد دليمي، المدينة الجزائرية بين استحالة الهروب وصعوبة الصراع، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، عدد12، السنة 2007، ص 171

سلبية أو إيجابية، والنظرة إليه دوماً يطبعها الحذر في التعامل والتعاطي معها بوصفهم مشكلة اجتماعية أو كتلة جماهيرية على درجة عالية من المخاطرة سواء سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً¹.

ومع تراجع فعالية وسائل الضبط الاجتماعي التي كانت تعمل على تعميق التعاطف والترابط بين الأفراد وترسيخ الانتماء إلى المؤسسات الاجتماعية القائمة حيث تسبب هذا في انخفاض مستوي تأثير معايير ضبط السلوك وضعف أثر الأنساق الاجتماعية الصغرى كالأسرة والمدرسة والحي، مما أدى إلى التحرر من القيود والقيم الأخلاقية والمثل الاجتماعية المتعارف عليها، ونجم عن هذه التغيرات الجوهرية المصاحبة للعمليات التنموية ظواهر سلبية تمثلت في حالة الإخفاق في التكيف مع المجتمع في ظل الظروف المعيشية الراهنة، وكان الخروج من هذه الحالة هو التمرد على القيم والعادات والتقاليد المجتمعية وترجمتها بممارسة بعض الأنماط المنحرفة من السلوك التي تهدد الأمن والاستقرار الاجتماعيين.

وبما أن فئة الشباب تعتبر عنصراً هاماً للتغيير الاجتماعي سواء تعلق الأمر بالقائمين على شؤون الأنظمة في المجتمعات وهذا تخوفاً من هذه الفئة ومثيراتها، أو بالفئة نفسها والايان بقدرتها على تغيير الأوضاع باعتبارها قوة مطلية هائلة، ومصدر لصراع والمطالبة والمنازعة للنظام الاجتماعي، وفي خضم هذا الحراك يخلق لديها حالة من عدم التوافق النفسي والاجتماعي المعبر عنها في عالم الانحراف والجريمة حيث تشير الإحصائيات الرسمية في الجزائر أن نسبة الشباب ما بين 18 و30 سنة يشكلون 75% من النزلاء في السجون وبطبيعة الحال الأمر يرجع للظروف العامة داخل المجتمع فضلاً عن المشكلات التربوية والأسرية والحضرية، وعليه أفرزت نمط معين في الفعل الإجرامي والانحرافي سواء من ناحية انتشار الظاهرة أو في تنوع أنماطها واختلافها وتعبير عن خفايا لوضعية الشباب في المجتمع².

ومنه تركز هذه الدراسة على فئة الشباب باعتبارها الأكثر ديناميكية في المجتمع وأيضاً دراستها ضمن فضاء محدود يعرف بالحي العشوائي، وما يحمله من سمات تخلق ظروفًا وعوامل توجه هؤلاء الشباب نحو متناقضات اجتماعية، تعبر في الغالب عن عدم التكيف والاندماج عكس الأحياء التي تملك كافة المقومات لإنتاج سلوك إيجابي أكثر منه سلبي ترجم في اندفاع الشاب نحوه، ويعني أن هناك دوافع تكمن وراء فعله الانحرافي لذلك يجب استكشاف الدوافع والأهداف لغرض دراستها والتعرف على أسبابها

¹ بينت طوني و آخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2010، ص422

² فقيه العيد، المشكلات النفسية للشباب المنحرف في الوسط الحضري الجزائري، دراسة ميدانية لواقع الصحة النفسية لدى الشباب وعلاقتها بالعنف الإجرامي على عينة من الشباب المنحرف بمؤسسات الوقاية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2005 - 2006، ص02

التي قد تنتسب وتكون أحيانا نتيجة لعوامل لا تتعلق بشخصية الفرد المجرم بشكل رئيس وإنما تتصل بالوسط الذي يعيش فيه أو العوامل الظرفية التي تتصل بالبيئة التي يعيش فيها، لذلك فأن ارتكاب الفعل الاجرامي يتم من خلال تفاعل حالة الفرد الوجدانية والانفعالية من جهة والضغط الأنية التي يعاني منها والتي تعد إلى حد كبير نوعا من المتنفس أو المسلك الهروبي الذي يختاره الفرد للتخفيف من حدة هذه الضغوط النفسية التي يتعرض لها من جهة أخرى، بينما قد تتعدد الأسباب بالعودة إلى المقاربة في العلاقات التي يصنعها الفرد مع الفضاء الذي يعيش فيه من خلال ممارساته وتعبيره المجسدة في عمرانه المتمثل في الأحياء العشوائية.

يجرى البحث للإجابة على الأطروحات السابقة من خلال الدراسة الميدانية وفقا لمعطيات العشوائيات الحضرية بمدينة سطيف حسب الإحصاء الوطني للسكن والسكان 2008 تقدر بـ 2615 مسكن وعليه كان التساؤل الرئيسي للدراسة هو:

ما هي العوامل المساهمة في انحراف سلوك شباب العشوائيات الحضرية وما تأثيراتها؟

تفرعت عنه عدة تساؤلات نحددها فيما يلي:

- ما علاقة الطبيعة الايكولوجية للحي العشوائي ب بروز السلوك الانحرافي لدي الشباب ؟
- ما واقع الضبط الاجتماعي التقليدي والحديث بالحي العشوائي وما دوره في تولد السلوك الانحرافي؟ و كيف يساهم الشباب المنحرف في تشكيل بيئة انحرافية في الحي العشوائي؟
- وهل يؤثر الشباب المنحرف على التنشئة الاجتماعية الشبابية في الحي العشوائي؟
- هل غياب التأطير والهيكلية الاجتماعية في الحي العشوائي له دور في انحراف شبابه وإعادة إنتاج السلوك الانحرافي بتنوعه واختلافه؟

ثالثا : الفرضيات.

وللإجابة عن هذه التساؤلات السابقة تم اقتراح الفرضيات الآتية:

1. تساهم التركيبة السكانية والايكولوجية للحى العشوائي في صعوبة اندماج الشباب وشعورهم بالتهميش والإقصاء مما يدفع بهم للسلوك الانحرافي والإجرامي.
2. تنوع وتعقد العلاقات بين السكان وأشكال الضبط الاجتماعي في الأحياء العشوائية يؤدي إلى عدم تجانس التنشئة الاجتماعية لدى الشباب ودخولهم في صراعات (تناقضات) تدفعهم للسلوك الانحرافي والإجرامي.
3. غياب التأطير (بأنواعه) والهيكلية الاجتماعية الحضرية بالأحياء العشوائية يدفع بالشباب لخلق فضاءات واقعية وافتراضية وثقافة الشارع تجرهم للانحراف والإجرام.

رابعا: تحديد مفاهيم الدراسة الأساسية

1. أثر (الأثار): الأثر بقية الشيء والجمع أثار وأثر، وخرجت في إثره وفي أثره أي بعده وأثرته وتأثرته بمعنى تتعقب أثره والأثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء والتأثير إبقاء الأثر في الشيء وأثر في الشيء ترك فيه أثرا¹، ويستعمل مفهوم الاثر على خلاف التأثير الذي مازال يطرح مشاكل في ميدان البحوث نظرا لصعوبة قياس طبيعته ودرجته وتحديد مصدره بالضبط وهذا برغم أدبيات التأثير التي تغطي مدة زمنية طويلة جدا ونطاقا واسعا ومتوعا من البلدان²

ويقصد بالاثر أو التأثير تلك العلاقة التفاعلية بين أفراد الحيز المكاني (العشوائيات الحضرية) وسكانه وهم بالاحص الشباب، وحيث تتغير هذه العلاقة على المستوي السلوكي بمختلف مستويات وسياقاتهم النفسية والاجتماعية الاقتصادية والثقافية، والاثار بالمعني ماتخلفه او تساهم فيه هذه العشوائيات الحضرية - من ناحية العوامل والاسباب- في سلوكيات الشباب المنحرفين.

2. مفهوم الشباب: من المفاهيم التي لازالت تلقي جدالا حول ضبط أبعادها وترجع هذه الفروق إلى اختلاف النقاط المرجعية أو المعايير التي يعتمدها الباحثون في التحديد من جهة وإلى اختلاف السياقات

¹ ابن منظور، لسان العرب، المجلد 4، دار صادر بيروت، ص05.

² السعيد بومعيزة، أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب، دراسة استطلاعية بمنطقة البلدية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، قسم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص29.

والظروف التي تري فيها ظاهرة من جهة أخرى، فالبعض يهتم بالنمو الجسمي والجنسي وآخرون يهتمون بالنمو النفسي وفريق ثالث يركز على تغير الوضع الاجتماعي والأدوار الاجتماعية وتختلف السياقات باختلاف الطابع الحضاري والنظام الاجتماعي والمستوى الاقتصادي والاجتماعي.

في هذا السياق عرفها "محمد الحجازي" بأنها المرحلة التي تشهد اقتراب شكل الجسم ووظائفه من آخر درجات النضج، ومن الناحية النفسية يكاد عمر الفرد العقلي يصل إلى قمته ويتيقظ إحساس الشخص بأنه لم يعد صغيراً ويطلب بتوقف معاملته على أنه صغير، ومن الناحية الاجتماعية يتأكد اعتراف الآخرين بأن الشخص لم يعد طفلاً وإن كانوا يترددون في الاعتراف به كرجل وبداية الشباب بهذا هي نقطة تحول.¹

وارتبط تحديد هذا المفهوم في علم الاجتماع بما حاول أن يقدمه العلماء من تصور لمعالجة قضايا الشباب في صلتها بمشكلات المجتمع المعاصر، واستطاعوا باستخدام مفاهيم الاغتراب والثورة والتنمية والثقافة والمشاركة أن يكشفوا الدور الذي يقوم به الشباب داخل البناء الاجتماعي للمجتمع المعاصر سواء في المجتمعات المتقدمة أو المتخلفة، والشباب وفقاً لهذا الاتجاه يعيش في عالم مضطرب يتسم بالتغير والتحولات المفاجئة على أكثر من صعيد وفي أكثر من مكان وتصارعت فيه القيم الاجتماعية والمادية مما جعله في صراع نفسي وقيمي وعدم استقرار في طريقة حياته بحيث يتمرد تارة وينحرف تارة أخرى.

وكان تعريف هذا الاتجاه هو أن فترة الشباب تبدأ حينما يحاول المجتمع تأهيل الشخص الذي يمثل مكانة اجتماعية ويؤدي دوراً أو أدواراً في بنيته وتنتهي حينما يتمكن الشخص من احتلال مكانته وأداء دوره في السياق الاجتماعي وفقاً لمعايير اللعبة الاجتماعية.²

ليكون بذلك المجال العمري محدد بداية من 15 إلى 25 وفقاً لتحديد وتوصيات هيئة الأمم المتحدة وأيضاً اعتبار أقل من 15 سنة لم يبلغوا سن الشباب و25 سنة هي مرحلة بداية الانفصال عن الأسرة ونهاية الدراسة والانخراط في العمل وتحمل المسؤولية، في حين نجد من جانب آخر من يمدد هذه الفترة من سن 15 إلى 30 سنة لكونها مرحلة تعبر عن النضج والكيفية التي يواجه بها الفرد مشكلاته التي

¹ عزت حجازي، الشباب العربي ومشكلاته، عالم المعرفة، الكويت، ص 27-28.

² بوكير جيملي، الشباب والمشاركة السياسية في الجزائر، دراسة ميدانية لعينة من الشباب الجامعي بجامعة قسنطينة، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع التنموية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009-2010، ص 94.

تفرضها ظروف المجتمع كما أن هذا النضج يسبقه تمهيد يتمثل في استغراق الشباب في التفكير والقيم والاتجاهات والتغيرات الأخلاقية وقواعد السلوك ومعايير النشاط.¹

ولعل من أبرز المحاولات والتي يمكن أن نتال القبول من طرف الباحثين تتمثل في التحديد الذي قدمته الأمم المتحدة فيما يتعلق بمرحلة الشباب وفي هذا الصدد يشير أحد الباحثين إلى أن الأمم المتحدة ولأغراض إحصائية يحدد من هم بين عمري 15 و 24 سنة بأنهم شباب دون الإخلال بتحديد الدول الأعضاء لهم إلا أن هناك بعض الدول التي تحصر أعمار الشباب ما بين 12 و 35 سنة وفقاً لتشريعاتها أو انطلاقاً من مسؤولية الشباب الاقتصادية والاجتماعية²، في حين يرى بعض الدارسين أن بلوغ سن النضج أو الرشد أصبح يتأخر عما كان عليه في السابق فيميزون بين ثلاثة مراحل وهي: البلوغ 12-18 سنة، المراهقة 18-24 سنة، ما بعد المراهقة 24-30 سنة.³

ولكل مرحلة من هذه المراحل خصوصيات وسمات نفسية واجتماعية تتفاعل وتتطور لتحقيق الشخصية وبلوغ النضج، من هذه الوجة فإن الشباب يتجاوز حدود الفئة العمرية ليصبح وضعية اجتماعية متأثرة بعدم الإثبات الاجتماعي واعتبر عالم الاجتماع "إدقار موران" أن الشباب هو الحلقة الضعيفة في التماسك الاجتماعي لذلك فهو من هذا المنطلق غالباً ما يدرس وكأنه عالم مغلق، أي كفضة مخصوصة في المحيط الاجتماعي إذ تعيش أزمة حادة في الشغل والتكوين والإدماج الاجتماعي ولكن أليست المشاكل التي تعترض الشباب هي مظاهر وأعراض مشاكل اجتماعية أوسع أشمل تتصل باختلالات وتحولات عامة.⁴

كما اعتبر "بيار بورديو" في مقالته *jeunesse n'est qu'un mot* لبأن هناك اتجاهاً عاماً في علم الاجتماع يعتبر الحدود بين الأعمار أو الشرائح العمرية حدوداً اعتباطية فنحن لا نعرف أين ينتهي الشباب لتبدأ الشيخوخة مثلما لا يمكننا أن نقدر أين ينتهي الفقر ليبدأ الغني بمعنى أن الحدود بين الشباب والشيخوخة في جميع المجتمعات قضية سيطرة⁵

¹ بوبكر جيملي، مرجع سابق، ص 96-97.

² صالح السعد، المخدرات والمجتمع، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1996، ص 121.

³ المنجي الزيدي، ثقافة الشارع، دراسة سوسيوثقافية في مضامين ثقافة الشباب، مركز النشر الجامعي، تونس، 2007، ص 20

⁴ نفس المرجع، ص 18

⁵ Pierre Bourdieu, La jeunesse n'est qu'un mot, repris question de sociologie, Editions de Minuit 1984, Ed ,1992 p143

وتأسيسا لما سبق ذكره فالشباب في هذه الدراسة هو الفئة التي تتراوح أعمارهم بين سن 18-35 سنة يقطنون بالعشوائيات الحضرية بالضواحي مدينة سطيف، يصنفون من خلال سلوكياتهم بأنهم منحرفين سواء اجتماعيا أو تحت طائلة القانون، كما يستخدم للتعبير على مجموعة من المشكلات النفسية والاجتماعية والثقافية التي يعتقد أنها ترتبط بعملية التنشئة في المجتمع الحضري الرسمي أو غير الرسمي.

3.ثقافة الشباب: هي بمعناها الدقيق ثقافة فرعية تفسر ثقافات الشباب إما من خلال العوامل الفعالة في تجربة المراهقة أو التلاعب بأساليب الشباب في الإنفاق وتمضية وقت الفراغ بفعل الإعلان وغيرها من وسائل الاتصال الجماهيري، وتعتبر عن أسلوب حياة مستقل عن عالم الكبار لا تخضع في الغالب إلى معاييرهم وقيمهم ومعتقداتهم وأساليب سلوكهم بل يتأسس على نسق من القيم والمعايير والأفكار وأنماط السلوك غير مقيدة لما يريده الكبار بمعنى آخر هي شكل أو نوع من اللغة والقيم الخاصة والتصرفات المتميزة التي أكثر ما تتطبع به التمرد والعناد والتلقائية والغطرسة اتجاه الكبار ولذلك توسم بالثقافة المضادة أو المعادية¹.

وتعتبر هذه الثقافة بهذا المنحى عن ظاهرة الإقصاء الاجتماعي والتهميش لتفسير عديد السلوكيات كالجنوح والعنف والتعبيرات الثقافية الجديدة التي تبدو تعبيرات مضادة ورافضة أو تعبيرات لا مبالية وصامتة ويرى فيها بعض الباحثين تعبيراً عن اليأس بالصمت فحين يشعر الشاب أن مجتمع الكهول غامض وبعيد وعدائي وأنه لا يمكن التواصل معه يصبح الانكفاء على الذات أو الصمت هو أنجح أشكال الإجابة².

4.السلوك الانحرافي: لغويا كلمة الانحراف مرادفة للكلمة الفرنسية *Déviance* ويقصد به كل سلوك يتعدى المعايير المتفق عليها في مجتمع معين³، وهو الميل وإذا مال الإنسان عن شيء يقال: تحرف وانحرف وأحروف⁴.

والانحراف بهذا الشكل نوعان: انحراف ظاهر يعاقب عليه القانون وانحراف كامن (خفي) وهو أكثر انتشارا من الانحراف الظاهر وهو كامن لأنه لا يصل إلى علم المؤسسات المكلفة بإحصاء أو عقاب المنحرفين، كما يميز المختصون بين مصطلح الانحراف والجنوح وهو يصدّم المجتمع في طريقة السلوك

¹ السيد عبد العاطي السيد، صراع الأجيال دراسة في ثقافة الشباب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987، ص 11

² المنجي الزبيدي، مرجع سابق، ص 23

³ مزور بركو، إجرام المرأة في المجتمع الجزائري العوامل والآثار، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس الإكلينيكي، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2006-2007، ص ص 119 - 120

⁴ ابن منظور، مرجع سابق، ص 117

أو نمط العيش المختلفين كما هو موجود في الوسط الاجتماعي، وعليه يعرف الانحراف بفصله عن الجنوح والجريمة في التخصصات أو الفروع التالية كما يلي:¹

أ. في القانون: ومن الناحية القانونية يعرف "بول تابان" الانحراف بأنه أي فعل أو نوع من السلوك أو موقف يمكن أن يعرض أمره على المحكمة ويصدر فيه أمر قضائي² هو نمط سلوكي يجرمه القانون ويستوجب عقوبات خاصة ويعتبر خروجاً على قيم المجتمع وتقاليدِهِ ومن مظاهره: نوع الانحراف الذي قد يكون ظاهراً أو كامناً، السن الذي يحدده القانون، أسس الوقاية والعلاج والعقاب من الانحراف.

ب. في علم النفس: خروج عن السلوك السوي أو العادي بمعنى انه سلوك مضطرب ويحدث خلافاً في شخصيته وعاب عليه الناس هذا الخروج وقد عرف الانحراف من طرف المؤتمر الثاني للوقاية من الجريمة الذي عقدته الأمم المتحدة لندن سنة 1960 بعض مظاهر الانحراف مثل (عدم الطاعة العناد التمرد التخزين التسكع التشرّد).

ج. التعريف الاجتماعي: ينظر إلى الانحراف كظاهرة اجتماعية وتفسر انطلاقاً من الظروف الاجتماعية التي تعتبر عوامل لتوليد الانحراف، والانحراف والاجتماعي لا يفسر دائماً بالسلبية أو المرضية.

هو مفهوم بدأ استخدامه مؤخراً قد حل مكان عدم التنظيم أو المرض ولم يستعمل في علم الاجتماع الأمريكي إلا منذ نهاية الخمسينات ويقصد به مجموعة سلوكيات فردية أو جماعية لا تتوافق مع الانتظارات والمعايير والقيم التي يعبر عنها أو يتقاسمها أعضاء مجموعة ما فإنها تتسبب في خلق جو من التوترات ونشوب الصراعات وتثير الرفض وتتسبب أيضاً في سلسلة عقوبات وتأييب عزلة لزم تنفيذها وهناك فئات ومواضيع عديدة من الممكن ذكرها: التعدي على الأملاك أو على الأشخاص، أو على التقاليد، بالإضافة للانتحار، التسمم، الأمراض العقلية والإعاقات الجسدية، يقابله مفهوم التمييز بين الطبيعي والمرضى مع جرح في الوعي الجماعي وهو يوجد في كل المجتمعات مهما كانت درجة تطورها وليس الزعم بإمكانية وجده بطريق أخري سوي دليل على اللاواقعية.³

كما يشير إلى الأفعال التي تخالف المعايير التي يقرها العرف العام غير أن مفهوم الانحراف قد يتغير من وقت إلى آخر ومن مكان إلى آخر، بل إن ما يعتبر سلوكاً سوياً وقويماً في سياق ثقافي ما قد

¹ مزور بركو، مرجع سابق، ص 122

² سليم نعام، سيكولوجيا الانحراف، ط1، مكتب الخدمات الطباعية القاهرة، 1985، ص21.

³ جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة أنسام محمد الأسعد، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، 2011، صص 70-71

يوصف بأنه منحرف في سياق آخر، ومفهوم الانحراف بحد ذاته أوسع وأكثر شمولاً من مفهوم الجريمة الذي يشير إلى التصرفات غير الإمتثالية التي تخالف القانون.¹

وعرف بأنه الخروج على قواعد السلوك العام عبر صدام القواعد والأعراف الاجتماعية المعتمدة في البنية الاجتماعية الأمر الذي يؤدي إلى طرد المنحرف من الجماعة أو معاقبته وقدر ركز علم الاجتماع في بداياته كثيراً على دراسة حالات الانحراف (الجريمة والانتحار... الخ) غير أن مدرسة شيكاغو بعد ذلك أدخلت تصويبات نظرية ومنهجية عديدة على دراسة الانحراف²، والانحراف مفهوم متغير غامض وسريع التحول فإذا شئنا الدقة نقول أن تحديد الشخص المنحرف إنما يعتمد على الفهم الصحيح للمعايير وعملية الوصم في إطار السياق الاجتماعي الذي ندرسه³.

وتبرير الانحراف يؤكد القيم والمعايير الثقافية المجتمعية ومعارضته ألا يكون خير دون شر ولا عدالة دون جريمة والانحراف يعرف الحدود الأخلاقية، ويشكل خطر من أشكال الانحراف يجبر الناس للعمل معاً والرد في نفس الطريق ضدها وبدوره يؤدي إلى تغيير وربط السلوك المنحرف بالبنية الاجتماعية مثل اللغة والعرق والطبقة وأيضاً عدم المساواة وتأثير الأقران والتفكك الاجتماعي في المجتمع وعواقبه على الفرد من عدم القدرة على تحقيق النجاح الاجتماعي ودور الثقافات الفرعية المنحرفة بما في ذلك العصابات⁴.

ويستند في هذا التعريف لوجود العديد من المفاهيم المقاربة وللسلوك الانحرافي وهي الجريمة والعنف.

- الجريمة: جميع الأفعال والتصرفات التي فيها انتهاك وخروج عن قيم ونظم المجتمع ولما كانت المجتمعات تختلف في عاداتها وتقاليدها وقيمتها ونظمها، ويعرف القانونيون الجريمة بأنها فعل غير مشروع صادر عن إرادة جنائية يقرر له القانون عقوبة وتعرف في الشريعة الإسلامية بأنها محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تعزير ومعناها إتيان فعل محرم معاقب على فعله أو ترك فعل مأمور به⁵.

¹ أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، ط1، المنظمة العربية للترجمة ومؤسسة ترجمان، بيروت لبنان، 2005، ص306
² فريدريك معتوق، الموسوعة الميسرة في العلوم الاجتماعية -عربي- انجليزي- فرنسي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، 2012، ص 31 - 32

³ عدلي السمري وآخرون، علم الاجتماع الجريمة والانحراف، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2010، ص406
⁴ Md.Zahangir Hossain , **Deviant Behavior :A Study of Causes**, NU journal Humanities ,Social Sciences et Business Studies, Vol 1,NO 1 December 2014, p 124

⁵ أحمد حويطي، دور البحث العلمي في الوقاية من الجريمة والانحراف، أعمال ندوة البحث العلمي والوقاية من الجريمة والانحراف، ط 1، مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2001، ص ص 12- 13

الجريمة تبدو كظاهرة لا يشك أحد قط في أنها ظاهرة معتلة وقد اتفق علماء الإجرام على هذا الرأي لكن اختلفوا في تفسير الجريمة رغم كونهم يجمعون على أنها ظاهرة معتلة، ومع ذلك فما كان ينبغي أن تحل هذه المشكلة بمثل هذه السرعة فإذا طبقنا في الواقع القواعد السابقة على الجريمة نجد أنها لا تلاحظ أيضا¹.

وعرفها "مارشال بارون كلينار" بأنها كل سلوك مؤذ وضار اجتماعيا ويتعرض صاحبه للعقاب ومن قلا الدولة وأيضا عرفها "عبد الجبار كريم" بأنها انتهاك للقيم الاجتماعية التي حددتها الغالبية العظمى من الهيئة التي وضعت القانون الذي يجسد هذه القيم².

ولكن الشيء المؤكد أن مفهوم الجريمة يشمل الانحراف بينما الانحراف لا يشمل بالضرورة على الجريمة وبعبارة أخرى فإنه كلما وجدت الجريمة وجد الانحراف ولا يلزم مع وجود الانحراف وجود الجريمة فقد ينحرف الشخص ولكنه لا يعد مجرما إذا لم تتوفر في انحرافه أركان الجريمة ولا شروط المسؤولية الجنائية، والانحراف مثله مثل الجريمة قد يكون اجتماعيا وقد يكون خلقيا ودينيا وقد يكون قانونيا فإذا كان الانحراف عن قيم المجتمع ونظمه وتقاليده سمي انحرافا اجتماعيا، وإذا كان الانحراف عن القيم والمبادئ الخلقية والتعاليم الدينية سمي انحرافا خلقيا أو دينيا وإذا كان عن القواعد التي رسمتها القوانين الوضعية سمي انحرافا قانونيا، وفرق علماء الإجرام بين الفعل المنحرف والسلوك المنحرف حيث ذكروا أن الفعل المنحرف يرتكبه كثير من الناس دون أن يصبحوا منحرفين بينما السلوك المنحرف يتميز باستمرارية النسبية مع الشخص المنحرف ويتمحور ميول واتجاهات الشخصية فيه حول النشاط المناهض للمجتمع³.

من هنا نجد "ميشل دينكش" يعد الانحراف أنه السلوك الذي لا يتماشى مع القيم والمقاييس والعادات والتقاليد الاجتماعية التي يعتمدها المجتمع في تحديد سلوكية أفراد⁴.

¹ إميل دوركايم، قواعد المنهج، ترجمة محمود قاسم والسيد محمد بدوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص153
² لخضر زرارة، الجريمة بين المجتمع الريفي والمجتمع الحضري (دراسة مقارنة)، مذكرة دكتوراه علوم في علم الاجتماع تخصص تنظيم وعمل، قسم علم الاجتماع والديمقراطية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2007-2008، ص 27
³ أحمد حويطي، مرجع سابق، صص 14-15
⁴ ميشل دنكش، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، بيروت 1980، ص73

جدول رقم(01): يوضح الفرق بين الانحراف والجريمة.¹

الانحراف	الجريمة
مفهوم شامل ينطوي على أنواع كثيرة من السلوكات المضادة لقواعد المجتمع بحسب خطورتها.	مفهوم أقل عمومية من الانحراف بمعنى أنه يشمل جزء محدد من الأفعال المنحرفة.
ظاهرة نفسية اجتماعية تتمثل في سلوك الفرد الناتج عن عوامل اجتماعية تؤدي إلى التوتر النفسي وعدم التكيف مع النظام الاجتماعي.	سلوك منحرف على أعلى درجة من الخطورة من حيث إلحاق الضرر بالآخرين ولها عوامل نفسية واجتماعية تجعل الفرد في حالة رفض لكل القوانين الاجتماعية.
لا يمكن فصل الجانب النفسي للانحراف على الجانب الاجتماعي له.	تحليل الجريمة يكون ضمن المنظور النفس الاجتماعي لان للجريمة دوافع تؤدي بالفرد إلى اقترافها.
سلوك مضاد لقواعد المجتمع يعبر عن حالة نفسية تتميز بالتوتر والإفراط في التعبير عن النزوات والانفعال الشديد الذي يؤدي إلى عدم التوافق مع النظام الاجتماعي.	تتميز بمسؤولية جزائية واجتماعية بالنسبة لفاعلها والفاعل المجرم يكون جانحا عند ارتكاب نفس جريمة الراشد.
يشيع استخدامه في الدراسات القانونية ويرتبط بعنصرين: الخروج عن القانون المكتوب والقواعد المتعارف عليها بين الناس والثاني يرتبط بالحدث أكثر من ارتباطه بالراشدين	يشيع استخدامه في الدراسات القانونية والفقهاء العربي الإسلامي ويدل على مرتبة أعلى من الجنحة تبعا لخطورة السلوك والأضرار التي تلحق بالفرد أو المجتمع.
الانحراف هو الخروج عن ما يعتبر سويا في المجتمع	سلوك عدواني يعني إلحاق الضرر بالغير

¹ نوار الطيب، جرائم القتل في المجتمع الجزائري، دراسة العوامل والآثار والطرائق، الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر 1994، ص ص 35 - 36

- مفهوم العنف: كلمة العنف في اللغة العربية تعني الخرق بالأمر وقلة الرفق به وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره، وفي اللغة الفرنسية فإن الأصل اللاتيني لكلمة violence هو violenti ومعناها: الاستخدام غير المشروع للقوة المادية بأساليب متعددة لإلحاق الأذى بالأشخاص والإضرار بالمتلكات ويتضمن ذلك معاني: العقاب والاعتصاب والتدخل في حريات الآخرين¹.

وعليه كان مفهوم العنف بدلالاته اللغوية والاصطلاحية هو في الواقع الاجتماعي قد يكون استخداما فعليا للقوة أو تهديدا باستخدامها، وقد يعبر عن مجموعة من التناقضات والاختلافات الكامنة وراء البناء الاجتماعي.

إن العنف هو في أفق الحياة الاجتماعية التي يغلقها من كل ناحية لأنه يشكل الحدود الدنيا والعتبة التي لا يعود الأفراد ليشكلوا دونها جماعة حقيقة وحتى داخل جماعة منظمة وهادئة وبين مثل هذه الجماعات يستمر خطر انكسار النظام السلمي ويظهر عندما يكون ثمة فقدان للرقابة أو فقدان للوعي لدي أفراد معينين أو في جماعات المجتمعية وبهذه الصفة يمكن اعتباره سلوك اللاعقلاني².

ويعرفه "روبيرت ماكافي براون" بأنه سلوك شخصي ومؤسسي يتسم بطابع تدميري مادي واضح ضد الآخر يعد عملا عنيفا وهناك العنف الشخصي الخفي إلي يؤدي الأخر نفسيا وهناك العنف المؤسسي الخفي حيث تنتهك البني الاجتماعية هوية مجموعات الأشخاص كما يحصل على سبيل المثال في مستويات الحياة المتدنية في الأحياء المغلقة وهكذا تصبح المشكلة بنيوية³.

- التعريف الإجرائي للسلوك الانحرافي: إذا الانحراف يتمثل في مظاهر السلوك الغير متوافق مع السلوك الاجتماعي السوي والصورة البارزة لهذا الانحراف تبدو إقدام المنحرف على ارتكاب جريمة معاقب عليها لمساسها بسلامة المجتمع وأمنه مما يعتبر انحرافا حادا أو انحرافا جنائيا أما الانحراف المجرد الذي لا يعد جريمة فهو الانحراف الذي ينطوي على مجرد مظهر من مظاهر السلوك السيئ مثلا مخالطة ذوي السيرة السيئة أو القيام بتصرفات طائفة دون مراعاة القيم الأخلاقية والمعايير الاجتماعية ومثل هذه الانحرافات إذا لم تعالج تتطور غالبا إلى انحرافات حادة جنائية ينطبق عليها وصف الجريمة.

¹Miccel Legrain , Le grand Robert ED ,robert paris ,1997, p742

²ريمون بودون وبوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1986،ص ص 394 - 395

³ باربرا ويتمر، الأنماط الثقافية للعنف، ترجمة ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت،2007، ص

5. العشوائيات الحضرية: تعددت المصطلحات لتوصيف تلك الظاهرة مثل التجمعات غير الرسمية، غير القانونية، العفوية أو التقسيمات التجارية متدنية المواصفات والعشوائية ومعظمها يفتقد للدقة نظرا لأنها لا تأخذ في الاعتبار سوى بعد أحادي للظاهرة لا يعبر عن مدلول عام وشامل بالنسبة للمضمون.

تعرف وفق ثلاث مداخل وأبعاد وهي:¹

أ. التخطيطي العمراني: غياب خطة نموذجية شاملة للتخطيط العمراني أو التوقف عن تنفيذها أو عدم الالتزام بها وتنشأ هذه العشوائيات في احد النطاقين الأول وهو التوطين في المواقع الجديدة غير مأهولة من قبل كأطراف المدن والثاني وهو المناطق القديمة والمتدهورة عمرانيا وطرح علماء التخطيط في مؤتمر الإسكان العشوائي 1994 أطارا لتعريف العشوائيات يستند على:

- كل المباني والمنشآت الإسكانية التي تتم بدون رخص.
- الإسكان على أراضي غير مخططة للبناء.
- الإسكان على أراضي مغتصبة أو غير مملوكة.
- المباني الواقعة خارج مخططات المدينة.

ب. المدخل الاقتصادي الاجتماعي: يركز على أنها مرادف لجيوب الفقر فهي تحتوي على القاطنين بها معيشة اجتماعية متدنية ومتوسطة وقابلة للنزوح بسبب محدودية الإمكانيات الاقتصادية تعريف في مؤتمر الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية بأنها المناطق القديمة التي تضم التجمعات البشرية وتبني بصورة تدريجية على أطراف المدن وتكون في الغالب مملوكة للدولة ومقسمة بطريقة غير قانونية وتتسم بتكدس السكان الفقراء بها ومساكنها القديمة الآيلة للسقوط وهي مناطق جذب للمهاجرين الجدد وترتفع فيها نسب الأمراض والانحرافات السلوكية².

العشوائيات ليست نمطا واحدا والدراسات أثبتت ذلك بوضوح وإنما هي أنماط متعددة متنوعة بالغة التعقيد، كما أن هناك صعوبة بالغة في تحديد نموذج معياري أو قياسي للمنطقة العشوائية، فهناك الكبيرة منها نشأت نتيجة التعدي على أملاك الدولة أو هي مناطق في الأصل ريفية حوصرت بمنطقة حضرية أو صناعية امتدادا للمدينة.³

¹مصطفى محمود، العشوائيات وثقافة الفقر دور الدولة وآليات المواجهة، ط2، العربية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، 2014، ص ص 49 -

50

² نفس المرجع، ص 54

³ عبد الله نجيب، صلاح محمد عبد الحميد، ثقافة العشوائيات، ط1، مؤسسة طيبة القاهرة، 2009، ص 13.

الجدير بالذكر أنه ليس هناك تفريق جامع مانع في تراث التنمية والتخطيط العمراني، يساعد على التعريف الدقيق للمناطق العشوائية، كما أن تعريفات المناطق العشوائية تتنوع وتختلف باختلاف التخصصات والرؤى المختلفة لذا فهي تلك المنطقة التي لا يجوز البناء عليها لأسباب قانونية، فالمعيار هنا هو الاحتكام إلى القوانين المنظمة للنمو العمراني وبناء المساكن هي مناطق مملوكة للدولة غالباً أو للأفراد تقع على أطراف المدن أو داخلها تم الاستيلاء عليها عن طريق وضع اليد من أجل الإقامة أو الاستقرار حيث تم تقسيمها بطريقة غير مخططة، وتتسم بنمط سكاني متدن من حيث المواد المستعملة في البناء وحرمانها من كل أو بعض المرافق الأساسية والخدمات، وأغلب سكانها محرومون من الحياة المرضية التي تشمل الحق في التعليم والصحة الجيدة والخدمات الترفيهية.¹

ونشوء قوة دفع اجتماعي بالمناطق العشوائية، نظراً لكونها من إشراف الدولة ومنظماتها الشرعية، بالإضافة إلى طول الفترة الزمنية التي أقيمت خلالها هذه المناطق، فقد اكتسبت قوة ذاتية في الدفع الاجتماعي تتمثل في صناعة مجموعة من العادات والتقاليد والقيم داخل المناطق العشوائية تحكم العلاقات الاجتماعية بين قاطنيتها بما يشكل مجتمعاً منفصلاً تاماً على المجتمع الكلي، كما تعتبر مدرسة خصبة لتعليم الإجرام الاجتماعي والسياسي كما تنشأ بها سلطة لإدارة شؤون الحياة العامة طبقاً للمفاهيم المتعارف عليها في هذه المناطق العشوائية، والشباب الذين يسكنون المناطق العشوائية الفقيرة هم أكثر فئة عرضة للخطر والحرمان والعنف والانحراف

- **التعريف الإجرائي:** ويقصد به فضاء سكني خلق بطريقة عشوائية يحتوي سكنات ومرافق اجتماعية وجوارية ومؤسسات خدمتية، ولا يعني فقط السكن العشوائي أو البناء الفوضوي والقصديري فهو يعني فقط السكن دون الإحاطة أو الإشارة لما تحتويه هذه العشوائيات بعد نموها واتساعها من مرافق المساجد والمراكز الصحية والأسواق والمحلات وبعض المؤسسات الخدمتية الإدارية.

6. الضبط الاجتماعي: يعرف من وجهة نظر علم الاجتماع على أنه عملية الاتصال والتواصل بين ما هو مغروس من إرث اجتماعي في طبيعة النظام الاجتماعي وبين الجماعات الاجتماعية لأجل تحقيق الاستقرار للانسجام في الحياة الاجتماعية.²

¹ فاطمة علي أبو الحديد، دور المجتمع المدني في مواجهة الفقر في المناطق العشوائية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2012، ص ص 58-59.

² نوري سعدون عبد الله، العوامل الاجتماعية المؤثرة في ارتكاب الجريمة، دراسة ميدانية لأثر العوامل الاجتماعية التي تؤدي إلى ارتكاب الجريمة بمدينة الرمادي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد 1 سنة 2011، ص 139.

ويعرف الضبط الاجتماعي اصطلاح جمعي يشير إلى الأفراد الذين يدخلون في عمليات مخططة وغير المخططة التي بواسطتها يلقت الأفراد عملية الإقناع أو الإكراه لأجل تحقيق المطابقة بينهم وبين ما هو مستخدم من قيم في الحياة الاجتماعية فالضبط الاجتماعي هو الآليات التي يمارس المجتمع سيطرته على مكون الأفراد وإدخال المطابقة للمعايير والقيم بين الأفراد وثقافة المجتمع، ويفسر عند "دوركايم" على انه الضوابط الاجتماعية بالعوامل الخارجية وركز على المعايير الاجتماعية التي تدخل على الأفراد من الخارج وتصبح حقيقة داخلية يعيشها الفرد اجتماعيا بمعنى انه ضرب من ضروب الإلزام الأخلاقي وعلى الفرج أن يطيع القواعد الاجتماعية ويقبلها طواعية لتصبح واجبا من الواجبات المفروضة عليه أكثر من كونها ضغوطا خارجية وتشكل هذه الطلبات من المجتمع نمطا أخلاقيا لأفراد وعناصر أساسية لشخصياتهم¹.

7. الاندماج الاجتماعي: يعرف على أنه مفهوم ينشئه كل مجتمع وكل جماعة بهدف انتقال الأفراد والجماعات من حالة المواجهة والصراع إلى حالة العيش معا وكذلك يعبر الاندماج الاجتماعي عن صورة من صور القدرة على الوصول إلى المنظومات السياسية والقانونية اللازمة لجعل هذه الحقوق واقعا حيا، وهي بهذا المعنى عكس مصطلح الاستبعاد الاجتماعي الذي عرفه "ماكس فيبر" بوصفه أحد أشكال الانغلاق الاجتماعي فقد كان يرى أن الانغلاق الاستبعادي بمنزلة المحاولة التي تقوم بها جماعة لتؤمن لنفسها مركزا متميزا على حساب جماعة أخرى².

8. التأطير: التأطير كلمة مشتقة من فعل أطر وهو شيء إرادي غايته الإحاطة والتأمين وإضفاء معنى ورمز وتحميل فكرة، فهو هيكل ذو محتوى معين، وبناء على ذلك يعرف التأطير الاجتماعي للشباب بأنه توفير الهياكل الرسمية الموجهة للشباب قصد استقطابه واحتوائه وإشباع احتياجاته ورغباته وطموحاته الاجتماعية والنفسية والفكرية والسياسية وتحقيق اندماجه الاجتماعي، والتي هي هياكل مكملة للمؤسسات الأصلية من أسرة ومدرسة وجامعة ومراكز تكوين³.

ومفهوم التأطير تنحدر أصوله النظرية من رافدي الدراسات الاجتماعية والنفسية وهو ما أشار إليه كل من Simon و Iyengar بقولهما "أن مفهوم التأطير تتحدد أسسه في مجالي علمي النفس والاجتماع،

¹ نوري سعدون عبد الله، مرجع سابق، ص 139 - 140

² علي زيد الزغبى، أزمة المشاركة والاندماج الاجتماعي في البلدان العربية، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 05 مارس 2013، ص 21

³ محمد بومخلوف وآخرون، التأطير الاجتماعي للشباب ومسألة الثقة دراسة ميدانية للتأطير الرسمي وغير الرسمي للشباب في الوسط الحضري، مخبر الوقاية والارغونوميا، جامعة الجزائر 2، ديسمبر 2015، ص 18

فينظر إليه باعتباره تركيزاً على أحداث ورموز وصور نمطية معينة بصفة جوهرية في كل من الانتقاء والبروز، فتأطير يعني انتقاء بعض جوانب الواقع وجعلها أكثر بروزاً من خلال أسلوب معين يهدف إلى تعريف وتحديد مشكلة ما وتقديم التفسير اللازم لأسبابها وتقييمها وتقديم حلول لها¹.

ونقصد به في دراستنا غياب المؤسسات الثقافية والجمعوية التي تدعم دور الأسرة ومرافقتها ومساعدة الشباب المنحرف في العشوائيات الحضرية.

خامساً: بناء المنهج والأدوات

اعتمدت الدراسة الحالية على المنهج الكيفي، حيث يقوم الباحث بجمع البيانات، أو الكلمات، أو الصور، ثم يحللها بطريقة استقرائية مع التركيز على المعاني التي يذكرها المشاركون، وتصف العملية بلغة مقنعة ومعبرة، أو هو تحقيق للفهم، مستندة على التقاليد المتميزة لمنهج البحث العلمي التي تقوم بالكشف عن مشكلة اجتماعية أو إنسانية، ويقوم الباحث ببناء صورة معقدة وشمولية ويحلل الكلمات، ويضع تقريراً يفصل فيه وجهات نظر المبحوثين ثم يقوم بإجراء الدراسة في الموقف الطبيعي، وهو منهج يركز على وصف الظواهر والفهم الأعمق لها.

وتدخل هذه الدراسة ضمن الدراسات السوسيوأنثروبولوجية والتي تعتمد في الغالب على المناهج الكيفية أكثر منها الكمية كونها تبحث في مجتمعات محددة وتحاول تفسير نمط العلاقات والتفاعلات والروابط داخلها وتبحث في ظواهرها عن طريق تفسير الوحدات الصغيرة وإعطاء قراءة لوضعها. وتؤمن البحوث الكيفية بأن السلوك الإنساني مرتبط دائماً بالسياق الذي حدث فيه وأن الواقع الاجتماعي (مثل الثقافات والموضوعات الثقافية، والمؤسسات وغيرها) لا يمكن خفضه إلى مجموعة من المتغيرات بنفس الأسلوب الذي يحدث في الواقع الطبيعي، ومن خصائص هذا المنهج النقاط التالية الواجب مراعاتها في تطبيقه وهي²: الانفتاح، البحث بوصفه متفاعلاً، الطابع الديناميكي بين البحث والموضوع، التأمل النقدي للموضوع والتحليل، التفسير، المرونة.

¹ hanto Iyengar and Adam Simon, News Coverage of the Gulf Crisis and Public opinion: A Study of Agenda-Setting, priming, and framing, Communication Research, vol. 20, No. 3, 1993, P.369

² عبد القادر عرابي، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، دار الفكر، دمشق، 2007، ص ص 70 - 75

وتحينا الدراسات الكيفية إلى ذلك المصطلح الشامل الذي يحتوي على أنماط مختلفة (مناهج) من البحوث في علم الاجتماع منها البحوث الاثنوجرافية، ودراسة الحالة، وبعث الملاحظة بالمشاركة، وتختلف عن بعضها في أسسها الفلسفية والتحليلية، وإلا أن بينها جميعا عددا من المظاهر المشتركة تضعها في تصنيف واحد مقارنة بالبحوث الكمية¹.

بالإضافة يشتمل ويترابط مع عديد المناهج المساعدة لفهم وتفسير الظاهرة وهي:

1- المنهج الاثنوبولوجي: يعتبر هذا المنهج من المناهج المستخدمة في البحوث الحضرية وقد تطور في ميدان ما يعرف بالانثروبولوجيا الحضرية للبحث عن فرص العمل وهو الدراسة المعمقة حول تفاصيل الحياة اليومية يهدف إلى تحليل عناصرها كما يهتم بدراسة المجتمعات المحلية الصغرى دراسة معمقة للوقوف على تاريخ الحياة والسير الذاتية - أو البيوغرافيا الذاتية- للوحدة الانثروبولوجية من جميع جوانبها الاجتماعية والثقافية والشخصية².

والمنهج البيوغرافي يعتبر آلية منهجية كيفية ذات خصائص عدة تتميز بها عن التقنيات والوسائل الميدانية الأخرى وأهميتها تكمن في أنها تسمح في المراحل الأولية لأي بحث اجتماعي بصياغة الفروض ويدخلنا بعمق في علم العلاقات الاجتماعية الأولية، إذ عن طريق السيرة الذاتية يمكننا تحويل بؤرة اهتمام بسهولة نحو العلاقات العائلية أو نحو نموذج تشكل علاقات التنشئة الاجتماعية (الشلة، جماعة الرفاق، الحي الجيران والجمعيات....) أو نحو علاقات رفقاء العمل، كما يمكننا هذا المنهج من التحكم شبه الكلي في المتغيرات التي تفسر سلوك الفرد داخل جماعته الأولية، ويمكن ممارسة هذا التحكم ليس فقط عن طريق الترجمة الذاتية لسيرة الذاتية بل يمكن تكملة ذلك بتصريحات الأشخاص المكونين لمحيطه الاجتماعي المباشر³.

ويهدف هذا المنهج معرفة اثر التحولات وتقويمها وترتيبها وأهميتها في الحياة اليومية للفرد: لجماعته الأولية ولمحيطه الاجتماعي المباشر وعليه يسمح لنا بالتحكم في التصورات النظرية الكلية (ماكرو) لأنها توفر ما يقابلها من نظرة شخصية وجزئية، رغم الاختلاف في بناء البحث من ناحية الروايات أو التحديد العيني للحالات المدروسة حيث يمكن الاعتماد على رواية واحدة أو عشرات السير

¹ رجاء محمود أبو علام، مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، ط4، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2004، ص 265

² محمد بومخلوف وآخرون، واقع الأسرة الجزائرية والتحديات التربوية في الوسط الحضري، القطيعة المستحيلة، ط1، مخبر الوقاية والارغوميا، جامعة الجزائر، أكتوبر 2008، ص 73

³ فوضيل دليو، المنهج البيوغرافي (استعمال السيرة الذاتية والحياتية في علم الاجتماع) المصدر مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 27، العدد 02،

السنة 1999 تاريخ التصفح يوم: 10 جويلية 2017 الساعة 13:00

في حين يمكن حسمه أيضا بتقاربات من حد ادني 01، 05، 10، 20 حالة..... لأنه مرتبط بالطبيعة النسبية لهذا النوع من الدراسات الكيفية ومن جهة أخرى بطبيعة موضوع البحث والهدف منه، وتحصل المعلومات في هذا المنهج عن طريق المقابلات المتتالية بهدف إظهار الشهادة الذاتية لشخص محل الدراسة وهنا يعتبر الباحث مجرد دافع أو باحث على الغرض في يما يخص تنظيم المعلومات وكذا حث المبحوث على تغطية الفراغات الإخبارية وبعدها تقليصه(حذف التكرارات)، وضبط خصائصه، ويستعمل هذا المنهج مترابطا بوصفه شكلا من أشكال البحث العام حيث ينطلق من التطبيق الظاهر أو الضمني لسلسلة من العمليات وهي: التحليل النمطي، تحليل المضمون، منهج التمثيل والنمذجة، ومنهج التشبع المعلوماتي¹.

وعليه يغنيا هذا المنهج عن جل البيانات المحتمل تحصيلها عن طريق الاستبيان باستثناء الملاحظة بالمشاركة والمقابلة طبعا.

2- المنهج الاستقرائي: كما اعتمدت الدراسة بصورة أساسية على المنهج الاستقرائي ذلك المنهج ذو الطبيعة الاستدلالية الصاعدة والذي يرتقي فيه الباحث من الحالات الجزئية إلى القواعد العامة، أي الانتقال من الجزئيات إلى حكم عام، ولذلك تعتبر نتائج الاستقراء أعم من مقدماته - وقد تمثل ذلك في قيام الباحث بالتحليل والتركيب والمقصود هنا بالتحليل والتركيب أي التحليل النظري المدقق للعناصر الأساسية والثانوية للموضوع محل التحليل والدراسة، وذلك بقصد الوصول لأجزائه وعناصره الرئيسية والمكونة له، ثم إعادة بناء هذه الأجزاء - أي التركيب- مرة أخرى في ضوء هدف الدراسة الرئيسي وتساؤلاتها، وعملية التحليل والتركيب هذه تجعلنا نتوقف عند العناصر الحقيقة التي تشكل الظاهرة المدروسة².

ويمر الباحث في تطبيقه المنهج الاستقرائي بثلاث مراحل وهي: أولا مرحلة البحث ويستخدم فيها القراءة المتأنية للمؤشرات والدلائل للوقوف على ما بين الأشياء من أوجه شبه واختلاف، ثانيا مرحلة الاختراع والاكتشاف وهي مرحلة وضع الفروض التفسيرية التي توضح العلاقة بين الظواهر والمشاهد أو التي أجري عليها التجارب، ثالثا مرحلة البرهان وهي مرحلة تحقيق الفروض من خلال الرجوع للواقع المعاش³.

¹ فوضيل دليو، المنهج البيو جرافي (استعمال السيرة الذاتية والحياتية في علم الاجتماع) المصدر مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 27، العدد 02، السنة 1999 تاريخ التصفح يوم: 10 جويلية 2017 الساعة 13:00

<http://www.forum. ok-eg.com/show.php?main=1&id=1927>

² علي زيد الزغبي، مرجع سابق، ص 22
³ نفس المرجع ، نفس الصفحة

لذلك ننتهج - في ضوء معطيات هذا المنهج - التحليل من المركب إلى البسيط ومن الثانوي إلى الجوهري وذلك بقصد بناء روابط ثنائية من المتغيرات الفاعلة في تشكيل السلوك الانحرافي لدي الشباب أو بعض الروابط متعددة الأبعاد والمتغيرات في بيئة العشوائيات الحضرية، وعلى هذا الأساس جاءت صياغة مشكلة الدراسة وتحديد المنطلقات الفكرية ثم تحديد مفاهيم الدراسة والأطروحات الفكرية المفسرة، ثم الانتقال إلى معالجة المسائل التطبيقية المرتبطة بموضوع الدراسة، وتم الاعتماد أيضا بصورة أساسية على تحليل معطيات ثانوية تمثلت في نتائج الدراسة الإمبريقية والتطبيقية تم إجرائها في مجال الدراسة الراهنة بحيث يمكن من خلالها تقديم رؤية تحليلية دقيقة لدينامية السلوك الانحرافي لدي الشباب في الوسط الحضري العشوائي.

أما أدوات جمع البيانات المعتمدة في هذه الدراسة فهي:

1-الملاحظة: وتعني توجيه الحواس لمشاهدة ومراقبة سلوك معين أو ظاهرة معينة وتسجيل جوانب ذلك السلوك أو خصائصه أو معاينة مجموعة من الظواهر رغبة في الكشف عن صفاتها أو خصائصها بهدف الوصول إلى كسب معرفة جديدة عن تلك الظاهرة أو الظواهر¹.

وطبقت هذه التقنية في دراستنا كما يلي:

-الملاحظة المباشرة: تعتمد تقنية الملاحظة التي هي موجهة نحو سلوكيات الشباب في العشوائيات الحضرية بالخصوص وسلوكيات السكان عامة حيث تهتم هذه التقنية للإجابة على السؤال كيف ؟ لتقدم تفسير للسلوك في بعده الكيفي.

طبقت على مستويين الأول مع الشباب محل الدراسة أثناء إجراء المقابلة وفي أي مكان أجريت به ملاحظة خصوصا السلوكيات، والانفعالات، طريقة الكلام والحديث، اللباس، الجلوس.....الخ وطبقت في ملاحظة العشوائيات والأحياء خصوصا حركة السكان فيها وطبيعة العلاقات وشكل الحي خصوصا السكن، الشارع، المساحات العامة، المرافق العمومية.

-الملاحظة بالمشاركة: تمت من خلال معايشة حالات الدراسة في حياتهم اليومية خصوصا الإناث حيث تم التردد على بيت جل المبحوثات وقضاء أوقات طويلة معهم ومعايشة حياتهم اليومية في فترات متعددة وحضور العديد من الأحداث، المشاكل، الشجارات والسلوكيات محل الدراسة، أما بالنسبة للذكور ترددنا

¹ أعمار بوحوش ومحمد محمود الذنبيات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، الجزائر، 2001، ص 81

على محل عمل العديد منهم كمحلات للبيع مختلف السلع، مقرات عمل خاصة، وأيضا بناء علاقات مع العديد من الأسر في هذه الأحياء العشوائية وحتى حضور بعض المناسبات العائلية.

2-المقابلة: تعتبر المقابلة أهم الوسائل البحثية لجمع المعلومات والبيانات من الميدان الاجتماعي، أي مواجهة الباحث أو المقابل للمبحوث بقصد جمع الحقائق والبيانات المتعلقة بموضوع البحث، لا يستطيع الباحث التعرف على الحقائق وليستطيع تبويبها وتصنيفها، وتحليلها تحليلًا علميًا يساعده على التوصل للنتائج النهائية التي يستعملها في كشف موضوع الدراسة وكشف جوانبه المختلفة.

وتعرف على أنها استبيان شفوي يتم فيه التبادل اللفظي بين القائم بالمقابلة وبين فرد أو عدة أفراد للحصول على معلومات ترتبط بأراء أو اتجاهات أو مشاعر أو دوافع أو سلوك، وتستخدم المقابلة مع معظم أنواع البحوث إلا أنها تختلف في أهميتها حسب المنهج المتبع في الدراسة، فعلى سبيل المثال تعتبر من أنسب الأدوات استخداما في المنهج الوصفي ولاسيما فيما يتعلق ببحوث دراسة الحالة.

وتعرف أيضا على أنها تفاعل لفظي يتم عن طريق موقف مواجهة يحاول فيه الشخص القائم بالمقابلة أن يستثير معلومات وأراء أو معتقدات شخص آخر أو أشخاص آخرين للحصول على بعض البيانات الموضوعية¹.

وتم اعتماد المقابلة كأداة أساسية حسب طبيعة الموضوع "السلوك الانحرافي لدي شباب العشوائيات الحضرية" وهي أنسب الطرق للحصول على البيانات ومعطيات السلوك في مجتمع الحي العشوائي وقد تم تطبيقها في مجالين في هذه الدراسة ويمكن شرحها بالتفصيل وهي:

-المقابلة المقننة (أو استمارة المقابلة): وهي عبارة عن دليل يشتمل على قائمة أو مجموعة من الأسئلة المحددة والمرتبة ترتيبا منهجيا معينًا وتتضمن عدة مواضيع فرعية ومقصودة وتتعلق بموضوع البحث يقوم الباحث بالتعرض لها خلال عملية المقابلة بمعنى توجه هذه الأسئلة إلى المبحوثين بهدف الحصول على المعلومات والبيانات المنتظرة من البحث²، وهي أداة للبحث لجمع البيانات حيث يقرأ الباحث الأسئلة ويحصل على الإجابة، وتكون فيها الأسئلة معدة مسبقا حيث يراعي التسلسل فيها ويراعي مستوي

¹رشيد زرواتي، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، ط1، الجزائر، 2002، ص 148
²مسعودة كونة وآخرون، أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية، دار البعث، قسنطينة الجزائر، 1999، ص 192

المبحوث وظروف المقابلة بحيث يستطيع الخروج عن دليل الأسئلة المضبوط ويحاول التجاوب مع البحوث بالطريقة التي توصله للمعلومة التي تخدم بحثه.

وقد تم تطبيق هذه التقنية في بحثنا هذا أثناء مقابلة حالات الدراسة والمتمثلة في 21 حالة من شباب الأحياء العشوائية محل الدراسة من خلال دليل مقابلة تم أعداده مسبقا يحتوي على محاور مرتبطة ومتماشية مع فرضيات الدراسة وتم عرض حالات الدراسة في الجدول رقم (06) كما هو مبين في الفصل الخامس ودليل هذه المقابلة نجده في الملاحق، مع مراعاة راحة المبحوث أثناء الحوار ومحاولة كسب ثقته قبل وبعد المقابلة.

-المقابلة غير المقتنة أو الحرة: وتعرف بأنها المقابلة التي لا تتقيد بأوراق إستبائية وإنما تتطلب طريقة أكثر مرونة وفاعلية في استدراج المبحوث للإدلاء بالمعلومات المطلوبة حيث يقوم الباحث بإثارة مجموعة من الأسئلة الرئيسية ومناقشتها مع المبحوث، كما أنها تصلح في الحالات القليلة العدد¹.

وبالنظر لخصوصية هذه التقنية فقد تم توظيفها في بداية الدراسة الاستطلاعية مع مجموعة من سكان هذه الأحياء وعن وضعيتها خصوصياتها وظروف السكن فيها، ثم في أطوار البحث الميدانية الأخرى بالتحديد مع مجموعة من المخبرين الاجتماعيين في هذه الأحياء وأيضا بعض مدراء المؤسسات القائمة على وضعية وشؤون الشباب، أما عن أهم المعلومات التي حاولنا الحصول عليها فهي حسب كل جهة مختصة ورأيها للنقاط المتعلقة بمجال المدينة وبالأخص رؤيتها للبور العشوائيات الحضرية، ثم فئة الشباب وحضورها داخل الوسط الحضري بصفة عامة والعشوائية بصفة خاصة، مشاكل وانحرافات الشباب، كيفية التعامل مع هذه الفئة بعد مرورها بتجربة العقوبات كالسجن أو التشرّد، أو تعاطي المخدرات، أو إثارة المشاكل في الأحياء، الاندماج.... الخ، وكان عدد المخبرين الاجتماعيين 19 مخبر وعرضها في الفصل الخامس كما هو مبين في الجدول رقم (07) الذي يوضح عرض المقابلات وتاريخ إجرائها .

¹أحمد عياد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص 131

3-مجالات الدراسة:

أ.المجال الجغرافي: يعتبر تحديد المجال المكاني الذي ستجري فيه الدراسة الميدانية إجراء منهجي في غاية الأهمية ذلك لأنه يسمح بتحقيق الأهداف المسطرة من البحث والتي تمكنه من الإجابة عن تساؤلاته، وبالنظر لعنوان البحث والهدف المسطر منه هو دراسة منطقة العشوائيات الحضرية الموجودة على مستوى مدينة سطيف ودراسة وضعية ومشاكل الشباب فيها والبحث عن العوامل والأسباب التي تدفعهم ربما للانحراف سواء كانت الايكولوجية، أو طبيعة العلاقات والروابط الاجتماعية فيها، أو غياب التكفل والاهتمام بهذه الشريحة على كل المستويات وفي كل الأماكن هو السبب، كما نبحت في ظروف الاندماج والتفاعل في هذه الأحياء على حسب طبيعتها وتاريخ تكوينها، وعليه وقع اختيارنا للعشوائيات الحضرية بمعني المناطق المحيطة بالمدينة مركز - سطيف - والمتمثلة في سبع تجمعات تم اختيارنا منها ثلاث تجمعات (03) وهي: تجمع الشيخ العيفة (فرماتو)، تجمع شوف لكداد، تجمع عين الطريق، وذلك مراعاة لطبيعة البحث المتمثلة في الحصول على حالات من الشباب المنحرف والنظر إن أمكن في خصوصية سلوكياتهم، والجدول رقم (08) في الفصل الخامس يوضح توزيع حالات الدراسة حسب المجال الجغرافي

ب.المجال البشري: تمثل المجال البشري في مجموعة الشباب القاطنين بالعشوائيات الحضرية السالفة الذكر والذين تتراوح أعمارهم بين 18 و35 سنة وذلك ارتباطا مع موضوع الدراسة الذي ابعده فيه الشباب أقل من 18 سنة باعتبارهم أحداث، وتمت مراعاة عدت معايير في هؤلاء الشباب المنحرفين في الوسط الحضري العشوائي وهي:

- أن يكونوا من سكان هذه الأحياء الثلاثة أي فرماتو ، شوف لكداد وعين الطريق .
- العمر من 18 إلى 35 سنة .
- من كلا الجنسين ذكورا وإناثا.
- المستوي التعليمي دون شرط غير متعلم، متعلم بكل المستويات .
- الحالة المدنية أيضا دون شرط أعزب، متزوج، مطلق، أرمل.
- مراعاة الانحراف في سلوكهم وفقا للمعايير: دخول السجن، التشرّد، أن يكونوا في وضعيات العقوبات البديلية، الأمهات العازبات، العقوبات موقوفة التنفيذ.

وقد تم الحصول على حالات الدراسة هذه المتمثلة في 21 حالة عن طريق أسلوب إحصائي متمثل في كرة الثلج أو العنقودية بحيث تتسلسل وتتربط هذه الحالات عن طريق وحدات، ولكن ما يجب ذكره أنه هناك صعوبة بالغة في الحصول على هذه الحالات وفي بعض الأحيان يتراجع الكثير منهم عن إجراء المقابلة رغم وعودهم للوسطاء للقيام بها تبريراتهم كانت الخوف، الخجل، البعض يجد صعوبة في الحديث، والبعض يري عدم جدوى اللقاء أو المقابلة بحكم نظرتهم للأمور بأن هكذا بحوث أو دراسات لا تقدم له شيئاً في ظل الظروف والصعوبات التي يواجهها في حياته اليومية، لذلك تنقطع هذه السلسلة أحياناً وتعاد عن طريق ربط علاقات جديدة للحصول عليها وتم الحصول على 15 حالة ذكور و06 إناث، مع العلم أنه هناك حالتين (02) تم اللقاء معها تجاوبتا مع البحث لكن رفضتا إدراجها ضمن البحث وقد تم احترام رغبتهما، والجدول رقم (09) يوضح توزيع حالات الدراسة حسب الجنس مدرج في الفصل الخامس .

ج.المجال الزمني للدراسة: يقصد بها الفترة التي استغرقتها البحث بعد ضبط الأطر النظرية ثلثها بداية إعداد أدوات جمع البيانات والأداة الأساسية هي المقابلة والملاحظة (بالمشاركة ودون مشاركة) من خلال أعداد دليل متضمن مجموعة من الأسئلة في رأينا ستجيب على منطلقات البحث وتمثلت الفترة بداية من فيفري 2017 لإجراء المقابلات مع المبحوثين 21 المبرمجين في الدراسة إلى جويلية من نفس السنة ، وبعدها الشروع في عرض وتحليل ما تم جمعه من مادة علمية إلى النهاية في ديسمبر 2017 وكانت العملية موزعة كالتالي:

- بداية محاولة الحصول على حالات الدراسة والتي مرت بمراحل متعددة بداية من ربطة علاقات اجتماعية مع أفراد من عامة هذه الأحياء العشوائية إلى تحديد مواعيد للقاء الحالات وشرح طبيعة الدراسة والهدف منها، مع محاولة إقناعها بالسرية المعلومات والثقة المتبادلة وتوفير الراحة للمبحوث وترك المجال له في اختيار مكان المقابلة والوقت الذي يريد.
- ثم توزيع العمل بين حالات الدراسة (الشباب المنحرف الساكنين في العشوائيات الحضرية) والمتمثلة في مناطق وكان العمل في فترات متقطعة حسب ظروف الحصول على الحالة.
- وفي نفس الوقت تبعته العمل والمقابلات مع بعض مدراء والمهتمين بمجال الشباب طبعاً بعد الحصول على تراخيص اللقاء وغيرها ومن ترتيبات المواعيد حسب برنامج العمل لديهم.
- وتزامنا مع هذا تم إجراء مقابلات مع المخبرين الاجتماعيين في هذه الأحياء منهم من كان معهم تجاوب وتساهل في المقابلة والبعض ننتظرهم للتحديد الوقت والمكان المناسب لهم.

- كما قمنا في هذه الفترة بتجميع الصور الفوتوغرافية للأحياء الثلاثة محل الدراسة.
- وأيضا الاستعانة بمصلحة بالبرمجة ومتابعة الميزانية للحصول على بعض الإحصائيات والخرائط في تسيير الحضري والتوسع العمراني للمدينة.

سادسا : المقاربة النظرية للموضوع

يري "إيرفن كوفمان وإيدوين ليمرت" أن الانحراف يشكل بداية لعملية الصياغة والبناء المعقدة وهنا تتدخل ثوابت درجة التكامل وروابط القوة والأحكام والنظامية والسياق الزمني والمكاني ورسوخ وسائل الأعلام ووجود أو غياب الصراعات الثقافية، لا تزعم هذه الرؤى توفير فهم شامل لتلك الظاهرة على الرغم من كونها جد نافعة لشرح بعض المظاهر الخاصة والمتصلة بالأعمال الإجرامية وهناك طريق آخر بوسعنا أن نسلكه أيضا وهو يتلاقى جزئيا مع تعليمات كبار الكلاسيكيين على غرار "سيزاردي بيكاريا" و"جيريمي بنتهام" في هذه الزاوية ونتكلم عن الاستراتيجيات والعقلانية الذاتية وعن الأرباح والخسائر وعن الفرص والمواقف أي عن الأسواق والمنظمات وشبكات النفوذ والعلاقات.

بإضافة لذلك هناك مقاربة متعددة الأنظمة وهي تقوم بالعمل مع نظريات علمية أخرى ومن بينها علم السكان وعلم النفس التجريبي وعلم الاجتماع اللغوي وهي تجنح نحو التطور منذ بضعة سنين وذلك بغية لفت الانتباه إلى جرائم وجنح متعددة مثل التزوير المعلوماتي أو الاغتيالات الإرهابية أو تهجير الشعوب كما تركز على التداخل الوثيق بين أماكن المنشأ وسير الحياة الذاتية وبين الاختلافات الفئوية والتعليمية¹.

ويشير في هذا الصدد "أوهلن" أنه غالبا لدي الجانحين الشباب شعورا بالظلم فقد كتب يقول: "يميل الجانحون أن يكونوا أشخاصا كانوا يتوقعون أن تأتيهم فرصة تأكيد أنفسهم بمقدار ما كانوا مقتنعين بمقدرتهم الكامنة فيهم للاستجابة لمعايير التقييم الرسمية المقررة مؤسساتيا"، وإذا لم تسنح الفرصة يمكنهم أن يشعروا أن الخطأ قائم في النظام وان هذا النظام على الرغم من المظاهر المعلنة يستند في الواقع على الأخلاقية والاختلاس والابتزاز والمحابة والضغطات الاجتماعية، فيحس حينئذ أنه يبرر اللجوء إلى وسائل مستتكرة ولكن لكي يتأكد الميل الانحرافي يقتضي أن تجهز أوليات التدعيم ويلاحظ "أوهلن" أن الجانح الذي يرتكب اختلاسه الأول يشعر بصورة عامة بأنه مذنب لخرقه المعايير القائمة ولكن هذا الفعل الأول يمكن أن يضعه في حالة اتصال مع جانحين آخرين ويصبح حينئذ العمل الجانحي

¹ جيل فيريول، مرجع سابق، ص72

الذي كان مناسبة للشعور بالعار وسيلة لتأكيد الذات ويمكن أن يستحق الفاعل بسببه موافقة ورضي أعضاء المجموعة الجانحة¹.

وتم معالجة موضوع الشباب في هذا المعنى انطلاقا من ثقافة الأحياء العشوائية وتأثيرها في سلوكيات الشباب وذلك انطلاقا من الثقافات التي تنشأ على ضواحي المدينة والتي جاءت من مناطق مختلفة وثقافتها غير ثقافة المدينة المركز وبالتالي تتضارب وتتصارع هذه الثقافات وهنا يحدث أيضا تتعدد منظورات وتطبيقات التنشئة الاجتماعية، خصوصا تجسيد أفكارها وعاداتها وتقاليدها، مع ما تعرفه هذه الأحياء من نقص المرافق العمومية وفضاءات التآطير والهيكلية الاجتماعية، وهنا تظهر سلوكيات عنيفة وعدوانية وبحدوث هذا التصادم الثقافي الاجتماعي ونقص التآطير وتظهر مجموعة من الأنماط السلوكية المنحرفة والجانح

سابعاً: الدراسات السابقة

يعتبر البحث العلمي سلسلة مترابطة الأجزاء ولا بد أن يستعين الباحث فيها بكافة البحوث والدراسات التي تناولت نفس الظاهرة التي تم اختيارها، قد تكون هذه الدراسات في شكل نصوص في صيغة المادة الخام ولكن تحتاج إلى شروحات المتخصص لفهمها ومعالجتها وقد تكون نظريات متصلة بموضوع أو حقائق جزئية في نتائج دراسات متعددة يؤلف الباحث منها فرضية ينطلق منها في دراسته، أو تكون حقائق عامة ثابتة متصلة بالموضوع أو مجموعة من الحقائق الجزئية الثابتة التي تعود إلى حقيقة عامة وعليه نستعرض أهم الدراسات التي لها علاقة بالموضوع وهي :

-ملاوسكا بيارى 1997 Malauska payre² دراسة حول المتاجرة بالمخدرات في الأحياء الحساسة، فقد شملت الدراسة على عينة من الشباب الذين يقطنون الأحياء الشعبية والفقيرة والتي بلغت 289 شابا وقد تمحورت إشكالية هذه الدراسة حول تساؤل رئيسي تمثل في: كيف يبدأ شباب الأحياء الحساسة في المتاجرة بالمخدرات؟

وتوصلت الدراسة إلى أن الشباب المتاجر بالمخدرات يظهر في البداية على أنه الضحية ذلك أنه يقضي في الأحياء التي تحقرها وسائل الإعلام وتوصفها بالسلبية ولأنه يكتسب الإحساس بعدم المساواة واللاعادلة الاجتماعية، كذلك بالفشل الدراسي لأنه يعتقد أن الحصول على منصب عمل في المستقبل أمر مستحيل نظرا للتمييز الطبقي الاجتماعي والعرقى ولأنه عرضة للمضايقات من طرف رجال التدخل والشرطة

¹ ريمون بودون وبوريكو، مرجع سابق، ص 243

²Malawska –Peyre , le trafic de drogues dans les quartiers sensibles ,Annales la recherche urbaine N84 , Paris1999, p 79-106

ومن هنا يتولد لديه الإحساس بالتهميش وتصبح هذه الوضعية الاجتماعية مبررا من طرف العديد من الشباب والمراهقين للتوقف عن الدراسة والميل نحو الممارسات الانحرافية ومنها المتاجرة بالمخدرات.

- التحضر والجريمة في بعض الدراسات² حاول Robin سنة 1973 أن يشرح لماذا ترتفع معدلات الجريمة في المدن الكبرى مقارنة بالمدن الصغيرة في الولايات المتحدة الأمريكية، كما توصلت دراسة أخرى عن الولايات المتحدة سنة 1999 إلى أن المدن الكبرى ترتفع فيها جرائم العنف بنسبة 56% عن بقية المدن الأخرى، وبحوالي 300% عن المناطق الريفية، وكذلك أشارت الدراسة إلى أن معدلات الجريمة ترتفع في نيويورك ولوس أنجلوس بحوالي أربع أضعاف عن بقية المدن الكبرى الأمريكية، والجدير بالذكر أن الدراسة توصلت إلى وجود علاقة إيجابية بين معدلات الجريمة وأحجام المدن وخلصت دراسة عن كندا سنة 2005 إلى أن معدلات الجريمة ترتفع في المدن الصغيرة عن المدن الكبرى بحيث تزداد في المدن الصغيرة بحوالي 13% عن المدن الكبرى.

أما في الوطن العربي فقد توصلت دراسة سنة 2005 إلى أن العلاقة بين درجة التحضر والجريمة ضعيفة، وأن معدلات الجريمة لا ترتبط بدرجة كافية مع زيادة التحضر كما توصلت دراسة في مصر أن معدلات جريمة القتل في ريف الصعيد تزيد بشكل كبير مقارنة بمعدلات المدن الكبرى وأيضاً أشارت دراسة عن مدينة القاهرة أنه لا توجد علاقة ثابتة بين حجم مدينة القاهرة ومعدلات الجريمة خلال الفترة ما بين، 1882- 1990 وفي دراسة عن بعض الدول العربية وهي: مصر، ليبيا، الإمارات، السعودية، قطر، البحرين، العراق، سورية، الأردن، تبين أنه توجد علاقة طردية قوية بين نسبة التحضر وبين الجرائم الجنسية والاعتصاب وسرقة السيارات والسرقة بالإكراه، فيما كانت العلاقة بين التحضر وجرائم القتل والنصب والتزييف ضعيفة، أما في الأردن فقد اتضح من دراسة "المهيرات" أن المحافظات التي ترتفع فيها درجة التحضر هي ذات المحافظات التي ترتفع فيها الجريمة.

أما عن أهم الدراسات المشابهة لموضوع دراستنا يمكن أن نستعرض بشيء من التفصيل الدراسات التالية: الدراسة الأولى¹: الشباب ومشكلاته الاجتماعية في المدن الحضرية "علي بو عناقفة" رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، درجة ثالثة في علم الاجتماع، وجاءت هذه الدراسة ميدانية ومقارنة أجريت سنة 1982 - 1983 وحاولت الإجابة على التساؤلات التالية:

² أحمد عبد السلام عبد النبي، العلاقة بين التحضر والجريمة في ليبيا، من منظور جغرافي، قسم الجغرافية، كلية الآداب جامعة عمر المختار، دون سنة، صص 5-6

¹ علي بو عناقفة، الشباب ومشكلاته الاجتماعية في المدن الحضرية، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، ط1، 2007

- هل السلوك الإجرامي في الجزائر ظاهرة تاريخية، اجتماعية أي أنها ناتجة عن تطور النظام الاجتماعي قبل الاستقلال؟

- كيف نشأت الأحياء المتخلفة وعلاقتها بالسلوك الإجرامي لدى الشباب ؟

- وان كان السلوك الإجرامي في الأحياء المتخلفة نتيجة المخالطة الفارقة أو الصراع القيمي أو لعوامل اقتصادية تاريخية.

واتبع الباحث في دراسته المنهج الذي يتمثل في الجمع بين الأسلوب التاريخي بمسألة الإطار الفكري ومحاور إفرزاته والمنهج الوصفي، أما عن أدوات جمع البيانات فهي الملاحظة والاستمارة وكان مجموع الأسئلة 62 سؤال، أما عينة الدراسة فكانت مراكز إعادة التربية وحجم العينة 200 مفردة، وأهم ما توصلت إليه هذه الدراسة هي:

- أن شباب الأحياء غير المخططة يعانون اختناقاً سكنياً وعدم ارتباط الشباب بمنازلهم وقضاء وقتهم في فضاءات خارج البيت متسكعين كالعمل في الشوارع ولا يستقرون في المنزل إلا في أوقات النوم، انتشار واسع للحرف اليدوية داخل الأحياء غير المخططة، وكذا انتشار واسع للبطالة خاصة في أوساط الشباب وعدم تمكنهم من العمل داخل القطاع الرسمي، كبر حجم الأسر المتواجدة في هذه الأحياء الغير المخططة وهذا نظراً لارتباطات الثقافة، انتشار واسع للأمراض المنتشرة بين الأطفال لعدم توفر دور للحضانة والروضة.

- التوتر النفسي للشباب هذه الأحياء الغير المخططة ونجد هناك العديد من الشجارات والخصومات، الأحياء الغير المخططة لها أثار سلبية على المدينة ومستقبلها الحضري، وعدم توفر جل الخدمات للشباب من ضعف في التعليم وهدم الحقوق المدرسية وعدم رضاهم بما قدم لهم.

- انتشار واسع للانحراف داخل أوساط الشباب وهذا ما يؤثر سلباً عليهم ويؤثر كذلك على المناطق المحيطة بهم في المدينة والحياة الحضرية.

الدراسة الثانية¹: قام بها "عبد العزيز بودون" حول المشكلات الاجتماعية للنمو الحضري في الجزائر حالة مدينة قسنطينة سنة 2002، تمحورت إشكالية هذه الدراسة حول نقطتين أساسيتين هما: إذا ما كان النمو الحضري يؤدي إلى ظهور مشكلات اجتماعية أهمها الأحياء الفوضوية؟ وهل أن هذه الأحياء الفوضوية تعتبر مجالا مهياً للسلوك الانحرافي؟

أما الفرضيات المصاغة للإجابة هذا التساؤلين:

- يرتبط بالنمو الحضري عدة مشكلات عمرانية تفرز مشكلات اجتماعية أهمها الأحياء الفوضوية.
- الأحياء الفوضوية مجال مهياً للسلوك الانحرافي عند الأطفال والشباب.

وتمت الدراسة بالقطاع الحضري سيدي مبروك لمدينة قسنطينة، وكان مجالها الجغرافي بالضبط بحي الإخوة عباس، أما المجال البشري فبلغ عدد سكان الحي في آخر تعداد (1998) 18864 نسمة يضم ما يقارب 2735 مسكن عدد الأسر فيه يقدر بـ 4250 أسرة بكثافة سكانية تقدر بـ 373.3 نسمة في الهكتار، في حين أن المجال الزمني للدراسة استغرق سبعة أسابيع.

وفيما يخص عينة البحث استعمل الباحث العينة العشوائية المنتظمة في اختيار أفراد العينة بعدما استخراج قائمة أسماء وحدات الدراسة من مكتب الأحياء الفوضوية بالقطاع، وقد أجريت الدراسة على 100 عائلة من مجموع 512 ويمثل حجم العينة بالتقريب 20% من مجتمع البحث وهذا نظرا لتجانس خصائص المبحوثين.

أما في جانبها المنهجي فاعتمدت الدراسة على منهج المسح بالعينة كما استعان بمنهج دراسة الحالة خاصة للتحقق من الفرضية الثانية، واستخدم الباحث الاستمارة كأداة أساسية لجمع البيانات من المبحوثين بالإضافة إلى ذلك استعان بكل من الملاحظة والمقابلة خاصة مع المنحرفين كما استعان بالوثائق والسجلات الإدارية، وتوصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- ارتباط بعض المشكلات الاجتماعية بظاهرة النمو الحضري.
- الظروف المعيشية السيئة لسكان هذه الأحياء كانت نتيجة للوضعية السكنية السيئة من حيث مجاله الداخلي والخارجي مما أثر على سلوكا أبناء هذا الحي وجعلها سلوكات غير مرغوبة اجتماعيا.

¹ عبد العزيز بودون، المشكلات الاجتماعية للنمو الحضري في الجزائر، حالة مدينة قسنطينة، أطروحة دكتوراه دولة في علم الاجتماع، جامعة قسنطينة، 2002

- تتسم هذه الأحياء الفوضوية بضيق ممراتها وصغر البيوت وارتفاع حجم الأسرة مما يؤدي إلى اكتظاظها.

- وتعود أسباب اعتماد المواطنين لهذه البيوت إلى التوزيع غير العادل لقطع الأرضية والنزاعات القائمة حولها بين أصحابها ومصالح البلدية.

- إن مشكلة انحراف الأحداث تنتشر أكثر في الأحياء الفوضوية لاتساع نطاق هذه التجمعات العشوائية داخل المجال الحضري للمدينة، وأنّ السلوك الانحرافي الأكثر انتشارا وتهديدا خلال السنوات الأخيرة(في العشرية الأخيرة للقرن العشرين) هو تعاطي المخدرات بمختلف أنواعها حتى امتدت هذه الآفة إلى المؤسسات التربوية والتكوينية، مما يستدعي مكافحتها.

- وجود ارتباط بين استمرار انتشار الأحياء الفوضوية واتساع السلوك الانحرافي بين الأطفال والشباب ولا تخلو أن تكون بعد ذلك هذه الأحياء مصدرا من مصادرها.

الدراسة الثالثة¹: لـ "محمد بومخلوف" وآخرون بعنوان التأطير الاجتماعي للشباب ومسألة الثقة دراسة ميدانية للتأطير الرسمي وغير الرسمي للشباب في الوسط الحضري أجريت ديسمبر 2015 مخبر الوقاية والارغونوميا قسم علم الاجتماع جامعة الجزائر 02.

تمحورت إشكالية هذه الدراسة في: كيف يتأطر الشباب في الوسط الحضري الرسمي وغير رسمي؟ وتفرعت عنه عدة تساؤلات هي:

- ما هو واقع الهياكل الاجتماعية لتأطير الشباب في الأحياء الحضرية؟ وما انعكاسات ذلك على تأطيره؟ وكيف يتأطر؟

- هل يجد في المتوفر منها ما يشبع احتياجاته فتستقطبه وتنمي ثقته فيها أم العكس؟

- وهل تخلق عنها لصالح مجالات التأطير الحر الافتراضي والواقعي في المجال العمومي؟

وللإجابة على إشكالية هذه الدراسة صيغت الفرضيات الآتية:

- تعاني الأحياء الحضرية من نقص في الهياكل الاجتماعية الرسمية المؤطرة للحي والشباب ما أدى إلى نمو العلاقات الأولية والتمسك بالروابط الجماعية.

¹ محمد بومخلوف وآخرون، التأطير الاجتماعي للشباب ومسألة الثقة، دراسة ميدانية للتأطير الرسمي وغير الرسمي للشباب في الوسط الحضري، مخبر الوقاية والارغونوميا قسم علم الاجتماع جامعة الجزائر 02، ديسمبر 2015

- تتنوع (وتتعدّد) مجالات التأطير الاجتماعي بحسب تنوع الوضعيات الاجتماعية للشباب وما يتوفر من هياكل التأطير في الوسط الذي يعيش فيه.

- عجز (ضعف كفاءة) مؤسسات التأطير الرسمي للشباب في ميدان الاستقطاب (تلبية الاحتياجات والطموحات الاجتماعية والمعنوية والرمزية) أدى إلى تدني مستوى ثقته فيها.

- تدني مستوى الثقة في مؤسسات التأطير الرسمي وبروز مجالات جديد للتأطير الافتراضية منها والواقعية (الشارع) ساهم في استقطاب الشباب إليها من أجل التأطير الحر ونسج شبكة من العلاقات قائمة على حرية الاختيار.

وأجريت الدراسة في المجال الجغرافي لمدينة الجزائر مركز والضواحي الغربية التقليدية، الضواحي الغربية الجديدة، الضواحي الشرقية التقليدية، الضواحي الشرقية الجديدة.

عينة الدراسة هي: توزيع حوالي 1400 استمارة في المناطق الجغرافية للبحث وعلى الفئات الشبانية المعنية... أن يكون المبحوث في فئة السن المحددة (15 - 25)، في حين تم الاحتفاظ فقط بـ 830 استمارة فقط وعشرة مقابلات شملت إطارات الشباب، من مديري دور الشباب ومندوبين محليين للشباب ومستشارين في البلديات وفي مديريات الشباب، وكذا القادة الكشفيين.

و اعتمدت الدراسة على المنهج الكيفي والكمي بكل ما يحتويه من مراحل وتوصلت للنتائج التالية:

- يتأطر الشباب في هياكل تتباين في أهدافها وتوجهاتها وهي متنوعة جدا منها: المجال الأسري، المجال المؤسساتي، المجال الحر الواقعي، المجال الحر والافتراضي ويجمع الشباب بين كل هذه المجالات في الوقت ذاته.

- ساهم ضعف كفاءة مؤسسات التأطير التقليدية في عزوف الشباب عنها وقلة ثقته فيها، ويرجع ذلك إلى ضعف إمكانياتها وبرامجها وتجهيزاتها، وعدم استجابتها لطموحاته في الانفتاح وبناء شخصيته والتعبير عن أفكاره، مما جعله يبحث عن ما يناسبه واقعا أو افتراضيا للتأثير وللبحث عن فرص الحياة من عمل وهجرة وزواج.

- الاستماع والإمتاع والإنقاذ هي ركائز فلسفة التأطير الاجتماعي للشباب في الهياكل التقليدية الرسمية الخاصة بالشباب المتمثلة في ديار الشباب، ومفادها أن الشباب في حالة ضياع وفقدان المعايير في ظل التحولات السريعة، كما أنها ناتجة عن تشخيص الوضع الذي يرى بأن الشباب غارق في المخدرات ولا

بد من إنقاذه وانتشاله من تلك الأوضاع. - تأطير الشباب والسياسات المتبعة بشأنه ما هي إلا رد فعل لا أكثر، ولا تعبر بأي حال من الأحوال عن الفعل القائم على فلسفة واضحة وسياسة دقيقة وإستراتيجية محكمة.

- تعاني الأحياء الحضرية من قلة التّأطير، حيث أن تأطير الشباب يمر حتما عبر تأطير السكان في الأحياء وتأطير الشارع والمجال العمومي، وأن وضعيات الأسرة الحضرية تفرض بقوة وبإلحاح عملية التّأطير الاجتماعي للشباب.

الدراسة الرابعة¹: دراسة "يزيد عباسي" مشكلات الشباب الاجتماعية في ضوء التغيرات الاجتماعية الراهنة في الجزائر دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة جيجل "القطب الجامعي تاسوست جيجل".

تتعلق الدراسة للإجابة على علاقة إشكالية مؤداها من يؤثر في الآخر بصورة أكثر مشكلات الشباب أم التغير الاجتماعي، هل التغير الاجتماعي هو من يفرز مشكلات الشباب ؟ أم مشكلات الشباب هي من تفرز أو تستدعي تغيرات اجتماعية ؟ هذا الطرح يحدد محامل إشكالية الدراسة الراهنة في التساؤل الرئيسي التالي: ما هي حدود الارتباطات القائمة بين التغيرات الاجتماعية الراهنة ومشكلات الشباب في المجتمع الجزائري ؟
تساؤل تتفرع عنه التساؤلات الفرعية التالية:

- إلى أي حد أثرت التحولات في البناء الأسري التي يعرفها المجتمع الجزائري على واقع مشكلات الاجتماعية لدي الشباب ؟

- كيف انعكست التحولات الاقتصادية والسياسية على واقع المشكلات الشباب في المجتمع الجزائري؟

- إلى أي حد أثر الاستخدام الواسع لتكنولوجيا المعلومات على مشكلات الشباب في المجتمع الجزائري ؟

- كيف يمكن أن يكون التمكين الاجتماعي للشباب في المرحلة الراهنة إستراتيجية لتفعيل دور الشباب في المجتمع الجزائري ؟

¹ يزيد عباسي، مشكلات الشباب الاجتماعية في ضوء التغيرات الاجتماعية الراهنة في الجزائر، دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة جيجل، القطب الجامعي تاسوست جيجل، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع والتنمية، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015 - 2016

وللإجابة على التساؤلات سن الفرضيات التالية :

- أثرت التحولات في البناء الأسري إلى حد كبير في زيادة مشكلات الشباب على المستوى الأسري.
 - ساهمت التحولات الاقتصادية والسياسية التي يعرفها المجتمع الجزائري في استمرارية بعض مشكلات الشباب وظهور مشكلات لم تكن مألوفة من قبل.
 - أثر الاستخدام الواسع للتكنولوجيا المعلومات في ظهور مشكلات لم تكن مألوفة لدى الشباب من قبل.
 - يمكن تفعيل دور الشباب في تحقيق التنمية الشاملة بتجسيد محددات التمكين الاجتماعي لهم.
- واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في شكله المقرب الوثائقي والمقرب المسحي اعتمادا على أداة الاستمارة موزعة على أفراد العينة البالغ عددهم 372 من السنة الأولى ليسانس حتى السنة الثانية ماستر جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل، بطريقة العينة العشوائية البسيطة، وعن أهم النتائج المتوصل إليها:
- هناك تحول في اتجاهات الشباب نحو الحياة الأسرية خاصة ذات الحجم الكبير، حيث أبانت الدراسة الميدانية أن نسبة معتبرة لديها ميل نحو السكن مع الأسرة الصغيرة أو كأفراد منفردين.
 - هناك ميل نحو الاستقلالية المادية للشباب بالنظر إلى الأنماط التقليدية في تحصيل الموارد المالية، حيث أبانت الدراسة الميدانية أن فئة معتبرة من المبحوثين تعتمد على ذاتها في تدبير الأمور المادية.
 - ما يميز الأسرة الجزائرية المعاصرة هو ضعف الترابط الأسري كانعكاس للتغيرات التي مر ويمر بها المجتمع، وتحول الفرد بداخلها من النزعة الجماعية إلى النزعة الفردية.
 - تبقى مشكلة السكن مشكلة متجددة تؤثر سلبا على حياة الشباب، حيث أبانت الدراسة الميدانية أن ضيق السكن العائلي يعد واحدا من مسببات المشاكل الاجتماعية داخل الأسرة.
 - انعكاس للفوضى الاجتماعية التي تلازم مجتمعنا، تتميز لغة الخطاب داخل الأسرة حسب ما أفضت إليه الدراسة الميدانية بالفوضى.
 - تبقى مشكلة البطالة بأبعادها المختلفة المشكلة الأولى التي يتوقع أن يعاني منها الشباب بعد تخرجهم، وهناك من يرجع مواصلتهم للتعليم هروبا من البطالة، كما أن مضامين المجتمع المعيارية تعتبر مسببا لبطالة الشباب خاصة ما تعلق بالاعتبارات التي توليها الأسر للوظائف وممتهنيها.

- من أهم الآثار ذات البعد الاجتماعي والسياسي والأمني لارتفاع معدلات البطالة في السنوات الأخيرة، ارتفاع معدلات الانحراف والجريمة في أوساط الشباب، ضعف درجة الولاء والانتماء الوطنية للشباب إلى اعتبار الوطن جغرافيا دون هوية أو تاريخ، انتشار اللامبالاة والإحباط وضعف مستوى المسؤولية الشخصية لدى الشباب، ارتفاع معدلات إقدام أو القيام فعليا بمخاطرة الهجرة السرية نحو الضفة الشمالية من المتوسط، بالرغم من خطورة العملية وسلبات تبعاتها الاجتماعية والأمنية والاقتصادية على السواء.

- توصلت الدراسة لنتيجة مفادها أن مشكلات الشباب الاقتصادية ليست البطالة وحدها بل هناك مشكلة انخفاض الدخل الفردي وضعف القدرة الشرائية للفرد الشاب مقارنة بحاجاته ومستلزماته، في ظل ارتفاع نمط استهلاك تفاخري ادخل الشباب في حيرة عن مصادر الثروة وكيفية تحقيقها وبالتالي سلك الطرق الغير شرعية لتحصيل هذه المستويات.

- التحديات التعليمية والمهنية والاجتماعية التي يواجهها الشباب خلال هذه المرحلة العمرية لها انعكاسات سلبية سواء من الناحية السلوكية حيث برز على سطح الواقع الاجتماعي ممارسات كانتشار الانتهازية والأناية بين الشباب، عدم الالتزام بالضوابط والقوانين، انتشار الانحرافات الفكرية خاصة التشدد والتطرف، إقبال الشباب على الهجرة بالطرق الشرعية وغير الشرعية.

- تبين من واقع الدراسة أن مشكلة الفراغ واحدة من المشكلات الرئيسية التي يواجهها الشباب خلال هذه المرحلة العمرية، وما زاد من تأثيراتها السلبية هو توجه نسبة كبيرة من الشباب نحو قضاء أوقات فراغهم في استخدام التكنولوجيا الحديثة على حساب المجالات التي تعتبر على درجة عالية من الأهمية والفعالية سواء من الناحية البدنية أو الصحية أو الثقافية.

- أفضت الدراسة في جزئية منها إلى تحول ذهنية الشباب من منطق التفكير التقليدي الذي يضع في أولويات الشباب الزواج وتكوين أسرة إلى الذهنية الحديثة التي مضمونها تأخير سن الزواج والعمل على النجاح على الصعيد المهني والمادي، لتتجسد فكرة المستقبل الشخصي ثم المستقبل المجتمعي يتحول لنمط التفكير من "نحن" إلى "الأنا"، وهذه واحدة من أهم نواتج التغيرات الاجتماعية التي لازمت المجتمع الجزائري في السنوات الأخيرة.

الدراسة الخامسة¹: لـ "فقيه العيد" بعنوان المشكلات النفسية للشباب المنحرف في الوسط الحضري الجزائري دراسة ميدانية لواقع الصحة النفسية لدى الشباب وعلاقتها بالعنف الإجرامي على عينة من الشباب المنحرف بمؤسسات الوقاية - الجزائر -

هل توجد علاقة ارتباطية سلبية، ذات دلالة إحصائية بين درجات الصحة النفسية، ودرجات التطرف نحو العنف لدى الشباب المنحرف في الوسط الحضري؟

- هل توجد علاقة ارتباطية موجبة، ذات دلالة إحصائية بين درجات الاضطرابات الانفعالية والمزاجية، ودرجات التطرف نحو العنف؟

- وما مدى شيوع الاضطرابات الانفعالية والمزاجية بين الشباب المنحرف في الوسط الحضري؟ وأين يقع مستواهم التعليمي؟ وما هي الجريمة الأكثر شيوعا؟ وما طبيعة الأسرة التي ينحدرون منها؟

- وهل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية للتطرف نحو العنف لدى الشباب المنحرف في الوسط الحضري تبعا لمتغير الجنس؟

أما فرضيات هذه الدراسة فهي:

- توجد علاقة ارتباطية سالبة بين درجات الصحة النفسية ودرجات التطرف نحو العنف لدى الشباب المنحرف في الوسط الحضري.

- توجد علاقة ارتباطية موجبة بين درجات الاضطرابات الانفعالية والمزاجية ودرجات التطرف نحو العنف لدى الشباب المنحرف في الوسط الحضري.

- تعدد عدم الكفاية والقلق والتوتر والغضب من أكثر الاضطرابات الانفعالية شيوعا بين الشباب في الوسط الحضري؟

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية للصحة النفسية لدى الشباب المنحرف تبعا لمتغير الجنس.

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية للاضطرابات الانفعالية والمزاجية لدى الشباب المنحرف تبعا لمتغير الجنس.

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية للتطرف نحو العنف لدى الشباب المنحرف تبعا لمتغير الجنس

¹ فقيه العيد، المشكلات النفسية للشباب المنحرف في الوسط الحضري الجزائري، دراسة ميدانية لواقع الصحة النفسية لدى الشباب وعلاقتها بالعنف الإجرامي على عينة من الشباب المنحرف بمؤسسات الوقاية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2005 - 2006

والعينة المستخدمة في هذا البحث والمكونة من 80 شابا منحرفا، سبق لهم ارتكاب جرائم مختلفة، موقوفين حاليا في المؤسسات الإصلاحية الجزائرية، وتتراوح أعمارهم بين 18-25 سنة، وينحدرون من الوسط الحضري، كما تتعين حدود هذه الدراسة في ضوء الأدوات والأساليب الإحصائية المستخدمة، ومدى إمكان تعميم النتائج المتوقعة من البحث في ضوء الفترة الزمنية التي تمتد بين سنتي 2005-2006. في ثلاث مؤسسات إصلاحية جزائرية وهي: المؤسسة الإصلاحية تلمسان، المؤسسة الإصلاحية البويرة، المؤسسة الإصلاحية عين تيموشنت.

وصلت هذه الدراسة للنتائج الآتية:

- تبين النتائج المتوصل إليها أنه توجد علاقة ارتباطية سالبة بين الصحة النفسية والتطرف نحو العنف، لدى الشباب المنحرف في الوسط الحضري، كما تؤكد نتائج الدراسة الحالية، إلى أن لدى الشباب في الوسط الحضري الكثير من المطالب، يتعجلون الحصول عليها، فيضيعون بذلك كثيرا من الفرص التي تتيح لهم النضج الانفعالي والعاطفي والاجتماعي وحتى العقلي.

- أن العلاقة تتسق بين مظاهر الصحة النفسية، التي تتمثل في المقدرة على التفاعل الاجتماعي، والتحرر من الأعراض العصابية، والبعد الإنساني والقيمي وبين التطرف نحو العنف وانتشار المشكلات النفسية في وسط الشباب، وتعاطيهم للخمور والمخدرات، والانحلال الجنسي والسرقة والرفض والاحتجاج السلبي، ما هو إلا انعكاس مباشر لمفهوم العزلة الاجتماعية، أي عدم قدرة هؤلاء الشباب على الانخراط في العلاقات الاجتماعية المثمرة.

- فيما يخص وجود العلاقة الارتباطية الموجبة بين الاضطرابات الانفعالية والمزاجية، والتطرف نحو العنف لدى الشباب المنحرف في الوسط الحضري، تؤكد نتائج الدراسة الحالية، أن متغير سوء الصحة النفسية الذي يتمثل في الاضطرابات الانفعالية والمزاجية بشكل عام، يرتبط سلبا بالميل نحو العنف وارتكاب الجريمة لدى الشباب في الوسط الحضري

- الفئة من الشباب في الوسط الحضري غاضبة غضبا شاملا، غاضبة من الأسرة والمجتمع اللذين تنتمي إليهما، ويتجلى هذا الغضب في اتجاهاتهم وتصرفاتهم، فهم يعتقدون أن واقعهم البيئي والاجتماعي متصدع، تسقط فيه الأحلام والمطامح بسرعة، وأن كل ما حولهم باطل وزائف يُشعر فتنمو لديهم روح التمرد والاهتمامات الجنسية والعناد والغطرسة، وغالبا ما تدفع هذه الجماعة أفرادها إلى التورط في ارتكاب الكثير من السلوكات المنحرفة.

- يشكو الكثير من الشباب من أن الإمكانيات المادية للأسرة لا تلبى حاجاتهم الضرورية في البيت، كتوفير

غرفة خاصة للنوم، ومكان هادئ للدراسة، أو الملابس التي ترضي ذوقه... إنهم يصرون دائما على أن الفقر هو السبب في انحرافهم،

- أن الواقع الحضري الذي يعيشون فيه يفرض عليهم الكثير من المطالب، يخلق لديهم فيضا من الحاجات، التي يصعب تلبيتها بالطرق المشروعة، ما يدفعهم إلى تحقيقها عبر السرقة بوصفها وسيلة سهلة بالنسبة لهم.

من خلال هذه الدراسات المعروضة الشاملة للدراسات الأجنبية والعربية والتركيز على الجزائرية التي وتناولت في مجملها جوانب مهمة تتعلق بموضوع الانحراف والجريمة في العشوائيات الحضرية، وبالخصوص عند فئة الشباب والتي بدورها أفادت الدراسة الراهنة في الجوانب التالية :

- من الناحية النظرية في بلورة السياقات والأطر المعرفية لكل الدراسة والمتعلقة أولا بدراسة الجريمة في جغرافية معينة وهي العشوائيات الحضرية أو المتخلفة، وتأثيرها على السكان عامة والشباب خصوصا.

- من الناحية المنهجية هي الاستفادة من الاطلاع على الأدوات والمناهج المعتمدة فيها ومدى تقارب أدوات الدراسة الحالية، وبذلك عملت على توضيح الطريقة الأنسب وهي التحليل الكيفي والموجودة في أغلب الدراسات التي تزوج بين المنهجين الكيفي والكمي.

- من الناحية الميدانية هي التعرف على الواقع الميداني لهذه الدراسات التي كانت في مجملها اهتمت بدراسة السلوك الاجتماعي بالضبط الانحرافي في بيئة خاصة هي الأحياء العشوائية، ومنه كان التقارب بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة.

وما يلاحظ على الدراسات السابقة والدراسة الحالية: أنها تطرقت تقريبا لنفس الموضوع وهو دراسة الحيز الجغرافي المتمثل في الوسط الحضري، وبالضبط العشوائيات الحضرية وإفرازاتها لسلوكيات متعددة تساهم فيها عوامل ترتبط بالبيئة الايكولوجية أولا ثم باقي العوامل الأخرى كالعلاقات والروابط الاجتماعية بين السكان وكذا الحياة العامة في هذه الأوساط وكيف تؤثر على كل الفئات خصوصا منها الشباب.

وأخيرا وما تم التوصل إليه من خلال عرض الدراسات السابقة هو تعدد العوامل المساهمة في شيوع السلوك الانحرافي في البيئة الجغرافية الحضرية أو العشوائية وأهمها:

- التركيز على البيئة الايكولوجية المتعلقة بالمحيط العام من حيث موقعه وتاريخ نشأته ومعايير التخطيط فيه.

- طبيعة العلاقات الاجتماعية والروابط الأسرية وكذا أشكال الضبط الاجتماعي سواء التقليدي أو الحديث.
- التركيز على المؤسسات والفضاءات التي تقوم بدور التأطير لسكان هذه الأحياء السكنية.
- الاهتمام بفئة الشباب باعتبارها من الشرائح الاجتماعية التي تتأثر بهذه الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بهذه الأحياء العشوائية.
- أن أغلب الدراسات تناولت عديد العوامل المسببة للسلوكيات سكان الأحياء العشوائية وإفرازاتها منها السلوك الانحرافي والإجرامي ولكن كعنصر ضمن مجموعة من العناصر في حين الدراسة الحالية ركزت عليه كمحور أساسي أول بالإضافة لباقي العوامل المساعدة على والمؤثرة فيه .
- ومنه يمكن القول: أن الدراسات المعروضة وعلى اختلافها في مكان الدراسة أو المرحلة الزمنية التي أجريت فيها، والعينة أو المجال البشري الذي درسته كلها تقدم وتفيد دراستنا انطلاقاً من نتائجها التي تدعم انطلاقة بحثنا كون بيئة العشوائيات الحضرية وما تميز به من خصائص تساهم بدرجة معينة في السلوكيات الانحرافية لسكانها على اختلاف أعمارهم و مكانتهم داخل الحي الواحد.



الفصل الثاني: السلوك الانحرافي : رؤية نظرية متعددة

تمهيد

أولاً: الإطار المرجعي لسوسيولوجيا الانحراف

ثانياً: أنواع ومستويات السلوك المنحرف

ثالثاً: النظريات المفسرة السلوك الانحرافي

1- النظرية الجغرافية

2- النظريات الأنثروبولوجية

3- النظريات الاجتماعية

4- النظريات النفسية

5- النظريات الثقافية

6- النظريات الاقتصادية

7- المقاربة السياسية

8- المقاربة الدينية

9- المقاربة التكاملية

خلاصة

تمهيد:

يقوم تفسير الظاهرة الانحرافية والإجرامية على الأسباب المؤدية لحدوثها وتركز على عدة عوامل منها الداخلية والخارجية بمعنى أدق وجود فكرة تعدد الأسباب، والبعض يبني تصورات على سبب واحد فيفسر الجريمة بأنها ثمرة عامل واحد كالعوامل النفسية أو الاجتماعية والاقتصادية أو جغرافية، بينما البعض الآخر يرى بأن تعدد الأسباب هو المؤدي إلى تفسير الجريمة، إذ لا يمكن الاعتراف بعامل واحد في كل جريمة، سواء كان ذلك السبب فردياً أو اجتماعياً، إذ أن الجريمة في نظرهم تكون دائماً بجمع من عوامل داخلية أو خارجية وكل عامل منها يكون له تأثيره النسبي ودوره الذي يساهم به مع غيره من العوامل في وقوع الجريمة أو دفع المجرم إلى ارتكابها، وهنا تعددت النظريات انطلاقاً من هذا المعطي المتمثل في وضع الأرضية لفهم الأسباب والعوامل المساعدة على تكوين بيئة انحرافية لدى الفرد وكانت الاتجاهات عبر المراحل التاريخية والدراسات الميدانية في كل مرة تعطي نتائج معينة أحياناً أخرى تلغي أو تصحح وتعديل التي سبقتها ومنه نعرض هذه الاتجاهات عامة وبشكل من التفصيل.

أولاً: الإطار المرجعي لسوسيولوجيا السلوك الانحرافي

إن المجتمع لا يخلق وحسب الشروط العامة للانحراف وإنما يقدم له كذلك الفرص بنوع من البرهنة، وذلك عبر إظهار أن الآخرين يفعلون جيداً ما كان قد منع منه الفرد المعني إذا لم يكن قد رفضه هو نفسه ضمن هذا الأفق، ويسعى الشخص إلى حل روابط الأهل والأصدقاء والغوص في فضاء المدينة الكبيرة والاستسلام لانجذابها، وهذا إذا لم يجتمع مع أمثاله الذين لم يعد يخجل معهم في أن يكون ما هو كائن ربما كان بإمكاننا القول عن مجتمعاتنا متسامحة بقدر ما هي قمعية¹.

إذا كانت الدراسات الاجتماعية قد أكدت أن العقيدة تتأثر بالتحويلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وتؤثر بها في الوقت نفسه وإن تخضع لحالة التأثير المتبادل الذي يتم بينهما وبين التحويلات دون التوقف، فإن هذه الدراسات قد أكدت أن حالة التأثير هذه تختلف من مجتمع لآخر، وتختلف داخل المجتمع الواحد بين آونة وأخرى، وأن هذه التأثيرات على اختلافها تنتج مشاهد اجتماعية لها خصوصيتها، شواهدا ومعالمها، ويمكن القول أن أكثر المنظورات السوسيولوجية تنطلق من فكرة ظاهرة أو مستمرة عن البنية الاجتماعية، باعتبارها نسقا قائما يمثل حصيلة لأفعال الأفراد وتفاعلاتهم².

¹ميشال جوردون ، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، ط2، 2007، ص 219

²مصطفى عدنان ياسين ، سوسيولوجيا الانحراف في المجتمع المازوم، ط1، إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص68

مقابل ذلك فإن جميع البرامج والإجراءات الخاصة بتعزيز حكم القانون والضبط الرسمي وغير الرسمي سواء أكانت بني مؤسسية نظماً للمساعدة أو برامج التمكين المختلفة، تستهدف الحفاظ على حالة من التوازن الحركي في بنية المجتمع ولا سيما في مراحل التحول السريع، أو في المراحل التي يواجه فيها المجتمع ضغوط ومشاكل اجتماعية أو اقتصادية أو كوارث بيئية ولذلك فإن أقرب إطار مرجعي إلى مثل هذا التصور هو ذلك المستمد من نظرية الفعل الاجتماعي لعالم الاجتماع " تالكوت بارسونز" وملخصة أن هناك ملزمات وظيفية عدة *imperatives functional* و ينبغي على كل مجتمع أن يحققها وهي¹:

- الحاجة إلى التكامل بين النظام الاجتماعي الكلي والنظم الفرعية (الشخصية، نظام الكائن العضوي، النظام الرمزي الثقافي).

- الحاجة إلى حفظ التوترات (التي يمكن أن تتجم عن مشكلات مثل الفقر والتفكك الأسري وصراع المصالح وتقاطع الرغبات والأهداف).
- الحاجة إلى تحقيق الهدف.

وفي إطار هذه المقاربة النظرية تجدر الإشارة إلى أن الجدل القائم في الفضاء السوسولوجي ظل مستمرا عن بناء المجتمع ووظائفه وحركته وينظر من خلالها، أصحاب الاتجاه الأول إلى المجتمع بصفته مصدرا لتشكيل الفرد وقولبته كيفما شاء ضمن أطره الثقافية. أما أصحاب الاتجاه الثاني فيعتبرون الفرد هو ركيزة الحياة الاجتماعية إذ يشكل المجتمع بإرادته الواعية، وهذا الاتجاه يبدأ بالأفراد ويرى المجتمع نتاجا لأفعاله لذا فإن الاتجاهات الجديدة في ميدان علم الاجتماع تدفعنا إلى التركيز الواضح لإجراء دراسات إمبريقية أو واقعية حول بناءات القوة في المجتمع، وهنا نجد تطبيقا لما ذهب إليه "امرس هاولي" في معالجته للواقع الاجتماعي، إذا يؤكد أن القوة تتخلل الحياة الاجتماعية وأن أي علاقة اجتماعية هي علاقة قوة وأي تنظيم أو نسق اجتماعي هو نسق للقوة، وأن الحياة الاجتماعية في جوهرها مجموعة من معادلات القوة *Equation of power* وفي إطار هذا التطور يمكن القول أن المجتمعات الإنسانية عموما تتسم بخاصتين رئيسيين هما²:

1. **الخاصية الأولى:** من خصائص المجتمعات أنها علائقية فهي تتكون من علاقات دائمة بين الفاعلين ببعض، وبينهم وبين الأشياء المادية التي تدخل في تكوين بيئتهم الاجتماعية أيضا وهي علاقات تدوم أكثر

¹ مصطفى عدنان ياسين ، مرجع سابق، ص69

² إبان كريب ، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس ، ترجمة محمد حسن غلوم وآخرين ،سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ، 1999، ص 43

من أي من الفاعلين الذين يقيمونها وهذه العلاقات تستقر عند مستوى معين بغض النظر عن الأشخاص المعنيين الذين يحتلون تلك المراكز.

2. **الخاصية الثانية:** من خصائص المجتمعات هي أن لها ما يدعوه عالم الاجتماع "باسكر" عمقا انطولوجيا، ففيها مستويات من الوجود تحت ما يظهر على السطح ابعده مما يبدو للعيان وهذه المستويات التحتية ذات أهمية خاصة لأنها تستطيع أن تفسر ما هو بادلنا.

و يمكن تلخيص أهم الإشكاليات التي تواجه المجتمع الجزائري في الوقت الحاضر في ما يلي :

- أدت التغيرات الاجتماعية المتسارعة في المجتمع خصوصا بعد الإصلاحات السياسية والاقتصادية الصناعية في الثمانينيات إلى تشكل حالة النزيف (مجموعات السكانية الريفية المهاجرة إلى المناطق الحضرية) وهذا حسب ما أشارت إليه العديد من الدراسات إضافة إلى فترة التسعينيات مع بروز العنف والإرهاب كظاهرة غيرت كثيرا من شكل المجتمع وأدوار الفاعلين فيه وهنا برزت إشكالية حقيقية داخل المجتمع وهي الخلل في آليات الانتقال من الريف إلى المدينة الأمر الذي انعكس بشكل واضح على العقل والذات ومن ثمة على الشخصية واختلطت المفاهيم والفعل بين التآرجح في المجتمع التقليدي الريفي ومجتمع حضري وهذا ما أفرز سلوكات جديدة لا تتماشى وكلا المجتمعين.

- و نجم عن هذه المتغيرات اتساع واضح في ظاهرة التفكك والتفكخ الاجتماعي الناجمة عن تفاقم عناصر الانقسام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بسبب التوزيع غير العادل لثمار النمو الذي نتج عنه أشكال عديدة من التفاوت.

- كما شهد المجتمع الجزائري طوال عقدين من الزمن وترسخ نسبيا لمنطق العنف، ورسم من خلاله إطار تشكل في بناء الشخصية والأدوار المجتمعية التي تؤديها الأمر الذي انعكس على نحو واضح في مظاهر التعامل والمخاطبة مع الدولة باللغة التي ترضيها.

- وفي إطار ما تقدم نجد أن التغيرات التي شهدتها المجتمع لم تتمكن من بلورة وعي اجتماعي صحيح يقوم على حسن المواطنة والانتمان بل أدى إلى ارتباك انتمائي وهذا أدى إلى ارتباك اجتماعي ومن ثم ارتباك مجتمعي، وهذه القضية هي محور المشكلة.

- تأسيسا على ما تقدم فقد نجم عن ارتباط ظاهرة التحضر وما رافقها من تقوية للانتماءات العشوائية، وتعايش للأنساق القيمة الريفية مع الأنساق القيمة الحضرية، وزاد من وتيرة الصراع والعنف والاستقرار

ولاسيما لدى الشباب المهمشين الموجودين خارج سوق العمل في العشوائيات، إذ يسهم التهميش في اختلال صورة الذات عندهم مولدا آثار سلبية تقودهم في كثير من الأحيان إلى الانعزال وعدم الاندماج في الوسط الذي يعيش فيه، كما أن التعرض للتقلبات الاجتماعية والنفسية وتزايد وتيرة الضياع، يدفع لاسيما العاطلين عن العمل إلى إقرار حقيقة ارتباط العنف والانحراف بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ولم يخف هؤلاء الشباب موقفهم العدائي من السلطة. وبحثهم المتواصل عن الوسائل التي تمكنهم من تجاوز أوضاعهم المتردية، كالعمل والهجرة فالمجتمعات عموما عندما تعجز عن استيعاب شبابها وتطيرهم في الحياة العامة وعندما تسند أفاق الاندماج في مجتمع النخبة، فإن الضغوط سوف تدفع هؤلاء الشباب الوقوع في مصيدة الانحراف، لاسيما عندما توصل أمام الشباب من أبناء الشرائح الفقيرة فرص النجاح التي تحقق لهم المكانة والهيبة، فإن الضغوط ستدفعهم بلا هوادة إلى طريق اللاعودة¹.

- أن الحقيقة التي لا يمكن الاختلاف عليها أبدا في هذا المجال أن الظروف والأزمات أسهمت بشكل خطير في تهديد مصادر الحياة، مع ملاحظة أن ذلك يعني الجوانب المادية والبشرية فقط، بل يعني أيضا تهديد العلاقات النمطية المستقرة بين الأفراد والجماعات وبينها وبين قياداتها، إذا أن العديد من العلماء السلوكيين يشددون على حقيقة أن انتظام أوجه الحياة الاجتماعية والنفسية والاقتصادية وغيرها، يرتبط بمتابة وسلامة وفعالية الروابط بين الأفراد والجماعات في إطار البيئة التي يعيشون فيها، أن هذه العلاقة السليمة تحقق تماسك ووحدة الجماعة، وتجعل طاقة المجتمع الإنسانية والحضارية قابلة للاستثمار على نحو إيجابي متراكم، بما يمكن المجتمع من تجاوز الآثار الناجمة عن الأزمات وتداعياتها².

ثانيا: أنواع ومستويات السلوك الانحرافي

يجب أن نميز بين الأشخاص الذين يكون سلوكهم إيجابي وبناء وكذلك الأشخاص الذين يكون سلوكهم مشكلة لهم وليس للآخرين وكذلك الأشخاص الذين يكون سلوكهم مشكلة لهم وللآخرين، والسلوك الانحرافي الواحد لشخص قد يحمل خصائص غير متشابهة نظرا لاختلاف الظروف الشخصية والاجتماعية لكل من هذين الشخصين، وتوصل الباحث أبو الحسن عبد الموجود إبراهيم إلى تصنيف أنواع السلوك الانحرافي من الناحية الوظيفية إلى ما يلي³:

¹ مصطفى عدنان ياسين ، مرجع سابق ، ص 75

² نفس المرجع ، ص ص 77 - 78

³ إبراهيم أبو الحسن عبد الموجود، ديناميات الانحراف والجريمة التفسيرات - القضايا - الممارسة العامة، المكتب الجامعي الحديث، أسوان،

2007، ص ص 46-47

1- **الانحراف الفردي:** بعض الانحراف يبدو على أنه ظاهرة شخصية لأنه يحدث مرتبطاً بخصائص فردية للشخص ذاته، أي أن الانحراف ينبع من هذه الحالة من ذات الشخص " يخرج من جلده " وربما يصلح العامل البيولوجي والوراثة في تفسير هذا الانحراف فإذا لم نجد سبباً متصلاً بذلك فإن التفسير في هذا الانحراف قد يرجع إلى المؤثرات الثقافية والاجتماعية في تفاعلها مع الخصائص الوراثية للشخص بصورة تؤدي إلى الانحراف، وليس معنى هذا أن الانحراف الفردي غير طبيعي بطبيعته أو أنه يحدث بعيداً عن المواقف الاجتماعية.

2- **الانحراف بسبب الموقف:** في بعض صور الانحراف لا يلزم أن ننظر إلى الفرد باعتباره عاملاً تفاعلياً في الصورة الكلية للانحراف فالانحراف في هذه الحالة يمكن أن يفسر باعتباره وظيفة لوطأة القوة العاملة في الموقف الخارجي عن الفرد أو الموقف الذي يكون فيه الفرد جزءاً متكاملًا، وبعض المواقف قد تشكل قوة قاهرة يمكن أن تدفع الفرد إلى الاعتداء عن القواعد الموضوعية للسلوك ومثال ذلك أنه في بعض المجتمعات قد يضطر رب الأسرة إلى السرقة إذا تعرضت عائلته لخطر الجوع، أو تدفع فتاة نفسها إلى الدعارة لأن عملها لا يرضيها أو أن الأجر الذي تتقاضاه لا يشبع مطامحها في الملابس التي ترتديها.

3- **الانحراف المنظم:** يظهر الانحراف المنظم كتقافة فرعية أو كنسق سلوكي مصحوب بتنظيم اجتماعي خاص له أدوار ومراكز وأخلاقيات متميزة عن طابع الثقافة الكبرى والتنظيم الاجتماعي الانحرافي داخل الثقافة يظهر تلقائياً في بعض المجتمعات الرأسمالية وذلك مثل مستعمرات العراء والعصابات وغيرها من الجماعات التي تمارس حياة انحرافية تامة.

4- **الانحراف السلبي:** هو الذي يقف فيه الشخص موقفاً سلبياً مجرداً من السلوك الاجتماعي السوي كما أنها تمثل حالات يتواجد فيها الطفل مثلاً أو الحدث رغم إرادته موقف سلبياً فالطفل الذي ليس له عائل مؤتمن عليه يخالط المدمنين أو يعمل مع أسرة تمارس الدعارة وهذا يحتاج إلى الرعاية الاجتماعية أو الحماية من جانب الدولة والمجتمع.

5- **الانحراف الجنائي:** وهي حالات الانحراف الناشئة عن ارتكاب جرائم وتتناولها تشريعات الأحداث بالتنظيم نتيجة فقد الرعاية الأسرية التي تدفعه غل النصب أو السرقة والضرب أو ارتكاب عملاً من الأعمال غير المتوافقة والتي لا تصل إلى مرتبة الإجرام.

6- **الانحراف المرضي:** هو الذي ينشأ نتيجة لظروف اجتماعية تساهم في إحداثه يدفع الشخص إلى أنماط السلوك غير السوي كقيام شاب بالكذب أو قيام فتاة بارتداء زي يلفت أنظار الآخرين ولا يتفق مع القيم

المجتمعية أو خيانة الأمانة أو الاتجاه إلى النصب مع الجماعة التي ينتمي إليها بغرض حدوث خلافات بين أعضائها وغيرها.

أما عن مستويات الانحراف فيحددّها الباحث عادل شيهب فيما يلي¹:

1-المستوى الأول الانحراف في السلوك (أفراد أو جماعات) وينظر إليه في علم الاجتماع السلوك الانحراف يفقد صنفته مجالاته على النحو التالي:

- مجال الأسرة، وأهم مظاهر الانحراف في هذا المجال وجود مواقف نقل فيها مظاهر الإشباع العاطفي والوجداني، بين الزوجين بوجه خاص، وأفراد الأسرة بوجه عام، أو انخفاض درجة الاعتماد المتبادل بينهم، أو عدم الحاجة في الاشتراك في أداء الإشباع المتبادل، أو في اتخاذ القرارات المتصلة بالأسرة.

- مجال التكاليف الدينية، والشعائر والطقوس وأداء العبادات.

- مجال العمل، وقد اشتملت الانحرافات المتصلة بهذا المجال الخروج عن معايير العمل، وقواعده، وإجراء تنفيذ عملياته، وأسس التعامل مع الرؤساء والزملاء، واحترام كرامة المهنة.

- مجال السلوك الشخصي، والمقصود بالانحرافات السلوكية الشخصية، كافة صور السلوك الانحرافي التقليدية: كالسرقة، والاختلاس، والتزوير، وأي أفعال يترتب عليها الاستدعاء من طرف هيئات رسمية، والاشتراك في تزويج إشاعات، وإزعاج الجيران أو معاكستهم، والإكثار من الخمر، وإدمان المخدرات، ولعب القمار.

2-المستوى الثاني انحراف النظم الاجتماعية: والذي يتمثل في وجود ثغرات عديدة فيها، تعوق أداءها لوظائفها، فتحول دون تحقيقها للأهداف التي قامت من أجلها ومن بين هذه النظم نظام توزيع القوى العاملة وتشغيلها، والنظام الإداري، ونظام التعليم، ونظام التنشئة الاجتماعية.

3-المستوى الثالث في مجال الانحراف التنظيمي: والذي يتضمن ثلاثة مجالات وهي انحراف الصفوة الإدارية وانحراف التنظيم الإداري وانحراف الأساليب الإدارية المستخدمة.

¹عادل شيهب، الفقر والانحراف الاجتماعي - دراسة للتسول والدعارة - بحامة بوزيان، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الحضري، قسم علم الاجتماع، جامعة منتوري، الجزائر، 2007-2008، ص ص 37-38

جدول رقم (02): منطلقات المشاكل الاجتماعية وكيفية تدرجها للانحراف والجريمة¹

المنطلق	التحديد	الأسباب	الظروف	الآثار والتبعات	العلاج
العلّة الاجتماعية	مخافة التوقعات المعنوية والأدبية	فشل التنشئة الاجتماعية في قدرتها لاكتساب أو رفض القيم والمعتقدات الجديدة	الفساد الداخلي للمعنويات الإنسانية	تكلفة تجريد الفرد من صفاته الإنسانية	تعليمه مبادئ اجتماعية جديدة من أجل رفع معنوياته
الوهن التنظيمي	تحلل معياري أو فشل توقعات الناس الذي يبلور صراعا ثقافيا	التغير الاجتماعي لا يكون منسجما مع الواقع	متغيرات تقنية واجتماعية مؤهلة لغير المجتمع	فشل النظام الاجتماعي في تحقيق أهداف وضغوط اجتماعية على الأفراد	توازن في أقسام النظام الاجتماعي
الصراع القيمي	تعارض معايير قيم المجتمع	تصادم معايير القيم	تنافس حاد وحسد وغيره	كلفة اجتماعية عالية ثمنا للصراع القيمي	تبادل في المصالح والنفوذ
السلوك المنحرف	الخروج عن معايير المجتمع	اكتساب طرق وسبل منحرفة	تشدد وحرمان وتقييدات اجتماعية صارمة	الانخراط في انحرافات ثانوية	إعادة تنشئة الفرد وتكيفه للظواهر المقبولة اجتماعيا
الوصم الاجتماعي	ظروف تحديد المشكل	الإدراك بها	اكتساب سلوكيات جديدة	انحرافات ثانوية متعددة	تعبير مضامين الوصم

¹ خليل معن العمر، علم المشكلات الاجتماعية، ط 1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2005، ص 68

ثالثاً: النظريات المفسرة للسلوك الانحرافي

إن تفسير ظاهرة السلوك الانحرافي تفسيراً علمياً لم يكن له وجود قبل القرن الثامن عشر ولذلك فتاريخ الفكر الإنساني عن العوامل الدافعة للانحراف ينقسم إلى قسمين ويتضمن الآراء التي كانت سائدة قبل القرن الثامن عشر والنظريات المختلفة التي تلي هذا التاريخ وهي السبيل إلى ترتيب الخبرة واستنباط المعاني وبدونها لا يمكن أن نصل إلى التفسير السليم للتغيير الاجتماعي، تتلخص فلسفة هذه النظريات في العديد من الأطروحات يمكن تفصيلها فيما يلي:

1. النظرية الجغرافية: يرى أصحاب هذه النظرية أن هناك تأثير من جانب عوامل الجو والحرارة واختلاف التضاريس من جبال إلى صحراء إلى سواحل ومن ريف إلى حضر وكثافة السكان، ولها دخل كبير في دفع الناس سواء أكانوا أحداثاً أو بالغين إلى الانحراف أو الإجرام.

ليس بمستغرب على التفكير البشري الذي شغل بالبحث عن أسباب الإجرام وربط بينه وبين ظواهر متنوعة: بيولوجية ونفسية وعضوية واجتماعية، أن يلمح أيضاً نوعاً من العلاقة بينه وبين الظاهر الجوية أي الطبيعية، التي تتعرض لتغيرات ملحوظة ليلاً ونهاراً، وعلى مدار فصول السنة، وهذا ما فعله كل من ابن خلدون فقد تناول في المقدمتين الثالثة والرابعة من الفصل الأول من الكتاب الأول في مقدمته، أثر المناخ في سمات البشر وشميمهم وأخلاقهم وخصائصهم القومية، ويقول في المقدمة الخامسة عن سكان بعض المناطق في الأقاليم المعتدلة، وهم أهل القفار، أنهم وإن كانوا فاقدين للحبوب والأدم: "أحسن حالاً في جسيمهم وأخلاقهم من أهل التلول المنغمسين في العيش، فألوانهم أصفى وأبدانهم أنقى وأشكالهم أتم وأحسن، وأخلاقهم أبعد من الانحراف، وأذهانهم أنقى في المعارف والادراكات"¹.

وفي عام 1835 على وجه التحديد، حاول العالم البلجيكي "كتليه" أن يبين أثر الفصول الأربعة في الخروج على القانون، واستطاع بالطريقة الإحصائية أن يثبت أن جرائم العنف، كالقتل والاعتصاب والضرب تكثر في فصل الصيف، وأن جرائم المال، كالسرقة والنصب تكثر في فصل الشتاء، حيث يزداد الشعور بالفقر والحاجة الشديدة، وقد اقتفى أثر كتليه بعض الباحثين الذين أمكنهم باستخدام الطريقة الإحصائية أيضاً، إثبات العلاقة بين ارتفاع درجة الحرارة أو هبوطها وارتكاب جرائم معينة فالجرائم الجنسية كالاعتصاب وهتك العرض عندهم تكثر في أواخر الربيع، في شهر أيار (مايو) على وجه الخصوص، وفي الصيف عنها في الخريف أو الشتاء².

¹ سامية حسن الساعاتي، الجريمة والمجتمع، ط2، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص140

² نفس المرجع، نفس المرجع

ومن الدراسات الجغرافية تلك التي قام بها "أدون كرانست ديكستر" في مدينتي نيويورك وندنفر الأمريكيتين، لقد وجد عدد المقبوض عليهم عن جرائم مختلفة يزداد بشكل واضح خلال الجو الحار والضغط الجوي العالي، وانخفاض درجة الرطوبة في المدينتين المذكورتين، كما قدمت دراسات أمريكية أخرى لتفسير الاختلافات القائمة في عدد الجرائم التي تظهر في الإحصائيات الجنائية الرسمية لمكتب التحقيق المركزي وفقا لاختلاف فصول السنة وأيامها¹.

وعلى العموم فإن الدراسات الجغرافية كانت دراسات إحصائية أكثر منها تفسيرية ومحاولات علمية هدفت إلى ربط الجريمة بظرف أو وقائع جغرافية معينة بعلاقة سببية، ولكنها قدمت جزء أو بدايات الدراسة التي توضح الظرف الجغرافي وكيف يؤدي بذاته لحدوث النتيجة وبذلك يمكن اعتباره عاملا وسببا من أسباب الجريمة.

والنقد الذي وجه إلى هذه النظرية أنها أغلقت العوامل الذاتية للفرد وتأثيرها في سلوكه وبفرض أن البيئة الجغرافية والمناخ وما لها من تأثير إلا أنها لا تحدث بمعزل عن المؤثرات النفسية والحسية والاجتماعية للفرد.

2. النظريات الأنثروبولوجية :

أ. النظرية العضوية (الإيطالية): قادها الثلاثي الايطالي "سيزار لمبروزو وانريكو فيري ورفائيل جاروفالو"، رائدها "سيزار لمبروزو" حيث يرى أن هناك علاقة إيجابية بين الصفات الجسمية والإجرام والتشرد حيث يرى أن هؤلاء المجرمين والمتشردين يتسمون بصفات جسمية قبيحة منذ ولادتهم، وأن المجرم أو المتشرد صورة قريبة من الإنسان الأول في تكوينه الخلقي وفي نزعه إلى البشر، وبحكم اختصاصه في الطب وفحص بعض الجنود المتمردين والمنحرفين عن النظام فقد جمع ببعض الملاحظات عن تلك الحالات مثل الوشم كعلامة تميز الجنود الأشرار، إضافة إلى بعض الكتابات الماجنة التي يكتبونها على أجسامهم، وعند قيامه بتشريح جنث المجرمين المتوفين وجد "لمبروزو" عيوباً ملحوظة في تكوينهم العضوي كالشدوذ في الجماجم والأسنان وعلى أساس النتائج التي توصل إليها استنتج أن هذا الشذوذ ينبئ عن طبيعة إجرامية خطيرة يولد المجرمون بها².

¹ عدنان الدوري، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي، ط3، الكتاب الأول، ذات السلاسل، الكويت، 1984 ص 93

² معمر داود، مقارنة ثقافية للمجتمع الجزائري دراسة لبعض الملامح السوسيونفسية والاقتصادية، ط1، دار الطليعة، المحمدية الجزائر، 2009، ص ص 208-209

إن فكرته عن المجرم بالنظرة كما كان الأمر عند الشعوب القديمة، وإن هناك ميلا للإنسان البدائي نحو الجريمة، إذ أن "لمبروزو" انطلق في تفسيره للسلوك الإجرامي من هذه الفرضية إذ اعتبر المجرم صورة للإنسان البدائي وإذ لم يكن كذلك فهو يترد إلى تلك الحالة عند ارتكابه للجريمة، ورغم تصنيفه للمجرمين: من مجرم بالولادة، المجرم المجنون إلى مجرم صرعي وسيكوباتي ومجرم بالعاطفة، المجرم بالعادة، المجرم بالصدفة، أو الفرصة، ووجهت له العديد من الانتقادات من بينها أن السلوك الإجرامي والانحرافي لا يبني على عامل واحد خصوصي البيولوجي أو الوراثي خصوصا أن السلوك المتعلم اليوم يمثل بين 70-80% وبالتالي رفض مسألة المجرم بالولادة¹.

وقد تبني هذا الطرح أيضا تلميذه وصديقه المحامي فيري وكان أول نقد وجه له مبينا ضعف الأساس العلمي الذي استندت إليه هذه النظرية، لأن تحديد هيئة المجرم بمقاييس مادية وعضوية مسألة لا يصدقها العلم، وهذا الانتقاد حفز "لمبروزو" إلى بذل المزيد من البحث والفحص فيما بعد، ولم يرفض الطرح الأول لفكرته لكن رأى العوامل الانثروبولوجية والمادية والاجتماعية لها دور ودخل في هذا المجال. لذلك ظل يجدد في نتائجه ويعدها حيث ادخل في اعتباره فضلا عن العيوب الخلقية والجسمية الظاهرة، اختلاف الوظائف النفسية للمنحرفين، وفي خطوة لاحقة أدخل في حسابه تأثير العامل الاجتماعي.

أما العالم "جارفالو" فنطلق من رفض تعريف الجريمة من المنظور القانوني وركز على سبب حصولها أكثر وربطها بمسألتين اثاريتين في غاية الأهمية بالنسبة للمجتمع: العاطفة أو الشفقة ووجدان المجتمع وهي رفض إيقاع الأذى والمعاناة على الآخرين، والأمانة وهي احترام حق التملك للآخرين وعليه فإن المجرم أو المنحرف تنقصه الأمانة والشفقة تجاه الآخرين وبالتالي رفض الأسباب الاجتماعية وأقر بالعوامل العضوية وقسم المجرمين إلى: مجرم قاتل، مجرم عنيف، مجرم سارق، مجرم جنسي. وبهذا تعد النظرية العضوية من أهم النظريات المفسرة للجريمة من حيث أنها مهدت الطريق لقيام نظريات جديدة أتت بعدها، منها ما كانت نقدية وتطورية لها نتناول النظرية التي تلتها وهي :

ب. نظرية تشارليز قورنق وإيرنيست هوتون: قام "تشارليز قورنق" بدراسة إحصائية مسحية على 300 مجرم وجمع معلومات من أناس عاديين واستطاع أن يحدد 96 خاصية متعلقة بأوصاف ومقاييس بدينة

¹ عايد عواد الوريكات، نظريات علم الجريمة، ط 1، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ص 82

وعقلية بناء على ذلك عقد مقارنة بين المجرمين وغير المجرمين وتوصل إلى رفض ودحض نظرية "لمبروزو" أي أنه لم يحدد علاقة سببية تؤكد وجود النمط الجنائي الجسدي¹.

في حين صرح العالم الأنثروبولوجي الأمريكي "إرنست هوتون" بأن المجرمين يتميزون بصفات جسمية تختلف عنها لدى بقية السكان من غير المجرمين، وأن نوع الجريمة التي يرتكبها المجرم يتحدد تبعاً لتنوع الصفات الجسمية لدى الأفراد كما أقر أيضاً بوجود علاقة ارتباطية بين طبيعة الأجناس البشرية، ومدى انتشار الجريمة، وهذا دليل على تأثيره بنظرية "لمبروزو" التي ترجع الإجرام إلى عوامل بيولوجية ماثلة في شخص المجرم ذاته.

كما تبين له كذلك أن تنوع تلك الصفات هو الذي يجعل المجرمين يتميزون بأنواع معينة من الجرائم، فهناك مثلاً صفات خاصة بمرتكبي جرائم المال وصفات أخرى خاصة بمرتكبي الجرائم التي تقع ضد الأشخاص، والشيء نفسه بالنسبة لمرتكبي الجرائم ضد الأمن العمومي، وهكذا هو الحال فيما يخص بقية الجرائم الأخرى، ورغم أن "هوتون" قد استعمل مجموعة ضابطة ليقارنها مع المجموعة التجريبية، ومع ذلك لم تسلم نظريته من النقد خاصة إذا تعلق الأمر في صفاته الوراثية، حيث دعم نظرية "لمبروزو" للمجرم بالولادة ورأي أن هؤلاء المجرمين لا سبيل لتفسير جرائمهم سوى النظر إليهم وفحصهم عضوياً وسوف نلاحظ أنهم يعانون من النقص العضوي والدونية الوراثية².

وبالنسبة لنظرية "تشارليز وهوتون" من أهم الانتقادات الموجهة لها هو اقتصارها على العوامل الشخصية متجاهلة تأثير العوامل الاجتماعية إذ لا يمكن عزل الفرد عن المجتمع مهما كانت الظروف، كما أن هذه النظرية لم تصل إلى الحقيقة كلها لأن السلوك الإجرامي يساهم في حدوثه العديد من العوامل لا يمكن إغفال بعضها أو عدم الإشارة إليها، وأثناء الدراسة ركزت هذه المدرسة على البحث العلمي من خلال المعلومات الموضوعية والتي يمكن قياسها وعدها وثانياً الحتمية أو الجبرية والتي تعني أن كل الأحداث أو السلوك الإنساني له أسباب تبريرية.

ج. النظرية العقلية: ولقد اختلف العلماء في تحديد العلاقة بين المرض العقلي والسلوك الانحرافي والإجرامي، ففريق منهم يعتقد بعدم وجود صلة بين المرض العقلي والجريمة، واستند في ذلك على نتائج الدراسات التي أجريت على المجرمين وغير المجرمين والتي أشارت أن الأمراض العقلية ليست وفقاً

¹ عايد عواد الوريكات، مرجع سابق، ص 87

² نفس المرجع، ص 89

على المجرمين وحدهم، بل أنها تظهر أيضا لدى غير المجرمين إضافة إلى انه لا يوجد مرض عقلي محدد يتميز به المجرمون عما سواهم.

وفريق آخر يعتقد وجود علاقة بين السلوك الإجرامي والانحرافي والمرض العقلي وفي هذا السياق دلت بعض الدراسات التي تمت في المصحات العقلية أن 20% من نزلائها سبقت إدانتهم في بعض الجرائم وهي نسبة أعلى من نسبة المجرمين إلى مجموع الأفراد العاديين، كما بينت دراسات أن المؤسسات العقابية تحتوي نسبة المصابين بالأمراض العقلية تفوق نسبة الأمراض الأخرى من عامة الناس.

وفي إطار الاضطرابات العقلية التي تسبب الإجرام يمكن التمييز بين نوعين من هذه الأمراض وهي¹: التخلف العقلي، الخبل (الخرف)، الذهان، عدم التوازن العقلي، اضطرابات الإحساس اضطرابات الطبع، الاضطرابات الجنسية.

وبتقدم طرق قياس الذكاء قام عدد من الباحثين ببحث عدد كبير من المجرمين وعدد مماثل له من غير المجرمين، فدللت النتائج على أن هذا الرأي غير صحيح ومن ثم ضعفت الثقة في أن الضعف العقلي هو السبب الدفع لإجرام المجرمين.

3. النظريات الاجتماعية

أ. نظرية الارتباط المتغاير (الاختلاط الفارق): من أبرز النظريات البيئية في تفسير السلوك الإجرامي تلك النظرية التي قدمها العالم الأمريكي "سذرلاند" فقد لاقت قبولا لدى الكثير من المهتمين بشؤون الانحراف والجريمة، وعرفت باسم المخالطة الفارقة أو الارتباط المتميز أو بالعلاقات المتباينة أو المخالطة المتفاوتة وكلها أسماء لمسمى واحد.

يقدم "أدوين سذرلاند" أول نظرية اجتماعية في تفسير السلوك الإجرامي وكادت أن تغطي على كل تفسير اجتماعي حتى وفاة صاحبها، وقد بني نظريته في تفسير السلوك الإجرامي استنادا إلى التجارب والميول والاتجاهات التي اكتسبها الفرد أثناء حياته حتى لحظة ارتكابه الجريمة.

هذا ويذكر أن عملية التعلم تتأثر بالعديد من العوامل من بينها: استمرار التأثير، بمعنى استمرارية الاختلاط التفاضلي أو النسبي بالجماعات الجانحة، فكلما استمر وزاد في درجته أثر ذلك على تكون الاتجاهات السالبة الأمر يزيد من انحراف الأفراد وإجرامهم، كذلك أسبقية التأثير ويقصد منها أي النماذج

¹ نصر الدين جابر، السلوك الانحرافي والإجرامي، مخبر التطبيقات النفسية والتربوية، جامعة منتوري قسنطينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، ص 178

أثرت في الشخص أولاً، ذات التنظيم الاجتماعي المحكم أو مختلة التنظيم؟ وفي أي المراحل العمرية تأثر الفرد بثقافة هذه الجماعة¹؟

وتقوم هذه النظرية على المبادئ التالية²:

- السلوك الإجرامي سلوك يكتسب عن طريق التعليم وليس سلوكاً وراثياً، وإنما هو سلوك سبق تدريب المجرم عليه عن طريق المخالطة في أي مرحلة من مراحل العمر، وعلى هذا فلا يمكن للشخص الذي لم يدرّب على الجريمة أن يبتدع سلوكاً إجرامياً، تماماً كالشخص الذي لم يتدرب على الميكانيكا فهو لا يستطيع أن يقوم باختراع آلة ميكانيكية.

- يتم تعليم السلوك الإجرامي عن طريق الاتصال مع الأشخاص الآخرين وتكوين العلاقات معهم وهذا الاتصال غالباً ما يتم بطريق القول ولكنه من الممكن أن يتم أيضاً عن طريق الإشارات والحركات.

- يتم تعلم الجانب الأكبر من السلوك الإجرامي عن طريق الاتصال المباشر مع الأشخاص والجماعات التي يرتبط بها الفرد ارتباطاً ودياً وثيقاً، وهذا يعني أن أجهزة الاتصال غير الشخصية كالصحف والسينما تلعب دوراً محدود الأهمية في نشر السلوك الإجرامي.

- يصبح الفرد مجرماً حينما تتغلب لديه الاتجاهات والمواقف التي تدفعه أو تشجعه على مخالفة القانون وارتكاب الجريمة على تلك الاتجاهات والمواقف التي تشجعه على احترام النظام والقانون وتصرفه على ارتكاب الجريمة.

- قد تختلف العلاقات المتباينة أو التفاضلية من حيث التكرار والاستمرار والأسبقية والعمق وهذا يعني أن العلاقات بالسلوك الإجرامي والعلاقات بالسلوك المعادي للإجرام تختلف من هذه النواحي، أما التكرار والاستمرار فأهميتهما لا ينكرها أحد حيث يعمل تعرض الفرد لبعض المواقف والظروف بصورة متكررة ولمدة طويلة نسبياً على دفع هذا الفرد للاستجابة لهذه المواقف والظروف وتقليدها، بعكس ما إذا كان يتعرض لمرة واحدة أو لمدة قصيرة.

- أما أسبقية أو أولوية العلاقات فتتمثل أهميتها في أن السلوك الذي يتعلمه الطفل في مرحلة مبكرة من حياته يظل راسخاً، وغالباً ما تستقر آثاره طيلة الحياة، فالسلوك القويم الذي يكتسب في الطفولة المبكرة قد يستمر طول الحياة، كما أن السلوك المنحرف الذي يكتسب في الطفولة المبكرة قد يستمر بدوره طول الحياة، ولكن الأهمية القصوى للأسبقية تبدو من خلال تأثيرها على الشخص عندما يقف موقفاً للاختيار.

¹ عبد الله أحمد عبد الله، في اجتماعات الجريمة والانحراف، قراءات معاصرة في النظريات الاجتماعية المفسرة للجريمة والانحراف الاجتماعي، ص 18، تاريخ الاطلاع 22 نوفمبر 2017. PDF . www.pdfactory.com

² إبراهيم أبو الحسن عبد الموجود، مرجع سابق، ص ص 60-61

- أما عمق العلاقة فتتوقف أهميته على مكانة مصدر النموذج الإجرامي أو المقاوم للإجرام، فقد يصدر السلوك عن شخص يحترمه الفرد كل الاحترام ويتعاطف معه إلى حد كبير، وفي هذه الحالة يكون لهذا السلوك بعض القوة التي قد تجعل منه نموذجا يحتذى به الفرد أو يقلده عن حب ورغبة شديدة، كما يتوقف عمق العلاقة أيضا على رد الفعل العاطفي الذي تحدثه هذه العلاقات.

- لا يمكن تفسير السلوك الإجرامي باعتباره تعبيراً عن مجموعة من الحاجات والقيم العامة، وذلك لأن السلوك غير الإجرامي يعبر عن نفس الحاجات والقيم فاللصوص يسرقون عادة للحصول على المال ولهذا يعترض "سذرلاند" على تلك المحاولات التي تحاول تفسير السلوك الإجرامي بوصف تعبيراً عن حاجات وقيم عامة مثل الرغبة في تحقيق السعادة أو السعي لمركز اجتماعي أو بدافع الحصول على المال أو تعويض الحرمان.

ولا يهتم "سذرلاند" بالأسباب التي تدفع الشخص إلى الاختلاط بجماعة دون أخرى، وذلك لأن هذا الاختلاط والاتصال يتوقف على عوامل عديدة ومتباينة، ففي منطقة ذات نسبة عالية من الإجرام يحتمل جدا أن يتصل الولد ذو النشاط الاجتماعي والرياضي بأولاد الجيران الآخرين ويتعلم منهم السلوك الإجرامي، ثم يصبح من أفراد العصابات وقد يوجد في نفس المنطقة ولد معقد منعزل انطوائي لا يتعرف على الأولاد الآخرين من الجيران ومن ثم لا يصبح منحرفاً وفي موقف آخر قد يصبح الولد الاجتماعي الرياضي الجريء عضواً في جماعة الجواله أو الرحلات فلا يندمج في سلوك منحرف.

ب. الإجرام نتيجة الأوضاع الاجتماعية الخاصة المباشرة: يقصد بالأوضاع الاجتماعية الخاصة المباشرة البيئة المحصورة النطاق التي تضم أهم المجموعات ذات الأثر الفعال في تطبيع الفرد، وهي الأسرة، وشلة الأصدقاء، وعصابة الأقران، وقد ساد اعتقاد بأن الأسرة التي يحصل فيها الطلاق أو الهجرة أو الوفاة، من أهم العوامل الأساسية في جناح الأحداث، ولكن الأبحاث الحديثة أثبتت أن الأسرة ليست إلا عاملاً مساعداً فحسب، وذلك في حالات الهروب من البيت أو من المدرسة، وهي حالات أكثر انتشاراً بين البنات منها بين الأولاد.

وقد تكون الأسرة مفككة بسبب مشاكل بين الوالدين، فتعكس مشاكلها على نفوس أطفالها، فيشعرون بعدم الاستقرار وجداني ناجم عن عدم شعورهم بالأمان في علاقاتهم بوالديهم، وحيرتهم الوجدانية بينهما، وبخاصة عندما ينقسم الأطفال قسمين: أحدهما مع الأب والآخر مع الأم، وكثيراً ما يكون الجناح سلوكاً هروبياً من هذه البيئة المضطربة وما تحدثه من صراع نفسي، فيبحث الأطفال عن الرضا الوجداني والإشباع العاطفي والراحة النفسية، وكثيراً ما يجدون ذلك في النشاط الخارج على القانون الذي يشبع

رغباتهم ويشعرهم بطمأنينة مؤقتة، يحل محلها توتر شديد وقلق مزعج، فيسهل إغواؤهم بواسطة المجرمين الكبار الخبيرين بهذه الحالات من طول الممارسة، وبالتالي يخلق سلوك مضاد للمجتمع، كما يكون الوسط الأسري الغير ملائم مرجعا للتعليم السلوك الانحرافي والإجرامي وتعلم بعض الأنماط السلوكية الغير مقبولة اجتماعيا وظاهريا¹.

وتفقدنا هذه المناقشة على أثر الجماعة الحضرية، أي الحي وثقافتها الفرعية في انتشار ظاهرة الإجرام بين سكانها، إلى بيان ذلك التنظير الحضري الذي تزعمه "كلفرد شو" وأتباعه، نتيجة بحوثهم لظاهرة جناح الأحداث في مدينة شيكاغو، ذلك التنظير المبلور فيما أطلقوا عليه اصطلاحا: مناطق الجناح في المدينة، والقائم على وجود ارتباط في تلك المناطق المتخلفة أو العشوائية ذات الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية المتدنية، وبين زيادة جناح الأحداث وجرائم الكبار من جهة، وانتشار مظاهر التخلف كازدحام السكان وسوء الأحوال السكنية، وتدني القيم وانتشار ظاهرة التفكك الأسري الناجمة عن وفاة أحد الوالدين، والطلاق والهجر، وقلة الرعاية الأسرية للأطفال أو انعدامها، والمشاحنات العنيفة الدائمة بين الزوجين، وسيادة نظام الضبط الاجتماعي المنحرف في تنشئة الصغار في كل من مجموعة الأسرة وجماعة الحي على السواء².

وفي ذلك يقول " شو ": إن سلوك الجناح قد يكون جزء منه انعكاسا لصورة الصراع الذي يدفعه إلى العصابة... وإن العصابة الجانحة قد تعكس صورة للحياة المفككة في المجتمع المحلي، أو قد تعكس صورة لمجتمع محلي تنتظم حياته حول الأنماط الجانحة³.

كما تبين نظرية الانتقال الانحرافي القائلة بأن مستوي الجرائم الحاصلة في منطقة معينة تبقى لسنوات مستقرة ضمن نسبها المئوية، أي أن الانحراف إذا ظهر في بيئة اجتماعية معينة فلا بد له من الاستمرار في تلك البيئة حيث يتعمق في التركيبة الثقافية والاجتماعية وينتقل الطابع الانحرافي من فرد لآخر⁴.

وفي ضوء النظرية التراكمية لنمو المدينة العمراني تعتبر منطقة تحول من وجهين: الأول يحدث نتيجة غزو الصناعة وما يرتبط بها من نشاط تخزيني ونقل وإسكاني في أحد المناطق السكنية المتوسطة،

¹ طالب أحسن مبارك ، الأسرة ودورها في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2005، ص 117

² سامية حسن الساعاتي، مرجع سابق، ص121

³ نفس المرجع، ص122

³ زهير الأعرجي، الانحراف الاجتماعي وأساليب العلاج، دار الفكر العربي، مصر، 2005، ص 7

وتحل المصانع الصغيرة والمخازن ومرائب الشاحنات محل المنازل، الأمر الذي ينجم عنه تغيرات عمرانية كثيرة.

أما الوجه الثاني لتحول المنطقة فيحدث نتيجة وفود أعداد كبيرة من العمال الصناعيين وعمال النشاط المرتبط بالصناعة وإقامتهم فيها، الأمر الذي يترتب عليه ظهور ثقافة جد مختلفة في قيمها وعاداتها وأعرافها وتقاليدها وسننها وبدعها عن تلك الموجودة أصلاً لسكان الطبقة الوسطى، الذين يصدّمهم الواقع الجديد ويجعلهم ينفرون من الثقافة العمالية الغازية، ويؤدي النفور إلى العداوة السافرة، والصراع بين قيم الثقافتين المتباينتين تماماً، ثم المقاومة من قبل المتشبثين بمنطقتهم والتمايز من قبل أولئك الذين يفضلون هجرها والنزوح إلى منطقة أخرى، عادت ما تكون في أطراف المدينة، حيث يسمح وجود أرض فضاء شاسعة بالبناء والعمران.

وبمعنى آخر يتأثر سلوك الفرد تبعاً لسلوك من يخالطهم من أفراد الآخرين، فإذا كان سلوكهم منحرفاً كان الاحتمال قوياً في انقياده لهم، وبخاصة أنه إن لم يجاريهم في سلوكهم فإنه يصبح غير متوافق فينبذونه وهذا أقصى عقاب يتعرض له، ولذلك يحرص على أن لا يعرض نفسه له، هذا فضلاً عن حقيقة أن الفرد يستطيع أن يحقق ذاته بشكل فاعلي، عن طريق معايشة أفراد الجماعة وما يظهر أثناء ذلك من مواقف تبعث على الحب وظروف تدفع إلى الكره، وقد قام كل من "ثراشر" (Thrasher)، و"شو" (Shaw)، و"ماكي" (Mckay) ¹، و"سذرلاند" (Stutherland) بتبني طرح يتلخص في أن السلوك الإجرامي ينتج عن مخالطة الفرد لأصدقاء أو أقران منحرفين، مخالطة أطول مدة وأكثر استدامة وأشد أثراً من مخالطة الأصدقاء أو أقران غير منحرفين، فيكون للمجموعة المنحرفة في نفسه الغلبة على المجموعة السوية.

ج. نظرية التفكك الاجتماعي: تركز هذه النظرية على دور الظروف الاجتماعية في نشوء السلوك الإجرامي عند الفرد، تزعم هذه النظرية "ميرتون" يرى بأن المشاكل الاجتماعية هي سمة مصاحبة للتقدم الصناعي في المجتمع الحديث، ويصنفها إلى قسمين: الأول التفكك الاجتماعي والثاني السلوك الانحرافي، والعلاقة بينهما هي علاقة جدلية، وتؤدي عملية الصراع التي تنشأ للتوفيق بين الأفراد والمركز إزاء الأنساق الاجتماعية إلى ظهور أنواع متعددة من التفكك الاجتماعي تمتد آثارها إلى هذه الأنساق ذاتها ويحدث ذلك عندما تتداخل المعايير وتتضارب القيم فيعجز النسق الاجتماعي عن أداء وظائفه على النحو

¹ سامية حسن الساعاتي، مرجع سابق، ص 123

المرغوب، فتختل بذلك علاقته ببقية الأنساق الأخرى وهو ما يساعد على خلق مناخ تنمو فيه المشاكل الاجتماعية وتنتشر فيه الانحرافات السلوكية.

وبما أن نظرية التفكك الاجتماعي ترجع السلوك الإجرامي إلى اختلال المعايير الاجتماعية، وعدم قدرة النسق الاجتماعي على تفعيل دوره الوظيفي داخل المجتمع، فهي قد بينت بأن هناك ارتباط كبير للجريمة بمعدلات التغيير السريع في المجتمع مما يبين أن الجريمة تكثر في المدينة عنها في الريف. تعتمد هذه النظرية في تفسيراتها التي تقدمها للظاهرة الإجرامية على التفكك الاجتماعي والذي يعرفه "ميشل مان" بأنه جملة الاضطرابات التي تصيب النمط والنظام والتقليد بالمجتمع وهي مقترنة بالتغيير الاجتماعي ومن جهة أخرى تؤثر سلباً على الضبط الاجتماعي بالمجتمع¹.

وبحسب وجهة نظر "دوركايم" أن المجال الذي ينمو فيه الانتحار الأنومي أو الفوضوي هو المجتمع الكلي، فالمجتمع قوة تنظم عواطف الأفراد وسلوكهم ومصدر هذا النوع من الانحراف هو ما يطرأ على المجتمع من اضطراب نواحي النشاط فيه وما يسوده من اختلال في نظامه بسبب التغييرات الحادة المفاجئة كالأزمات القومية والاقتصادية والحروب، أو انهيار التكامل الأسري وانقلاب وسائل الإنتاج، وينشأ عن ذلك تفتت سلسلة العلاقات الاجتماعية التي كانت حالتها السوية تهيباً للفرد شعوراً بالطمأنينة.

ويعد "روبرت ميرتون" أحد أبرز العلماء الذين أسهموا في ألقاء الضوء على السلوك المنحرف في ظل الأنومي، من خلال التعديل الذي أسهم به على مفهوم الأنومي كما ورد في كتابات "دوركايم"، إذ ذهب إلى أن الصور المختلفة من السلوك الانحرافي إنما تتجم عن عدم القدرة على تحقيق الأهداف بالوسائل المشروعة وقد أوضح "ميرتون" تلك الصورة السلوكية من خلال ما قدمه في نظريته عن البناء الاجتماعي، إذ تنشأ الانحرافات السلوكية بالصدام بين الوسائل التي تقرها النظم الاجتماعية والأهداف الثقافية الحضارية عند محاولة بعض الجماعات تحقيق أهداف النجاح في المجتمع بالطرق المشروعة، بهذا النحو يرى ميرتون أن أنماط الاستجابة لحالة الأنومي يمكن تصنيفها إلى خمسة أنماط يمثل كل منها نموذجاً سلوكياً مختلفاً لاستجابات الأفراد للضغوط الاجتماعية في موقف اجتماعي معين، وهذه النماذج هي: التطابق، التجديد، الطقوسية، الانسحاب، التمرد يمثل النموذج المتطابق، السلوك السوي الذي يتطابق مع كل من القيم الهدفية والرسائلية في آن واحد، ويعد هذا السلوك سلوكاً مرجعياً لقياس مدى انحراف النماذج الأخرى ودرجة انحرافها، وغالباً ما يشيع هذا النموذج في المجتمعات المستقرة².

¹ ميشل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة عادل الهوارى وآخرون، مكتبة الفلاح، 1994، ص 661 - 662

² مصطفى عدنان ياسين، مرجع سابق، ص 22

وبرغم الانتقادات والتعديلات التي طرأت على هذه النظرية إلا أنها صيغت لتناسب كل المجتمعات المتقدمة والمتخلفة مادام تكوينها الاجتماعي يتضمن تناقضا هيكليا بين الأهداف الثقافية والفرص البنائية وهنا تجدر الإشارة إلى أن "ميرتون" يرى أن حالة الأنوميا تؤدي إلى زيادة وصعوبة التنبؤ في السلوك وأن الأنومي والأمن يرتبطان بعلاقة تناسب عكسي بمعنى أن غياب أحدهما يعني وجود الآخر، وتفشي أحدهما يعني نقصا في الآخر، وبهذا الصدد تجدر الإشارة إلى ما ذكره "كارل مانهايم" أن أحد الأسباب الأساسية لحالة اللاتكامل المفاجئ الاتجاهات المتبناة اجتماعيا، هو حالة اللأمن الجمعي الذي يؤدي إلى انحلال كلي أو جزئي للمجتمع.

د. نظرية الضبط الاجتماعي: تفترض نظرية الضبط الاجتماعي أن دافع الانحراف يكون ساكنا لدى جميع ويسلك الفرد سلوكا مضادا للمجتمع إذا لم يتعلم أن يتدرب على أن يفعل عكس ذلك علاقات أو روابط أوصالات مودة مع الناس، وذهب علماء لتأكيد فكرة التركيز في دراساتهم لظاهرة الانحراف على متغيرات يمكن قياسها إجرائيا، واتخذوا من متغير الضبط الاجتماعي سبيلا لتفسير هذه الظاهرة، فأنصار هذه النظرية ينظرون للإجرام والجناح عموما على أنه نتاج حالة التحرر النسبي من الارتباط بالقيم والمعتقدات الاخلاقية والتي تحكم السلوك والعلاقات أثناء التفاعل الاجتماعي بالمجتمع ليعيشوا حياة واحدة في ظل التزام كل أفراد المجتمع بهذه القواعد والاعراف.

ويذهب انصار هذه النظرية "هرتن وزلي وترافيز هيرزج" إلى تأكيد الفرضية التي تقوم عليها النظرية ومفادها أن ضعف رابطة الفرد بالمجتمع أو تصدع علاقة الافراد بالمجتمع تنتج الافعال الاجرامية والجانحة، ولخص "وزلي" تحليله للعديد من الدراسات في هذا المجال بما أن أغلب المنحرفين الجانحين يعانون من انفصال واع عن معايير الاخلاقية والاجتماعية وفي سؤال عن لماذا يتحرر الافراد وينفصلون عن مكونات واقعهم الاجتماعي ومعايير الاخلاقية بخاصة؟ فسر هذا السلوك بإجابة مفادها أن تعارض الطموحات والامال مع الفرص المناسبة وقد يشجع مجموعة من الذين يعانون مشكلة واحدة على التحرر من نسق المعايير وبالتالي الخروج على مجموعة القوانين الموجودة¹.

وقدمت مدرسة شكاغو تحت مسمى نظرية الضبط الاجتماعي، دراسات حول الانحراف في المدن الامريكية الكبرى وبينت من خلالها كيف أن اختلال النظام الاجتماعي المرتبط بالمساكن غير المخططة يترجم نقص في عمليات الضبط الاجتماعي في هذه الاحياء الفقيرة التي تتميز بإيوائها المهاجرين من غير الامريكيين، مما سمح بظهور نوع جديد من التنشئة في هذه الاحياء تتميز بالطبيعة مع التقاليد والعادات

¹ عبد الله أحمد عبد الله، مرجع سابق، ص 14

الاجتماعية الخاصة بالمجتمع النظامي، الذي لا يمثل بالنسبة إلى أبناء هذه الاحياء نموذجا مثاليا للسلوك وتكسبهم هذه التنشئة ذوات منحرفة على اعتبار أن الانحراف يتحقق في حالة إذا جهل الفرد خبراته الحقيقة وانكر رمزيتها وتصرف بأساليب سلوكية غير متوافقة مع الذات وبالتالي فإنه يدرك هذه الخبرات على انها مهددة لذاته¹.

وتتضمن نظرية الضبط الاجتماعي فكرة مفادها أن اختيار الفعل السوي أو السوك المنحرف يخضع دائما لعملية تقييم عقلية من قبل الفرد حيث يري فيما قد يجنيه من فوائد ومكاسب من خلال سلوكه وأهمها الاعتراف الاجتماعي، وفي هذه الحالة يصبح نقص الفائدة المرجوة من العلاقات السوية معكوسا لصالح السلوك المنحرف وهذا يشكل رصيذا قويا وحافزا كافيا للانضمام إلى الجماعة المنحرفة وبهذا تتدرج نظرية الضبط ضمن المقاربة التفاعلية من خلال اعتقادها أن العلاقات الاجتماعية لا تنمو في فراغ وإنما تعجز عن تفسير سبب تطور الاتجاه نحو مختلف الانحرافات مثل الانتحار العنف والادمان².

وتبرز أهم النقاط الأساسية لهذه النظرية في³:

- يخلق المجتمع مجموعة من القواعد التنظيمية التي تحدد للأفراد المجالات المقبولة وغير المقبولة بين أنماط السلوك الاجتماعية.
- تعتبر التنشئة الاجتماعية أهم الأدوات التي يضعها المجتمع لتحقيق أهداف الضبطية.
- عندما تصاب أدوات الضبط بالضعف يصبح سلوك الأفراد أقرب إلى الانحراف منه إلى التوافق.

وتعتمد هذه النظرية على تجارب "إميل دوركايم" الذي أمن بأن الانحراف يتناسب عكسيا مع العلاقة الاجتماعية بين الأفراد، فالمجتمع المتماسك يتضاءل فيه الانحراف، على عكس المجتمع المنحل، ويثبت ذلك انتشار نسب الانتحار في المجتمعات التي لا تهتم بعلاقات القربى والعشيرة، وعلى هذا الأساس بلور رواد هذه النظرية رأيهم القائل بأن أفراد المجتمع المتماسك من ناحية العلاقات الرحمية والإنسانية أكثر طاعة للقانون وأكثر أتباعا للقيم التي يؤمن بها أفراد المجتمع المتحلل في علاقات أفراد الاجتماعية ويرى رواد هذه النظرية أنه من أجل منع الانحراف بين الأفراد لا بد من اجتماع أربعة عناصر مهمة هي⁴: الرحم والقرابة، الانشغال الاجتماعي، الالتزام والمتعلقات، الاعتقاد.

¹ الطيب صيد، مسألة الاندماج الاجتماعي وسوسيولوجية الفعل العنيف لدى شباب الطبقات الهامشية، مجلة العلوم الاجتماعية لجامعة سطيف 02، العدد 19، ديسمبر 2014، ص 391

² الطيب صيد، مرجع سابق، ص 391.

³ فوزي بن دريدي، المناخ المدرسي، دراسة ميدانية، ط1، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، 2009، ص 67

⁴ فوزي بن دريدي، مرجع سابق، ص ص 67 - 68.

هـ. نظرية التسمية الانحرافية: انتقد "هوارد بيكر" كثير من علماء الاجتماع الذين سبقوه، في أنهم لا يشككون في صفة "انحرافي" التي تطلق على السلوك بل كانوا ينظرون إليها "كمعطى" وبذلك يوافقون مسبقاً على قيم الجماعة التي صنعت الحكم، وانطلاقاً من هذا النقد، قام "بيكر" بتعريف الانحراف والمنحرفين، فذهب إلى أن الجماعات الاجتماعية تخلق الانحراف بواسطة صنع القواعد التي يمثل خرقها أو انتهاكها انحرافاً، وعند تطبيق هذه القواعد على من ينتهكها أو يخرقونها، يصبح من الممكن إطلاق مصطلح "خارجون" عليهم، ولذلك فالانحراف لا يعتبر خاصية لفعل يقوم به شخص وإنما هو نتيجة لتطبيق مجموعة قواعد وجزاءات على شخص "مذنب"، والمنحرف هو الشخص الذي طبقت عليه هذه التسمية بنجاح، والسلوك الانحرافي هو السلوك الذي أعطاه الناس هذا الاسم¹.

يشتمل منطوق نظرية التسمية الانحرافية الذي حدد على النحو السابق على ثلاثة أبعاد أساسية، يمكن الإشارة إليها وتفسيرها كما يلي²:

يشير البعد الأول: إلى أفعال يمكن أن تحدد باعتبارها انحرافية أو إجرامية، بواسطة الرجوع إلى خاصية رد الفعل نحوها من جانب الجمهور أو الهيئات الرسمية للمجتمع المنظم سياسياً، وببساطة إذا كان رد الفعل من نوع معين (كالاستهجان أو الرفض) يكون الفعل انحرافياً، ومعنى ذلك أن خاصية المنحرف أو الفعل الانحرافي خارج عن الفاعل أو الفعل، وحتى إذا اشترك الفعل أو الفاعلون في خاصية واحدة غير ردود الفعل الاجتماعية، فإن هذه الخاصية لا تحدد الانحراف أو تفسره كلية.

و يدور البعد الثاني: حول خاصيتي التحكم والنسبية فليس هناك معايير عامة لما يوصف بأنه انحرافي، وما هو انحرافي اليوم قد يكون سويًا في الغد والعكس بالعكس، ويوحي التحكيم بوجود علاقات القوة التي تؤدي دورها في هذه العملية، ومعنى ذلك أنه قد يرغب أحد الأفراد في إسناد صفة الانحراف إلى فرد آخر ولكنه يفشل في ذلك لأنه يفتقر إلى القوة التي تمكنه من إسناد هذه الصفة، وبناء على ذلك فإذا تحدث المرء عن الانحراف فإنه يتعين عليه أن يتساءل: انحراف من وجهة نظر من؟

و يركز البعد الثالث: لهذه النظرية على قضية الصراع فهناك صراع بين الأشخاص أو الجماعات الطفيلية نسبياً والتي تفتقر إلى القوة، من ناحية وبين المصالح الاجتماعية القوية التي تتميز بالتنظيم النسبي من الناحية الأخرى، أما القضية المتصلة بمن ينتصرون في هذه الصراعات، فهي لا تحسم بواسطة أي

¹ إبراهيم أبو الحسن عبد الموجود، مرجع سابق، ص 39-40

² نفس المرجع، ص 41

خصائص داخلية لصيقة بالأفراد أو بالأفعال التي تعتبر محاور الصراع، وإنما تحسم من خلال القوة النسبية لهذه الجماعات في الموقف الاجتماعي الكلي.

و على الرغم من وجود هذه الإسهامات في نظرية التجريم إلا أنها لم تخل من بعض الانتقادات أهمها إن قصور النظرية في معالجة هذه الجوانب يرجع إلى أنها كرست ذاتها لفحص ميكانيزمات الحكم على السلوك أو تسمية السلوك الانحرافي ويمكن تلخيصها في بعض النقاط¹:

- رفضت هذه النظرية الاعتراف بوجود الانحراف منفصلا عن وجود عملية المقاومة الاجتماعية له، مما أدى إلى عدم قدرتها على الكشف عن سبب ارتكاب شخص معين لهذا السلوك أكثر من شخص آخر.

- أكدت أن الأفعال تتحدد باعتبارها انحرافية بواسطة خاصية رد الفعل نحوها ولكنها لم تفسر نوع الاستجابات التي تحدد الأفعال الانحرافية، أو نماذج ردود الأفعال المجتمعية - الرسمية وغير الرسمية - التي تقوم بهذه الوظيفة.

- إن النظر إلى رد الفعل باعتباره معيارا وحيدا لتعريف الانحراف، يترتب عليه تجاهل أنواع كثيرة من الانحراف السري والكامن الذي لا يحدث إزاءه أي رد فعل، كما يؤدي في نفس الوقت إلى اعتبار أفعال معينة، انحرافية لمجرد أن رد الفعل نحوها كان متمثلا في الاستياء أو الاستهجان.

- فشلت نظرية التجريم في تفسير الاستجابة المجتمعية ذاتها، فلم تستطع التصدي لقضية هامة وهي سبب استجابة المجتمع بطريقة معينة إزاء سلوك معين، واستجابة بطريقة أخرى إزاء سلوك آخر.

- تركت هذه النظرية ثغرات كثيرة دون أن تحاول سدها، وهي التي تتصل بمسائل هامة مثل: تفاوت معدلات أفعال انحرافية معينة من مجتمع إلى آخر، وتورط بعض الأشخاص في هذه الأفعال وعدم تورط الآخرين فيها، واعتبار فعل معين انحرافي في مجتمع ما وغير انحرافي في مجتمع آخر.

و. نظرية الوصمة الاجتماعية: تقوم هذه النظرية على أساس إيضاح قضيتين هما: أنه قد تتكون هوة بين حكم بعض الأفراد على سلوكيات معينة وحكم الجماعة التي ينتمون إليها، ففي الوقت الذي يتيح الأفراد لأنفسهم إبداء تلك السلوكيات نجد الجماعة تجرمها وتحكم على فاعلها بكونه خارجا عن قواعد الإجماع بالمجتمع، وهذه هي الوصمة الاجتماعية، أما القضية الثانية تتمثل في الإبعاد العكسية أو السلبية لقوة الضبط الاجتماعي على الأفراد والتي قد تدفعهم للإجرام بعد فقدانهم ما كانوا يسعون إلى بلوغه وهو الصيت الحسن وشهادة الأخلاق الاجتماعية.

¹ سامية محمد جابر، الجريمة والقانون والمجتمع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص ص 162-168

وقدم "أودين لمبرت" نظريته ليبين من خلالها أنه وكما يؤدي ضعف الضبط الاجتماعي في المجتمع إلى انتشار الجريمة وازدياد معدلاتها بذلك المجتمع، ويؤدي الضبط المفرط إلى اتجاه البعض لارتكاب سلوك إجرامي (انحرافي) فيقول: إننا ألفنا أن الانحراف يعزي إلى أعمال الضبط الاجتماعي ولكن الأكثر أهمية هو أن وسائل الضبط الاجتماعي قد تكون بدورها مسؤولة عن الانحراف¹ وتقوم نظريته على فرضيتين أساسيتين ومراحل لاكتمال فكرة السلوك الانحرافي والعود إليه وهي²:

- أن الانحراف لا يقوم على نوعية الفعل وماهيته بقدر ما يقوم على نتيجة يوصف به الفاعل من المجتمع.

- أن الانحراف عملية اجتماعية تقوم بين طرفين: الفعل الانحرافي، وردت فعل المجتمع تجاه ذلك الفعل الانحرافي ووصمه بالانحراف من جانب آخر.

وبالتالي يرجع الانحراف في السلوك بصفة عامة إلى آثار الخبرة الناشئة عن الوصم الاجتماعي، ويميز بين نوعين من الانحراف الأول هو الانحراف الأولي أو السلوك الفعلي للمجرم، وهو الذي يأتيه المجرم مكرها وهو عالم بانحرافه إذ يشعر بغرابته وشذوذه في قرارات نفسه أما النوع الثاني فهو الانحراف الثانوي أو استجابة المجتمع أو رد فعله للسلوك الكريه أو الإجرامي وهذا الانحراف يقره الفرد ويدرك خصائصه النفسية والاجتماعية ويدرك طبيعة الدور الذي يقوم به³.

ي. نظرية التفاعلية الرمزية: يختلف منظور التفاعلية الرمزية عن المنظورات السابقة في نقطتين أساسيتين الأولى أنها تنظر للانحراف من منظور نظري مختلف، ثانياً إنها تحلل مظاهر الانحراف التي تجاهلتها المداخل النظرية السالفة الذكر، وأنها وجهت الانتباه بعيداً عن المنحرف في حد ذاته وعن الدوافع والضغوطات والقوى الاجتماعية التي يفترض أن توجه السلوك، وبدلاً من ذلك فقد ركزت على التفاعل بين المنحرف وأولئك الذين يصفونه بالمنحرف فالمنظور التفاعلي يفصح ويحلل كيف ولماذا بعض الأفراد والجماعات يوصفون بأنهم منحرفين وما هي آثار ذلك الوصف على أفعالهم في المستقبل ووفقاً لهذا يمكن تحليل التفاعل بين المنحرف ومختلف قوى الرقابة الاجتماعية Social control مثل الآباء، المعلمين، الشرطة القضاة، والضباط المراقبين لسلوك المذنبين كما أنه يمكن تحليل التأثيرات التي يتسبب فيها

¹ عبد الله أحمد عبد الله المصراطي، الظاهرة الإجرامية الماهية والتفسير بمنظور اجتماعي معاصر، ص 32-33 تاريخ التصفح 2017/01/23

<http://www.shaimaaatalla.com/vb/showthread.php?t=9190>

الساعة 22:00

² عبد الله بن ناصر بن عبد الله السدحان، أسباب العودة إلى الجريمة، دراسة عن أسباب عودة الأحداث إلى الانحراف، مجلة التعاون، تصدر عن الشؤون الإعلامية بالأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، العدد 42، ماي 1996، ص ص 14-15

³ محمد شحاتة ربيع وآخرون، علم النفس الجنائي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1994، ص 129.

وصف الفرد بأنه مجرم أو جانح مريض عقليا، مدمن على الكحول المخدرات أو شاذ جنسيا، فالمدخل التفاعلي على يؤكد على أهمية المعاني ليست محددة بوضوح، إنها تعدل وتطور أثناء عملية التفاعل فتعريف الانحراف وفقا للمنظور التفاعلي يخضع للمناقشة بين الفاعلين في موقع التفاعل، مثلا إن وصف شخص ما بأنه مريض عقليا يتوقف على سلسلة من النقاشات بينه وبين عالم نفساني¹.

4. النظريات النفسية

أ.نظرية التحليل النفسي: إن المرض النفسي في حد ذاته أو المرض العقلي أو الجريمة أو التشرد أو أي فعل شاذ آخر لا يقع تحت طائلة القانون مثل مص الأصابع أو قضم الأظافر أو التبول اللاإرادي أو غير ذلك من ضروب السلوك الشاذ ما هي إلا أعراض لمرض قديم في التكوين النفسي للفرد، وسبب هذا المرض فساد الترقى أو النمو الوجداني في عهد الطفولة المبكرة ويعزز ذلك ظروف البيئة السيئة في الكبر والتي تدفع للسلوك الشاذ سواء أكان جريمة أو أي فعل آخر خارج عن دائرة السواء ويوضح "فرويد" بقوله: "إن الاضطراب في الشخصية نتيجة كبت عنيف في الطفولة المبكرة مع إحباط شديد في الكبر."

ويركز "فرويد" وأتباعه من مدرسة التحليل النفسي على مرحلة الطفولة المبكرة الأولى، وما يجري خلالها من علاقات بين الطفل ووالديه، باعتبارها القوة والأرضية الأساسية التي تبني عليها سوية الشخصية أو اضطرابها، كما يركز أنصار هذه المدرسة على مراحل نمو الغزيرة الجنسية حتى وصولها مرحلة النضج الجنسي الكامل السوي².

ويؤكد أيضا على أهمية الدوافع اللاشعورية والصراعات العقلية المكبوتة في حدوث الجريمة، فالرغبة المكبوتة قد يشبعها عن طريق نشاط بديل أو محرم، كذلك فإن الشعور بالنقص قد يعبر عنه بالتعويض وذلك بالإقبال على أنواع شتى من السلوك الإجرامي.

في حين يذهب "كارول" إلى تفسير الجنوح والنزعة الإجرامية حيث تمثل حربا ضد الإحباط بمعنى الإجرام يتولد عن الشعور بالفشل والإحباط، وفي نفس السياق يؤكد أن مستوى الإجرام يتعلق بالعلاقات الدينامية للإحباط والخوف من العقاب ويكون الإجرام في أعلى مستوياته في هذه الحالات، وحسب "جون بولبي" العدوانية تكون ناتجة عن النقص العاطفي للأم في السن المبكرة ولقد ركز في أبحاثه في تفسير

¹صالح فيلالي، ظاهرة الانحراف من منظور سوسولوجي، الباثولوجيا الاجتماعية والتوسع العمراني، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، عدد 03 جوان 2008، ص147.

² نصر الدين جابر، مرجع سابق، ص 118

الاضطرابات السلوكية على الانحراف وعلاقته بالحرمان من علاقة الأم والعلاقات المضطربة بين الوالدين والعلاقات الزوجية النفسية¹.

وأيضاً المبالغة في تأكيد وجدانية الدافع للجريمة، كما تفسر وتشير الأبحاث والدراسات إلى انخفاض نسبة الحالات المطلوب فيها العلاج النفسي وعلى العكس ارتفاع نسبة الحالات المطلوب فيها العلاج البيئي المادي والاجتماعي.

وفي ضوء ذلك يفسر السلوك الجانح باعتباره أعراضاً لا شعورية لإشباع نزعات جنسية أحياناً وعدوانية أحياناً أخرى، فوجدوا أن الانضمام للعصابات فيه إشباع لسلبية المكتوبة، كما وجدوا أن الشعور بالذنب والرغبة في تأنيب الذات وعقابها قد يكون أحياناً سلبياً في النجاح حيث يعرض الفرد نفسه للعقاب ليخفض من توتر الشعور بالذنب.

ب. المدرسة السلوكية: رفضت هذه المدرسة كل التفسيرات اللاعلمية حيث لا يمكن قياسها والتثبت من صحتها، وبدلاً من ذلك اقترحت أن الشخصية الإنسانية والسلوك الإنساني بشكل عام سلوك متعلم من خلال عمليات التفاعل مع الآخرين، واعتمدت هذه المدرسة السلوكية الحديثة بشكل أساسي على أبحاث عالم النفس الأمريكي "واطسون" وكذلك "سكنر" حيث يعتقد أن الشخص يتعلم من خلال الملاحظة رد فعل الآخرين على سلوكه، فالسلوك عادة ما ينشأ أو يقع تحت تأثير مثير أو تغير في البيئة وإذا كان رد الفعل إيجابياً ومعزواً فإن هذا السلوك سيستمر ويتم تعلمه، أما إذا تم عقاب هذا السلوك فإنه لن يتكرر أو يتم تعلمه بالتالي سوف ينتهي².

وحسب هذه المدرسة أن الإنسان لا يولد مزوداً بقبليات طبيعية أو قدرات طبيعية فطرية تحقق له ضبط النفس وتيسر له التوافق وتساعد على كبح وتوجيه بعض الرغبات والحاجات والفطرية الاجتماعية التي لا تتماشى ومعايير وقيم المجتمع الذي يعيش فيه، بل أن هذه القوة الداخلية الضابطة قوة يكتسبها الإنسان عبر مراحل نضجه البيولوجي والفيزيولوجي ومن خلال ومن خلال عمليات التفاعل الاجتماعي. وعلى اعتبار أن الانحراف والإجرام من الاضطرابات السلوكية المرضية المكتسبة فقد قدمت افتراضات تفسر نشوء الاضطرابات النفسية وهي³:

- يذهب إلى فشل الفرد في تعلم سلوكيات ناجحة تمكنه من التوافق الناجح من نفسه ومجتمعه ويعتبر عاملاً أساسياً في اعتلال صحته النفسية.

¹ نفس المرجع، ص 119

² عايد عواد الوريكات، مرجع سابق، ص 123-124

³ نصر الدين جابر، مرجع سابق، ص 133

- مفاده أن نجاح الفرد في اكتساب سلوكيات ضارة سواء كان هذا الضرر واقعا على الفرد أو على مجتمعه فانه لن يتوقف بالشكل المطلوب لا مع نفسه ولا مع بيئته.
- تعرض الفرد إلى مثير ما بحيث يستثير لديه توقع حدوث استجابتين متناقضتين يخلق لديه حالة من القلق العام تؤثر سلبا على صحته النفسية.

في حين قدم "هانز أيزنك" تفسيره للجريمة والانحراف في إطار نظريته العامة للشخصية الإنسانية والتي يفترض فيها أنه يمكن وصفها في ضوء ثلاثة أبعاد أساسية مسؤولة عن قدر كبير من التباين في السلوك وهي: الانبساط - الانطواء، والعصابية - الاتزان الوجداني، الذهانية - الواقعية، بالإضافة إلى بعد الذكاء¹.

وأوضح "أيزنك" أن بعدى الانبساط - الانطواء والعصابية - الاتزان الوجداني هما أكثر أبعاد الشخصية استقرارا وقابلية لإعادة الإنتاج لدي عينات متباينة الخصال وثقافات مختلفة، وافترض وجود أساس فسيولوجي لكل بعد من هذين البعدين الأساسيين وأن هناك استعدادا وراثيا يتفاعل مع العوامل البيئية في تحديد وبلورة الفروق الفردية بين الأفراد على كل بعد منها، وبذل جهودا كبيرة لتحديد الوزن النسبي لأثار الوراثة والبيئة على كل من الانبساط و"العصابية"، وذلك من خلال الدراسات المكثفة التي أجراها على التوائم الصنوية وغير الصنوية وانتهوا خلالها إلى أن الاستعداد الوراثي للعصابية وأكبر نسبيا من الانبساط.

نجد أن الأشخاص المنطوين حينما يصابون بالمرض النفسي يكونون عرضة لحالات المخاوف المرضية وعصاب القلق والوساوس، بينما يكون الانبساطيون عرضة للإصابة بالهستيريا والسيكوباتية أو السلوك ضد الاجتماعي، أو يصبحون من المجرمين، "فأيزنك" يري أن المجرمين أو السيكوباتيين أقرب إلى أن يكونوا مرتفعي الانبساط ومرتفعي العصابية في الوقت نفسه، ويتسم هؤلاء الأشخاص بضعف قدرتهم على تكوين الارتباطات الشرطية وسهولة حدوث الكف لديهم، وهذا العجز عن التشريط يجعل من الصعب على هؤلاء تعلم القيم والمعايير الاجتماعية التي يقبلها المجتمع، إذا تعلموا قليلا منها فسرعان ما يتلاشي ما تعلموه لسهولة حدوث الانطفاء لديهم، لذلك ينحرف هؤلاء الأشخاص عما يقره المجتمع من قواعد أو يرتضيه من تقاليد ويسلكون كافة أشكال السلوك المضاد للمجتمع، ويصبحون من العائدين

¹ محمد شحاتة ربيع وآخرون، مرجع سابق، ص114

للجريمة ومن المحتمل أن يفشل هؤلاء السيكوباتيون العائدون في الاستجابة لإعادة علاجهم أو تعليمهم أو تأهيلهم¹.

وتندرج نظرية لتعلم من اتجاهات هذه النظرية السلوكية (أو نظريات علم النفس الاجتماعي أي بين النظرية البنائية والسلوكية التقليدية) في أبحاثها إلى موضوع التعلم ونقصد بالتعلم كل ما يتعلمه الفرد من عادات ومهارات وسلوك اجتماعي ومميزات فردية خاصة وأشهر نظريات التعلم هي نظرية التعلم بالمحاولة والخطأ ونظرية التعلم الشرطي ونظرية التعلم بالاستبصار.

والصيرورة الأكثر أهمية في اكتساب السلوك المنحرف يتم عبر ملاحظة تأثير ثلاث عوامل وترجع إلى عوامل التنشئة الاجتماعية التي تتخذ نماذج وهي² :

- تأثير الأسرة.

- تأثير الثقافة الفرعية.

- التأثير الرمزي.

فقد يكون عن طريق تعلم السلوك من الآباء أو من خلال تلقين تنشئة اجتماعية أسرية غير سوية، أو من خلال الثقافة بين الرفقاء والأصدقاء في الأحياء أو الشارع، وأخيرا من خلال التعلم الغير مباشر من وسائل الإعلام كالتلفاز والقصص.....الخ

وترى هذه النظرية أن الجناح سلوك متعلم وشخصية الجناح في تنظيمها تنسم بالتوتر بسبب حاجات معينة لها أهميتها، والبيئة عجزت عن إشباع الحاجات الفسيولوجية كالطعام والراحة والمأوى، وتعلم الفرد القلق المرتبط بموضوعات وإشارات ودلائل كلها تدور حول توقع الفرد للخطر كالقلق من الحرمان أو الفقر أو الموت أو أن يتعدى عليه أو العقاب...).

ويعتبر القلق في شخصية الجناح من الدوافع المكتسبة المرتبطة بسلوكه العدوانى الجانحي، فالظروف البيئية الاجتماعية والطبقية التي ينحدر منها قد فرضت عليه أن يتعلم عادات معينة عدوانية الطابع عززت بتكرارها حيث أنها تخفض ما يعانيه من توتر وتخلص هذه النظرية إلى :

- أن الجناح سلوك متعلم.

- أن القلق والتوتر استجابات مكتسبة تعلمها الفرد في بيئة غير مشبعة لحاجاته .

¹ نفس المرجع، ص115

² أحمد أوزي، سيكولوجية العنف - عنف المؤسسة ومأسسة العنف - مجلة علوم التربية، المغرب، العدد 36 السنة 2014، ص ص 91 - 92

- أن الأغراض الجناحية (سرقة - هروب - عدوان) ما هي إلى أغراض خاصة متعلمة دفاعية ضد القلق.

لعل أهم ما وجه للنظرية النفسية من انتقاد هو تأكدها على أهمية العوامل الذاتية أو الشخصية للمجرم أو المنحرف وتركيز كل منها على عامل أو أكثر وإهمال العوامل الأخرى التي ربما يكون لها قيمة، وامتدت هذه المناقشات باعتبار دلالات التحليل النفسي لدي " فرويد" للجريمة والسلوك الإجرامي بوصفه نمطا شائعا من أنماط الاضطراب السلوكي الظاهر، منشأه واحد هو محصلة لصراعات داخلية لاشعورية، في حين وجهت انتقادات للنظرية السلوكية على أساس أنه من الصعب وصف وتفسير الشخصية في ضوء عدد محدود من العوامل والأبعاد الذي لا يعد كافيا على اعتبار أن أصحاب الشخصية المضادة كما وصفها "إيريك" لم تركز إلا على الشخصية المضادة للمجتمع أي السيكوباتية وهؤلاء يمثلون نسبة محدودة في المجتمع، وفي نفس الوقت قدمت المدرسة السلوكية الحديثة تفسيراً للانحراف على اعتباره استجابة نمطية داعمة للتوتر والقلق الناجم عن الإحباط وقد فسر "ماورر" على أنه استجابة لسوء عملية التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعي والفشل في تعلم القيم، وفي امتصاص عوامل الضبط الخارجي وعيب في نمو الضمير وكل هذه العناصر انتقدت باعتبارها موجودة وموصوفة لدى الأفراد ولكن ليست بالضرورة تولد أشخاص منحرفين.....الخ

5. النظريات الثقافية

أ. الثقافة الفرعية والجريمة : أوضح "بيتر تاونسند" أن الثقافة الفرعية بحكم تعريفها إنما تتكون من أنساق متميزة للقيم والمعتقدات، كما تتكون من مجموعة خاصة من النظم تختلف في مجموعها عن مثيلاتها السائدة بالمجتمع ويتم انتقال هذه القيم والمعتقدات من جيل إلى جيل من خلال عمليات التنشئة والضبط الاجتماعي¹، وفي نفس السياق وجد في نظريات الثقافة الفرعية "لويس يابلونسكي" سنة 1959-1962 أن الجماعات المتلاحمة المترابطة كتلك التي تحدث عنها منظرو الثقافات الفرعية هم بحاجة أكثر إلى نظريات تدرس ذلك السلوك المنظم الضعيف فليس كل الأحداث (شباب) ينتظمون في عصابات، واقترح تسمية تلك العصابات غير المترابطة بالجماعات الجانبية ورأى أن قادة تلك العصابات مرضي نفسيين لأنهم يثيرون الآخرين من أجل ارتكاب الجريمة والسلوك المنحرف².

¹ إبراهيم أبو الحسن عبد الموجود ، مرجع سابق ص 78

² عايد عواد الوريكات، مرجع سابق، ص 140

أما عن نشأة الثقافة الفرعية وعلاقتها بثقافة الجريمة، فإنه من الآراء التي تتردد كثيرا أن الثقافة - وبخاصة الثقافة الفرعية - تقوم عادة كرد فعل أو كاستجابة لظروف محددة، فقد قيل مثلا أن ثقافة السجن أنها تمثل نوعا من الاستجابة للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مجتمع السجن على حسبما يقول "جون ايروين" و"كريسي" أن هناك ثلاث ثقافات بالسجن ثقافة فرعية هي ثقافة السجن ثم ثقافة الجريمة ثم الثقافة الرسمية للمجتمع¹.

ويرجع البعض قيام ثقافة خاصة بالمجرمين إلى أن المجرمين جميعا يتميزون بسمة محددة هي أنهم جميعا مشتركون في النشاط الإجرامي و سلوكهم الإجرامي يشير إلى مناهضتهم ومعاداتهم بدرجات متفاوتة للمعايير الرسمية، ويشير آخرون إلى أن التفاعل والاحتكاك بين المجرمين المحترفين ينتج عنه إحساس بالتجانس والتوافق، وأن الوظيفة الأساسية لثقافة السجن تتمثل في التخفيف من الآلام النفسية التي تنشأ بسبب شعور النزلاء بالنبذ الاجتماعي.

وفي المجتمع الحديث يوجد ثقافات فرعية إجرامية عديدة تعمل كلها لتجعل الانحراف والإجرام أمرا مقبولا وأن كل شيء يصبح صوابا من جانب القائمين به، وتزدهر هذه الثقافات الفرعية الإجرامية بشكل خاص في المدن الكبرى وخاصة في المناطق التي يسكنها الفقراء، كما أن ثمة ثقافات فرعية إجرامية تنشأ بين أبناء الطبقة المتوسطة، ونجدها في القيم المرتبطة بنظام العمولات بين أصحاب الياقات البيضاء والمنتمين إلى الطبقات العليا وحيث أن القيم الإجرامية تتمركز في مواضع مختلفة من البناء الاجتماعي فإن التكيف لها ليس متساويا بين أجزاء المجتمع المختلفة فقد يتاح التكيف لثقافات إجرامية أكثر تنوعا بين العمال في حين يقل ذلك بين أبناء الطبقات العليا.

ب. الصراع الثقافي والجريمة: ربط البعض بين الصراع الثقافي والجريمة من وجهة نظر مختلفة فهناك من ربط بين الثقافة والجريمة مركزا على الجريمة والصراع الطبقي، وهناك من ربط بين الجريمة والصراع الناجم عن الصراع الثقافي الراجع إلى التغير الثقافي السريع، أو الراجع إلى تصادم ثقافتين متغايرتين كما هو الحال في الربط بين الهجرة الداخلية والجريمة، أو الهجرة الخارجية والجريمة في البلاد المستقبلة المهاجرين من الخارج.

وتركز على فكرة فرضية الصراع الثقافي والاجتماعي التي تركز على الثقافة العامة في حدوث الانحراف، حين تشجع إحدى الثقافات سلوكا ما يعتبر سلوكا غير مقبول في ثقافة أخرى على اعتبار أن لكل مجتمع (الثقافة الأم) كما يتكون من العديد من الجماعات التي بدورها لها ثقافات فرعية قد تتفق في

¹ نفس المرجع، نفس الصفحة.

بعض جوانبها وتختلف في بعضها الآخر مع ثقافة الثقافة الأم القائمة في المجتمع، وقد تأخذ هذه الثقافة الفرعية من الثقافة الأم بعض ملامحها وقد تتمايز عنها، وهذا التمايز يجعلها متسقة معها أحياناً ومتعارضة أحياناً لذلك تنشأ بعض المشكلات نتيجة الصراع الثقافي، الأمر الذي يضيف إلى السلوك المنحرف غير المقبول من طرف المجتمع¹.

أما أولئك الذين ربطوا بين الجريمة والصراع الطبقي فقد فسروا بعضهم الجريمة باختلاف الأنماط الثقافية وربط بين ثقافات الطبقات الدنيا والجريمة، في حين أن البعض حاول تفسير الصراع الطبقي بطريقة أخرى، فأصحاب نظرية الصراع هنا يقولون بوجود عدة جماعات داخل المجتمع الواحد، وعادت ما تكون هذه الجماعات ذات قيم متصارعة، فالجماعات القوية بالمجتمع المستحوذة على السلطة هي التي تعرف أو توصم قيم الجماعات الضعيفة بأنها منحرفة وتجرمها، وأنه عبارة عن صراع بين التمايز الثقافي بين المهاجرين الريفيين بسبب التمايز الثقافي والخلفيات الاجتماعية في الوسط الحضري وبالتالي تؤدي تعمق المواقف والنزعات².

ربط البعض بين التغير الاجتماعي والجريمة أو الانحراف إلى ما يسمى بالتخلف الثقافي، والتخلف الثقافي يعني حدوث تغيرات تكنولوجية سريعة ومتلاحقة في حين يكون التغير الثقافي بطيئاً، بمعنى أن يحدث تغير سريع في استخدامات التكنولوجيا والمعدات والأدوات وغيرها وتظل قيم المجتمع ومعاييرها وتقليده بلا تغير أو تتغير تغيراً بطيئاً، لا يلحق بالتغيرات التكنولوجية السريعة، وهنا تحدث فجوة بين ثقافة المجتمع المادية وثقافته غير المادية، وأشار الباحثون "أوجبرن" إلى هذه الفجوة باسم التخلف الثقافي. وقد انتقدت هذه النظرية بأنها عجزت عن بحث واستقصاء أسباب السلوك الإنحرافي وبالتحديد بحث السلوك المنحرف والجريمة التي ليس لها صلة بالسياسة خاصة وأن المجتمعات التي قال أصحاب هذه النظرية بخلوها من الصراع الطبقي لم تخلق فيها الجرائم والسراقات والاعتصام على ما زعم أنصار هذه النظرية الذين قالوا أن مثل هذه الجرائم ستختفي بعد انتفاء أسباب ظهورها وذلك نتيجة لاختفاء الصراع الطبقي، وهو زعم باطل من أساسه بالطبع.

¹ نصر الدين جابر ، مرجع سابق، ص 73

² محمد غريب سيد احمد وسامية محمد جابر، علم اجتماع السلوك الانحرافي، دار المعرفة الجامعية، 2003، ص 46

6. النظريات الاقتصادية

أ. النظرية الاقتصادية عند وليم بنجر: ربط هذا العالم الهولندي الجريمة بأسباب مادية تتعلق بالأحوال الاقتصادية، بمعنى أنه أرجع السلوك الإجرامي إلى ظروف اجتماعية تترتب عن الأوضاع الاقتصادية المتدهورة التي يفرز النظام الاقتصادي الرأسمالي الذي كثيرا ما يدفع الأفراد إلى الوقوع في الانحراف والجريمة، خاصة المنتمين منهم إلى الطبقة الفقيرة كنتيجة لمعاناتهم الناجمة عن هذا النظام كالبطالة وضعف القدرة الشرائية والشعور بالاغتراب¹.

وقد اتسع نطاق الدراسات الاقتصادية حتى شملت مختلف جوانب البحث في البواعث الاقتصادية التي يمكن أن تصبح سببا في تكوين السلوك المنحرف، خصوصا تلك التي ترى أن النظام الاقتصادي الحر المبني على الاستغلال في نظر الاتجاه المادي هو الذي يخلق الانحراف، والذي يقابل الجريمة التي تكبر في المنظمات والمؤسسات الاجتماعية مؤداها أن العامل يزداد فقرا كلما زادت الثروة التي ينتجها، وكلما زاد إنتاجها قوة ودرجة، يصبح العامل سلعة أكثر رخصا كلما زاد عدد السلع التي يخلقها².

وهناك دراسات ربطت بين الفقر والجريمة بالرغم من تعددها غير أنها لم تفلح في إلقاء الضوء الكافي على العلاقة السببية بين الفقر والجريمة، بل على العكس من هذا فقد أظهرت بعض الدراسات الأخرى مثل العالمين الأمريكيين "هيلي وبرونر" ودراسة الطبيب الانجليزي "جورينج" بالإضافة إلى بعض الدراسات التي اهتمت بالحرمان العاطفي والتهميش الذي يعاني منه الأفراد نتيجة الفقر والبطالة والنقص العاطفي والجو الوجداني في الأسرة والعائلة، دون أن ننسى أن بعض الباحثين يركزون إلى أن ثراء بعض الأفراد يجعلهم معرضين أكثر من غيرهم ليكونوا ضحايا لبعض الجرائم، خاصة جريمة السرقة المقترنة بالعنف الذي يصل إلى القتل أحيانا³.

ومن أهم الانتقادات الموجهة لهذه النظرية أنها تعطي تفسيراً يستمد جذوره من الفكر الشيوعي الذي يهدف إلى ضرب الرأسمالية وجعلها موضع نقد واتهام وهو تبرير لا يقدم الدليل المقنع على أن العامل الاقتصادي هو السبب في انتشار الجريمة، نظرا لارتباطها بعوامل شتى يصعب حصرها.

ب. نظرية الفقر والرخاء: تنظر هذه النظرية إلى أن هناك ارتباط بين الفقر والانحراف لفترة طويلة فالفقر يتضمن البطالة أو العمل الغير منتظم في وظائف غير مرغوب فيها، ويتضمن الاقتراض من مصادر

¹معمّر داود، مقارنة ثقافية للمجتمع الجزائري، دراسة لبعض الملامح السوسيو نفسية والاقتصادية، ط1، دار الطليعة، المحمدية الجزائر، 2009، ص 215

²علي بوعنّاق، مرجع سابق، ص 68

³معمّر داود، مرجع سابق، ص 216

متنوعة بطرق رسمية أو غير رسمية، كما يتضمن الملابس المستعملة والسكن في المناطق المزدوجة وانخفاض المستوى وارتفاع نسبة الوفيات والاعتماد على الطرق البدائية في العلاج نظرا لان الرعاية الصحية مكلفة.

ولخص "سذرلاند" نتائج مختلف الدراسات التي تناولت موضوع الفقر وعلاقته بتكوين السلوك الانحرافي والإجرامي فهو يري أن أغلبية الدراسات تشير بوجه عام إلى زيادة معدلات الجريمة بين المجرمين الذين ينتمون إلى طبقات اقتصادية فقيرة، وإلى بطلالة هذا المجرم قبل ارتكابه الجريمة أو عدم كفاية دخله أو دخل أسرته، ومع كل هذا فليس بوسع أحد أن ينكر وجود ظاهرة الفقر كظاهرة اقتصادية اجتماعية لها تفاوت كبير في طبيعة الحياة الاجتماعية في أجزاء المجتمع الكبير، وقد يؤدي الفقر إلى ظهور أحياء خرب(عشوائية)، تتميز ببؤس ظاهر وبقلة الموارد الطبيعية والثقافية لقيام علاقات اجتماعية سليمة بين الأفراد، ولاشك أن الطفل الذي يجد نفسه بين هذه الأحياء يعاني من حرمان اقتصادي كبير، كما وأنه يتعرض إلى بعض الظروف التي تتميز بها الحياة في هذه المناطق التي تشكل أبرز أشكال عدم التنظيم الاجتماعي، وهذا كله يضيق من إطار العلاقات الاجتماعية التي لا يجد سواها في منطقتها التي يعيش فيها، هذا فضلا عن الشعور المتواصل بالحرمان المادي، الذي قد يغذي تبلور اتجاهات ومشاعر خاصة كالشعور بالحسد، أو الكراهية الشديدة، وهذا بدوره قد يسهم في خلق جو ملائم لنمو الاتجاهات العدوانية أو السلوك الجانح (الانحرافي)¹.

7. المقاربة السياسية ميشل فوكو (السلطة والعنف): نجد كتاب "المراقبة والعقاب" الصادر عام 1975، والذي حفر فيه "فوكو" عن الآليات الاجتماعية والنظرية لنظم العقاب في العصر الحديث، حيث رصد وبشكل ملفت "العقاب" في مراحل مختلفة، موضحا ما أسماه بـ "تكنولوجيا العقاب"، تساءل فيها عن الطريقة التي تغير من خلالها المجتمع الفرنسي فيما يخص معاقبة المدانين في مدة قصيرة، مبرزاً أوجه الاختلاف انطلاقاً من صورة العقاب بين الأمس واليوم وفي كشفه عما بين السطور وفي بحثه في السجون الفرنسية، وكشف عن الجوانب المختبئة للسلطة، فعلى الرغم من الإصلاحات التي ينطق بها النظام، فالعقاب لازال هو العقاب، حتى أن أشكال الممارسة التعذيبية أصبحت أكثر تفناً من السابق، حيث يتعرض الإنسان في سجن لأفزع أشكال التعذيب الجسدي والنفسي والهدف من شراسة هذا العقاب هو تطويع الأجساد وتذويب العقول وغرس الرعب في النفوس بهدف قهر كل نزوع إلى العصيان والتمرد

¹ عدنان الدوري، مرجع سابق، ص 317

والقضاء بصفة نهائية على كل روح نقدية، وعندما يفرج عن إنسان من السجن يكون مغترباً قد فقد ذاته ووعيه الاجتماعي¹.

فمفهوم السجن عند "فوكو" تجاوز ذلك الفضاء الذي صمم لعقاب الأفراد، بل أصبح مفهوماً أكثر اتساعاً لأن المواطنين مكبوتون، وأن القيم الثقافية والحقوقية تبقى نسبية، فالمجنون "يتطلب عاقلاً يرسم حدود العقل والأعقل، فالعقل يستبعد الأعقل ليقنع الآخرين بسلامته هو بالذات.

ولذلك فالسلطة لا تحتكر حق ممارسة العنف فقط ولكنها أيضاً تحفز على الإنتاج وتصنع الرفاه وتحقق الأمن، ولو لم تستطع الجمع بين متناقضين (أي ممارسة العنف وصناعة الرفاه أو محاولة صناعته)، لما أنكتب لها الاستمرار وتراجعت هيبتها ومشروعيتها عند أفراد المجتمع، بما قد يفضي إلى تدميرها أو تآكلها.

وإذا أسقطنا هذا الطرح على مفهوم السلطة نجد أن الفكاك أو التخلص من العنف السياسي مرتبط بمدى قدرة الفاعل الاجتماعي على نقد، إعادة تأويل وفك شفرة الخطاب الرسمي المقولب الذي تصوغه مؤسسات التنشئة الاجتماعية، هذا النقد الموضوعي هو الذي من شأنه أن يزيد من استقلالية الفرد ويخلصه من قيود التطبيع والخضوع السلبي للسلطة بما يجعله يسائل شرعية النظام السائد ويكشف الحيف الذي يعرفه، وهو الذي يؤدي إلى الصراع والتصادم بين مختلف العقلانيات، عقلانية الفرد الذي يسأل عن حقه الذي تنازل للسلطة عليه وعقلانية السلطة الذي تحاول ممارسة كل أشكال العنف المشرع.

8. المقاربة الدينية: لقد ذهب البعض إلى افتراض وجود علاقة بين الوازع الديني والجريمة وبالرغم من الإشكاليات المنهجية التي قد تعوق قياس هذا المتغير بالشاكلة التي هو عليها في الواقع، إلا أن أبحاث منها "دوركايم" أكدوا وجود علاقة بين الدين وبين ارتكاب الأفراد بعض السلوكيات الإجرامية مثل الانتحار والشروع فيه².

ومن جهة ثانية يورد طرحاً دينياً إسلامياً لتفسير الجريمة أساسه أن الجريمة سلوكاً حدد له الدين الإسلامي عتاباً مادياً ودينياً تعزيراً كان أو حدوداً وإنها تفسر من خلال غياب الوازع أو الضابط الديني فهذا المتغير في اعتقاده هو المفسر الحقيقي لهذه الظاهرة وارتفاع معدلاتها بالمجتمع.

وتركز هذه المدرسة كغيرها من النظريات والمدارس على عامل واحد وهو ضعف الوازع الديني إلا أن الاهتمام بهذا المتغير وحده قد لا يوسع تفسير سائر أنماط الجريمة والتطور الكمي والكيفي الحادث على هذه الظاهرة بالمجتمع.

¹ إبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2015، ص90
² عبد الله أحمد عبد الله المصري، مرجع سابق، ص 32-33.

9. المقاربة التكاملية: يري أصحابها أنها تقدم تفسير تكاملي يجمع بين العوامل المختلفة المتفاعلة المسببة للإجرام والانحراف وفقا لحالة وظروف كل فرد أو مجتمع، أي مراعاة الأفراد والزمان والمكان مراعاة تامة، فيتبع علماء هذه النظرية منهاجا تكامليا في تفسير الانحراف فيقولون أنه يرجع لعوامل عديدة منها ما هو عضوي وعقلي ومنها ما هو اجتماعي ثقافي أو اقتصادي إلى غير ذلك من العوامل التي تتداخل تتفاعل وتتسبب في التشرذم والإجرام والجناح أو عدم الإجرام.¹

وجدير بالذكر أن البحوث العلمية المختلفة في مجال العلوم الإنسانية ودراسة الجريمة والانحراف أثبتت عدم وجود سبب واحد يعتمد عليه في تفسير تلك الظاهرة السلوكية، ولكن هناك ما نطلق عليه العوامل المتعددة التي تتخذ جانبا ذاتيا وآخر اجتماعيا على أساس أن الاتجاه الذاتي يشمل العوامل الجسمية والعقلية والنفسية والاتجاه الاجتماعي يشمل العوامل البيئية الداخلية أو الخارجية.²

وعلى هذا فالانحراف في إطار النظرية التكاملية مرتبط بعوامل شخصية مرتبطة بالمنحرف وعوامل خارجية مرتبطة بالبيئة الاجتماعية، وفي بحث العوامل المتداخلة التي تدفع على الإجرام نجد العوامل البيولوجية والنفسية والعضوية والاجتماعية والثقافية وأيضا الاقتصادية، التي تظن بدرجة عالية أنها تؤثر في الفرد فتجعل سلوكه منحرفا خارجا على القانون، وبديهي أن يستفيد أصحاب هذه المدرسة الجديدة من مختلف الملاحظات التي أبداه العلماء في نقدهم لشتى البحوث التي أجريت للكشف عن الدوافع إلى الخروج على القانون.

فالإجرام في نظر "وليم هيلي" مشكلة الشخصية والشخصية في تكونها تتأثر بالعوامل البيولوجية والنفسية والعضوية والاجتماعية وقد قام هو و"أوجست برونز" بعدة بحوث قيمة لاستقصاء الجانحين مكونة من 130 ولدا و23 بنتا من أعمار متوسطها ما بين عشرة وأربع عشرة سنة، وبحثا حالات أسرهم بحثا متعمقا، كما قاما بالبحث نفسه في هذه الأسر نفسها، بين مجموعة أخرى مماثلة في العدد والنوع والأعمار للمجموعة الأولى، ولكنها تختلف عنها في أن أفرادها غير جانحين، واجتهد في أن يقابل كل حدث جانح في المجموعة الأولى شقيق له أو شقيقة في المجموعة الثانية، وقد كان الهدف من بحثه الوصول إلى إجراء مقارنة دقيقة مضبوطة بين كل اثنين يعيشان معا في أسرة واحدة، ويكون أحدهما جانحا والآخر غير ذلك، والهدف النهائي من هذه المقارنة هو تقصي بقدر الإمكان العوامل الأساسية التي دفعت أحدهما دون الآخر إلى الخروج على القانون في الـ 153 أسرة، وقد استخلص من هذا البحث

¹ إبراهيم أبو الحسن عبد الموجود ، مرجع سابق، ص 45

² خيرى الجميلي، الخدمة الاجتماعية للأحداث المنحرفين، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1994، ص ص 43 - 55

أن جناح الأحداث قد نجم عن رفض رغباتهم، وإهمالهم أو القسوة عليهم، والتحيز ضدهم ممن يعاشرونهم في محيط الأسرة، فكأنما جناح الأحداث صورة من رد الفعل لهذه الظروف السيئة التي تكتنفهم، ومحاولة تلقائية للتخلص من ضغط مشكلاتهم عليهم، ويبحث شخصيات أحداث كل من المجموعتين، وجدا أن الجناحين قاسوا من سوء الصحة، وصادفوا صعوبة كبيرة في تكوين عادات حسنة، كما أنهم كانوا قلقين وذوي نشاط زائد ومنحرفين كثيرا عن السلوك العادي، كل ذلك عرضهم لظروف سيئة لم يتعرض لها أشقاؤهم وهكذا استطاعا أن يتوصلا من بحثهما الشامل المتكامل إلى أن جناح الأحداث ناجم عن تضافر عدة عوامل يتبع بعضها بعضا، حتى في كل حالة فردية¹.

ومن أهم البحوث التي أجريت على هذا النمط ذلك البحث الذي أجراه كل من "تورود ايست" و"برسي ستوكس" و"لينج" على 4000 شاب مجرم واستوعبوا في هذا البحث الشامل كل العوامل التي يظن أنها تدفع إلى الإجرام وتشمل الصفات الموروثة والظروف الأسرية والعلاقات بين أفرادها، والدور الذي لعبته المدرسة، وعصبة اللعب، والحي الذي نشئوا فيه، وأثر العمل وظروفه، والعوامل الجسمية من عيوب وأمراض وتكوين وشكل عام، والحالة العقلية ومكونات الشخصية، وقد استنتجوا من بحثهم أن الجريمة تتجم عن عدم التوافق في ضبط الميول الفطرية، واستخلصوا أيضا أنه يجب أن يكون البيت أول محيط يربي فيه الفرد².

وعليه بنيت النظريات التكاملية ونجحت في أن تسد الفجوة التصورية في التفسير الذي تقدمه بعض النظريات الفردية، فإنما يرجع ذلك إلى أن تفسير سلوك الفرد لا يمكن أن يتم أو أن تستكمل حلقاته إلا بالنظر إلى السياق الاجتماعي الذي يحدث فيه هذا السلوك، وهذا ما التفتت إليه النظريات التكاملية. تستند هذه النظرية في تفسير السلوك الإجرامي إلى تحليل الشخصية بمقتضى منهج دينامي دعامته الاعتراف بالآثار التي تحدثها الجماعات الأولية في بناء شخصية الفرد من خلال عملية التطبيع، وكذلك إقرار بأهمية البناء الاجتماعي الذي تتم فيه هذه العملية، وهذه الجماعات الأولية تنمي في شخصية الفرد تشكيلا متميزا، بحيث تتكون الشخصية في النهاية من مجموع هذه التشكيلات النفسية، وعندما يتغلب أثر جماعة ما ويكتسب أثرها طابع العمق في تطبيع الفرد يغلب التشكيل النفسي المكتسب من هذه الجماعة على تكوين الشخصية ويقوم بتنظيم هذه التشكيلات النفسية وتحديد سلوك الفرد في المواقف المختلفة منظم الشخصية.

¹ سامية حسن الساعاتي، مرجع سابق، ص 129

² سامية حسن الساعاتي، مرجع سابق، ص 130.

خلاصة:

نستخلص مما سبق أن هناك عدة عوامل خارجية تتداخل فيما بينها لإفراز أفراد جانحين، ذوي سلوكيات تتحرف عما رسمه واتفق عليه المجتمع من سلوكيات (طبيعية)، وهذه العوامل منها ما هو اجتماعي، وما هو اقتصادي، وما هو ناتج عن تصادم مختلف الثقافات... ويتبين أنه كلما اجتمعت عدة عوامل لدى فرد ما، كلما زاد احتمال انحرافه وعليه يمكن القول أن محصلة السلوك الانحرافي لدى الفرد يعود في الأساس إلى طبيعة البيئة وأنماط السلوك الموجودة فيها مع الإلمام الكامل بكل العوامل الأخرى، سواء المتعلقة بالفرد أو المجتمع ككل وبالتالي لا نستطيع إلغاء أو التركيز على عامل وإهمال آخر.



الفصل الثالث: المداخل المعرفية والاتجاهات النظرية للدراسة العشوائيات الحضرية

تمهيد

أولاً: تاريخ نشأة المدن وتنظيمها

ثانياً: تعريف المدينة عند بعض العلماء

ثالثاً: خصائص العشوائيات الحضرية

رابعاً: الاتجاهات النظرية المفسرة لظاهرة العشوائيات الحضرية

1- النظرية الايكولوجية - المدخل السوسيوثقافي (مدرسة شيكاغو)

2- الاتجاه الانثروبولوجي

3- أرنست برجس ونظرية الدوائر المتركرة

4- لويس ويرث الحضرية كطريقة في الحياة

5- تمثلات الفقراء لثقافة الفقر

6- الهامشية الحضرية

7- البطالة والاقتصاد الهامشي

8- المقاربة السياسية

خلاصة



تمهيد:

نستعرض في هذا الفصل المداخل المعرفية والاتجاهات النظرية لدراسات العشوائيات الحضرية، بداية من الأدبيات السوسيولوجية التي تناولت المدينة أولاً في مقارنة التنظيم الحضري، ثم عرض تعاريفها ومنظوراتها عند بعض العلماء ورؤيتهم لفضاء المدينة الذي تعرض لتغيرات حضرية مست مورفولوجيتها في الخصائص والمميزات، وكيف عالجت كل نظرية أو مدخل هذه الظاهرة بداية من الدراسات الشاملة في مدرسة شيكاغو والنتائج التي طورت أو بنيت عليها باقي النظريات، وأيضاً المدخل الانثروبولوجي وباقي النظريات الأخرى الاجتماعية وصولاً للمقاربة السياسية، وكل هذا في إطار قراءة الأسباب والعوامل التي تساعد في نشوء هذه الفوضى العمرانية وكيف يؤثر التخطيط غير المنظم في خلق عشوائيات حضرية يصعب إعادة تنظيمها ، وضبط سلوكيات سكانها ونمط حياتهم وتفاعلهم بين بعضهم وفي فضاء المدينة العام.

أولاً : تاريخ نشأة المدن وتنظيماتها

1 - الاتجاه التاريخي : يشمل كتابات "جراسي ولوتش وهاريس واولمان" حيث ناقش هؤلاء العلماء الجذور التاريخية للمناطق الحضرية وطبيعتها وتنوعها وخصائصها ،حيث حددوا ملامح الثورة الحضرية المبكرة ومن بين هذه الملامح الاستيطان الدائم والمستوطنات في صورة تجمعات كثيفة وبداية العمل بالأنشطة غير الزراعية وفرض الضرائب وتراكم رؤوس الأموال ، وإقامة المباني ، وظهور طبقة حاكمة مهيمنة وتناول "فوستيل دي كلانج" تاريخ المدينة العتيقة وأرجعها إلى نفوذ الدين الحضري وعرض "لويسي ممفورد" المدينة من جهة نظر تاريخية وألقى الضوء على نموها وكبر حجمها وأشار إلى أنها تمر بمراحل ونماذج معينة وهي¹:

أ- مرحلة النشأة: ويقصد بها المدينة في فجر قيامها وتتميز بانضمام القرى إلى بعضها واستقرار الحياة الاجتماعية إلى حد ما ، وقد قامت المدينة في هذه المرحلة بعد اكتشاف الزراعة واستئناس الحيوان وقيام الصناعات اليدوية والحرفية.

ب- مرحلة المدينة: تمتاز بوضوح التنظيم الاجتماعي والإداري والتشريع وتنتشر فيها التجارة وتتسع الأسواق للمبادلة وتنوع الأعمال والوظائف والاختصاصات وتتسم بالتمييز الطبقي بين مختلف فئات المجتمع واتساع أوقات الفراغ، وظهور الفلسفات ومبادئ العلوم النظرية والاهتمام بالفلك والرياضيات وقيام المؤسسات والفنون ونشأة المدارس وعقد لقاءات المناظرات.

¹ محمد محمود عبد الله يوسف، أثر الامتداد الصناعي في المدن الجديدة على توطن السكان ، دراسة تطبيقية على مدينتي العاشر من رمضان والسادات ،رسالة ماجستير منشورة ، قسم التخطيط العمراني كلية التخطيط العمراني والإقليمي ، القاهرة ، 2008 ، ص 29.

ج- مرحلة المدينة الكبيرة: وتعرف بالمدينة الأم، ويزداد فيها عدد السكان، ويتوفر فيها الطرق السهلة المعبدة، وتربطها بالريف شبكة من المواصلات السريعة، وتهتم فيها الحكومة بتحقيق مطالب سكانها على حساب سكان المناطق الأخرى، وتتفرد بمميزات خاصة كالتجارة أو الصناعة وتنوع الوظائف وتعدد المهن والتخصص ونشأة المعاهد الفنية العليا.

د- مرحلة المدينة العظمى: وتتمثل في نشأة المدن العظمى في القرن التاسع عشر ويبدو في هذه المدن التنظيم الآلي والتخصص وتقسيم العمل، وظهور الفردية وتنتشر النظم البيروقراطية في الإدارة وأجهزة الحكم ويظهر الصراع الطبقي بين العمال وأصحاب العمل، مما يؤدي إلى تناقضات اجتماعية وفساد في الإدارة وتنتشر الانحرافات والجرائم في محيط الأحداث.

هـ- مرحلة المدينة التيرانوبوليس: وتمثل أعلى درجات الهيمنة الاقتصادية للمدينة، وفيها تعتبر الميزانية، الضرائب والنفقات من أهم الآليات المسيطرة كما تظهر المشكلات الإدارية والفيزيائية والسلوكية الناجمة عن كبر الحجم، ويشهد المجتمع حركة واسعة النطاق للرجوع إلى الريف أو إلى مناطق الضواحي والأطراف، هرباً من ظروف العيش غير المرغوبة.

و- مرحلة المدينة النيكروليوليس: ويمثل هذا النموذج الحضري نهاية المطاف في مراحل التطور التاريخي، ومع أنه لم يتحقق بعد إلا أنه آت لا محالة، عندما يصل الانحلال إلى ذروته مقترناً بأفول الحضرية وإحياء جديد للريفية.

2- الاتجاه التنظيمي: ينظر الاتجاه التنظيمي إلى المدينة باعتبارها شكلاً فريداً من النسق الاجتماعي أو التنظيم، يشمل على تطوير وسائل الاتصال والآليات الاجتماعية والسياسية بما يسمح بانتقال المجتمع من الشكل البسيط إلى صورة أكثر تعقيداً، كما أن التحضر معناه تراكم التطور والتعقد النظامي. ويحتوي هذا التعقد النظامي تاريخياً على تطور الحكومات المركزية القوية، وتطوير الأسواق المحلية، الإقليمية والعالمية وانتشار الأشكال المختلفة للتنظيمات الرسمية وغير الرسمية كالنقابات واتحادات العمال، فضلاً عن التغيرات التي لحقت ببناء وحدات التنظيم القائمة ووظائفها كالأُسرة والمدرسة والمؤسسات الدينية واتساق المكانة والتدرج الطبقي والتكامل المعياري وبناء القوة وطبيعة الضبط الاجتماعي والبيروقراطية.

ويرى عالم الاجتماع الأمريكي "ويرث" أن المدينة وحدة اجتماعية أخرى وأنه كلما زاد عدد السكان وارتفعت معدلات كثافتهم وعظم تباينهم وغير ذلك عن المظاهر الحضرية تلك التي تتمثل في ضعف

روابط علاقات الأهل، واختفاء الجيرة وانهيار الأسس التقليدية للتماسك الاجتماعي وتصبح العلاقات الاجتماعية علاقات غير شخصية وانتقالية ومؤقتة وعابرة وجزئية بما يؤدي إلى أفول العلاقات الأولية ليحل محلها العلاقات الثانوية، ويحل الضبط الرسمي محل روابط التضامن، ويمثل هذا العمران العلاقات الاجتماعية والتناقضات الصارخة، ونمط معقد من العزل، وغلبة الرقابة الاجتماعية الرسمية، وازدادت حدة الخلافات بين الظواهر¹.

وبالتالي اعتبر هذا الاتجاه المدينة بأنها عبارة عن وسط له خصائص بيئة معينة يستطيع سكانها الاختيار ضمن محددات ثقافة مرتبطة بأسلوب حياتهم، وهذا الاختيار يعكس الرغبة في تحقيق المثل والقيم والتصورات الثقافية، كما أنه سيكون مدعوما من خلال الأنشطة الظاهرة والباطنة التي يمارسها الساكنون، وأن تنوع الأنشطة والبيئات الاجتماعية والثقافية داخل المجتمع في تفكك الشخصية وزيادة معدلات الجريمة والانتحار والمرض العقلي كما ، أن التغيرات التي ترتبط بالتحضر قابلة للانتشار إلى خارج المدينة.

3- الاتجاه السيكلوجي:

يحاول أن يفسر المدينة أو المجتمع في ضوء علم النفس الاجتماعي وذلك بالتركيز على الذات واتجاهات الفرد وعواطفه ودوره في العقل الجمعي، وبمعنى آخر كيف يفسر الفرد الجماعة. وفي ضوء هذا التصور فإن الجماعات ليست موجودة فيزيقيا وإنما هي مجرد حصيلة جمع عدد من الأفراد يلعب فيها الفرد دورا أساسيا.

ويلجأ هذا الاتجاه في مجال التنمية الحضرية إلى اكتشاف الضغوط السيكلوجية ومواقف الأفراد في محاولة لفهم الظروف الإنسانية المعقدة في المناطق الحضرية على وجه الخصوص.

ومن أنصار هذا الاتجاه "جورج زيمل" الذي يوضح رأيه في مقاله بعنوان المدينة والحياة العقلية بين نموذجين من المجتمعات على أساس العلاقات السيكلوجية في كل منهما ففي المجتمع الأول ينخرط الفرد فيه تماما وفي المجتمع الثاني يحتفظ الفرد بذاتيته وفرديته على وجه القوى الاجتماعية الهائلة، بمعنى أن ساكني الحضر في حاجة ماسة إلى مزيد من الدقة والتوقيت ليتمكنوا من الوفاء بالتزاماتهم وسط الشبكية المعقدة للوظائف الحضرية، وبالتالي يشعر الفرد بالضيق نظرا للتعدد جوانب الحياة وهذه الحالة النفسية هي التي تجعل الناس يبتعدون عن الاستجابة العاطفية²

¹Louis Wirth ,Urbanism as a Way Of Life , The American Journal Of Sociology, Volume XLIV , Number 1, July 1938 , p 2 / www.jstor.org/stable/2768119. 25/02/2017 .18:00

² حسين إسماعيل علي، المؤشرات الحضرية لمدينة كلار، دراسة في علم الاجتماع الحضري، مجلة كلية الأدب، العدد 101، المجلد 02 ، 2012 ، ص761.

4- الاتجاه القيمي والثقافي (الاجتماعي)

يدرس هذا الاتجاه القيم الثقافية أو الاجتماعية كمتغير محوري عند دراسة أنماط استخدام الأرض والبنىات الحضرية الاجتماعية، وتدخل كتابات ماكس فيبر في إطار تراث هذه المدرسة أيضا فقد اعتبر قيم الإنسان الاجتماعية الثقافية المتغير المفسر على حين اعتبر البناء الاجتماعية للمدينة متغيرا تابعا. وقد تعرض كل من "ديكسون" في كتابه " مدينة الغرب الأوروبي وجونز في كتابه " الجغرافيا الاجتماعية للبلفاست" و"فون جروندام" في مقاله عن المدن الإسلامية والقيم، وأجمعوا على أهمية القيم الثقافية وتأثيرها على الإيكولوجية الحضرية ففي المدن الإسلامية تحدد القيم الدينية الأنشطة التجارية لدرجة ما فعندما ينادي المؤذن للصلاة تتوقف بعض الأنشطة وفي شهر رمضان تتغير ساعات العمل ومواقب الأنشطة اليومية، ويقر الكثير من العلماء أن القيم تتدخل في تشكيل كثير من الظواهر الاجتماعية داخل المراكز الحضرية ويرى العالم "فيري" أن تفسير مظاهر الحياة والتنظيمات الاجتماعية والإيكولوجية في المدينة تتم في ضوء القيم الثقافية¹.

5- اتجاه التطور الاقتصادي:

يمثل التحضر وفقا لهذا التطور مرحلة متقدمة من مراحل التطور الاقتصادي البشري، وبالتالي ارتبط التحضر والنمو الحضري، بحركة الانتقال والتحول والتنظيمات الاقتصادية الأكثر تعقيدا، أو بمعنى أبسط الانتقال من حالة تقوم بها الحياة الاجتماعية على أساس العمل أو الإنتاج الأولي كصيد والزراعة إلى حالة تقوم فيها الحياة على أساس العمل الصناعي والتجاري والخدمات أو هي بعبارة ثانية حالة الانتقال من اقتصاد المعيشة إلى اقتصاد السوق.

ويرى الاقتصاد الماركسي أن كل تطور في عمليات الإنتاج و أشكاله يواكبه تطور في العلاقات حتى في العلاقات الاجتماعية وعلاقات التوزيع خاصة، فلا يمكن أن يتغير شكل الإنتاج وتظل العلاقات الاجتماعية محتفظة بشكلها القديم، كما لا يمكن أن تسبق العلاقات الاجتماعية شكل الإنتاج في تطورها وتستخلص الماركسية من ذلك أن المستحيل أن يحتفظ نظام اجتماعي واحد بوجوده على مر الزمان، أو أن يصلح للحياة الإنسانية في مراحل متعددة من الإنتاج، لأن أشكال الإنتاج تتطور خلال التجربة البشرية دائما وتتطور وفقا لها العلاقات الاجتماعية².

¹ محمد محمود عبد الله يوسف، مرجع سابق ، ص32.

² نفس المرجع، ص33

أولاً: تعريف المدينة عند بعض العلماء

1. تعريف كاستلز للمدينة: يري عالم الاجتماع الاسباني "كاستلز" أن المدينة الجديدة في العصر الحالي هي مدينة مجتمع المعلومات المعاصر، التي تتميز بظهور الشبكات واقتصاد الشبكات وخاصة أن النظام الاقتصادي الرأسمالي السائد اليوم يقوم على ثورة الاتصالات العالمية ولم يعد قائماً كما كان يفكر "كارل ماركس" على الطبقة العاملة أو إنتاج السلع المادية بل إنه يقوم على التقدم في شبكات الاتصال والحوسبة التي أصبحت هي الأساس لتنظيم عملية الإنتاج.

ويذهب "كاستلز" إلى ما ذهب إليه "أنديجروف" أن فقرة عصر الانترنت تضاهي الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر وأن بنية المجتمع تتغير كلية تتراجع فيه سطوة الدولة والمخبرات فيفلت قبضتها تدفق المال وتيار المعلومات، وأوضح أن ثقافة هذا المجتمع تستمد مسمياتها من عالم افتراضي وتأثيرات العولمة بتجلياتها المختلفة أدت إلى تغيير الأسس المادية للحياة مما أدى إلى تغيير مفاهيم المكان والزمان وذلك نتيجة تشكيل فضاء للتدفقات في مجال الاقتصاد والثقافة وقد انتشرت ملامح هذا التنظيم الاجتماعي في صورته الجديدة والذي تولد عن العولمة في مختلف البلاد تماماً مثلما انتشرت الرأسمالية الصناعية في القرن العشرين التي غيرت من سمات المؤسسات وطبعت الثقافات المتنوعة بطابعها المتميز بها طبقات اجتماعية محدودة كما ولدت الفقر الذي سيطر على طبقات اجتماعية عريضة وأدكت روح الجشع في الوقت الذي شجعت فيه على التجديد وأدت الرأسمالية مع إيجابياتها المعروفة إلى فرض مصاعب لا حدود لها بالنسبة لحياة الملايين وأشاعت بينهم روح اليأس¹.

كما فضل "كاستلز" البعد الاجتماعي حينما يفسر ظاهرة التمدن وذلك بالصراع والنزاع بين الفئات الاجتماعية حول رهانات الموقع وأنه بصفة أدق يعطي الأولوية أيضاً لما هو اجتماعي، أن هذا الصراع حسبه مبني على أساس نفسي واجتماعي بالدرجة الأولى حيث يسعى الفرد في المدينة إلى تأكيد ذاته، فالمدينة هنا يمكن أن تغير ذات الفرد بكل قوة عكس المجال القروي الذي يحافظ فيها الفرد هي ذاته دون أي تغيير يذكر ولو بشكل خفي، ونعني بالاعتماد على الذات تطوير القدرات المالية وتجديد الوسائل المادية، فالمدينة ليست موقعا أو مكانا كما يفسر البيئيون، أن المدينة استهلاك جماعي رأسمالي تتجاوز الطبيعة والموارد وإنما المشكل أصبح مشكل الذكاء التنظيمي، فالحديث عن نمط عيش حضاري مصطنع ومتعدد الأبعاد ومتغير باستمرار وفق الثقافة الرأسمالية، غير أنه وعكس ما يبدو ليس الأثرىء وحدهم من يصنعون المدينة ومصيرها وإنما الفقراء أيضاً يساهمون وبشكل فعال على ذلك ويتجلى إسهامهم مثلا في

¹ محمد محمود عبد الله يوسف، مرجع سابق، ص36.

تلك الاحتجاجات فهي مظهر من مظاهر المدينة وذلك من اجل تحسين الأوضاع، أننا نكون في المدينة انطلاقاً من قيم الرأسمالية والربح والسوق، أما أهم الموضوعات السوسيولوجية التي تستثمر البحث الحضري اليوم فتتمحور حول مفاهيم عدة كالإقصاء والتهميش والانخراط والانحراف والبطالة والجريمة والإدماج وإعادة الإدماج.¹

2- تعريف ماكس فيبر: ليس للسوسيولوجيا العامة فقط وإنما لعلم الاجتماع الحضري خاصة شددت انتباه "ماكس فيبر" إلى جانب العديد من المفكرين والرواد لعلم الاجتماع على اختلاف مشاريعهم ومرجعياتهم الإيديولوجية منذ بداية الفكر الإنساني، بحيث جعلوا من إشكالية التحضر والحضرية رغم اختلافها، وما يتعلق بهما من إشكاليات فرعية كانت أم جوهرية، وأحد المواضيع المركزية التي اشتغلوا عليها، وانكبوا بالدراسة على أسبابها ومسبباتها بغية فهمها وتفهمها، عن طريق ميكانيزمات البحث وآليات التحليل إذ حاولوا تقديم طبق تفسيري علمي لها، وذلك بسبب التبدل السريع التي عرفته البلدان الرأسمالية الغربية خلال القرن التاسع عشر والذي مس جميع جوانب المجتمع الأوروبي والغربي عامة بمختلف نظمه وهياكله بسبب ظاهرتي التصنيع والتحضر وما صاحبهما، من مشاكل وقضايا تستدعي البحث والدراسة الأمر الذي جعل من المدينة بنية شطرنجية فوق مجال حضري معقد ومشعب الأبعاد يزخر بمجموعة مختلفة من التفاعلات والنظم، ومحيطا مكتنزا لجملة من الظواهر الاجتماعية المتنوعة الأسباب والتأثيرات والعصبية عن الفهم والتفهم وسبر أغوار ظواهر اجتماعية مستعصية على الفهم والتحليل كما بحث ونقب على الميكانيزمات المتحركة فيها بنوع من الحذر الاستمولوجي والتمكن النظري.

وبحيث تضمنت عناصر تعريف المدينة: ضرورة سيطرة العلاقات التجارية، وتوافر عدد من الشروط الأساسية مثل وجود الحصن والسوق والمحكمة والاستقلال الذاتي والذي أطلق عليه "ماكس فيبر" النموذج المثالي وتوجه بالدراسة والسؤال إلى المدينة من خلال فهمه لمغزاها العميق وتحليل جذورها التاريخية وكذا تحول النظم الاجتماعية الناتجة عن الحياة الحضرية لقد عرف المدينة " تحت ضوء الترتيبات الاجتماعية التي تسمح بالتطور الكامل للقدرات الفردية والتجديد الاجتماعي " هذه الترتيبات الاجتماعية والحياة الاجتماعية بصفة عامة، شكلت المدن الصناعية خلال القرن التاسع عشر أحد أشكالها والتي قد لا تكون وحدات ثابتة وصادقة للتحليل السوسيولوجي ودرس المدينة من خلال بعدين أساسيين²:

¹ بحث حول مفهوم المدينة من منظور علماء الاجتماع ، مدونة مآدبة فكر ، تاريخ التصفح يوم: 20/02/2017 الساعة 18:00
<http://ma2dobat-fikre.blogspot.com/2014/05/blog-post.html>

² إدريس الغزواني، ماكس فيبر والظاهرة الحضرية، موقع بوابة علم الاجتماع، تاريخ التصفح يوم 17/12/2016 الساعة 18:30
http://www.bsociology.com/2016/11/blog-post_92.html

-البعد الاقتصادي: ويعتبر "ماكس فيبر" المدينة كوحدة اقتصادية تنتج سلع، تبادلات تجارية وعقارية وخدماتية وذلك تنتج موارد بشرية ومالية بمعنى آخر إن ثمة منطقتا اقتصاديا عقلانيا هو الذي يتحكم في المدينة أكثر مما هو منطق يرتبط بشيء آخر، أي أننا هنا نتحدث عن المدينة في معناها الاقتصادي للكلمة، بحيث توفر للناس جميع الحاجيات الاقتصادية من سوق محلي وخدمات.

-البعد السياسي: اعتبر المدينة وحدة سياسية توجد في تفاعل دائم مع الجانب الاقتصادي من خلال تنظيم التبادل والإنتاج، واعتبر المدينة وحدة سياسية تتوفر على استقلالية ترابية وإدارية كما تتميز بنوع من التنافس على السلطة من خلال تضارب رهانات الفاعلين السياسيين على الرغم من اعتقاده بما يمكن أن يكون للمدينة من قوى ايجابية وتحرر في الحياة البشرية إلا أنه لم يعلق أمالا كبيرة على مدن القرن العشرين بل نراه على العكس من ذلك يؤكد أن مدن العصور الوسطى المحصنة والمكتفية بذاتها هي وحدها التي يمكن أن يصدق عليها صفة المجتمع الحضري الكامل، غير أن فيبر لم يكن متشائما على طول الخط وأن هناك إمكانية تحقيق حياة طيبة وأفضل في المدن الحديثة من جديد فقط إذ توفرت الشروط في النموذج المثالي " لمجتمع الحضري الكامل " ومن هنا نفهم أنه ساهم هو الآخر بوجهه أو آخر ومن موقعه في التعقيد النظري ليس فقط لسوسيولوجيا العامة، وإنما حتى لسوسيولوجيا الحضرية بشكل خاص.

3- تعريف دوركايم: يحدد أول الكتب المشهورة له تقسيم العمل في المجتمع إلى نوعين متميزين في الأجناس والأنماط الاجتماعية النمط الأول يختص بالمجتمع ما قبل الصناعي وغير المتمايز الذي يرتكز في التماسك الاجتماعي على مجموعة مشتركة من المعتقدات والمشاعر وهو ما يطلق عليه بمصطلح التضامن الآلي، والنمط الثاني هو المجتمع الصناعي والمتمايز وهو النمط المربوط بالتخصص الوظيفي ويعمل على القيام بالدور الذي كان يقوم به الإدراك المشترك في السابق ويطلق عليه مصطلح التضامن العضوي¹.

ويرى "دوركايم" أن المجتمعات الآلية المرتكزة على التماثل تؤدي الأفعال الإجرامية وكذلك العقوبات على تلك الانتهاكات تؤدي وظيفة كامنة وهي لم شمل الناس معا في حالة عامة من الغضب وتذكيرهم بالمصالح والقيم المشتركة بينهم ويشير إلى " ما يحدث وخاصة في مدينة صغيرة حين تكون فضيحة أخلاقية ما قد ارتكب للتو " يوقف الناس بعضهم البعض في الشوارع ويتزاورون ويسعون للالتقاء للحديث عن الواقعة وإثارة السخط العام، والعقوبة لا تقوم بوظيفة أو بالأحرى تؤدي وظيفة ثانوية في إصلاح

¹ ميكل تومبسون وآخرون، نظرية الثقافة، ترجمة علي سيد الصاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، دار المعرفة، الكويت، 1997، ص 212

المذنب أو ترهيب الأتباع المحتملين بدلا من ذلك فإن هذه الوظيفة الحقيقية هي الحفاظ على سرعان التماسك الاجتماعي عن طريق الحفاظ على انتشار الوعي بكل حيويته¹.

لكن في المجتمع الصناعي الحديث حيث لا يعتمد التماسك على مجموعة مشتركة من الرموز والمعتقدات، فيبدو أنه لا حاجة إلى الجريمة أو العقاب، ويصر "دوركايم" على أن العقاب يفسح المجال أمام العودة إلى الجريمة، فالإجرام حسبه ليس كامنا في الفعل ذاته ولكنه بالأحرى يحدد اجتماعيا فلا ينبغي أن نقول أن فعلا ما يصدم الضمير العام لأنه إجرامي ولكنه بالأحرى إجرامي لأنه يصدم الضمير العام، إن ما يضيفي على الأحداث الصفة الإجرامية ليس هو الطبيعة العضوية للفعل ولكنه التعريف الذي يعطيه الضمير الجمعي له وبدلا من البحث عن العقلية الإجرامية وبهذا نكتشف العقلية الاجتماعية التي تقوم بالتصنيف والتكيف والعقاب.

4-تعريف تالكوت بارسوتر: بالرغم أن الهدف الأصلي "لبارسونز" كان التوفيق بين الفعل الفردي والقيود الجمعية فإن أعماله التالية تميل لأن تفقد هذه النظرية على أنه ممثل سلبي، تبدو المعايير وكأنها تهبط من الأعلى وتتسرب بعناد إلى وعي الأفراد، وتبدو عملية التنشئة الاجتماعية وكأنها لا تترك مجالا كبيرا للاختبار الفردي إلا لتجديد النظام الاجتماعي القائم ويتم الحفاظ على النظام الاجتماعي وفقا لبارسونز²: "أن الفرد السوي يشعر بالرضا في تنفيذ الأنماط المعتمدة فعالية ويشعر بالخزي والإحباط عند الفشل، فالوحيد الذي يفسد التوازن الاجتماعي هو الفرد المنحرف الذي نشئ بأسلوب مرضي أو معيب، يستطيع "بارسونز" تعريف الانحراف على أنه: "ميل دافعي لدى فاعل نحو التصرف على نحو يتنافى مع واحد أو أكثر من الأنماط المعيارية المؤسسية" وفي هذه الحالة يفتح المجال في كل مجتمع على احتمالين اثنين فقط وهما: إما التوافق المعياري، أو الانحراف اللامعاري وإذا كانت هناك معايير متنافسة ليختار الفرد من بينهما فإن الفعل الفردي ربما سيكون على التوالي معياريا وغير متوافق ولأن نظرية الثقافة تسمح بأنماط الحياة المتنافسة داخل المجتمع فهي تستعيد الفرد النشط المفاوض بتقديم معايير متنافسة إليه ليفاوض عليها³.

5-تعريف روبرت بارك: ينطلق في أساس طرحه أن البيئة الحضرية تتميز بالتقسيم المعقد للعمل الذي ينتج عن المنافسة الصناعية وأكد أن وجود السوق وتطويره قد أدى إلى انهيار الطرق التقليدية للحياة، واستبدالها بأخري تقوم على المصلحة والوظيفية والمهنية ولكونه صحفي سابق أورد على ذلك أن أوضح

¹ ميكل تومبسون وآخرون، مرجع سابق ، ص 213

² نفس المرجع، ص 274

³ نفس المرجع، نفس الصفحة

كيف أن وسائل الاتصال الجماهيري التي تنقل المعلومات بطريقة رسمية روتينية وغير شخصية قد حلت محل شبكة الاتصال الشفوي وعلاقات المواجهة المباشرة وغيرها من وسائل غير رسمية لنقل المعلومات في المجتمع الصغير، ومنه فإن العلاقات السائدة في المدينة علاقات الجوار بالأخص تتأثر بشكل مباشر في الوسط الحضري بكل ما تفرضه الحياة الحضرية من تغيرات على كل الأصعدة ، بأن تقلص من علاقات المواجهة المباشرة وتطغي عليها علاقات اجتماعية جديدة تقوم على أساس المصلحة الخاصة وحب الذات¹.

ومع اتساع هذه المراكز يبدأ الرعيل الأول بالتحرك خارج المركز والانتشار في الضواحي متبعين طرق المواصلات التي تيسر انتقالهم من مراكز عملهم إلى مناطقهم السكنية، ومع مرور الزمن تتحول المدن إلى مجموعة من الحلقات الدائرية المتتابعة، وتكهن أنصار هذه المقاربة الأيكولوجية بانحطاط مراكز المدن وتفقرها في مرحلة لاحقة، وتوزع سكانها في شرائح اجتماعية متميزة إلى أن تعود الجماعات الأثنية والمهاجرون الجدد إلى الاستقرار في وسط المدينة في الوقت الذي سيبدأ فيه القاطنون القدامى بالانتشار خارج المناطق الوسطى².

6- تعريف لويس ويرث : يؤكد أن التضرر يمثل شكلا من أشكال الوجود الاجتماعي لا يقتصر على توزيع الجماعات في أماكن إقامتها أو عملها أو مصالحها الاقتصادية فقط، بل المدينة في جوهرها تمثل مركزا للسيطرة الاقتصادية والسياسية والثقافية ومحور تدور حوله جماعات وأنشطة متنوعة دون أن ترتبط فيها بينها بصلات أو علاقات شخصية أو اجتماعية حميمة وقد تتكون مثل هذه العلاقات في أوساط بعض الجماعات الأثنية أو المهاجرة غير أنها سرعان ما تبدأ بالتفكك والاندثار مع تزايد الكثافة والتعقيد في حياة المدينة³.

وكلما زاد المجتمع المحلي اتساعا زاد التماسك ضعفا وكذلك الحال بالنسبة لتماسك الجماعات الأولية ، ويكون ضعف هذه الجماعات نتيجة لتمايز الحياة الحضرية لأن كل منها يستوعب القدر القليل من وقته وحاجاته ومطالبه ، والمثال على ذلك أن الأفراد يعملون ويلعبون خارج الأسرة ، حتي أنها أصبحت أقل مغزى وأهمية في حياتهم ، وبالمثل فإنهم يستطيعون ترك المجاورة من أجل التسويق⁴.

¹ أنتونيو غدنز، مرجع سابق، ص 599

² نفس المرجع ، نفس الصفحة

³ نفس المرجع، ص 600

⁴ السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري بين النظرية والتطبيق مشكلات وتطبيقات، دار المعرفة الجامعية كلية الآداب، جامعة الإسكندرية،

1997، ص ص 54-55

7- تعريف دافيد هارفي: يدرج "دافيد هارفي" ظهور المدينة بالرأسمالية الصناعية حيث هيمنة على النمط الحضري حتى على القرى عكس المجتمعات التقليدية التي كان فيها التمايز واضحا بين الحضارة والقرية، هنا يدخل عامل الصناعة بشكل قوي إلى عدم إمكانية الحديث عن المدينة دون إدراج عامل الصناعة، إلى غير ذلك من مظاهر الحياة التي لم تعد في جل مناحيها، الصناعة التي غزت حتى عالم الزراعة (الفلاحة شيء وتعني أن الأسرة تنتج ما تستهلك)، وأعتبر السوق مجالا للمنافسة وتسريع وثيرة الإنتاج والدخل العلمي للإنتاج.

وتترتب عن كل ذلك تدخل الدول فيما أصبح يعرف بالتهيئة الترابية من خلال الرغبة في التحكم في المجال أي أن الدول تستنتج وتتحكم ذلك للأعضاء نوع من الاستقرار، مجموعة من الظواهر كالهجرة والإجرام، كما أن "دافيد هارفي" يعطي للبعد الاقتصادي والسياسي أهمية قصوى وينفي أهمية الماء والموقع عكس ما ذهبت إليه المقاربة البيئية¹.

كما يمثل التحضر جانبا واحدا من البيئة المستحدثة التي نشأت عن انتشار الرأسمالية الصناعية ففي المجتمعات التقليدية كان التمايز قائما بوضوح بين المدينة والريف، أما في العالم الحديث فقد أوشكت خيوط التمايز على الاضمحلال بين هذين الطرفين بفعل الصناعة أي أن الصناعة أصبحت تغزو جل المجالات والأماكن إلى حد أنه يصعب أن نجد قرية معينة خالية من التأثير الصناعي، من جهة ثانية أن الزراعة خضعت إدارتها لاعتبارات الأسعار والأرباح شأنها شأن العمل الصناعي، وبصيغة أخرى لقد أدت كل هذه الأنماط بتعبير "هارفي" إلى تقلص الفوارق بين المدينة والقرية أو الجماعات الحضرية والريفية.

وكذلك هناك رأي يعزو الإجرام إلى النمو العمراني الحضري، الذي يمتاز بالتغير الثقافي السريع، وازدياد نسبة المهاجرين من الريف إلى المدن، واختلاف الثقافات الفرعية، بل تناقضها مع الثقافة الكلية من وجوه كثيرة، وانتشار العلاقات العابرة غير الوثيقة التي لا يشعر الأفراد بالطمأنينة وراحة البال، وسيادة المعايير الخلقية المتضاربة، الأمر الذي يؤدي إلى وجود حالة من الفوضى التي تسمى باللامعيارية، وتفسر كثرة انتشار الجرائم في الولايات المتحدة في العصر الحديث، بأنها ظاهرة لازمت نمو المدن وما صحبت ذلك من انحلال وتغير للأوضاع القديمة التقليدية التي كانت تعمل على ضبط سلوك الأفراد.

¹ أنتونيو غدنز، مرجع سابق، ص 600

مما لا جدال فيه أن نسبة ارتكاب الجرائم في المدن أعلى بكثير منها في القرى، كما أن الجرائم أكثر تنوعا في الحضر منها في الريف تنشأ الحركة إلى الضواحي بنوع من التوقع مما ستكون عليه الحياة في الضواحي، فساكن الضواحي المحتمل يسلم نفسه بأسباب تبرر هذا الانتقال حيث يجب أن يبدو الانتقال بالنسبة له منطقيا وفي نطاق إطار أهدافه وإمكانياته وقيمه، ولكن ربما يكون للأسباب الخالية التي يبرر بها الانتقال " معنى " بالنسبة " للفاعل أو العمل " في إطار إيديولوجية مألوفة - فهي تعطيه إحساسا بالعقلانية متمثلا في بنية نظام العمل لديه ولكن القوى الثقافية والاجتماعية الرئيسية الغامضة هي التي تقف وراء التصور السطحي للتقسيم إلى ضواحي، فتسبب القوى الكامنة الهائلة في العملية الاجتماعية في نشأة الاتجاهات والدوافع وتقنيات الانتقال إلى الضواحي، ولذلك قد يفهم التقسيم إلى ضواحي على أنه حركة اجتماعية دوافعها الحقيقية ليست واضحة وغير مرئية أمام أعين المشتركين الفعليين فيها¹.

ثانيا: خصائص العشوائيات الحضرية

1- السمات الايكولوجية والعمرانية (الشكل الفيزيقي):

يبدو أن هناك اتفاقا ملحوظا في المؤتمرات التي تعقد بشأن الأحياء الحضرية المتخلفة حول تأثير الظروف الفيزيكية السيئة للمكان على حياة وسلوك السكان، وللحقيقة فقد عنيت المؤتمرات الدولية بمشكلة هذه الأحياء، ووجدت صدى واسعا في مؤتمر البيئة الإنسانية المنعقدة في ستوكهولم عام 1972 وكان محور البحوث والتوضيحات تدور حول أحياء العشش، والسكن غير الصحي وتلوث البيئة بالإضافة إلى قضية البطالة، وفي مايو عام 1976 عقد في فرانكفورت مؤتمر حول الظروف السيئة للمستوطنات البشرية تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة وفي عام 1988 عقدت في جامعة بيرج ورتنشتين Burg Wertenstein بالنمسا حلقة بحث عن مدن الأكوخ كنمط من أنماط الأحياء الحضرية في دول العالم الثالث².

التعريف الشائع للأحياء العشوائية بأنها تلك المناطق من المدن التي تتصف بالازدحام والإهمال والأمراض الاجتماعية والصحية والانحراف يمكن إرجاعها إلى الظروف الفيزيكية للمكان الذي يعيش فيه الإنسان، والمعروف أن هذه الأحياء بظروفها الفيزيكية تختلف من مدينة إلى مدينة أخرى، وهكذا يبدو واضحا أن الوضع الراهن للشكل الفيزيقي للسكن في هذه الأحياء يعكس طبيعة الحياة الاجتماعية للسكان فيها، وتتسم بعدد الخصائص نذكر منها:

¹ ألين إيفرنج، المدن الجديدة والضواحي، ترجمة محمد أحمد غنيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص 186

² المعهد العربي لإنماء المدن، الرياض، عدد 1986، ص 318

أ.الأمية: من الظواهر العامة شائعة انتشار بالمناطق العشوائية، وقليلون من سكانها يقرؤون ويكتبون، ونادرا ما يحصلون على أي شهادة متوسطة، ولذلك يعاني معظم سكان العشوائيات من البطالة، ويعمل أغلبهم بأعين متجولين أو في أعمال هامشية تافهة، وفي أنشطة غير مستقرة وهذا ما أكدته الدراسات حيث يتسم سكان المناطق العشوائية بالمؤهلات العلمية المنخفضة، بالإضافة إلى أنه يتوقع لهم الوفاة في سن مبكر نتيجة تعرضهم اليومي لمخاطر صحية وسكنية ومعمارية تؤثر على بقائهم¹.

ب.الهامشية: يرى "روبرت بارك" أن المهتمش هو هجين ثقافي فهو ذلك الإنسان الذي يوجد على هامش ثقافتين، وبعقلية مجتمعين في إطار بيئة ثقافية ذات عادات وتقاليد محددة، ويتأرجح ولاؤه بين مجتمعه الذي يعيش فيه بالفعل مع أفرادهم والمجتمع الذي ينتمي بجذوره إليه، وهو في ذلك عاجز عن أن يندمج كلية في المجتمع الجديد، أو أن يبقى في كنف ثقافة المجتمع الأم.

ويمكن التمييز بين ثلاث فئات للهامشية في المناطق العشوائية، هناك الهامشية السياسية: التي تتجلى في عدم إسهام الإنسان الهامشي في المنظمات والأحزاب، ولا يشارك في الانتخابات أو في نوع آخر من صنع القرار، فهو مشاهد للأحداث فقط نتيجة للضغوط الحياتية ووضعه الذي لا يتيح له إلا بالتفكير في توفير ما يفتتت به يوميا.

وهناك الهامشية الاقتصادية فتكمن في ممارسة الجماعات أنشطة اقتصادية غير رسمية واستخدامها لوسائل متخلفة مما يجعل مساهمتها في التنمية الاقتصادية واضحة في العزل عن المجرى الرئيسي لثقافة المجتمع نتيجة لاختلاف اللغة أو طريقة الحياة الهامشية الثقافية فالفرد قد لا يتكيف مع عناصر البناء السوسيواقتصادي، نظرا لتباين النسق القيمي والتوجه الاستهلاكي، وطريقة التفكير والمفاهيم العقلانية للذات والمجتمع.

ج.السكان: يبدو من اهتمامات الباحثين في الدراسات الاجتماعية والإيكولوجية لسكان الأحياء الحضرية العشوائية، أن الشكل الغالب عليها يعني بيمكانزم الهجرة والخصائص البيولوجية، والاتجاهات السلوكية، والأنماط الثقافية.

ومن الدراسات التي تناولت خصائص سكان هذه الأحياء وعلاقتها بالمكان تلك التي قام بها كل من "ستوكس، وزورباخ، وجانز"، لقد جاء اهتمام "ستوكس" بمناخ السكان وقام بتصنيفهم في نمطين²:

¹فاطمة علي أبو الحديد، مرجع سابق، ص ص 28-29

² السيد حنفي عوض، سكان المدينة بين الزمان والمكان، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1997، ص 193

الأول: الذين يعيشون في هذه الأحياء على مجرد الأمل فيمثلهم الجماعات النشطة من الذين لديهم الدافعية للحراك الاجتماعي الصاعد، يسعون إلى تغيير وضعهم الاجتماعي والخروج من نطاق الحياة المعيشية للأحياء المتخلفة.

الثاني: الذين يعيشون يائسين ومستسلمين لواقعهم الاجتماعي. فهؤلاء يعيشون على الفرص المعيشية المتاحة لهم وليست لهم طموحات في تغيير أوضاعهم، وربما يرجع ذلك إلى المستوى الاقتصادي المنخفض الذي يعيشونه، مما جعلهم عاجزين عن تخطي هذا المستوى، ومن ثم فهم مستسلمون لواقعهم ويقسم "زورباخ وجانز" سكان الأحياء الحضرية المتخلفة في أربعة نماذج¹:

- الباحثون عن أنشطة العمل من الطبقة الدنيا على أنهما من أكبر جماعات سكان الأحياء العشوائية ويتميزان بقدرات محدودة في الحياة ويتمسكان بأعمالهما الروتينية الثابتة، وأسلوب الحياة اليومي النمطي.
- فئات العمل الروتيني من غير المتوافقين اجتماعيا وهؤلاء عاجزون عن ضبط سلوكهم وكثيرا ما يتعرضون للمشكلات والأزمات الاجتماعية ومن ثم يحاولون الانسحاب من المجتمع بالإدمان والتعاطي.
- الفئات غير المتوافقة اجتماعيا وهؤلاء عاجزون عن ضبط سلوكياتهم وكثيرا ما يتعرضون للمشكلات والأزمات الاجتماعية ومن ثم يحاولون الانسحاب من المجتمع بالإدمان والتعاطي.
- فئات الصراع فهم يميلون إلى الصراع والمغامرة لتحقيق أهداف شخصية يؤكدون فيها ذاتهم وكثيرا ما يخرج بهم الصراع عن المعايير الاجتماعية وتحدي السلطة.

د. الهجرة: على الرغم من أهمية الهجرة في نمو المدن بصورة عامة سواء في الدول الصناعية أو النامية إلا أن هذا العامل يقوم على وجه الخصوص بدور أساسي في الانفجار الحضري في دول العالم النامي، الناتج عن التغير الجذري الذي لحق بتقسيم العمل في ظل خطط التنمية، والتي كان ولا يزال نزوح السكان من المناطق الريفية حيث يسود الرعي والزراعة اليدوية إلى المناطق الحضرية، حيث تسود وظائف القطاع العام إلى جانب بعض الوظائف الصناعية والمهن الحرة، ومركزية المؤسسات المالية والتجارية والصناعية، ومن المسلم به أن نمو المدن السريع في الدول النامية يعكس الهجرات الواسعة لسكان الريف نتيجة التخلف الاقتصادي والبطالة التي يعيشها هؤلاء السكان ويسعون إلى المدينة للبحث عن فرص العمل، حيث يعيش جزء كبير من العاطلين على حساب دخول الصدفة أو التسول أو العمل في المجالات الرثة كالباعة الجائلين وصغار الحرفيين الذين يعيشون على حافة الفقر².

¹ السيد حنفي عوض، مرجع سابق، ص 193

² نفس المرجع، ص 197

تميل الدراسات الإيكولوجية الحضرية إلى تأكيد الدور الذي تلعبه الهجرة في وضع اليد على أرض المدينة، وما يترتب عليها من نمو الأحياء الحضرية العشوائية في كثير من مدن العالم، خاصة مدن العالم الثالث، وتتجه الهجرة إلى هذه الأحياء نتيجة عدد من العوامل الاضطرارية المرتبطة بالصراعات والاضطهاد والحروب الكساد، وفي نفس الوقت تعد هذه الأحياء بمثابة محطات وصول لأقارب المهاجرين الذين سبق لهم التوافق والتماثل في هذه الأحياء، واستطاع البعض منهم تحقيق حراك اقتصادي واجتماعي ويبدو في هذه الأحياء نماذج متنوعة من أشكال الهجرات ذات خصائص إقليمية وعرقية ودينية، متعددة الثقافات وهي في كل الأحوال أي تساعد المهاجرين وتهيئتهم لثقافة المجتمع الحضري.

وفضلا عن ذلك فإن بعض المهاجرين استطاعوا من خلال جهود نشطة تحقيق مكانة وحراك اجتماعي صاعد، دفع البعض الآخر من أقاربهم وبلدياتهم إلى محاولة محاكاتهم والانتقال إلى المدينة، واتخذوا من الأحياء العشوائية أماكن سكنية ومجالا لأنشطتهم الاقتصادية.

ويصف بعض الدارسين سكان أحياء واضعي اليد بالهامشية ويذهب "جيلبرت جوجلر" إلى أن الهامشية تعد مصطلحا متداولاً، يعبر عن العلاقة بين سكان مدن الأكواخ بالأحياء المتخلفة والعشوائية، والمجتمع الأشمل (المدينة) ويستخدم بمعنى الهامشية الثقافية للمهاجرين، فالمهاجرون من سكان مدن الأكواخ في أمريكا اللاتينية يتوافقون مع معايير القيم السائدة بينهم، ويبدو هذا التوافق من الجهود المشتركة في بناء المساكن، وفي التنشئة الاجتماعية التي تتمشى مع معايير المجتمع، وعلى ذلك فهناك نظرة تختلف للهامشية القروية في الإطار الاقتصادي، إذ يعتبر المهاجرون أساساً من الريفيين الذين يعانون الفقر نتيجة التحولات الاقتصادية من الزراعة إلى الصناعة، وهو ما أدى بهم إلى البطالة والدافعية إلى الانتقال إلى المجتمع الحضري الصناعي للبحث عن فرص العمل، ونتيجة للصعوبات التي يواجهونها في المرحلة الأولى من هجراتهم يجدون من وضع اليد على أرض الدولة وإقامة مساكن عليها، هو الطريق الأمثل لإيجاد مأوى إقامي يسكنون فيه¹.

¹ السيد الحسيني، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، القاهرة، 1980، ص176.

هـ. العزلة الاجتماعية: يقصد بالعزلة الاجتماعية اتجاه قطاع من السكان في المدينة إلى السكن والعمل في بيئة اجتماعية معينة يتحقق لها نوع من الحياة التي ارتضاها لهم المجتمع والتي تتفق مع القيم الاجتماعية السائدة فيه، وعادة ما تشترك هذه الجماعة مع بعضها البعض في الموطن الأصلي أو الديانة أو الخلفية العرقية والقبلية أو المهنة بحيث تشكل هذه المجموعة الأغلبية بين سكان أحياء المدينة، بصرف النظر عن المستوى الاجتماعي والاقتصادي لهذه الأحياء فالعزلة تعتبر إحدى العمليات الإيكولوجية التي تصاحب التنظيم الاجتماعي للمدينة كالهجرة والغزو العمراني والتتابع، هذا وقد ميز بعض الباحثين بين مظهرين للعزلة وهما العزلة الفكرية والمذهبية، والعزلة المكانية الاجتماعية¹.

وتشير الشواهد أن العزلة تظهر بصورة أكثر وضوحاً في المدن التي تنتشر فيها الأحياء العشوائية والمتخلفة والتي ينتمي معظم أهلها إلى المهاجرين من الريف والمناطق المتخلفة إلى المدينة وذلك لأسباب مختلفة، مما قد يؤدي بالأفراد في تضارب الأهداف والمصالح والقيم، وهذا يؤدي بالضرورة إلى اتساع الفجوة بين الأفراد مما يساعد على انتشار العزلة، وفي بعض الأحيان قد يعاني بعض الجماعات المنعزلة من الاضطهاد كالزواج في الولايات المتحدة، فهناك مناطق تعرف بالمناطق السوداء يقطنها الزوج حيث الاختلاف في المناطق السكنية يعد أمراً غير مرغوب فيه بالنسبة للعناصر البيضاء. والواقع أن العزلة تتشكل بتشكل ظروف الجماعات والمجتمع فقد تكون طوعية أو إجبارية أو مرفوضة، فالطوعية تنشأ عندما يرغب الفرد بمحض إرادته أن يعيش مع آخرين ينتسب لهم صلة اجتماعية، ويعتزل الذين يختلفون عنه لاعتبارات يراها جوهرية، والدوافع وراء ذلك تختلف باختلاف الأفراد والجماعات وطبيعة البيئة.

و. السلوك الإنحرافي: حاول عدد من علماء الاجتماع والسلوك الإجرامي على تأكيد العلاقة بين سكان الأحياء العشوائية (المتخلفة) والانحراف، على اعتبار أن السلوك المنحرف هو نتيجة لمجموعة القوى الثقافية التي ينطوي عليها هذا المجتمع السكاني، ومن المعتاد لهؤلاء العلماء أن يربطوا بين السلوك الانحرافي - الإجرام - ومعدلاته في هذه الأحياء، ففي المسح الذي قام به "هنتر" في بعض الأحياء الحضرية المتخلفة ومدن الولايات المتحدة تبين أن 50% من كافة المقبوض عليهم من المنحرفين الذين يعيشون في هذه الأحياء، كما أن 45% من الجرائم الكبرى التي يتم الإبلاغ عنها مسرحها هذه الأحياء، وأن 45% من جرائم الأحداث تقع في هذه الأحياء، وفي دراسة استغرقت سبع سنوات في الأحياء المتخلفة في مدينة شيكاغو، اتضح منها أن الجرائم البسيطة والانحراف والاضطراب العقلي بصفة عامة

¹ عبد المجيد عبد الرحيم، علم الاجتماع الحضري، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 1976، ص 182.

الفصل الثالث: المداخل المعرفية والاتجاهات النظرية للدراسة العشوائيات الحضرية

والانفصام في الشخصية بصفة خاصة، والانتحار والبغاء ووفيات الرضع، وارتفاع معدلات الوفاة والمرض، تتركز كلها في الأحياء الحضرية المتخلفة¹.

ولقد أظهرت دراسة أجريت عام 1969 في الأحياء الحضرية المتخلفة بمدينة ميلودكي تشير إلى أن نسبة سكان هذه الأحياء بالنسبة لسكان هذه الأحياء بالنسبة لسكان المدينة تمثل نسبة 17.3% ومن بين هذه النسبة يتم القبض على 38% من لصوص المدينة، 69% من عمليات الاعتداء الخفرة، 47% من أعمال الاعتداءات البسيطة، 60% من الجرائم، 72% من قضايا الغش، 22% من المتعاطين، 67% من المدمنين، وفي أحد الأحياء المتخلفة في مدينة كليفلاند يضم 2.5% فقط من مجموع سكان المدينة، تبين أن هذا الحي مسؤول عن 6.8% من حوادث الانحراف في المدينة، 21% من جرائمها، 26% من أماكن ممارسة البغاء، وفي دراستين مستفيضتين عن ارتكاب الجريمة في الولايات المتحدة إحداهما في مدينة هيوست والثانية في مدينة فيلادلفيا تبين أن الجرائم تركزت في الأحياء المتخلفة للطبقات الدنيا بنسبة أعلى من الطبقات الأخرى².

الحقيقة التي ينبغي إن نؤكد لها أن موجات الحراك السكاني تعد من أهم العمليات الاجتماعية الحضرية التي عرفت في مدرسة الأيكولوجيا الإنسانية "بعملية التعاقب" (Succession Process) التي تعكس تفسير البناء الاجتماعي للأحياء نظرا للضغوط التي تمارسها عمليات الهجرة على الأحياء القديمة الواقعة على مقربة من المراكز التجارية للمدينة، مما يتسبب عن تلك العمليات انخفاض المستوى العام للأحياء المتعرضة لتلك الضغوط، ويجعلها وكرا للعديد من المشاكل الاجتماعية، ومسرحا للعديد من الجرائم والسلوكيات المنحرفة.

ومن الخصائص السكنية التي كشفت الدراسات الميدانية عن أهميتها في دراسة الجريمة ما يتعلق بنوع المنزل وبمستواه الكيفي أو النوعي، فقد أفادت العديد من الدراسات بأن معدلات الجريمة وعلى وجه الخصوص جرائم الملكية تختلف في الأحياء باختلافها، من هذه الناحية فقد لاحظ "ريبينو" أن المساكن العائلية المستقلة أقل تعرضا لجرائم السرقة مقارنة بالشقق، كما وجد أن العمائر ذات المداخل المحصورة يقل تعرض شققها للسطو مقارنة بالعمائر ذات المداخل غير محكمة المداخل أو المفتوحة، هذا وقد صنف "ريبينو" جماعات الجوار في مجموعة من المستويات وفقا لمدى التعرض لجريمة السطو، وقد وجد أن أقل جماعات الجوار تعرضا لهذا النوع من تلك الأحياء التي ترتفع فيها نسبة العمائر ذات المداخل المحصورة

¹David Hunter, *Slums Challenge and Response*, New York Free Press 1964, p71

² السيد حنفي عوض ، مرجع سابق، ص 209

يقطع النظر عن المتغيرات الأخرى كالعشوائية، الدخل، الموقع يأتي بعدها المساكن الواقعة في أطراف المدينة، أما جماعات الجوار التي تعاني إلى حد كبير من جريمة السطو فهي التي تسكن الأحياء الواقعة في وسط المدينة نظرا لسهولة ارتكاب الجريمة في تلك المناطق¹.

كما لاحظ "هاريس" وآخرون 1980 أن جماعات الجوار التي ترتفع بها نسبة المساكن متعددة الأسر أو المساكن التي يقيم فيها شخص واحد تسمح بانتشار أو الكيفي للمساكن ذو تأثير هام في توزيع الجريمة في الأحياء السكنية، فقد لاحظ "شو ومكي ولاندر" على سبيل المثال وجود علاقة إيجابية بين انتشار الجرائم في الحي وبين انتشار المنازل ذات المستويات السكنية الريفية المتعلقة بحجم وكثافة السكان أو تلك المتعلقة بالجنس أو العمر ونحو ذلك، الأمر الذي يعني أهمية هذه المتغيرات في فهم وتفسير هذه الظاهرة².

ويذكر "تايتل" أن نظرية الثقافة الفرعية تتميز بقدر خاص من الأهمية مقارنة ببقية المداخل النظرية، لأنها تفسر علاقة حجم المكان بمعدلات الجريمة والانحراف من خلال زيادة الإغراء والحوافز اتجاه السلوك الشاذ بين سكان الأماكن الكبرى، أما بقية المداخل فإنها تفترض وجود بواعث وحوافز انحرافية، وتركز بدلا من ذلك على عوامل أخرى في البيئة الحضرية التي تجعل الأمر أكثر احتمالا للتعبير عن تلك الحوافز بالسلوك الانحرافي والإجرامي.

ومن المتغيرات الديموغرافية التي أشارت الدراسات إلى أهميتها في فهم اختلاف الوحدات المكانية في معدلات الجريمة كل ما يتعلق بالكثافة السكانية والازدحام، فقد أفادت عدد من الدراسات الميدانية إلى حد كبير بوجود علاقة إيجابية بين الكثافة السكانية وبين معدلات الجريمة والانحراف بصورة عامة، إذ لاحظ "شو ومكي ولاندر" وآخرون أن جماعات الجوار التي ترتفع فيها معدلات الانحراف والجريمة بصورة عامة تتميز بكثافة سكانية مرتفعة، وتجدر الإشارة هنا إلى ما توصل إليه "رونسيك" إلى أن الكثافة السكانية إما ذات تأثير إيجابي ضئيل أو ليس لها تأثير على الإطلاق كما ذكر أن الازدحام المقاس من خلال عدد الأشخاص لكل غرفة سكنية أقوى علاقة بالجريمة، من الكثافة السكانية ومع هذا فإن تأثير الازدحام على الجريمة يضعف عند ضبط المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والمتغيرات الثقافية³.

¹ السيد حنفي عوض، مرجع سابق، ص 210

² نفس المرجع، ص 213

³ نفس المرجع، ص 215

ثالثا: الاتجاهات النظرية المفسرة للظاهرة العشوائيات الحضرية

1- الحتمية الإيكولوجية والمدخل السوسيو - ثقافي (مدرسة شيكاغو): مدرسة شيكاغو المعروفة باسم المدرسة الإيكولوجية الاجتماعية والإنسانية تهتم بمعنيين وهما: الأول: علاقة الفرد ببيئته والثاني: علاقة الجماعة ببيئتها¹، وترجع نشأة هذه المدرسة إلى مجهودات وأبحاث كل من "بارك وبرجس" وتعني بوجه خاص بالظواهر الاجتماعية والثقافية المتصلة بمركز التجمعات الحضرية العشوائية، كما تعني بدراسة العلاقات والعمليات الاجتماعية التي تتخذ صور التنافس، التعاون، التخصص، المركزية، اللامركزية في الإدارة المحلية والطبقات الاجتماعية ونظم الملكية، مما يميز البنية الاجتماعية في المجتمعات الريفية والحضرية، أما "زيميل" فيري أن المدينة مجال للغرباء ولكي نعيش بها يجب أن تكون علاقتنا سطحية مع الآخرين أين تعدد الأدوار ويكون الأمر ضروريا، أما "ماكنزي" فقد اعتبر المدينة عنصر مذوب للهويات المبنية على التعامل العرفي أين تعمل على استبدالها بأخري مجالية قائمة على التعاملات الرسمية، ويعتبر رواد مدرسة شيكاغو أن الإيكولوجيا البشرية فرع من فروع الإيكولوجيا، لكن موضوعها الإنسان يثير جملة من الصعوبات الخاصة على خلاف الكائنات الحية الأخرى، حيث يتمتع الكائن البشري بالإرادة والقدرة على خلق الثقافة، والتصرف في المواقف المختلفة، ولقد رتب رواد هذه المدرسة على ذلك قضية أخرى مؤداها أن الإيكولوجيا البشرية، لا تقتصر على العلاقات البيولوجية لكنها تتسع لتشمل أيضا الحالات والمواقف التي تخلقها الثقافة.²

وقد أحدثت مدرسة شيكاغو تطورا ملحوظا في الدراسات الحضرية، وأخذت هذه الدراسة تتجه نحو التكامل بصورة واضحة، بفعل أعمال "روبرت بارك، ولويس ويرث، وارنست برجس، وروبرت رد فيلد" ويمكن القول: أن الأفكار الرئيسية لهذه المدرسة كانت تتمركز حول الإجابة عن السؤالين هما: ما هي القوى غير الاقتصادية التي تعمل على خلق ثقافة المدينة؟

ويميل رواد هذا الاتجاه في تخطيطهم وتشخيص المشكلات وتحديد البدائل لحلها، إلى التركيز على عدد من النقاط نذكر منها: التقليل من الكثافة العالية والتضخم الحضري، التخفيف من شدة الازدحام، إعادة توزيع المجال المفتوح، مراقبة الانتشار والامتداد الحضري غير المنظم أو المتسق، تنظيم موقع الصناعة والتنمية، التقليل من معدلات التلوث، التقليل من الإسكان المتهدم والمتخلف، عدم تشجيع زيادة أكثر في السكان والصناعة في المراكز الحضرية الكبرى... الخ.

¹ غريب سيد أحمد والسيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الريفي والحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص 187

² إسماعيل قيره، الإشكاليات النظرية والواقع، مجتمع المدينة نموذجا، منشورات جامعة منتوري قسنطينة 1999، ص 18.

وهناك شواهد واقعية توضح ازدهار التخطيط الحضري في الولايات المتحدة، فإلى جانب برامج ومخططات المدن الجديدة، وضعت تصميمات ونفذت لما يسمى بضواحي الحدائق Garden suburbs التي لا تتطلب أن تكون مثل الأولى (المدن الجديدة) مجتمعات محلية كاملة، كما أنها قد لا تتضمن أماكن العمل، الأحزمة الخضراء، التنوع الطبقي، والواقع أن هذا التصور يستند إلى أفكار "هوارد" و"إبنزر" عن المجال المفتوح، الترويح، والكثافات المنخفضة، وهناك دلائل متنوعة تشير إلى عدم خضوع كثير من مدننا لطرق وإجراءات التخطيط الحضري وهي:¹

- عدم الانسجام والتناغم في الأشكال الهندسية التي لا تأخذ بعين الاعتبار التقاليد والقيم، طبيعة الأسرة وحجمها.
- غياب المساحات الخضراء والمنتزهات وأماكن الترويح وقضاء أوقات الفراغ.
- وضع العمارات الإسمنتية ورصها دون مراعاة للعلاقات، التفاعل الجيرة، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع معدلات الكثافة والاحتفاظ، وقد ساعد هذا الوضع على تحول الأحياء السكنية إلى ملاعب، ومواقف للحيطيست، انتشار الفساد، السرقة، الاعتداء، الشعور بعدم الأمن، انتشار المخدرات، وكل الأمراض الاجتماعية التي عمقت من جذور ثقافة الفقر وانتشارها، وقد استخدم "شميت" مجموعة من المتغيرات والإجراءات لقياس الباثولوجيا الاجتماعية في ارتباطها بالكثافة: معدلات الوفيات، معدل وفاة الأطفال، الانتحار، الأمراض الصدرية المزمنة (السل)، الأمراض التناسلية، الأمراض العقلية، المواليد غير الشرعيين، انحراف الأحداث، الاعتقال.
- تعدد درجة التزاحم أو الاحتفاظ (عدد الأفراد في الغرفة) الأكثر تعبيراً عن الكثافة.
- تتميز الأحياء السكنية الإسمنتية بانتشار الأوساخ، الحفر، تهمد الطرقات والأرصفت، الأتربة، الوحل، الروائح الكريهة المنبعثة من أسفل العمارات، المياه القذرة، الحشرات، الحالة السيئة لمجاري المياه والصرف الصحي... الخ.
- سوء التوزيع المساحي والجغرافي للأنشطة والخدمات والجماعات الاجتماعية، وهدر الأرض الحضرية، سوء استغلالها وبناء الأحياء السكنية الجرداء من محيطها الاجتماعي الطبيعي.
- ارتبطت الأحياء السكنية التي تجمع في أساسها كل شرائح وفئات المجتمع بتدعيم الثقافة الشعبية، العنف اللفظي، الصراعات والنزاعات ذات الأسباب التافهة، سيران الإشاعة و" القال والقليل"،

¹ إسماعيل قيرة، أي مستقبل للفقر في البلدان العربية، مخبر الإنسان والمدينة، دار الهدى للنشر والتوزيع، جامعة منتوري قسنطينة، 2005،

انتشار الأنشطة غير الرسمية وغير المشروعة، مثل السطو والسرقة، إنه حي يحمل في رحمه ثقافة القرون المتعاقبة - المكرسة للتخلف وتحكم السماسرة والمغامرين وتجار السياسة. ويطرح أنصار هذا الاتجاه قضية أخرى هي إمكانية تقسيم البيئة إلى ثلاثة عناصر ومكونات هي: الفيزيائية، الثقافية، التنظيم الاجتماعي.

ففي الحالة الأولى ترتبط البيئة الفيزيائية بالأمراض الاجتماعية سواء التكيف النفسي، الفوضى البيولوجية، في حين يعكس التنظيم الاجتماعي، تكرار الأنماط المنظمة نسبيا من التفاعل الاجتماعي بين أفراد جماعة ما، ولذا فإن فهم الكيفية التي تستخدم بها جماعة ما بيئتها، يتطلب تحديد أنماط تفاعلها، ونتيجة لذلك يبدو أن تحقيق الأهداف الاجتماعية لتخطيط منطقة حضرية معينة، لا ينحصر في تصميم البيئة الفيزيائية فقط (المجال، الكثافة، الموقع، المساحة الخضراء... الخ)، وإنما أيضا في الأفراد، أنماط التنظيم الاجتماعي، الإدارة المتواجدة في تلك البيئة، وهذا يعني أن تغيير البيئة الفيزيائية يعتمد على الأشكال الرسمية وغير الرسمية للتنظيم الاجتماعي.

وبرغم ذلك كله استطاع الاتجاه السوسيو - ثقافي أن يشق طريقه ساعيا إلى تحقيق مزيد من الذاتية والاستقلال، ومن أجل ذلك يرى رواده أن القيم، المعتقدات، والمعايير تختلف في ما بين الثقافات والثقافات الفرعية، وعليه فإن أولويات التخطيط لا بد أن تكون في اتساق وتناغم مع ثقافة الجماعة.

وإذا كان الاتجاهان السابقان يشكلان طرفي متصل التخطيط فإن المحاولات الحديثة سعت إلى الجمع بين التخطيط الفيزيقي والتخطيط الاجتماعي (خلق أنماط سلوكية ملائمة، خلق قيم جديدة، المحافظة على القيم المرغوبة في الحياة الحضرية، وسائل إشباع الحاجات، أسلوب تحقيق التكامل الاجتماعي بين السكان)¹، من أجل توجيه وضبط المشكلات المتعلقة بالهجرة، الإسكان، الصرف الصحي، النظافة المرور، التلوث، المناطق الخضراء والفضاء، النوادي والمنتزهات... الخ، ومن هنا يمكن فهم المحاولات العديدة التي تبذل لتخطيط البيئة الحضرية من خلال المزج بين الجوانب المادية والعلاقات الإنسانية، من أجل إيجاد البدائل والحلول الملائمة للمشكلات الحضرية الآخذة في التراكم والتعقد.

2- الاتجاه الانثروبولوجي: يعتمد هذا المنهج على عدة مسارات لفهم وقراءة الفئات الحضرية المهمشة في البلدان المتخلفة وضرورة التأمل في واقعها داخل النسيج الاجتماعي من خلال تصورات مغايرة، والجدير بالذكر أن أنصار المدخل التقليدي يركزون على الهجرة، التكيف، دراسة الفلاحين المقيمين في

¹ إسحاق القطب وعبد الإله أبو عياش، النمو والتخطيط الحضري في دول الخليج العربي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ص ص 204 -

المدينة في حين يركز أنصار مدخل المشكلة الرئيسية على الأحياء المتخلفة، التدهور الحضري، الأقليات العرقية، أنماط السلوك الانحرافي... الخ

وضمن هذا الإطار حاول بعض الباحثين دراسة فقراء المدن من خلال أنماطهم السلوكية الخاصة وتصرفاتهم الفردية لحل مشاكلهم، دون الاهتمام بالعمليات الكبرى التي تحدث على المستويين الوطني والعالمي في تشكيل ظاهرة الفقر الحضري حيث كشف "راين واثر" بأن الطبقات الاجتماعية هي التي تحدد وتنمط السلوك الذي يتعلمه الفرد في بيئته بأبعادها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وأنماط سلوك أفرادها، ومن أهم الدراسات في هذا المجال نجد "هلمان، لويس، ومانجن، جون ترنر" والتي أكدت على ضيق مجال الدراسات التي تناولت الفقر الحضري وشبكة العلاقات الاجتماعية الرابطة للفئات الدنيا، إلا أن الاهتمام الانثروبولوجي بواقع تلك الفئات قد فشل في ربط المشاكل الجزئية للفقراء والمهشمين مثل: البطالة، المرض، انحلال بناء الأسرة بالظواهر الاجتماعية الكلية (العمالة والتراكم) وهنا يبدو واضحا تجسيد الارتباط الواقعي لمظاهر الفقر الناجمة عن مشاكل العمالة¹.

وبناء على ما تقدم يتضح بأن دراسة الواقع للفقراء ينطلق إما من الوضع البنائي النسقي الكلي للمجتمع أو من السمات النموذجية لتقافة الفقر والسمات المشتركة بينها وبين ثقافة المجتمع، رغم أن الشواهد الواقعية أثبتت أن الانثروبولوجيا قد لعبت دورا كبيرا في الاهتمام بواقع الفئات الحضرية المهمشة كالأسرة الفقيرة في المناطق الحضرية المتخلفة ودراسة المجتمعات الفلاحية.

3- أرست برجس ونظرية الدوائر المتركرة: قدم "برجس" إسهامه في كتاب "نمو المدينة" مدخل لمشروع بحث الذي ضمنه دراسته المعروفة عن أنماط النمو وتركيب الوظائف في مدينة شيكاغو *chicago* وقبلها عرض وجهة نظر "برجس" في إيكلوجيا المدينة، ويتعين الإشارة إلى أن برجس كان مهتما في الأصل بتطوير النظرية الإيكولوجية، ولكي يقيم هذه النظرية حاول وضع نموذج ووصف بياني للطريقة التي تنمو بها المدينة وتنظيمها المساحي، مستخدما في ذلك خريطة إيكلوجية لمدينة شيكاغو كأساس لبحثه، ثم أكد برجس بعد ذلك فكرة أساسية هي أن خمس حلقات أم نطاقات متناقصة ومتحدة المراكز، وهذه الحلقات هي: منطقة الأعمال المركزية (م.أ.م)، المنطقة الانتقالية أو التحول، منطقة سكن العمال، منطقة سكنية أفضل، السفر اليومي أو الضواحي وتفصيلها هو² :

¹ إسماعيل قيرة، من هم فقراء الحضر، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 205، بيروت لبنان، 1996، ص 63

² إسماعيل قيرة، الإشكاليات النظرية والواقع، مرجع سابق، ص 20.

أ. منطقة الأعمال المركزية (م.أ.م): قسم "برجس" المدينة إلى خمس مناطق متتابعة أطلق على أولها منطقة الأعمال المركزية، تقع هذه المنطقة في مركز التوزيع الإيكولوجي للمدينة وتشكل النواة الحيوية اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا فهي ملتقى طرق للمواصلات، وأكثر أجزاء المدينة كثافة، وتكثر فيها المسارح ودور السينما، والمتاجر المتخصصة والفنادق الكبرى والإدارات، والمكاتب التجارية والبنوك.

ب. المنطقة الانتقالية أو التحول: يؤدي التوسع والنمو الذي تتعرض له منطقة الأعمال المركزية إلى تعرض المنطقة الانتقالية (وهي المنطقة الثاني التي تحيط بالأولى) للتغير المستمر، وتتميز بالكثافة السكانية العالية، والانخفاض الملحوظ في الدخل الفردي، وانتشار الأمراض الاجتماعية كظهور التفكك الشخصي والاجتماعي، كما يسودها أحوال سكنية متدهورة، حيث تكثر الأكواخ والمنازل القديمة، وتنتشر مخازن السلع والبضائع والمصانع، والغرف المفروشة للإيجار، وملاهي الراقصات المأجورات ودور الدعارة، ومؤسسات القمار.

والجدير بالإشارة أن هذه المنطقة يسكنها على الخصوص الأقليات العنصرية والأثنية المهاجرون الجدد، الأفراد بدون مأوى، العاهرات والهامشيون، وبسبب أن السكن والمهن التي توجد في المنطقة الانتقالية مرفوضة اجتماعيا وتوصف عادة بالانحلال والفساد الخلقي والفيزيقي.

وحسب نظرية برجس فإن المنطقة الأولى (م.أ.م) تمتد فيزيقيا من خلال عمليتي الغزو والاحتلال على حساب المنطقة الثاني التي تتوسع وتغزو هي الأخرى المنطقة الموالية.

ج. منطقة سكن العمال: يقطن هذه المنطقة العمال ذوي الياقات الزرقاء وأصحاب المهن الكتابية وأطفال المهاجرين، ولكن الشيء الواضح مع ذلك هو أن قاطني المنطقة الثالثة لهم تطلعات لتحسين مستوى معيشة أطفالهم ودفعمهم لصعود السلم الاجتماعي (الحراك)، وبالإضافة إلى ذلك يقر العديد من المهاجرين في المنطقة الثانية (المنطقة الانتقالية) انتمائهم إلى الفئات الاجتماعية الهامشية، ومن ثم يحاولون حالما يندمج أطفالهم في الثقافة الأمريكية الانتقال من المنطقة الثانية إلى المنطقة الثالثة.

د. منطقة سكنية أفضل: تتضمن هذه المنطقة مساكن الأسرة الواحدة وأحياء الأعمال المحلية ذوي الياقات البيضاء وأصحاب المهن وصغار المنظمين.

هـ. منطقة السفر اليومي أو الضواحي: تقع منطقة السفر اليومي خارج حدود المدينة، وتمثل منطقة سكنية لذوي الدخل المرتفعة، كما يمكن أن تكون مقرا لبعض الأحياء المتخصصة، تتكون منطقة السفر اليومي إذن من الطبقات العليا والعليا وسطى كما أن معظم سكانها من اللذين يقومون برحلة العمل

اليومية، وعلى أية حال فقد أوضحت محاولة برجس أن المدينة تنمو وتتوسع منطقة الأعمال المركزية يؤدي إلى غزو الثالثة، وفضلا عن ذلك أوضح برجس أنه كلما ازدادت المسافة عن مركز المدينة، كان هناك ميل نحو زيادة أحجام القطع الأرضية وانخفاض في الكثافة التملك¹.

4- لويس ويرث الحضرية كطريقة في الحياة: لا نكاد نجد كتابا تناول دراسة المدينة أو الحياة الحضرية إلا وتعرض لنظرية "لويس ويرث" سواء بالقبول أو الرفض أو بالتعديل، ويرجع ذلك لمحاولاته الوصول إلى مقياس مقبول وواقعي، لتمييز أنواع وأنماط من الحياة الاجتماعية التي ينطوي عليها المجتمع الحضري، وجدوى أنها يمكن أن تكون مدخلا مناسباً يتبنى وجهة نظر علم الاجتماع، ويتغلب على الصعوبة الكامنة في تعدد المداخل أو المقاييس التي كان يدرس من خلالها علماء الاجتماع الحضري المدينة، أو يحلوا في ضوئها ديناميت الحياة الحضرية².

واهتم في مطلع نظريته الكشف عن صور الفعل الاجتماعي والتنظيم الاجتماعي، التي تظهر في المدن بوجه عام، واعتقد أن مثل هذه الصور يمكن نسبتها منطقياً إلى الحجم المتزايد لضخامة المدينة، وإلى كثافة السكان وعدم تجانسهم، إلا أنه تجنب اعتباره هذه الخصائص بمثابة العوامل التي يمكن أن تؤدي إلى نتائج مباشرة تطبع حياة المدينة بطابع خاص، يميزها عن أي طابع لأي تجمع إنساني مختلف واكتفى في هذا الصدد بأن الحجم الكبير والكثافة العالية لسكان ولا تجانس حياتهم الاجتماعية المنظمة إنما تؤدي إلى مجموعة من القضايا يمكن أن تصلح لتحليل حياة المدنية أو الحياة الحضرية بوجه عام. ويمكن تلخيص هذه القضايا على النحو الآتي³:

- الروابط السطحية والضعيفة للمدينة: هذه الروابط التي تربط سكان المدينة بعضهم ببعض ذات صلة وثيقة بنموها وتباين سكانها وقد توصل إلى ذلك ويرث من مقارنة سكان المدينة الذين يتعرضون لتجديدات وتغيرات اجتماعية مستمرة، تؤدي إلى تغيير وتعديل انتماءاتهم الثقافية، بسكان القرية الذين يستطيعون أن يعيشوا دون أي تغيير يذكر في ظل تراث ثقافي مشترك، ويعتقد "ويرث" أنه نتيجة لهذا التباين بين سكان المدينة، فإن الضبط الاجتماعي وخاصة في جوانبه الرسمية يصبح ضرورة ملحة من أجل الوصول إلى وحدة نسبية في السلوك بهدف فرض التراث المشترك، ويمكن الوصول إلى ذلك عن طريق الفصل الفيزيائي بين الجماعات المتباينة التي تكون مجتمع المدينة، إذ تم هذا فإن فرص التفاعل مع

¹ إسماعيل قيره، الإشكاليات النظرية والواقع، مرجع سابق، ص 21.

² محمد عاطف غيث، نظرية علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1990، ص 11

³ نفس المرجع، ص 14

من يختلفون عنهم، وإذا كانت التفاعلات النهائية هي اكتساب سمات وخصائص جديدة أتاحت الفرص لظهور مناطق متجانسة نسبيا داخل المدينة ترتبط بعضها ببعض بروابط من أنواع متعددة ومختلفة¹.

- **الحجم وتأثيره على العلاقات:** كلما نما حجم المدينة قل احتمال معرفة الفرد ببقية سكان المدينة معرفة شخصية الأمر الذي يؤدي إلى تغير طابع الحياة الاجتماعي، ومع أن عدد الأشخاص الذين يتصل بهم الفرد أو يعتمد عليهم في المدينة كبير نسبيا، إلا أنه لا يعتمد في حياته مع ذلك على الأشخاص معينين ويستنتج ويرث من ذلك أن العلاقات الاجتماعية التي يكونها الفرد في المدينة تتميز بأنها علاقات غير شخصية وسطحية ومؤقتة، ولها طابع انقسامي، كما أن ساكن المدينة ينظر إلى ما يكونه من علاقات اجتماعية على أنها وسائل لتحقيق أهدافه الخاصة ولهذا توصف بأنها ذات طابع عقلاني ويرى أن قيام العلاقات الاجتماعية على هذا النحو، يؤدي إلى فقدان التعبير الذاتي والتلقائي والروح المعنوية والإحساس بالمشاركة الذي يميز الحياة في المجتمع المتكامل وواضح من ذلك أن ويرث يقارن هنا بين العلاقات التي تظهر في الجماعات الأولية المميزة لحياة القرية، والعلاقات التي تظهر في الجماعات الثانوية المميزة لحياة المدينة.

- **تقسيم العمل:** يقوم تقسيم العمل في المدينة وخاصة في المستويات العليا على قاعدة أخرى غير تعميق التخصص من أجل الإنجاز السريع، والوصول بالأداء إلى أعلى درجاته وإنما يرتبط بنوع العلاقات المترتبة عليه، والتي يمكن استخدامها لتحقيق أهداف معينة، ومن النتائج البارزة التي أشار إليها ويرث في تقسيم العمل ذلك الاتجاه الذي يتبلور نحو السيطرة الشركات أو المؤسسات على حياة الأسر الصغيرة وعلى نوع الوظائف التي تقوم به أو عددها ومعنى ذلك في رأيه أن المدينة تفقد روح العائلة باستمرار لأن الأساليب النظامية التي تطبقها الشركات والمؤسسات لا تحتمل انتشار علاقات المودة والمعاملة أو حتى العصبية التي تميز المجتمع الريفي، ولهذا فإن الوصول إلى التكامل الاجتماعي في المدينة والذي يعتبر أمرا ضروريا يتطلب قيام الخلفية وآداب السلوك داخل الجماعات المهنية المختلفة الأمر الذي تصبح المدينة بدونها، كما تصبح علاقات العمل فيها عرضة للتصدع إضافة إلى عدة خصائص نلخصها في النقاط التالية²:

- حجم السوق.

¹ محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ، ص 15.

² نفس المرجع ، ص 16

- حجم المدينة المتزايدة وتعرضها لامتداد خارج حدودها التقليدية واستحالة اجتماع السكان في مكان واحد.
- كثافة السكان تزيد فرص ظهور التخصص والتباين.
- التنافس على مصادر النادرة.
- طابع التنافس والاستغلال يفوق طابع التعاون لانعدام الروابط العاطفية¹.

4- **تمثلات الفقراء لثقافة الفقر:** يكاد يتركز معظم الجدل الدائر في النظرية الحضرية المعاصرة حول واقع الفئات المدينة الدنيا التي تشغل مساحات ومناطق واسعة ضمن الخريطة الطباقية لمدن البلدان النامية المعاصرة وتخضع لعلاقة السيطرة - التبعية غير المتكافئة وتتعرض لشتى صور المحاصرة والتهميش. وقد كانت الانثروبولوجيا الاجتماعية سباقة إلى تشخيص الواقع الفعلي للفقراء في البلدان النامية ليس فقط من خلال دراسة المجتمعات الفلاحية لكن أيضا من خل التركيز جديد على العلاقات الاجتماعية في المجاورات الحضرية المنخفضة الدخل وفي إطار هذه المحاولات تبرز كتابات "هلمان، لويس، مانجيز، تارنر، ماير" التي تؤكد في مجملها على محدودية وضيق نطاق الدراسات الحضرية المبكرة التي تناولت ظاهرة الفقر الحضري، ولذا يسهل الحديث عن محتوى هذه الدراسات الذي يدور في عمومته حول شبكة العلاقات الاجتماعية التي تربط فقراء الحضر واستيعاب المهاجرين الريفيين في البيئة الحضرية والاعتماد على النفس في توفير الإسكان غير المخطط².

ومن ناحية أخرى يشير "جاري" إلى انحياز الانثروبولوجيا نحو دراسة الثقافات الغربية والقيم التقليدية وتركيزها على علاقات الجماعات الصغيرة والعناصر والمكونات المحلية واضح أن فشل هذه الدراسات في ربط مشاكل الفقر المحدودة (انحلال بناء الأسرة، القيم الأخلاقية، البطالة، المرض، الاقتراض...) بالظواهر الكلية الواسعة الانتشار خصوصا تلك المرتبطة بالمشاكل الاقتصادية للعمالة والتراكم، ويبدو جليا أن تجسيد الارتباط الواقعي لمظاهر الفقر الناجمة عن مشاكل العمالة ومظاهر العمالة المرتبطة بمشاكل الفقر، وفي أشهر دراسة له التي تنطلق من التصور الماركسي لدراسة الواقع الحضري، حيث تناول الكشف عن الظروف والمعوقات التي يعمل في ظلها صغار المنتجين والفقراء العاملين والعاملين وكذلك الإمكانيات المتيسرة لهم في المستقبل، وتوصل إلى نتائج مفادها أن العمالة الغير رسمية لا توعي

¹ محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ، ص 20

² إسماعيل قيرة وآخرون، التصورات الاجتماعية ومعاناة الفئات الدنيا، مخبر الإنسان والمدينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع - عين مليلة الجزائر، ص 187

الفصل الثالث: المداخل المعرفية والاتجاهات النظرية للدراسة العشوائيات الحضرية

بدخول الإنتاج في التنمية السريعة والتقدم التكنولوجي وإنما ترتبط بالظروف الصعبة التي تجعل الفقراء يبحثون عن وسائل عيش تضمن بقائهم واستمرارهم¹.

ولخص "ميلر" مضامينها في الفقر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في أن واحد وحدد رسلي Worsley أشكالها المتعددة في الأصناف المهنية التالية²:

- الفقراء الحضريون الذين يعملون في صناعة السلع.
 - عمال الورشات المعرفة التي لا تستطيع التنافس إلا بدفع أجور ضعيفة لعمالها.
 - بيع الإنتاج المنزلي.
 - الحرفيون المستخدمون ذاتيا.
 - المشاريع المنزلية التي تستخدم عمل العائلة.
 - الباعة الجائلون (باعة الأرصفة والشوارع.....).
 - الخدمة الشخصية (البوابون، الحراس.....).
 - عمال الأجر العرضيون (الحمالون، غاسلوا السيارات.....).
 - المجرمون وأصحاب المهن المنحرفة.
 - الشحاذون والعاطلون عن العمل وجامعو القاذورات.
- وحدد المختصين بعض المحكمات التي استخدمها الباحثون لتحديد مضمون الفقر الحضري ونطاقه على النحو التالي:

- الحرمان.
- نقص عدم الاندماج في البناء السوسيواقتصادي الحضري.
- ضعف قوة المساومة وتعدد أنماط الاستغلال.
- الظروف غير الملائمة.
- الأحياء المتخلفة (العشوائية).

¹ إسماعيل قيرة وآخرون، عولمة الفقر المجتمع الأخر مجتمع الفقراء والمحرومين، ط 1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص 113-114

² إسماعيل قيرة وآخرون، التصورات الاجتماعية ومعاناة الفئات الدنيا، مرجع سابق، ص ص 189 - 190

الفصل الثالث: المداخل المعرفية والاتجاهات النظرية للدراسة العشوائيات الحضرية

وحدد لويس أن هذه الثقافة تصنع للفقير تخلق ثقافة خاصة به ذات عناصر مشتركة بين الفقراء أينما وجدوا ومن سماتها أنها تنتقل من جيل لآخر وهي تتألف من مجموعة عناصر شائعة في الأحياء المتخلفة والعشوائية وتتمثل في¹:

- نقص المشاركة الفعالة وصعوبة اندماج الفراء في أهم مؤسسات المجتمع
 - لا يساهمون في النظام الاقتصادي الأوسع.
 - لا يشاركون في المنظمات الموجودة في المجتمع كالنقابات أو الأحزاب السياسية.
 - لا يشاركون في برامج الرعاية الطبية وبرامج الخدمات الاجتماعية.
 - قلة الانتفاع بالتسهيلات والمرافق التي تقدمها المدينة.
 - هناك حد أدنى من التنظيم خارج نطاق العائلة النووية والممتدة الأمر الذي يضيف على ثقافة الفقر طابع الهامشية.
 - قلة الجمعيات الطوعية في الأحياء المتخلفة (العشوائية).
 - عدم تنظيم الأسرة.
 - كثرة هجرة الزوج لزوجته والأطفال.
 - شيوع التسلط داخل الأسرة.
 - على مستوى الفرد تتجلي الخصائص في الشعور القوي بالهامشية البؤس التبعية والدونية.
 - غياب الوعي الطبقي وارتفاع درجة الحساسية نحو تمايز المراكز.
 - عندما يصبح الفقراء مدركين لأوضاعهم الاجتماعية ومندمجين في الحركات السياسية المجتمعية فإنهم يكفون عن إظهار ثقافة الفقر.
- بنظرة متأنية لفحص الأعمال الكثيرة عن الأحياء المتخلفة والعشوائيات الحضرية، وسوف تسلم بالتأكيد إلى حقيقة هامة مؤداها أن الأحياء تمثل تشوها حضريا ونسيجيا اجتماعيا غير منسجم ومن ثمة تميل الدراسات الاجتماعية الحضرية إلى ربط هذا المجال المتخلف بالفئات الدنيا التي تعيش ظروف فيزيقية واجتماعية متردية تتمثل على الخصوص في تدني مستوى المعيشة، التكديس السكاني، البطالة وسوء ونقص التغذية تدني السلوك البشري، انتشار الأمية والافتقار غلى خدمات الصرف الصحي والكهرباء والمواصلات والمياه النقية الصالحة للشرب، لتراكم الأوساخ وتكاثر الحشرات وما يصاحبه كل ذلك من تأثيرات سلبية على السكان الذين يظنون مع ذلك متفائلين ومتطلعين إلى المستقبل.

¹ إسماعيل قبيرة وآخرون، التصورات الاجتماعية ومعاناة الفئات الدنيا، مرجع سابق، ص ص 199 - 200

والواقع أنه حين تجري مقارنات بين قطاعات فقراء المدن يتوصل المحللون إلى وجود علاقات مشاركة أضعف بين سكان الأزقة الحضرية الفقراء مما هي بين سكان أحياء المهاجرين وشديدة التأكد لفكرة ثقافة الفقر التي تربط بسكان الأحياء المتخلفة والعشوائية من حيث الملابس والعادات الغذائية، والحياة العائلية الغذائية، وسياسة الإنجاب المتبعة، والنظرة إلى الذات وإلى الآخرين، ونتيجة لذلك يبدو أن هذه الأحياء ترتبط في نموها بالهجرة الريفية الحضرية، البطالة مشكلة الإسكان الحضري، ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية لدي سكانها، قصور السياسات الحضرية ومن ثمة فهي إفراس للاختلال الهيكلي في البناء الاجتماعي وتتخذ هذه الأحياء نمطين سائدين: هما الأحياء الميئوس منها، الأحياء المأمول منها، التي يطلق عليها "لويد" أكوخ الأمل، أو الأحياء المتخلفة الوظيفية، وتبقي الأحياء العشوائية ينظر عليها على أنها بيئات فاسدة يقيم فيها سكن معدمين، وعلى أنها تمثل في الوقت نفسه ملحقا وظيفيا لاقتصاد المدينة¹.

كما نجد بعض الدراسات الحضرية التي توصلت إلى نتائج متعلقة بأوضاع المتسولين غير المستقرة والمضطربة والمعرضة للهزات الاجتماعية من حين غلى آخر وركزت هذه الدراسات بصور خاصة على جانب المعاناة والضياع التي يعيشها المتسول ضحية الاستغلال وعدم المساواة وكذلك على ارتباط ظاهرة التسول بالأسر الفقيرة والأحياء المتخلفة والشعبية وبعض الهامشين المنحرفين².

6- الهامشية الحضرية: تكشف النظرة المدققة في تراث الدراسات الحضرية عن وجود اهتمام معين بدراسة الهامشية كظاهرة ملموسة وواقع اجتماعي واقتصادي وسياسي تاريخي ويعكس هذا الاهتمام مختلف المحاولات التي بذلت لفهم عمليات التنمية غير المتكافئة والتبعية ولقد قدم كتاب أمريكا اللاتينية محاولات في فهم هذا الاتجاه الذي يركز على ثلاث أسئلة هامة وهي: هل ترتبط الهامشية بفقر أكوخ المدن؟ وهل يعكسون في تصرفاتهم خصائص الثقافة الفرعية للفقير؟ وهل يشكلون طبقة اجتماعية؟

وفي هذا الصدد أشار "جانيس بيرلمان" في دراسته لمجتمع الفافيلا الهامشي إلى وجود معوقات في المحيط الخارجي تمنع تحقيق التكامل الاجتماعي والاقتصادي للفرد الهامشي فرغم محاولات استخدام الخدمات الحضرية فإنه يعاني غالبا من الخزي والإحباط لأنه يجد النسق مغلقا أمامه وغير مستجيب لاهتماماته ومصالحه ويكون منبوذ وموصوم في نظر المجتمع مما يجعله لا يحدد هويته أو مكان إقامته عند محاولة الحصول على وظيفة كما أنه يعاني من الحرمان الاقتصادي والاستغلال لانخفاض دخله بدرجة كبيرة، وتعتبر إمكانيات التدرج المهني غير متاحة أمامه، بل إن الأنشطة التي ينجح في الحصول

¹ السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص 243

² إبراهيم توهامي، التهميش والعنف الحضري، مخبر الإنسان والمدينة، جامعة منتوري قسنطينة، 2004، ص 23

عليها هي التي لا يرغبها بمعنى أنها الأنشطة غير مستقرة كمالا تمنحه تشريعات العمل ضمانا اجتماعيا أو تعويضات في حالتي المرض أو التقاعد ولا يستطيع المطالبة بالمساعدات لأنه لا يمتلك في كثير من الأحيان أوراقا رسمية ولهذا يحرم من حقه وعند القبض عليه يصبح من الصعب حصوله عليها¹.

وتمثل هذه النظرية الهامشية بمعنى خروجها على النسق العام للمجتمع الذي يسعى للتحقيق التكاملي وكيف تتشكل أساليب معيشية لهؤلاء الفقراء ومتباينة على تلك السائدة في المجتمع المحيط ومع استمرار ظروف الحرمان الاقتصادي والبطالة والتفاوتات الطبقة.

واعتبارها على علاقة بالنظام الاجتماعي القائم وترتبط بفقراء الأحياء المتخلفة (العشوائية) ولهذا نجد هذا الاتجاه يتخذ من المضمون المعطى للهامشية والتوجيه النظري نقطة بداية يحاول بعدها الكشف عن تجسيدها، وإن الفهم المنظم للواقع يتطلب الأخذ بعين الاعتبار الجانب التاريخي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي فضلا عن المتغيرات الطارئة والاعتراضية، فالجانب السياسي تبدو فيه من خلال عدم اكتراث الفرد بما يدور حوله في هذا الشأن وهذا يظهر باهتمام الأحزاب المتنافسة تتوجه دائما للفئات الهامشية المتواجدة في أطراف المدينة وقرب الوديان لكسب ودهم بالإغراءات السياسية والخطابات للتوفير السكن وتوفير فرص العمل وإدماجهم بالقطاع الحضري الرسمي.

أما الهامشية الاقتصادية فهي الانخفاض الشديد في مردود الجماعات الممارسة للأنشطة الاقتصادية غير الرسمية واستخدامها لوسائل مختلفة وهو ما يجري في اغلب مدن الجزائر وهو ما يظهر في انتشار ظاهرة التجارية الفوضوية والباعة المتجولون، والهامشية الاجتماعية والثقافية أبدو في العزل عن المجري الرئيسي لثقافة المجتمع المعني وهذا من خلال الاندماج الاجتماعي في المدارس والمراكز الترفيهية حيث يواجهون من طرف سكان المدينة المركز، وفي هذا نجد بعض الدارسين يصفون مكان الأحياء المتخلفة بالهامشية فهم جغرافيا يعيشون على أطراف المدينة وهم وظيفيا محرومون من الخدمات الحضرية وهم اجتماعيا واقتصاديا بعيدون عن الحياة الحضرية بوجه عام².

أما "مالينوسكي" اعتبر المناطق الهامشية وحدات مستقلة تختص بخصائص ثقافية متميزة بالتالي ركزت هذه الدراسات على محاولة التعرف على مدى قدرة الأنساق الريفية على التعايش في المناطق الحضرية وعلى دورها الذي تؤديه وكيفية تعايشها أو تكيفها في إطار الحياة الحضرية، ومدى تقبل الحضريين للفئات المهاجرة والمشكلات التي يصادفها المهاجر بل اتخذت موقفا مسبقا يتمثل في افتراض

¹ ابتسام علام، الجماعات الهامشية دراسة انثربولوجية، جماعات المتسولين بمدينة القاهرة، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية جامعة القاهرة ومشروع توثيق الإنتاج العربي في علم الاجتماع، دون سنة، ص 39

² السيد الحسيني، مرجع سابق، ص 176

أن المهاجرين من الريف يجب أن يتكيفوا وأن يلحقوا جانبا الرداء الريفي وعلى أساس ما تقدم تصنف الهامشية وفق المظاهر التالية¹:

- يحافظ النسق الريفي على كيانه وبقائه- بما في ذلك القيم والعادات الريفية - في إطار المجتمع الحضري ويسفر ذلك بالضرورة عن صراع النسقين الريفي والحضري.
- أن تكون الهامشية نتاجا لعدم ممارسة المجتمع الحضري ضغطا كافيا على المهاجرين أو لعدم تحفيزهم على التكيف .

- الأحياء القديمة الفقيرة والمزدحمة والمتداعية داخل المدن الكبرى ولا تعبر بالضرورة عن انتهاك التخطيط العمراني والمباني ولكنها أصبحت تدرج في عداد العشوائيات نتيجة بقاء أبنيتها القديمة على حالها وتهالكها من ناحية، وصعوبة تطويرها من ناحية ثانية لأسباب فنية، ولجوء سكاها إلى توسيع مساكنهم بإضافة ملحقات جديدة للمباني القديمة بطرق غير مخططة.

- المناطق العشوائية: الناشئة عن وضع اليد والاستيطان غير القانوني في لملاك الدولة والأراضي الخالية وتكون بالتالي مخططة عمرانيا منذ نشأتها وتعاني من نقص حاد في المرافق الأساسية للحياة اليومية
- ترتبط الهامشية الحضرية كظاهرة مجتمعية بمناطق معينة منتشرة داخل وعلى أطراف وتخوم المدن، وتتواجد بها فئات وجماعات اجتماعية متصفة بخصائص ومشكلات اجتماعية واقتصادية وثقافية معينة ذات دلالات وانعكاسات سياسية معينة، مما يجعل هذه المناطق وسكانها يتميزون عن الإطار الاجتماعي والثقافي المحيط بهم بدرجة يمكن معها الحديث عن تعبيرهم عن خصوصية بالمعني الثقافي والاجتماعية تميزهم عن الثقافة الحضرية السائدة².

7- البطالة والاقتصاد الهامشي: تعد البطالة الحضرية واحدة من أبرز المشاكل التي صاحبت عملية النمو الحضري غير المخطط والتصنيع البطيء، وثمة أدلة وافية توحى بتزايد معدلاتها من جهة، وتعاضم دور القطاع الحضري غير الرسمي في استيعاب القادمين الجدد إلى سوق العمل الحضري من جهة أخرى، ولا ريب أن هذه الأنشطة ليست أمرا معزولا عن مجمل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في البلاد، بل هي من أبرز الأعراض التي تدل على تناقضات البناء الاجتماعي وعجزه في الاستجابة للزيادات السريعة في عدد المترشحين للعمل، وهذا ما ينعكس في تركيب سكان المدينة الجزائرية حيث يتكون جزء كبير منهم من ذوي الفعاليات غير الواضحة.

¹ عادل عازر وثروت إسحاق، المهمشون بين الفئات الدنيا في القوى العاملة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة، 1989، ص ص13 -

14

² جلال معوض، الهامشيون الحضريون والتنمية في مصر، ط1، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، القاهرة، 1998، ص 23

كما أنها مؤشر ومنذر بالخطورة الفعلية للوضع الاقتصادية المقلقة التي يتطلب تغييرها أو تعديلها، فضلا عن أنها مؤشر من مؤشرات البطالة، أو العمالة الناقصة، ومقياس من المقاييس العملية لتحديد الوزن الفعلي لفئات القطاع الحضري غير الرسمي التي تشغل حيزا اجتماعيا كبيرا في البنية الطبقيّة للمدينة الجزائرية المعاصرة التي تتعايش فيها مختلف الأنماط الإنتاجية، وتفرخ العديد من الفئات المحرومة والمهمشة التي يتعاضد دورها في تحديد اتجاهات التطور، وفي نفس الوقت، يتزايد جذبها إلى حلبة الصراع من أجل الوصول إلى "مواقع النفوذ لجمع النقود"، أو مواقع الترهيب والتخريب ونشر الفوضى وعدم الاستقرار، من أجل تدويل تناقضاتنا الداخلية وتبرير التدخل الأجنبي، و"تشفي" الأعداء" إنها مهزلة بعض المتشدين وتجار الأصالة والذهب وفاقدي الضمير، ومروجي "التخلّط" والصيد في الماء العكر¹.

وفي هذا الإطار تؤكد الشواهد الواقعية أن هذه الفئات تتخذ أشكالا متباينة تتدرج ضمن نمطين سائدين من الأنشطة المشروعة وغير المشروعة، مثل: السرقة، العنف، الرشوة الفساد بشتى صورة، يتكون من فئات اجتماعية ليست لها مهارة أو تجربة القطاع الرسمي، الأمر الذي يجعل أملها ضئيل للحصول على عمل فيه، وهذه الفئات تنقسم إلى قسمين أساسيين، يتضمن الأول منها أولئك العاملين في القطاع غير الرسمي والمعتمدين عليه كمصدر رزق، في حين يتضمن الثاني الحثالة الاجتماعية واللصوص والمنحرفون.

وفي هذا الإطار أظهرت الأزمة الاقتصادية العالمية الأخيرة مدي هشاشة الشباب في سوق العمل، والبطالة ويمكن أن تنتطوي على عواقب كبرى بالنسبة للمدن، وفي حالة بطالة الشباب، يمكن أيضا في كثير من الأحيان أن تؤدي فترة عدم النشاط الطويلة، إلى انهيار الروح المعنوية والاكتئاب والاعتراب وتناول المخدرات والجريمة والعنف في بعض السياقات، لذلك فهي تثير خطرا اجتماعيا جسيما وتهديدا للاستقرار السياسي، وكانت هذه البطالة في صفوف الشباب بمثابة العامل الحافز في الثورات الأخيرة المعروفة بالربيع العربي والجدير بالذكر أن الكثير من المعطيات والبيانات الواقعية تؤكد تلك العلاقة الارتباطية بين معدل التركيز السكاني وزيادة معدلات البطالة وتضخم قطاع الأنشطة الحضرية غير الرسمية الذي أصبح يشغل أكثر من 50% من إجمالي قوة العمل في كثير من مدن البلدان النامية².

¹ بلقاسم سلاطينة وإسماعيل قيرة، عصر المشكلات، ط 1، منشورات الدار الجزائرية، الجزائر، 2015، ص 96

² تقرير الأمم المتحدة للإسكان والتنمية الحضرية المستدامة (المؤتمر الثالث) الدورة الأولى، نيويورك، 17 و18 سبتمبر 2014، ص 17

وقد شكل هذا القطاع ركيزة الحوار الأكاديمي منذ بداية السبعينيات نظرا لاستخدامه من طرف العديد من الباحثين كأداة نظرية ومنهجية لفهم حركة الواقع الاجتماعي وقبوله السريع من طرف بعض الأنظمة السياسية، باعتباره الوسيلة العملية لتطبيق إستراتيجية تنموية تعتمد على العمل الكثيف وترشيد الاقتصاد الهامشي، ولقد قدم هذا المفهوم الذي جذب اهتمام الدارسين أكثر من سواه، وكان له تأثيرا استثنائي أملا جديدا لوكالات دولية تصارع دون نجاح لتنمية "العالم الثالث".

ويرتبط هذا الأمل باكتشاف الوزن الحقيقي لأنشطة جديدة تولد دخلا يساعد الفقير على العيش دون أي تهديد للغني، علاوة عن اقتناعها بأن أثر سياسات التنمية لم ينفذ إلى الفئات الأكثر فقرا، الأمر الذي يتطلب تحديد جماعة القطاع غير الرسمي كجماعة مستهدفة بالنظر لما يحققه هذا الإجراء من تحولات كبيرة في الحياة الحضرية كترقية العمالة، تطوير الإنتاج، تحقيق نوع من المساواة والتوزيع الملائم للموارد.

8-المقاربة السياسية: إن حصر المشاكل المدروسة في إطار الفضاء المغلق للمدينة يكمن في أن موضوع المدينة ذاته من حيث هو موضوع دراسة يدعو إلى إعادة النظر في الكثير من المسائل، عكس ما تذهب إليه بعض التعاريف التي انتشرت في السابق، أن المدينة ليست بالضرورة كتلة عمرانية مترابطة إذ يمكن أن تكون متقطعة، أو تتجلى بحسب الموقع والشبكة التي تتألف منها، إن ما هو عمراني ليس محدودا بالحدود التي ترسمها المجمعات المبنية، المتصلة ببعضها البعض، وإنما له علاقة أيضا بالتجمع البشري الذي تضي عليه طبيعة الأنشطة الممارسة فيه، وكثافة التبادلات، وحدة التحركات والتنقلات وعدد المراكز الحيوية وأهميتها فيه الانتماء إلى وسط حضري معين¹.

من هنا نشأت الفكرة التي مفادها أن المدينة سواء نظرنا إليها من الداخل أو من الخارج، تشهد الآن من الناحية المادية تفككا متواصلا، ومن الناحية الاجتماعية تدهورا في حالة الشرائح الأكثر فقرا، هذه الشرائح التي يزداد تهميشها يوما بعد يوم بالمقارنة مع الشرائح الميسورة التي تستفيد من امتياز مزدوج: النوعية الجيدة للعمارة والقرب من المراكز والخدمات وهنا يطرح سؤال أول: هل هذا الامتداد المتنوع الأشكال للمدن هو عبارة عن خلل وغياب للتنظيم في ما يخص المدينة، أم أنه وبعبارة أخرى أنه تعبير عن فوضى في الكيفية التي تنشأ بها المدينة وتمتد؟ وألا تكون هذه الفوضى الواضحة التي تؤدي إلى تغيير شكل المدينة الممتدة عبارة عن نوع من النظام له منطقته الخاص حتى وإن بدا فوضى في مظاهره؟

¹ رشيد سيدي بومدين، أهي فوضى عمرانية حقا؟ ترجمة محمد هناد، نقد - مجلة الدراسات والنقد الاجتماعي عدد الاضطرابات الحضرية، العدد 16، الجزائر، 2002، ص 5

وهناك سؤال ثالث متصل بالسؤالين السابقين: أليس هناك خلط بين بعدين في فكرة النظام؟ أي بين البعد المتصل بالتخطيط والتنظيم الشكلي (الذي يمكن قراءته على الخريطة) لمختلف الفضاءات في المدينة من ناحية، والبعد المتصل بالتشكيلة الاجتماعية وما تحتوي عليه من تفاوت وصيغ سيطرة، أو بصورة أدق، ما تقوم عليه من ضبط اجتماعي¹؟

هذا ما يؤدي إلى منح مختلف الفاعلين الاقتصاديين والاجتماعيين مكانتهم من حيث ممارساتهم، واستراتيجياتهم مع الأخذ في الحسبان أن ما يبدو من فوضى في التحولات الحضرية، وفي احتلال فضاءات المدينة وشكل المدينة المترتب عليه، إنما هو في الواقع نتيجة تضافر - إما بالاتفاق أو المناهضة - لفعل هؤلاء الفاعلين والضبط الذي تقوم به الدولة.

لكن إذا كان لممارسات المجموعات أو الطبقات الاجتماعية تأثير محسوس على مستوى المدينة، فهناك أمور أخرى تظهر على مستوى الأحياء أو القطع الأرضية الممنوحة للبناء، يتعلق الأمر هنا بالبناءات المنجزة أو التغييرات المجرات على البناءات القائمة، إما في إطار احترام الإجراءات القانونية المنصوص عليها (رخصة التخصيص ورخصة البناء)، وإما خارجه (صفقات عقارية غير مصدقة قانوناً، أو بناء من دون رخصة)، وإما على هامش الإجراءات القانونية (بناءات غير متطابقة مع الرخصة الممنوحة، أو توسيع لهذه البناءات خارج إطار الرخصة... الخ)².

و بالفعل فإن للمخططات العمرانية غرضاً شكلياً يتمثل في توزيع مختلف الوظائف للفضاء في المدينة الحالية والمستقبلية بعد تحديد وزن هذه الوظائف ورسم آفاقها، وتحديدتها وترتيبها، وعلى مستوى آخر أكثر دقة، أي في ما يخص المهمة الموكلة بمخططات احتلال المكان، يترجم التنظيم الشامل للمدينة بترتيبات هندسية: أشكال التصنيف، الأحجام، شبكة الطرقات والممرات، الأماكن العمومية غير أن هذا التنظيم ومهما كان المستوى الذي ينظر به إليه يخفي وظيفة أخرى في المخططات العمرانية³.

إن اعتبار سكان المدن (أو الحضر) مجرد وحدات إحصائية متكافئة يجعل المخططات العمرانية تغفل (أو تخفي) مسألة عدم تكافؤ الفرص بالنسبة إلى هؤلاء بحسب انتماءاتهم الاجتماعية وقدراتهم على الاستفادة من هذه المادة أو تلك، أو من الخدمة أو تلك.

إن الطابع التقني والمحايد الذي تظهر به المخططات العمرانية إنما هو ضرورة تتطلبها عملية الضبط الاجتماعي وترتيب الفئات الاجتماعية في سلم القدرة على الاستفادة من الخيرات التي توفرها المدينة وذلك

¹ رشيد سيدي بومدين، مرجع سابق، ص 5

² نفس المرجع، ص 6

³ نفس المرجع، ص 7

في شكل توزيع مكاني غرضه وظيفي محض، ويهدف إلى ترتيب للمدينة (من النواحي الهندسية والطبوغرافية والجغرافية) وفق نظام واضح المعالم، إذا المخططات العمرانية هي أداة لها فائدة (أو فعالية) في الضبط الاجتماعي نظرا لما تحظى به من قبول إذ تعتبر أنها كانت نتيجة لدراسات متعددة الاختصاصات قام بها أخصائيون وتستهدف الصالح العام.

أما في الواقع فإنه نظرا إلى أن هذه المخططات لا تأخذ بعين الاعتبار الاستراتيجيات المعتمدة من طرف مختلف الفاعلين في تقدير النمط العمراني أو في الآفاق التي ترسمها للمدينة، فإنها غالبا ما تكون في تناقض مع الواقع المعاش، إن ما يلاحظ عليها من إخفاق في ضمان حد معين من التحكم العمراني لا ينفي دورها في تبرير ما يقام به على أساسها من توزيع بكل شرعية ومن متابعة المخالفين لها، وهذا بالذات ما يؤكد دورها كأداة للضبط الاجتماعي وليس لمجرد تنظيم المكان.

خلاصة:

الجدير بالذكر أن المدينة كفضاء عمراني وظاهرة العشوائيات الحضرية كحيز موجود بها يمكن تحديدها وتحليل السلوكيات الاجتماعية السائدة فيها من عدة مداخل نظرية، كما يمكن القول أن هذه المداخل النظرية يمكن أن تصبح غير ذات أهمية إذا خرجت من إطارها الذي أنشأت فيه فاختلاف المكان والزمان، يترتب عليه انتقاء المداخل وبمتغيرات تتلاءم مع هذا المجتمع، وإذ نحن بصدد دراسة مجتمع ذو خصوصية ثقافية ومكانية وزمانية خاصة تميزه عن باقي المجتمعات سواء عبر تطوره التاريخي والاقتصادي أو السياسي، وهذا لا يعني التقليل من أهمية هذه النظريات والمداخل فهي تساهم بشكل أو آخر في فهم العلاقات الاجتماعية لمجتمعنا واستخدام هذه المتغيرات وبطرق متعددة يكون في نفس الوقت مفيدا.



الفصل الرابع: التحضر ومشكلات الشباب في العشوائيات الحضرية بالجزائر

تمهيد

أولاً: السكن العشوائي

ثانياً: أنواع المناطق العشوائية

ثالثاً: العشوائيات الحضرية في بعض بؤرها العالمية والعربية

رابعاً: الأحياء العشوائية والتشوه العمراني في المدينة الجزائرية

خامساً: أسباب نشوء العشوائيات الحضرية وخصائصها في الجزائر

سادساً: الآثار المترتبة عن انتشار البناء العشوائي

سابعاً: تحولات المدينة الجزائرية والتمظهرات السلوكية لشبابها

ثامناً: مشكلات الشباب الجزائري في الوسط الحضري العشوائي

تاسعاً: مسألة الاندماج الاجتماعي لشباب الجزائري في الحي العشوائي

خلاصة

تمهيد:

عرفت الجزائر ظاهرة السكن العشوائي قبل الاستقلال بسبب الركود الذي عرفه قطاع السكن في الفترة اللاحقة للاستقلال، حيث ركزت التنمية في العواصم الإقليمية والمدن الكبرى، مما جعلها مجالا لاستقطاب السكان فيما عرف بالهجرة الريفية نحو المدن، حيث استقر هؤلاء الوافدون في المناطق المتدهورة داخل المدن، وعلى أطراف المدن والمناطق الصناعية الكبرى على غرار العاصمة، وهران، قسنطينة وعنابة، وسكيدة وغيرها، مما كان له تأثير كبير على التنظيم المجالي والعمراني لهذه المدن بانتشار مناطق البناء العشوائي.

كما كان للظروف الأمنية التي مرت بها الجزائر (العشرية السوداء) وما ترتب عليها من هجرة داخلية من الأرياف نحو المدن الأكثر أمنا، دورا بارزا في تفاقم هذه الظاهرة حتى أصبح من غير الممكن بل من المستحيل إزالة مثل هذه التجمعات الفوضوية وتوفير الإسكان البديل لسكانها، غير أن تفاقم هذه الظاهرة جعل الحكومة تتشدد في أخذ التدابير اللازمة حيالها من خلال سن قوانين رديعية غالبا ما أدت إلى الحد من هذه الظاهرة داخل المدن الكبرى وعلى محيطها القريب، في مقابل ذلك بدأت هذه الظاهرة في التركيز بشكل أكبر في المدن الصغيرة نتيجة للعديد من العوامل لعل أهمها:

- ضعف الأداء الرقابي لأجهزة الدولة المختلفة سواء تلك المكلفة بمحاربة السكن الفوضوي أو المسؤولة عن تسيير العقار بمختلف أشكاله (الصناعي، الفلاحي والسياحي).
- العقار بهذه المناطق غالبا ما يتسم بالفوضى وضعف الرقابة مما يسهل عمليات التلاعب به مما يجعله في متناول مختلف فئات المجتمع.
- تطور وسائل النقل وشبكة المواصلات بين المدن على اختلاف أحجامها سهل كثيرا من عملية تنقل الأشخاص بحثا عن العمل ومصادر العيش، مما جعل الاستيطان في المدن الصغيرة يعتبر أحد الحلول المثلى وبأقل التكاليف.
- توفر المدن الصغيرة على معظم الهياكل الخدماتية خاصة تلك المتعلقة بالجانب التعليمي والصحي والأمني، جعلها مدن جالبة للسكان.

كل هذه العوامل وغيرها جعلت من السكان الوافدين يفضلون المدن الصغيرة وضواحيها مستغلين في ذلك الظروف السالفة الذكر، حيث يتم توطنهم بشكل عشوائي إما ضمن تجمعات سكنية في ضواحي المدينة حيث غالبا ما تكون على الأراضي الفلاحية الهامشية، أو في شكل سكنات فردية داخل المدينة من خلال بناءات فوضوية.

هذا الوضع أدى إلى نشوء العديد من التجمعات السكنية العشوائية التي أخذت في التوسع تدريجيا حتى أصبحت تشكل في كثير من الأحيان قرى وأحياء تضم مئات السكنات بأنماط عمرانية مختلفة، ولا تتوفر على أدنى الاحتياجات الضرورية من البنية الأساسية والخدمات المختلفة والمناطق المفتوحة، حيث أوضحت هذه العشوائيات تشكل عائقا لمختلف خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتهديدا فعليا على البيئة ومستقبل التنمية في كافة مجالاتها.

أولا: السكن العشوائي.

استخدمت العديد من المصطلحات في تحديد ماهية العشوائيات الحضرية، فمن مدن الكرتون إلى مدن الصفيح، الأحياء الفقيرة، البناء الفوضوي وغيرها، وبشكل عام تعرف بأنها مناطق أقيمت مساكنها بدون ترخيص وفي أراضي تملكها الدولة أو يملكها آخرون، وعادة ما تقام هذه المساكن خارج نطاق الخدمات الحكومية ولا تتوفر فيها الخدمات والمرافق الحكومية لعدم اعتراف الدولة بها، كما أوضحت الدراسة التي أجراها المعهد العربي لإنماء المدن أن نحو 60% من العشوائيات في المجتمع العربي توجد على أطراف المدن و30% توجد خارج النطاق العمراني، وتوجد 8% فقط وسط المدن عاصمة البلاد، كما كشفت تلك الدراسة عن أن 70% من تلك العشوائيات قد شيدت بطريقة فردية و22% شيدت بطريقة جماعية، ولا تزيد نسبة المباني المستأجرة في الأحياء العشوائية عن 70%، كما أوضحت تلك الدراسة أن معظم العشوائيات في الدول العربية تفتقر لخدمات الصرف الصحي ومياه الشرب النقية ونقص المواد الغذائية وتنتشر فيها البطالة والجريمة والمخدرات والاعتداء على الممتلكات مما جعلها تشكل معوقاً للتنمية وبؤرة للمشاكل الاجتماعية والصحية والأمنية¹.

وتبنت الأمم المتحدة ثقافة التضامن الكونية التي أرسنها- بدءا من إعلان حقوق الإنسان والمواطنة عام 1948، وتلاه إعلان حقوق المرأة عام 1967، فميثاق حقوق الطفل عام 1989- قد احتضن أيضا

¹ المعهد العربي لإنماء المدن، الرياض، عدد 1997

بالمأوى (مؤتمر فانكوفر بكندا عام 1967) - لتتسع وتشمل البيئة العالمية (ريو دي جانيرو عام 1992) ولم ينتهي القرن الماضي حتى عقدت ثاني قمة للمأوى في اسطنبول عام 1996. وأصبحت للمأوى سنة دولية، حيث أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا بأن يكون عام 1987 هو السنة الدولية لإيواء من لا مأوى لهم بهدف¹:

- تحسين المأوى وإحياء بعض الفقراء والمحتاجين حتى نهاية العام وخاصة في بلدان الدول النامية
- وشرح طرق ووسائل تحسين المأوى وأحياء جميع الفقراء والمحتاجين بحلول عام 2000

غير أن " قانون" فقد ميز بين الجيتو والمنطقة الحضرية العشوائية المتخلفة، وهي المنطقة المتخلفة نسبيا عن أجزاء المدينة، والتي يقطنها بصفة دائمة جماعات عنصرية، أو جماعات ذات ثقافات مغايرة عن سائر ثقافة المجتمع، وهذا نتيجة لكل من التفرقة الطوعية والإجبارية أما المنطقة الحضرية المتخلفة، فهي ظاهرة متخلفة عن الجيتو، بالرغم من الخلط بينهما واستخدامها للدلالة على ظاهرة واحدة، فالمنطقة الحضرية العشوائية عبارة عن جزء من أجزاء المدينة، مزدحم بالسكان الفقراء وانخفاض مستوى النمط العمراني، ونوعية المساكن، وتسودها ثقافة فرعية ذات معايير أخلاقية، وقيم نابعة من الوضع الاجتماعي والاقتصادي والصحي والتعليمي المنخفض والعادات والتقاليد السيئة².

إذا يقصد بالسكن العشوائي ذلك السكن الذي يأوي غالبا السكان الفقراء، كما أن هذه المساكن تفتقر إلى الهياكل القاعدية التي تتمثل في الشوارع المنظمة والممرات والأرصفة، وكذلك الشبكات الضرورية كشبكة الغاز والكهرباء وشبكة الماء الصالح للشرب والصرف الصحي، شيدت غالبا ب مواد بسيطة كالخشب وقطع الحديد والاسمنت...الخ، دون ترخيص قانوني وبعيدا عن المعايير المتعلقة بالبناء والتعمير، غير أنه بالإمكان أن نجد بنايات عشوائية شيدت بواد صلبة ووفق التصاميم معمارية حديثة، وعليه يمكن تمييز نوعين من السكن العشوائي:

1- السكن العشوائي الصلب: هو بناء لائق للسكن إذ يعتبر ذو قابلية للتحسين والتسوية بالنظر لحالته الإنشائية والعمرانية كأن يكون مبني ب مواد البناء المتعارف عليها كالإسمنت والياجور، كما يمكن أن يكون

¹ جلييلة القاضي، التحضر العشوائي، ترجمة منحة البطراوي، ط 1، المركز القومي للترجمة، دار العين للنشر، 2009، القاهرة، ص ص 17 -

² أحمد بوذراع، التطوير الحضري والمناطق المتخلفة بالمدن، دراسة نظرية في علم الاجتماع الحضري، منشورات جامعة باتنة، 1997، ص 16

وفقا لتصميم معماري هذا النوع من البناء العشوائي وبفضل مساهمة السكان وتدخل الدولة يمكن تأهيله وإدماجه في النسيج الحضري.

2- السكن العشوائي الهش: هو بناء غير لائق للسكن بالنظر لحالته الإنشائية وخصائصه العمرانية إذ غالبا ما يكون مبني بمواد مهترئة كالخشب والزنك والكرتون وغيرها، أو لسوء موقعه كتواجده على أراضي مخصصة لتموضع الهياكل القاعدية أو تشكل أخطار صناعية (خط كهربائي ذو توتر عالي، شبكة الغاز أو الماء الشروب، طريق سريع، على أطراف المناطق الصناعية) أو فوق أراضي تشكل خطر طبيعي (الفيضانات أو انزلاق التربة) وهذا النوع من البناء غالبا ما يكون موضوع الهدم والإزالة.

ثانيا: أنواع المناطق العشوائية: تنقسم المناطق العشوائية على أساس موقعها من المدينة إلى قسمين رئيسيين هما المناطق العشوائية التي تقع داخل المدن وتلك التي تقع خارجها ويمكن توضيحها كالتالي¹:

1- المناطق العشوائية داخل المدن: هي مناطق مكونة من مباني غير ملائمة للسكن، ولا يمكن إدخال إصلاحات عليها، غالبا ما تتواجد في الأحياء القديمة للمدينة، غالبا ما يكون سكانها فقراء أو ذوو مستوى مادي محدود، وغالبا ما تكون هذه المناطق موضوع إزالة وإعادة الإحياء من خلال تدخل الدولة من خلال مشاريع التحسين والتجديد الحضري.

2- المناطق العشوائية خارج المدن: تقع على أطراف المدن وخارج نطاق الخدمات الحضرية وغالبا ما تكون فوق أراضي ملك الدولة كالأراضي الزراعية الهامشية أو على أطراف المناطق الصناعية تنقسم بدورها إلى نوعين:

أ.مناطق مؤقتة: غالبا ما تكون ذات بنايات هشة ومتدهورة يتم هدمها وإزالتها لتحل محلها مناطق جديدة مخططة تستفيد من مزايا الموقع.

ب.مناطق دائمة: غالبا ما تكون ذات بنايات صلبة ولائقة للسكن، مما يجعلها قابلة للنمو والتطوير لتتكامل مع أجزاء المدينة.

¹ محمد بن عطية ، البحث عن أسس اختيار نوع التدخل العمراني في السكن العشوائي بمدينة المسيلة، مذكرة ماجستير، معهد تسيير التقنيات الحضرية، جامعة المسيلة، 2009-2010، ص 45

ثالثاً: العشوائيات الحضرية في بعض بؤرها العالمية والعربية

1- في إفريقيا: إن ثلث سكان مدن إفريقيا يعيشون في أحياء الصفيح الواقعة على أطرافها بسبب ارتفاع معدلات الهجرة الريفية الحضرية، وشهدت إفريقيا صنفين من المدن بعضها غربي النشأة كمراكز إدارية للمستعمر أيام الاحتلال الأوروبي لها، تم تخطيطها وفق أسس هندسية يمنع الإفريقيين حتى التجول فيها، ومساكن الإفريقيون تكون عادة على أطرافها، ويظهر التمييز العنصري بشكل واضح جدا على أساس العرق واللون في دول جنوب إفريقيا، والتمييز يشمل كافة مظاهر الحياة بما فيها بدون أدنى شك السكن¹.

2- أمريكا اللاتينية: تنتشر أحياء واضعي اليد بشكل ضخم، تضم أعداد كبيرة من المهاجرين الريفيين يقومون بأعمال هامشية، تشترك جميعها في نفس الخصائص رغم اختلاف مسميات هذه الأحياء من دولة إلى أخرى، تكون هذه الأحياء على أطراف المدينة سكانها أصحابها بوضع اليد، تقع جميعها على تخوم المدن، تبنى على أراضي فضاء تعود ملكيتها للدولة، يقسمونها ويبنوا عليها مأوى لهم من مواد مؤقتة وسريعة، تفتقر هذه الأحياء إلى الخدمات الحضرية من مياه وكهرباء وصرف صحي كغيرها من أحياء واضعي اليد².

3- آسيا: أطلقت التسمية على هذه الأحياء بأحياء ألباسطي أو مدن واضعي اليد، تعتبر أحد معالم المدن الهندية الكبرى تقع على حدود المناطق الحضرية يسكنها الريفيين الوافدين إلى المدينة للإقامة والعمل، تقع على امتداد الطرق الرئيسية وبالقرب من مشاريع البناء ثم تأخذ بالانتشار، كما يوجد في المدن الهندية جيوبا ريفية يتم تطويقها أحيانا بسبب النمو الحضري حولها، وتأثرت مدن الهند بالاستعمار الأوروبي لها، فوجدت أحياء أجنبية حديثة تتمتع بتخطيط حضري متطور، لكن معظمها عانت من التدهور الحضري في مساكنها وطرقها ضيقة تعاني من الزحام الشديد، تعتبر أحياء باسطي اليد الهندية هي الأسوأ ظروفًا في العالم على الإطلاق، ومن الأمثلة على المدن الهندية مدينة كلكتا مجمع حضري ضخم جدا عدد سكانه أكثر من 7 ملايين نسمة جميعهم يعانون من الفقر المدقع إذ 4/3 من سكانها يعيشون في أحياء الصفيح، وأن 57% من أسرها تعيش في غرفة واحدة، والظروف السكنية في كلكتا تعتبر الأسوأ بالعالم، هناك أكثر من 300 ألف شخص بدون مأوى جياع، والكثيرين منهم يولد ويموت بالشارع³.

¹ جهاد صالح عبد اللطيف سلامة، الأبعاد الاجتماعية السياسية في التطوير الحضري لأحياء الفقراء، رسالة ماجستير بكلية الدراسات العليا في

جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين 2010، ص 68

² نفس المرجع، ص 68

³ نفس المرجع، ص 69

4- مدن جنوب شرق آسيا: يبلغ حجم سكان مدن جنوب شرق آسيا 220 مليون نسمة، يعيش 25 مليون فقط في مناطق حضرية، ولكنها لا تخلو بالطبع من مدن تعاني من تضخم حضري مثل مدينة بانكوك في تايلاند، وتتقسم جميع أحياءها إلى أحياء غربية ذات طابع أوروبي، ووطني ذات طابع تقليدي، ومن الملامح المميزة لمدن جنوب شرق آسيا وجود أحياء عنصرية أو عرقية مستقلة وأهمها الأحياء الصينية، تنتشر في هذه المدن أحياء واضعي اليد بسبب الهجرة الوافدة إليها من الريف تنتشر على الأطراف مبنية من صفيح وخشب وكرتون أي مواد مؤقتة. تظهر أحياء واضعي اليد في مانيل حيث يعيش 130 ألف نسمة فيها أي حوالي ربع سكان المدينة وتتخلل هذه الأحياء أكوام الفضلات ومياه المجاري¹.

5- المنطقة العربية: تعتبر المنطقة العربية من أكثر المناطق النامية في العالم شهدت توسعا حضريا ملحوظا، حيث يقطن حوالي 69% من عدد سكانها في المراكز الحضرية، إذ نتج عن هذا التوسع العشوائي للمدن ضغوطات أثرت سلبا على فعالية النقل والسكن والصحة العامة والإصحاح البيئي والتكامل الاجتماعي والاقتصادي، كما ساعد التوسع في النشاط الصناعي والزيادة المستمرة في عدد السكان إلى نشوء المدن الضخمة جدا التي أصبحت أهم معالم التحضر، طبقا لذلك كان التوسع الحضري على حساب الأراضي الزراعية والساحلية وأدى ذلك لازدحام سكاني في هذه المناطق خاصة الساحلية منها، كما أضاف ذلك بعدا جديدا يتمثل في أهمية ربط القضايا البيئية الناتجة عن التوسع الحضري مثل تلوث الهواء والماء والصحة العامة، وإدارة المناطق الساحلية والتنمية الزراعية، على الرغم من أنه قد حدث تحسن بين العام 1980 - 1990 في خدمات الإسكان وتوفير مياه الشرب والصحة العامة وشبكات الكهرباء في المدن الرئيسية، إلا أن الضغوط على تلك الخدمات العامة بدأ بالازدياد خلال التسعينات بسبب ارتفاع معدل النمو السكاني للمدن الهجرة من الأرياف العمالة الأجنبية وارتفاع معدلات الإنجاب (ولعبت المدن الصغيرة والمتوسطة الحجم دورا إيجابيا كبديل للمناطق الحضرية المزدهمة)².

¹ جهاد صالح عبد اللطيف سلامة، مرجع سابق، ص70

² القمة العالمية للتنمية المستدامة، تقرير تقييم التقدم في المنطقة العربية، الملخص التنفيذي بتاريخ ديسمبر، 2001، وعدل بشهر يونيو، 2012،

رابعا: الأحياء العشوائية والتشوه العمراني في المدينة الجزائرية

يعتبر تشوه المباني والنسيج العمراني من بين الظواهر العمرانية التي أصبحت تميز المدن، ذلك أن أهميته زادت بازدياد التصنيع والتحضر الكبير عن طريق النزوح الريفي وفي غياب التوجيه والتخطيط نشأ العمران تلقائيا في ضواحي المدن وأثناء تجزئة المنطقة وتهيئتها من أجل البناء والسكن، شكلت الأحياء المتخلفة ظاهرة أخرى لتشويه العمران بانتشار المباني القصديرية وفي معظمها، وانعدام المرافق الحيوية كدور التعليم والصحة وغيرها، لهذه الأسباب وغيرها أصبح التشوه العمراني في المدن يحظى بانشغال القائمين على عمليات التعمير سواء التخطيط أو التسيير أو التنفيذ نظرا لتفاقم الأزمة حيث أنه في مدن العالم الثالث والجزائر كشاهد على ذلك.

ويشكل العمران العشوائي حزاما حول جل المدن الكبرى وقرب الوديان هذا بانتشار واسع للأحياء المترامية الأطراف والمنتشرة جنبا إلى جنب بالنمو العمراني، إذا أن العمران المشوه ظاهرة اجتماعية تجمع بين الظروف المادية، الاجتماعية والاتجاهات الفكرية، القيم والعادات وأساليب الممارسة، وكأي ظاهرة فهي إنسانية الطابع، يصنعها الإنسان ويطورها ويقوي جذورها إن أراد، حيث تشكل هذه التجمعات العمرانية مناطق غير مريحة ليست خاضعة للمراقبة، باعتبارها قد نشأت وتطورت بعيدا عن مراقبة السلطات المسؤولة عن ضبط وإنشاء المساكن والتهيئة.

فالتخطيط العشوائي حسب ما ذهب إليه "أحمد بوذراع" يعتبر جزء من أجزاء المدينة المزدهم بالسكان الفقراء ونوعية المساكن تسودها ثقافة فرعية ذات معايير أخلاقية وقيم نابغة من موضعها الاجتماعي، الاقتصادي، الصحي، التعليمي، والسلوك المنحرف على اعتبار أن هذه الفئات الممثلة لهؤلاء السكان من المهاجرين والفارين من الريف إلى المدينة، وحسب "بيرجيل" يشمل التشوه العمراني المساكن ذات المستوي المنخفض والمتدني بالنسبة للأسس والمعايير الإسكانية السائدة في المجتمع الحضري¹.

ومن خصائصها على المستوي العمراني نجدها خارج النطاق الحضري والمخطط للمدينة كما توجد بقرب الأراضي الخالية ودون تراخيص أو تخطيط أو تهيئة عمرانية هذا ما عرقل التسيير الحسن للنمو العمراني المخطط وأفاق المدينة المستقبلية خاصة مع تزايد النمو العمراني الهائل وكذلك النمو الديمغرافي، وقد نجدها داخل المدن ذلك بانتشارها داخل الجيوب العمرانية الفارغة التي كانت مخصصة

¹ رضا سلاطينية، الأحياء المتخلفة والنمو العمراني، دراسة ميدانية لحي الديار الزرقاء مدينة سوق اهراس، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الحضري، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006، ص 88

للمرافق مثل الملاعب والمساحات الخضراء للمدينة ومن جهة أخرى نجد التجمعات أو الأحياء المتخلفة المشوهة للعمران ذات شوارع ضيقة وتفترق إلى شبكة المواصلات، تتراكم بها القمامة ولا تحتوي على أرصفتها، كما تنعدم أماكن الراحة ولعب الأطفال وانتشار واسع لبرك المياه وانتشار القاذورات.

وتعتبر أزمة المدينة الجزائرية أزمة متعددة الجوانب ومتعددة المستويات كما نجد المجال الفيزيقي والحضري الذي تقاطعت فيه كل الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية أنها أيضا الإطار الذي تمثلت فيه فشل المحاولات للنهوض بتنمية المدينة الجزائرية من مناطق الاستجابة المتواصلة للاحتياجات الاجتماعية، إلا أننا وصلنا إلى مرحلة الأزمة الملاحظة سواء بالنسبة للخاص والعام ربما لأننا لم نفهم جيدا خصوصية المدينة الجزائرية بالتالي لم تكن مقاربتنا للمدينة بالقدر الكافي من الفهم والتحليل بمعنى أن الدراسات التي أحيطت بالمدينة افتقدت إلى الوحدة النظرية¹.

وتؤكد أدبيات الدراسات الحضرية تزايد الاهتمام بالمشكلات الحضرية التفصيلية، دون محاولة فهم هذه المشكلات في بعدها الميكرو - حضري - الماكرو مجتمعي، وفي هذا الإطار يميل بعض علماء الاجتماع إلى وصف مشكلات المدينة المعاصرة " بالأزمة الحضرية"، في حين يركز البعض الآخر على تراكم وتشابك وتعقد المشكلات التي تواجه حياة المدن، ومما لا شك فيه أن هذه المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية والإدارية والإنسانية، قد أخذت أبعادا خطيرة تنبئ بمزيد من التردّي والتدهور لحياة المدينة، ومن هذه المشكلات²:

1. القصور الواضح في المرافق والخدمات الأساسية (التعليم، الصحة، الترويح، الترفيه... الخ).
2. انهيار البيئة الفيزيائية وترديها (فسادها وسوء استعمالها وتراكم الأوساخ).
3. الشعور بفقدان المعايير وانعدام الأمن والاعتراب.
4. مشكلات الواقع الإمبريقي الحضري، مثل: الإسكان، التلوث، النقل، البطالة، الفقر، التسول، السرقة، الجريمة، الاحتيايل، المخدرات والمسكرات، إمدادات المياه، الصرف الصحي، الكهرباء، النظافة، ارتفاع تكاليف المعيشة، الضوضاء، الرشوة، الفساد، الانحراف والتفكك الاجتماعي، تضخم قطاع الأنشطة الحضرية غير الرسمية، الدعارة، الاعتداء... الخ.
5. مشكلات عدم الفعالية السياسية، وفشل الجهاز الحكومي والإداري.

¹ رضا سلاطينية، مرجع سابق، ص 89

² إسماعيل قيرة، أي مستقبل للفقر في البلدان العربية، مرجع سابق، ص 172-173

وعلى الرغم من ظهور اتجاهات نظرية عديدة، حاولت فهم بناء المدينة ودينامياتها، إلا أن هذه الاتجاهات سعت في عمومها إلى فهم الواقع الحضري، وإدراك علاقات التأثير المتبادلة بين مكوناته وعناصره ومن هذه الزاوية يمكننا التأكيد أن الفهم الحقيقي للأزمة يرتبط بضرورة توافر المعرفة بأبعادها، في سياق القيام بدراسات علمية شمولية للمركب الحضري، هذا وقد أبدى علماء الاجتماع الحضري اهتماما فائقا بالأزمة الحضرية، باعتبارها تمثل نسيجا معقدا من المشكلات التي أخذت تتزايد وتتفاقم، فبعضهم تناولها في ضوء المشكلات الفيزيائية، النمو العشوائي غير المخطط، فساد البيئة وسوء استعمالها، أما البعض الآخر فيركزون على قضايا الاختلال، التناقض، عدم الفعالية السياسية والاقتصادية والاجتماعية... الخ¹.

وعلى الرغم من أن بعض الدراسات الحديثة قد أوضحت أن الأزمة الحضرية هي إفراز الاختلالات والتناقضات التي ينطوي عليها البناء الاجتماعي الحضري، إلا أنهم يؤكدون أهمية الأداء الاقتصادي، فعالية الجهاز الإداري في إحداث تغيير في النظم والمؤسسات البرامج والتحسين المخطط للأنشطة والخدمات، التخطيط الفيزيقي والاجتماعي، كحلولة خلاقة للمشكلات الحضرية.

خامسا: أسباب نشوء العشوائيات الحضرية وخصائصها في الجزائر

1- الأسباب التاريخية

أ. تشريعات الإدارة الفرنسية: تتمثل في جملة القوانين الفرنسية خلال الفترة الاستعمارية وقانون نزع الأراضي لسنة 1871 وقانون "وارنز" لسنة 1873 فقد صادرت فرنسا 2.700,000 هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة، وهو ما ولد فوضى داخل القبائل، أدت إلى استئصال الجماعات الريفية من جهة وتشجيع الهجرات نحو المدن من جهة أخرى².

وكذلك سياسة النزوح لإخلاء الريف الجزائري من أهله المنتهجة من طرف المستعمر، إن هذا النزوح الجماعي الناتج عن اختلال التوازن الاقتصادي والاجتماعي بين الريف والمدينة، أدى إلى تحضر سريع للمدن مما أنتج لأول مرة في تاريخ الجزائر نمط جديد من الإسكان في المدن يسمى بالأحياء القصديرية.

¹ السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص 147 - 148

² عبد الحميد دليمي، دراسة في العمران البشري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 130 - 131.

ب. قيام الثورة سنة 1954: بعد اندلاع الثورة ازدادت وتيرة الهجرة نحو المدن خاصة بعدما أحرق الاستعمار ودمر حوالي 800 قرية فلاحية، حيث وصل عدد المهاجرين إلى 810000 سنة 1954، مما زاد مشكل الأحياء القصديرية والبناء الفوضوي تفاقماً¹.

2- الأسباب الديمغرافية: حسب التقديرات الإحصائية الأخيرة عن الديوان الوطني للإحصاء للعام 2008 بلغ عدد السكان في الجزائر 34.8 مليون نسمة أغليبتهم يسكنون المدن بينما وصلت النسب في 2010 إلى 35.7 مليون نسمة وقد مر هذا التطور بالمراحل التالية²:

أ. مرحلة التراجع 1830-1872: تعتبر هذه المرحلة أخطر مرحلة يمر بها المجتمع الجزائري إذا تميزت بالتراجع والركود في عدد السكان حيث بلغ سنة 1830 ما يقارب ثلث ملايين نسمة وظل في تناقص وصل 2 مليون سنة 1872 وهذا بسبب انتشار الأمراض والأوبئة والثورات الشعبية وكذا انخفاض المستوى الصحي، إضافة إلى الإبادة الجماعية التي مارسها الاحتلال الفرنسي ضد السكان .

ب. مرحلة النمو البطئ 1872-1960 وتميزت بالاستقرار والنمو البطئ قرابة تسعين سنة فمن 2134000 نسمة سنة 1872 إلى 10800000 نسمة سنة 1960 ويرجع هذا لاستمرار عمليات القتال والحرب والتدهور الصحي والبيئي، الفقر والجوع.

ج. مرحلة النمو السريع 1960-2010 في هذه المرحلة بدأ عدد سكان الجزائر في التزايد المستمر والسريع وعبر عنها البعض بمرحلة الانفجار السكاني وصل بحلول 2010 إلى أكثر من 35 مليون نسمة وترجع هذه الزيادة للعوامل السياسية واقتصادية واجتماعية كانت الأسباب الرئيسية في هذه الزيادة.

3- الهجرة الريفية الحضرية: تعتبر الهجرة الريفية نحو المراكز الحضرية من بين أهم مظاهر الهجرة الداخلية في الجزائر حيث تسبب هذا النزوح في مشاكل عمرانية على الضواحي القريبة من المدن مثل ظهور المدن القصديرية والمناطق العشوائية غير المخططة فكانت لهذه الأخيرة عدة تأثيرات سلبية على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والعمراني أهمها، ارتفاع معدل النمو الحضري والعشوائي وغير المخطط له، قلة اليد العاملة في النشاط الزراعي، أزمة السكن وازدحام المناطق العمرانية المستقبلية للوفود وظهور مناطق مشوهة عمرانيا، الزيادة في التركيبة، ظهور أفات الإجرام، السرقة.....الخ

¹ عبد الحميد دليمي، مرجع سابق ، ص134.

² ليلي بلعيفة، ثقافة التحايل في العشوائيات الحضرية لمدينة سطيف، دراسة ميدانية لعشوائية قاوة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص ديمغرافيا حضرية، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سطيف، 2010-2011، ص ص 79-80

وتزامنت هذه الهجرة بسبب الظروف التالية بداية من 1954 - 1962 في فترة الثورة التحريرية وعرفت هذه المرحلة بتوافد أعداد هائلة من الجزائريين نحو المدن القريبة هروبا من انعدام الأمن في الأرياف والجبال، الفترة الثانية 1962-1977 فترة الاستقلال تميزت هذه الفترة بخروج الجزائريين منها بمخلفات أهمها تدني مستوى المعيشة وارتفاع نسبة البطالة وانخفاض مستوى الإنتاج الزراعي وكلها عوامل زادت من مواصلة الهجرة خصوصا نحو المدن الكبرى.

ثم تليها فترة التصنيع 1977 - 1990 في هذه الفترة أصبحت الجزائر تعيش انتعاشا اقتصاديا بسبب سياسة الحكومة المعتمدة على التنمية التي اتبعتها وهي إنشاء قاعدة صناعية تحتاج ليد عاملة، وبالتالي ساعدت على الهجرة نحو المدينة واستقطبت نسبة من المناطق الريفية وبالتالي أصبح الضغط على المرافق في المدينة وعدم قدرتها على استيعاب الكم الهائل من الوافدين وبالتالي تسبب هذا الظرف في نمو حضري غير مخطط وهنا ظهرت ما تسمى بالمناطق العشوائية¹.

فترة 1990-2000 ظاهرة الإرهاب وانعدام الأمن: عرفت الجزائر في هذه الفترة تدهورا أمنيا بسبب ظاهرة الإرهاب التي كانت لها أبعاد سياسية اقتصادية واجتماعية فقدرت الهجرة الريفية من خلال هذه الفترة ب 3.450 مليون نسمة إلى غاية 2001.

4- الزيادة في نسبة الشباب في التركيبة العمرية: يقصد بها تباين فئات السن في المجتمع وكان لهذا التباين أثر على النمو السكاني فالمجتمع فتي تتفوق فيه نسبة الشباب على الفئات الأخرى حيث تدل قوة السكان على الإنتاج وكذلك الفعالية الاقتصادية ويندرج الشباب ضمن الفئة العمرية الثانية في تركيب السكان من 15 إلى 45 والتي تعد الأكثر نشاطا في المجتمع، وبالنسبة للمجتمع الجزائري فنسبة الشباب فيه وصلت 75% في سنوات الثمانينات وبلغ عدد الشباب في الفئة العمرية 15-50 إلى 15172043 في إحصائيات 1998 أي بالنسبة 52.13% من إجمالي السكان²، ومن المعروف أن نسبة الشباب بهذا العدد يطرح مشكلة تأطير والتكفل وإدماج هذه الفئة في المجتمع حيث تتطلب مناصب العمل ودخل مناسب وسكن لائق ومرافق اجتماعية تحتويها وهنا تطرح مشكلة استيعابها كفئة منتجة ومندمجة وليست منحرفة.

5- الأسباب الاقتصادية: يمكن القول أن للظروف الاقتصادية دور في ظهور العشوائيات الحضرية والمتمثلة أساسا في مراحل النمو والتغير الاقتصادي في الجزائر وهي كالتالي مرحلة التنمية الاقتصادية

¹ عبد الحميد ديلمي، السياسات الحضرية، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2004، ص 78

² الديوان الوطني للإحصائيات www.ons.dz

وسميت بمرحلة الخيارات الاقتصادية الكبرى والتنمية الصناعية المعتمدة على المنشآت الصناعية الثقيلة للبتروول والغاز، ثم مرحلة الركود الاقتصادي بديّة من سنة 1986 إلى غاية 2000 وعرفت بالفترة تراجع أسعار الصادرات من المواد الطاقوية لجوء الجزائر للمديونية وارتفاعها إلى 31.2 مليار دولار سنة 1998 وكان ذلك نتيجة الاعتماد الدولة على برامج إصلاحية جديدة تمثلت في اتجاه الجزائر نحو اقتصاد السوق والتجارة الخارجية والخصوصية لأجل القضاء نسبيا على الاختلالات الاجتماعية المتعلقة بالسكن والوضع الاقتصادي بوجه عام.

أما بعد سنة 2000 تبدأ الجزائر مرحلة جديدة من الانتعاش الاقتصادي من خلال تراجع ديون الجزائر من 28.53 مليار دولار 2002 إلى 24.5 مليار دولار أي بفارق 4 ملايين. ومن بين أهم المعوقات التي ساعدت على انتشار ظاهرة الأحياء العشوائية وهي قلة الاعتمادات المالية المخصصة للقطاع، قلة المشروعات الاقتصادية التي تخفف من حدة البطالة الناتجة عن الطلب الكبير عن العمل، انتشار الفقر في المجتمع الجزائري بسبب البطالة المرتفعة مما أدى إلى اتساع دائرة الاقتصاد غير الرسمي الذي استطاع أن يستحوذ على فئة معتبرة من سكان الأحياء العشوائية وحتى بقية الأفراد، وارتفاع نسبة الهجرة الريفية نحو المدن من أجل العمل وبالتالي وجود خلل في التوازن الاقتصادي للريف.

5- الأسباب الاجتماعية: لقد لعبت الأسباب الاجتماعية دورا كبيرا في ظهور العشوائيات الحضرية في الجزائر والتي تتمثل في الفقر بحيث يوجد ارتباط كبير بين السكن المناسب والعشوائية من أجل تأمين السكن بأرخص ثمن حيث يفتقر لأدنى الشروط الضرورية من خلال الاستيلاء على أرض ملك الدولة، والبناء فيها بالمواد المتوفرة عند الأسرة، ومن خلال الدراسات الإحصائية التي أجريت لمعرفة ظاهرة الفقر حيث قدر 7.59 مليون جزائري ومنهم 2.76 مليون يعيشون في حالة قصوى من الحرمان 4.83 مليون شخص لا يملكون دخل منتظم، وعن بعض الدراسات التي قام بها الديوان الوطني للإحصائيات حول ظاهرة الفقر في الجزائر تبين بأن ثلث العائلات الجزائرية فقيرة بالإضافة إلى 45% من الأجراء يعيشون تحت الحد الأدنى للفقر، و50% من العمال الفلاحين أرباب أسر فقيرة 10% من أرباب العمل عاطلين عن العمل. 66% من أرباب العائلات أميين، 1.6 مليون نسمة نزحوا من الأرياف نحو المدن بسبب الوضع الأمني فتسببوا في زيادة فقراء الحضر، أما في دراسة للوزارة العمل والحماية الاجتماعية سنة 2000 بينت التالي¹:

¹ ليلي بلعيفة، مرجع سابق، ص 86

- 12 مليون جزائري دخلهم لا يتجاوز 1 دولار.
 - 1.9 مليون جزائري محتاجون منهم 370 فقط يستفيدون من الحماية الاجتماعية.
 - 3.7 مليون بطال يضاف لهم سنويا 250 ألف من يلتحقون بالعمل لأول مرة اغلبهم خريجي الجامعات والمعاهد.
 - أكثر من 18% من الجزائريين لا يستفيدون سنويا من الرعاية الصحية.
 - حوالي 20% من الجزائريين لا يستفيدون من أي تغطية للضمان الاجتماعي.
 - 169 ألف بيت قصديري عبر كامل التراب الوطني خاصة المدن الكبرى.
 - 135 ألف بيت غير صالح للسكن جلها مهددة بالانهيار.
- وبخصوص الحرمان البشري والتهميش لسنة 1996 وضحت الأرقام التالية¹:
- تقدر نسبة الأمية 606 مليون نسمة سنة 1995
 - بلغ عدد الأطفال خارج المدارس الابتدائية سنة 1992 نحو 534 ألف طفل
 - بلغ العدد الأطفال الذين يعانون سوء التغذية 334 ألف طفل سنتي (1985-1998)
- 6- الأسباب القانونية: ومن الأسباب القانونية التي أدت إلى تطور ظاهرة العشوائيات الحضرية في المدن الجزائرية ويرجع ذلك:
- لوجود ثغرات في القوانين والأحكام التي يمكن من خلالها التحايل على القانون.
 - غياب قوانين واضحة المعالم للحد من الظاهرة
 - غياب لجان مراقبة تسهر على حماية المساحات التي على أطراف المدن
- أما أهم الخصائص المميزة للعشوائيات الحضرية في الجزائر ببعض الخصائص نذكر من بينها متغيرات لها علاقة وطيدة بالإطار العمراني والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والذي يدخل في إطار تكوين هذه العشوائيات ونذكر من بينها:

¹ ليلي بلعيفة، مرجع سابق، ص 87

1- الخصائص الجغرافية من ناحية الموقع تقع اغلبها على أطراف المدن أو الضواحي وتوجد البعض منها داخل المدن وتعرف بالأحياء المتخلفة، وغالبا ما تقع بالقرب من المناطق الصناعية وتختلف من مدينة لأخرى حسب كثافة السكان ووضعية السكن.

2- الخصائص الفيزيائية: يتميز السكن بقلة التجانس حيث تنتشر فيه المساكن التقليدية إلى جانب بنايات الحديثة ذات الدور الواحد والدورين والثلاثة ادوار حسب القدرة الاقتصادية لكل أسرة وعليه تتباين القيمة الاقتصادية للأحياء العشوائية فأحيانا توجد بنايات ذات قيمة اقتصادية كبيرة إلى جانب بنايات ومساكن بسيطة جدا إلى جانب بيوت قصديرية¹.

3- الخصائص القانونية بمعنى أن اغلب هذه البنايات تسمى عشوائية لأنها مناطق واضعي اليد أو فوضوية أو سكنات غير شرعية أو مناطق غير قانونية ويعني ذلك تسجيل مخالفات وخرق القوانين العامة عن طريق الاستيلاء على قطع الأرض والبناء فوقها دون ملكية أو رخصة بناء.

4- الخصائص السوسيواقتصادية: يكشف هذا النوع من البناء عن الفئات الاجتماعية المهنية التي تتجه بصفة أكثر نحو هذا النمط العمراني الذي يضم بنسب متفاوتة مختلف الفئات من عمال موظفين فلاحين وتجار وإطارات وذلك لأن هذه الأحياء مفتوحة لجميع الأسر مما يجعلها تتكون من مختلف الشرائح الاجتماعية².

5- الخصائص الثقافية: تعكس هذه الأحياء ثقافة خاصة على نمط الحياة ومحاولة التكيف مع الحياة الحضرية خصوصا في ظل تنوع السكان وطبقاتهم وفئاتهم، وبرزت ثقافات خاصة تميزها متأثرة بفعل العديد من العوامل كالهجرة من المنطقة الواحدة، وأيضا تعرض هذه الأحياء للتهميش والإقصاء تجعلها تمتلك ثقافة خاصة بها.

سادسا: الآثار المترتبة عن انتشار البناء العشوائي

يترتب على العدد الكبير من البنايات غير الشرعية المشيدة على الإقليم مجموعة من الآثار الخطيرة في العديد من المجالات العمرانية، البيئية والاجتماعية والثقافية، إذ تتميز مناطق البناء غير الشرعي بفقدان المعايير الأساسية لنشوء البيئة العمرانية وتغليب الجانب الاجتماعي على عملية التخطيط العمراني

¹ محمد بومخولف، التحضر ، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2001، ص ص 207 - 208

² نفس المرجع ، ص 212

وتظهر آثار ذلك على صعيد موقع تشييد البناءات غير الشرعية وآثار البناءات غير الشرعية على المشهد العمراني حيث وبفعل موقعها تؤدي إلى المساس بالصحة والأمن العموميين وتدهور مستوى تجهيز الأراضي واختلال الربط بالطرق العمومية والمنافذ، وتوسعها على حساب الأراضي الزراعية والمواقع الحساسة وانعكاسات ذلك على الجانب الاقتصادي ويمكن أن نلخص هذه الانعكاسات في النقاط التالية¹:

1- تأثير البناءات العشوائية على الصحة والأمن العموميين: تتصف معظم مناطق البناء الفوضوي بمستوى صحي منخفض جدا لانعدام الوقاية الصحية، وبسبب قلة الوسائل الفعالة للتخلص من النفايات في تلك المناطق المزدهمة غير المخططة في حين أن البناءات الفوضوية الموجهة للنشاط الصناعي فتفتقد إلى دراسة التأثير على البيئة (المرسوم التنفيذي 07-145 المؤرخ في 19-05-2007 المتعلق بدراسة التأثير على البيئة) فقد بلغ عدد المنشآت التي تم إغلاقها من قبل وزارة البيئة وتهيئة الإقليم في سنة 2008 حوالي 450 مصنعا، كما تم توجيه 2700 إعدار لمؤسسات أخرى بسبب عدم التزامها بالمعايير والقوانين البيئية.

2- البناءات العشوائية المشيدة في الأراضي المعرضة لخطر الفيضانات: كشفت دراسة أعدت في سنة 2003 أن أكثر من 100.000 بناية في الجزائر مشيدة على أراضي معرضة لخطر الفيضانات الأمر الذي ترتب عنه العديد من الخسائر المادية والبشرية ناهيك عن الآثار التي تخلفها بعدها، فعلى سبيل المثال فيضان باب الواد سنة 2001 تسبب في مقتل 800 شخص وجرح 7543 آخرين، ناهيك عن غرق واختفاء سوق تريبولي بكامله في الأوحال، كما أدى إلى تضرر أكثر من 156 مؤسسة ومنشأة عمومية وتهديم 360 مسكن وإعادة إسكان 1500 عائلة، وأرجعت أسباب تلك الخسائر إلى تساقط الأمطار الكثيف بشكل متواصل إذ قدرت بحوالي 200 ملم في 24 ساعة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد ساهم الإخلال بقواعد البناء التعمير في تقاوم الكارثة وخاصة انعدام أو النقص في المساحات الخضراء والأشجار بالمنطقة المنحدرة وارتفاع الكثافة السكانية بها فقد قدر عدد سكان باب الواد في سنة الحادثة بـ 64.050 ساكن، والتعمير الفوضوي وغير المخطط من خلال القيام بالبناء في مجرى الوادي وتجهيزات شبكة صرف المياه غير الصالحة وغير الكافية².

¹ حسين بولمعي، السكن العشوائي وأثره على النمو الحضري في المدن الصغيرة، مدينة الحروش، شمال شرق الجزائر، المجلة الإفريقية للعلوم السياسية، تبسة الجزائر، 14 فيفري 2014. الساعة 16:00

² نفس المرجع https://swideg-geography.blogspot.com/2014/07/blog-post_20.html#.WbmAxPNJaG4

3- البنايات العشوائية المشيدة على الأراضي المعرضة لخطر الانزلاق: عرف هذه الظاهرة بالخصوص في مدينة قسنطينة التي يعود الاهتمام بها من قبل سلطات الاحتلال إلى نهاية الخمسينيات إذ انه قام بتحديدتها وإخضاعها بموجب مخطط التعمير الرئيسي، إلا أن التوسع الحضري السريع والعفوي لمدينة قسنطينة بعد الاستقلال وإغفال السلطات لتراتيب استعمال الأراضي المترامن مع سياسة الاحتياطات العقارية، أدى إلى تسارع ظاهرة الانزلاق واستمرارها إلى اليوم، في حين تعرف مناطق أخرى من الجزائر العاصمة هذه الظاهرة بسبب اكتساح البنايات للأرض وتشييدها على المنحدرات الخطرة على حساب دور المساحات الخضراء في تثبيت التربة لتفادي الانجراف¹

4- البنايات العشوائية المشيدة على الأراضي المعرضة للخطر الصناعي: إن تشييد البنايات ضمن الأراضي المجاورة للأنشطة الصناعية والصحية الخطرة سيعرضها إلى أخطار الانفجار أو انبعاث الأبخرة السامة والحريق وكذا أخطار التلوث، وتشير الدراسات المنجزة في 2003 في الجزائر إلى تشييد أكثر من 7500 بناية على أنابيب نقل الغاز، و8000 أخرى متصلة مباشرة بمناطق النشاط الصناعي، ولقد شكل انفجار مركب الغاز بسكيكدة بتاريخ 19-01-2004 أكبر كارثة صناعية عرفتتها الجزائر، والتي خلفت العديد من الأضرار على البنايات السكنية الواقعة في محيط الكارثة وخسائر مادية فادحة قدرت بخمسمائة مليار دينار بسبب تشقق بسيط في خط الأنابيب، كما ترتب عن انفجار آخر لأنبوب ناقل للغاز بنفس الولاية بتاريخ 03-03-1998 مقتل 07 أشخاص، وجرح 77 آخرين مع تحطيم 10 مساكن مشيدة عليه و50 بناية أخرى تضررت لقربها من موقع الحادث. كما تعاني منطقة حاسي مسعود وحاسي الرمل هي الأخرى من وجود العديد من الأحياء غير شرعية على شبكة كثيفة من خطوط أنابيب المنشآت البترولية والذي يشكل خطرا دائما يهدد حياة المواطنين القاطنين في هذه الأحياء وكذلك المطار المشيد أيضا على أرض تمر بها أنابيب البترول².

5- تأثير البناء العشوائي في تدهور مستوى تجهيز الأراضي والربط بالطرق العمومية والمنافذ: لأسباب تتعلق بعدم مشروعية البناء وعدم خضوع الأراضي المشيد عليها لأسس التخطيط العمراني يتعذر تزويد مناطق البناء غير الشرعي بالمرافق والخدمات العمومية، باستثناء حالات خاصة واستثنائية لأسباب

¹ حسين بولمعي، السكن العشوائي وأثره على النمو الحضري في المدن الصغيرة، مدينة الحروش، شمال شرق الجزائر، المجلة الإفريقية للعلوم السياسية، تبسة الجزائر، 14 فيفري 2014. الساعة 16:00

² https://swideg-geography.blogspot.com/2014/07/blog-post_20.html#.WbmAxPNJaG4

² نفس المرجع

سياسية في الغالب، وحتى في حالة تجهيزها فإنها لا تكفي، فالأحياء العشوائية تتميز بنقص المياه الشروب ونوعيتها الرديئة، والضعف في الإمداد بالطاقة الكهربائية والغاز، فليجأ سكانها في الغالب إلى عملية الربط غير الشرعي بالشبكات النظامية من أجل تلبية حاجاتهم مما يؤدي إلى التأثير العام على طاقة الشبكات والخدمات العامة وتضرر الاقتصاد الوطني. كما يترتب أيضا عن نشأة مناطق البناء العشوائي خارج مبادئ التخطيط العمراني صعوبة الوصول والنفوذ إليها بسبب عدم كفاية الطرق العمومية اللازمة للوصول إليها وبالخصوص في حالة الكوارث الطبيعية والحوادث، وحتى في حالة وجودها فهي غير معروفة في المخطط العام للطرق مما يصعب عمليات التدخل والإجلاء السريع بواسطة الآليات وتقتصر عملية الإنقاذ في العديد من الحالات على استعمال الوسائل التقليدية كما حدث في زلزال بومرداس 2001 مما يجعل المهمة صعبة.¹

6- تأثير البناء العشوائي على الجانب الزراعي والسياحي: لقد أدى زحف البناءات غير الشرعية ونموها السريع إلى تآكل الأراضي الزراعية المحدودة وغير المتجددة، إذ عرفت الجزائر فقدان مساحات مهمة قدرت بحوالي 70.000 هكتار للفترة الممتدة من 1974 إلى غاية 1987، و 78.000 هكتار للفترة الممتدة من 1988 إلى غاية 1996 منها 750 هكتار فقدت في فترة ما بين جوان 1995 إلى مارس 1996 رغم صدور تعليمات رئاسية بخصوص حماية الأراضي الفلاحية آنذاك. ولم يسلم العقار السياحي هو الآخر من هذه الآفة، بسبب كثرة البناءات غير الشرعية المشيدة ضمن مناطق التوسع السياحي والتي عرفت هي الأخرى المضاربة في الصفقات العقارية وتحويل الموارد عن طبيعتها السياحية.²

7- تأثير البناء العشوائي على المشهد العمراني: في الجزائر تسبب العدد الهائل للبنىات العشوائية وشكلها في المساس الصارخ بعنصر الجمال المعماري كأحد عناصر النظام العام كما حددته المادة 02 من المرسوم التشريعي 94-07 المتعلق بالإنتاج المعماري وممارسة مهنة المهندس المعماري بنصها: "تعد نوعية البنائات وإدماجها في المحيط واحترام المناظر الطبيعية والحضرية وحماية التراث والمحيط المبني ذات منفعة عامة"، ويتجلى ذلك في عدم الاهتمام بإتمام انجاز البناء لا سيما الواجهة، وتهتميش

¹ حسين بولمعيذ، السكن العشوائي وأثره على النمو الحضري في المدن الصغيرة، مدينة الحروش، شمال شرق الجزائر، المجلة الإفريقية للعلوم السياسية، تبسة الجزائر، 14 فيفري 2014. الساعة 16:00

https://swideg-geography.blogspot.com/2014/07/blog-post_20.html#.WbmAxPNJaG4

² نفس المرجع

دور التشكيل المعماري الذي « يشرع فيه المصمم باستخدام المفردات البصرية الشكلية كعناصر أساسية والمبادئ والأسس التصميمية ليحولها إلى كتل وفضاءات بنظام معين » (10)، فالقائم بالبناء العشوائي لا يعير اهتماما بالذوق العام وذوبان البناية في المجال المشترك مع المحيط ويكفيه الاهتمام بالأجزاء الداخلية فقط لتتكون بذلك أشكالاً معمارية يسودها عدم الوحدة والنظام وهكذا حتم التدهور الشديد والتشوه الذي شاب المظهر العمراني بسبب هذه البنايات التدخل بالقانون 08-15 المتعلق بتحقيق مطابقة البنايات وإتمام إنجازها لمعالجة الوضع القائم بعد أن برر ذلك في عرض أسبابه بأن الشكل الغريب لهذه البنايات وتناثر أشكالها وانتشارها المتفاقم... التي ما فتئت تفقد فضاءنا العمراني تجانسه مخلة بذلك بروق مدننا وجمالها فقد أصبحت معظم مدننا نماذج من الاختلافات العمرانية وأنماطاً من الخروقات في التصميم والانجاز تجسدت في هياكل منجزة بالإسمنت المسلح واستخدام أعمدة فولاذية مؤقتة إلى جانب العجز المسجل في تهيئة الفضاءات الخارجية¹.

8- الآثار الثقافية والاجتماعية المترتبة على البناء العشوائي: تشكل دراسة هذه الآثار مجال بحث علم الاجتماع الحضري الذي يختص بدراسة أنماط تحركات السكان واستيطانهم بمنطقة ما وكيفية استغلالها وتأثرهم ببيئتهم الطبيعية والاجتماعية والثقافية فيدرسها ضمن إطار نشأتها وهو تجمعات السكن العشوائي، ويحدد طرق تفاعلها وتأثيرها، وسنركز في هذا الجانب على البعض من هذه الآثار وهي²:

- **التكيف الحضري لسكان المناطق العشوائية:** تعتبر مناطق السكن العشوائي أمكنة لاستقبال الوافدين الجدد من الريف بحثاً عن العمل وتحسين أوضاعهم المادية، إلا أنهم يصطدمون في الأمكنة الجديدة بصعوبة العيش في المدينة وتعقيدات الحياة الحضرية بشكل يدفعهم للتكتل في شكل تجمعات وأحزمة عمرانية حول المدينة باعتبارها الأمكنة البعيدة عن عين الرقابة، التي تحتل منطقة وسط بين ريف ومدينة أو منطقة العبور الحضري الريفي التي تسهل لشاغلها الاتصال الدائم بموطنهم الأصلي والرجوع إلى مناطق السكن العشوائي، ويتخذ سكان هذه المناطق أسلوباً لمقاومة تأثير المدينة عن طريق إعادة بناء الوسط المعيشي واستحداث شبكة من العلاقات تتجاوز الوسط الذي يقطنون فيه.

¹ حسين بولمعي، السكن العشوائي وأثره على النمو الحضري في المدن الصغيرة، مدينة الحروش، شمال شرق الجزائر، المجلة الإفريقية للعلوم السياسية، تبسة الجزائر، 14 فيفري 2014. الساعة 16:00

² نفس المرجع https://swideg-geography.blogspot.com/2014/07/blog-post_20.html#.WbmAxPNJaG4

² نفس المرجع

-تدني المستوى التعليمي لسكان المناطق العشوائية: يتأثر التعليم مباشرة بمستوى الدخل، تتجلى أهم مظاهره في انخفاض استهلاك الغذاء، كما ونوعا، وتدني الحالة الصحية والمستوى التعليمي والوضع السكني وفقدان الاحتياطي أو الضمان لمواجهة الحالات الصعبة، ويمنع هذا الوضع الوالدين في الإنفاق المستمر على أبنائهم لممارسة الدراسة ويقرران التضحية بهم، وهذا ما يفسر نقص المستوى التعليمي والثقافي والتربوي لسكان مناطق البناء الفوضوي، كما أن أرباب الأسر في هاته المناطق يفضلون العمل لأبنائهم للمساهمة في دخل الأسرة بدلا من الدراسة، في أوضاع تتسم بضيق المسكن المزدهم بسكانه وبعد المدرسة بسبب عدم تجهيز الحي.

- كثرة المشاكل الأسرية وانحراف سلوك الأفراد: يؤدي تكديس الأفراد في غرف المسكن ضمن المناطق العشوائية، وطبيعة الفضاء العام الذي غيبت خصائصه إلى فقدان الإحساس بالخصوصية وبالوجدان، إذ أن الحدود الفاصلة بين الفرد وبين الدوائر الاجتماعية المحيطة به شبه معدومة، وتدفع هذه البيئة غير الصحية أفراد الأسرة إلى تعقيدات قد تكون مأساوية في بعض الأحيان، في علاقاتهم مع أنفسهم ومع المجتمع الخارجي، تغرس في أعماقهم الشعور بالإحباط والعدوانية، كما أنها تساهم في خلق شخصية غير سوية للإنسان فهذه البيئة السكنية، وتثور الخلافات والصراعات والضغائن، وينمو الشعور بالانتماء والاندماج وتنمو كافة الأعراض المرضية من القلق والانطواء إلى الانحراف والعداوة والإجرام، هذه الظروف تجعل الفرد عرضة للتهميش والإقصاء مما يهيئ بيئة جديدة أصلح ما تكون لتفريخ الجرائم عامة وجريمة الإرهاب بصفة خاصة، والجدول التالي يوضح عديد الانماط والسلوكيات الانحرافية لبعض السنوات حيث كانت السرقة وتعاطي المخدرات في المرتبة الأولى

الجدول رقم (03)¹: يبين نسبة تنامي الجريمة بين الشباب في الوسط الحضري

السنوات	السرقة	%	القتل	%	الاغتصاب	%	المخدرات	%	أنواع أخرى	%
2001	5678	18.73	480	18.39	390	17.48	4200	16.03	1710	19.25
2002	6400	21.11	530	20.30	340	15.24	4560	18.37	1750	19.70
2003	6560	21.64	650	24.90	460	20.62	4700	18.93	1800	20.27
2004	6780	22.37	570	21.83	560	25.11	5800	23.36	1860	20.94
2005	4890	16.13	380	14.55	480	21.52	5780	23.28	1760	19.81
مج	30308	%100	2610	%100	2230	%100	24820	%100	8880	100%

المصدر: الديوان الوطني للإحصائيات

¹ فقيه العبد، مرجع سابق، ص02

سابعاً: تحولات المدينة الجزائرية والتمظهرات السلوكية لشبابها

باعتبار المدينة ليست فضاءاً جغرافياً أو تجمعات سكنية فحسب وإنما هي تاريخ ووجود اجتماعي وهي على المستوى المادي سكن وتحضر وتهيئة وهندسة، وبإمكاننا التخطيط لتدفق السكان وإحصاؤه ولكن ما يستعصى هو الإحاطة بأجواء الشارع والأحداث اليومية وواقع الإنسان داخل المحيط الحضري، ويمكن القول إجمالاً أن الشباب يلجأ إلى الانكفاء على بني ميكرو اجتماعية وذلك نتيجة لعجزهم أمام واقعهم المتأزم حيث يبحث عن هوية جماعية بغاية تصريف الإحساس بالإقصاء والنسيان والتهميش الذي يتهدهم¹.

ويرتبط الحديث عن الشباب والشارع أو المدينة بسجلين الأول هو انتشار العنف والانحراف والإجرام أما الثاني فهو متصل بالغياب والخفاء الناتجين عن الانكفاء في فضاءات عمومية، وهذان السجلان مرتبطان بتصوير اجتماعي يعتبر أن مكان الشباب هو الفضاء العائلي والمدرسي أو الاجتماعي أو الثقافي والصحي لأن شباب المدينة أو الشارع يعتبر هامشياً وخطيراً وهو الفئة الغير ناضجة وتستوجب الحماية من أخطار الانحطاط الأخلاقي الذي تتصف به الفضاءات الخارجية، كما تستوجب التنشئة على فضاءات المؤسسات وهذه المقاربة لا تأخذ بعين الاعتبار التحولات التي يشهدها الشباب اليوم حيث أصبح يمثل فئة أكثر نضجاً وذات خصوصية ولها ثقافة خاصة وتتميز بحركية أكبر وهذه التحولات مرتبطة بمقتضيات الاندماج التي تتطلب من الشباب التعامل مع الشارع والمدينة والفضاءات العمومية وذلك للأسباب التالية²:

- البحث عن العمل

- ارتباط التنشئة الشبابية بالفضاء الخارجي

- تعطل آليات التنشئة المتناقلة في البيت والمدرسة والجوار وبالتالي ظهور الحاجة إلى البحث عن

نماذج أخرى في الخارج

- انعدام البيئة الأساسية والتجهيزات المخصصة لاستقبال الشباب أو محدوديتها

ومن هذه الوجهة يصبح الهدف من التفكير في إشكالية الشباب والشارع هو إعادة النظر في موقع الشباب في الشارع وبالتالي التفكير في تجديد صيغ وأماكن تنشئة الشباب أي الحق في المدينة والعلاقة بين الجمالية والاجتماعية.

¹ المنجي الزيدي، مرجع سابق، ص 77

² نفس المرجع، ص ص 79 - 80

وعليه لا يمكن الحديث عن عالم الشغل، أوقات الفراغ، الأصالة والمعاصرة، القيم العالمية الجديدة، مستقبل الشعوب والأمم والانحراف وكل أشكال الآفات الاجتماعية... دون أخذ الشباب بعين الاعتبار فبالنسبة للجزائر لم تسمح السياسات التي اتبعتها في العشرية الأخيرة بتجنيد حقيقي للشباب الجزائري بحيث يثبت في مكانه كفاعل اجتماعي حقيقي في التنمية الوطنية، رغم ثقل وزنه في التركيب السكاني للبلاد؛ كما يمكن القول أن مختلف السياسات المطبقة قد ركزت على البنية الاقتصادية والتجهيزات والهياكل متناسية أن البعد البشري هو أساس كل تقدم اجتماعي.

وعلى اعتبار التنمية هي: إحدى العمليات التي تهدف إلى تدعيم القدرة الذاتية للمجتمع وتحقيق الأهداف المحلية والقومية بالطرق المنهجية التي يستخدمها أخصائيو مدربون، وتكفل مشاركة القطاع الأهلي بموارده البشرية والمادية في تخطيط برامج التنمية وتنفيذها استجابة للاحتياجات المحلية من ناحية ومساهمة في تحقيق الأهداف القومية من ناحية أخرى فالتنمية تهدف أساسا إلى إشباع الحاجات الأساسية والمتنامية لأفراد المجتمع فهي تتعامل مع الإنسان وخاصة مع المواطنين الذين يعانون مشكلات معينة، وتعمل على إشراكهم في تنمية مؤهلاتهم ومواردهم مشاركة تسمح بكسب ثقتهم، وإذا كان هذا ينطبق على المواطنين عامة، فإن الشباب على وجه الخصوص يحتاجون إلى عناية خاصة لاعتبارات كثيرة، نذكر منها¹:

1- خصوصية المرحلة العمرية للشباب وما تتميز به من تحولات في الشخصية والطباع والسلوك وغيرها.

2- للشباب حاجات متنامية يشترك في بعضها مع من هم أكبر منهم سنا، لكن الأوضاع العالمية الجديدة ولاسيما تطور وسائل الإعلام والاتصال والتكنولوجيا الحديثة أنتج لنا شبابا متطلعا وبكل شغف على كل ما هو جديد ومتطور وجذاب... فكيف يقبل وضعية لا توفر له الأساسيات كالشغل والأمن والاستقرار وغيرها من الحاجات.

3- إذا لم نهتم بالشباب ونتكفل بحل مشكلاتهم وتلبية حاجاتهم فإننا نساهم في تعطيل طاقات منتجة أساسية في المجتمع اليوم وغدا.

4- إن شعور الشباب التهميش وانعدام العدالة وغيرها من المشكلات التي يصعب حصرها، تعد إحدى الأسباب الدافعة إلى الرغبة في الهجرة العنوية والسرية لشبابنا، وظهور حالات اليأس والإحباط

¹ يوسف عنصر، مشكلات الشباب الجزائري، الواقع والتطلعات المستقبلية، مجلة الباحث الاجتماعي، جامعة قسنطينة، عدد 10 سبتمبر، 2010، ص

وما ارتفع حالات الانتحار في أوساط الشباب خاصة إلا مؤشر على تلك الأزمات التي تنتاب شباب.

وأمام هذه الوضعية أصبح من الضروري والمستعجل التساؤل حول فعالية وملائمة السياسات المطبقة وقدرتها على التكفل بانشغالات الشباب وتلبية احتياجاتهم المتنامية. وقد كان هذا الانشغال أحد الأهداف الكبرى للقاء بين الحكومة والولاية خصص لمشكلات الشباب في أكتوبر 2007، أما الهدف الثاني فكان تحديد مضمون ومحاور سياسة فاعلة منسجمة موجهة للشباب تسهم في ترقية المواطنة، حماية الشباب من مختلف أشكال الانحراف ومشاركتهم الإيجابية، وأخيرا يهدف هذا اللقاء إلى التفكير في التعديلات اللازمة للإطار المؤسسي والتنظيمي الحالي للتكفل بانشغالات الشباب.

كما أكدت الدراسات أن الشباب هم أكثر الفئات شعورا بالولاء للمجتمع ويتحمسون للعمل في سبيله، كما أنهم يعرفونه حق المعرفة ويدركون موارده واحتياجاته، كما أنهم يستفيدون بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بنتائج الأعمال التي يقومون بها علاوة على أن خدمتهم لمجتمعاتهم المحلية ستساعدهم بلا شك على ارتفاع مكانتهم الاجتماعية بها.

ثامنا : مشكلات الشباب الجزائري في الوسط الحضري العشوائي

تشهد معظم المدن الجزائرية في الآونة الأخيرة انتشار وتفاقم العديد من المشكلات الاجتماعية والإيكولوجية، وثمة أدلة وافية توحى بتزايدها وتراكمها وتعقدتها لترسم في النهاية ملامح أزمة حضرية متصاعدة وصورة مدينة الإسمنت البائسة التي تتغذى على تفريخ أزماتها وتناقضات عناصر ومكونات تنظيمها الاجتماعي، ولذلك لم يكن من المستغرب أن يؤدي هذا الوضع الحضري المتأزم إلى المزيد من التردّي والنمو الحضري العشوائي غير المخطط، في ظل التعايش والتداخل بين الأنساق القيمية الريفية، والأنساق القيمية الحضرية، وغير خاف أن هذه الثنائية التي كثيرا ما تنتفي حدوده لتحول دون ظهور ثقافة حضرية متميزة تحكم الفعل الاجتماعي من ناحية، وتكرس مقولات: "استمرار الترييف"، "الفلاحون في المدينة"، "الفلاحون الحضريون" من ناحية أخرى تتجلى معالم هذه الصورة الهجينة في سيادة العقلية الخرافية التي تؤمن بالسحر والعين، و"بجدوى" لمرابط "و" الطالب "و" المرقى"، والمعالج الشعبي، والولي الصالح وغيرهم من الكائنات الميثولوجية التي تزداد انتشارا، لتشكل في النهاية إحدى معالم البنية التطبيقية بتواجدها في كل مكان، وفي كل أسرة وفي كل جماعة وطبقة حتى يخيل للمرء أنه على أعتاب

مجتمع آخر يتشكل ويتبلور في قالب تراجيدي، إنه مجتمع الكواكب الثقافية، المليء بالكائنات غير المرئية والطقوس التقليدية الأكثر قربا من الجانب الغيبي - الروحي الميتافيزيقي¹.

وتشكل المشكلات التي تواجه شباب في الوقت الحاضر تلك المواقف التي تواجه الشباب وتعجز قدراتهم وإمكاناتهم عن مواجهتها، ونظرا لتعدد العوامل التي تؤثر على أوضاع الشباب في مجتمع سواء كانت عوامل محلية نابعة من ظروف مجتمع المعاصر، أو عوامل إقليمية مرتبطة بالأحوال التي يعيش في ظلها الشباب، أو عوامل دولية تخضع لها وتتأثر بها دول العالم كلها ومن بينها الجزائر وشبابها الذين يأتون في مقدمة المتأثرين باعتبارهم أكثر فئات المجتمع حساسية لمثل هذه العوامل.

ولأن كل فرد في هذه الحياة معرض لتلك المشكلات إلا أنها تختلف من فرد لآخر فلكل إنسان فريدته الخاصة وصفاته الشخصية التي لا يشارك فيها أحد، كما أن لكل مشكلة فريدتها الخاصة، حيث تتفاوت المشكلات في نوعيتها وصعوبتها ودرجة خطورتها وتبعاً لفردية المشكلات وفردية الشباب فهناك شباب قادر بمواصفاته الشخصية على مواجهتها بعضها والتصدي لها بمفرده، وهناك آخرون عاجزون تماما عن مواجهتها حتى لو كانت مشكلات صغيرة ولكن هناك الكثير من المشكلات الخطيرة والمعقدة التي تحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل من متخصصين مهنيين وجهات مسئولة على قدر من الإمكانيات اللازمة.

ومن بين تلك المشكلات التي تواجه شبابنا في الوقت الحاضر وتحتاج إلى هذا الجهد مشكلة البطالة، ومشكلة وقت الفراغ الذي يعيشه الشباب، وأيضا مشكلة العنف والتطرف وأخيرا مشكلة اغتراب الشباب وفقدانهم هويتهم ومشكلة الانحراف ونعرضها بشيء من التفصيل كما يلي:

1- مشكلة البطالة: تشكل البطالة تحديا خطيرا من تحديات التنمية، حيث يؤدي شيوعها إلى تحول قطاع كبير من أفراد المجتمع إلى قطاع غير منتج، وهو ما يعلل الفجوة التي تفصل بين الدول المتقدمة الصناعية والدول المتخلفة، حيث ترجع قوة الدول المتقدمة اقتصاديا إلى القدرة الإنتاجية الهائلة للقوى العاملة فيها واستثمارها الاستثمار الأمثل في عمليات الإنتاج.

وتأتي خطورة البطالة على المستوى الفردي من حيث ما يترتب عليها من انخفاض الدخل الفردي نتيجة اقتسام دخول الأفراد المنتجين مع الأفراد الآخرين غير المنتجين، وما يترتب على ذلك من انخفاض مستويات المعيشة وعدم قدرة الأفراد على تحقيق متطلباتهم وتطلعاتهم.

¹ إبراهيم توهامي، الأحياء المتخلفة بن التهميش والاندماج في البناء السوسوإقتصادي حضري، مجلة الباحث الاجتماعي، قسم علم الاجتماع، جامعة قسنطينة، العدد 5 جانفي 2004، ص 46

وفي الجزائر حسب إحصائيات رسمية نجد مستويات البطالة قدرت بـ 10.2% خلال الثلاثي الرابع من سنة 2009 ما يمثل 1 مليون و 72 ألف شخص مقارنة بسنة 2008 التي سجلت بها نسبة 11.3%، ما مستوى معدل البطالة لدى الشباب (16-24) فشهد استقرارا ما بين سبتمبر 2013 و 2014 بحيث بلغ 24.8% وهو يمس حسب التحقيق شأبا نشطا من أصل أربعة، وأشار التحقيق إلى أن "حوالي بطالين اثنين من أصل ثلاثة يبحثون عن عمل منذ سنة أو أكثر" مسجلا "انتشارا للبطالة الطويلة الأمد لا سيما لدى الأشخاص غير الحاملين لشهادات (8.67%) مقارنة بالجامعيين (6.58%)، ويقدر عدد البطالين الذين سبق لهم وأن عملوا من قبل بـ 478 000 شخص أي 5.41% من السكان البطالين، ونشر الديوان تقريرا يرصد حالة البطالة بالجزائر للعام 2014 أنها بلغت 11.2% في سبتمبر 2015 مقابل 10.6% في الشهر نفسه من عام 2014، مما يعني أن هناك أكثر من مليون ونصف مليون عاطل عن العمل، 80% منهم شباب، وأوضح التقرير أن البطالة في أوساط الشباب (بين 16 و 24 سنة) بلغت 29.9% في سبتمبر 2015 مقابل 25% من الشهر نفسه في 2014¹.

وفيما يخص الشباب المتخرجين من الجامعات الجزائرية وموضوع البطالة، تم التصريح من طرف الوزارة أن قرابة 142541 من حاملي الشهادات الجامعية حصلوا على مناصب شغل خلال فترة 1999 إلى غاية 2005 وهذا في إطار عقود ما قبل التشغيل، بحيث 20% من هذه الفئة وظفت بصفة دائمة، وقد بلغ عدد الجامعيين الذين وظفوا خلال سنة 2005 بـ 48716 جامعي، كما خلقت عدة أجهزة تسهر على توفير الشغل كالوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب والوكالة الوطنية لتسيير القروض المصغرة².

في حين حاولت الدولة وضع إستراتيجية لمواجهة هذه الظاهرة بتوفير 500 ألف فرصة عمل³. وعليه كان مسار الإدماج المهني للشباب في الجزائر كالتالي: من خلال المعطيات المتصلة بمسار الإدماج المهني للشباب في الجزائر يشمل بداية سياسات التشغيل منذ الاستقلال من 1962 إلى غاية 2004، والوقوف على الملامح العامة لها وهي⁴:

¹ الديوان الوطني للإحصائيات، www.ons.dz

² مجلة مجلس الأمة، العدد الثامن والعشرون، ديسمبر، 2006 ص 27

³ شاقوري عبد القادر، الهجرة الغير شرعية في حوض البحر الأبيض المتوسط - الأسباب وسياسات المواجهة - الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الأبيض المتوسط - المخاطر وإستراتيجية المواجهة، ط1، ابن النديم، بيروت لبنان، 2014، ص 50

⁴ نور الدين كوسة، قراءة في مسار الإدماج المهني للشباب في الجزائر 1962-2004 - أعمال الندوة العلمية الدولية، الإدماج والاندماج الرهانات والاستراتيجيات والمرجعيات، جامعة تونس، المعهد العالي للتشغيل الشبابي والثقافي بيئر الباي، دون سنة، ص 55-59

تبدأ من برنامج التشغيل 1962-1987 وفي هذه المرحلة لم تطرح مشكلة البطالة كأحد المشاكل السوسيو اقتصادية، التي يشكو منها المجتمع الجزائري وفئة الشباب خاصة لأن النمط الاشتراكي موجه لاستيعاب أكبر قدر من العمالة، فأدى ذلك لانخفاض معدلات البطالة في هذه الفترة (المرحلة الثانية) أما برنامج التشغيل 1987-1990 بدأ بعد أواخر سنة 1986 بفعل الأزمة الاقتصادية للسوق البترولية التي أدت إلى تراجع المداخيل وبالتالي تعجيل بالتحول التدريجي لسياسة الانفتاح الاقتصادي، وتمهيد لتبني النهج الليبرالي وهنا برزت مشكلة البطالة بفعل توقف المؤسسات العمومية وخصوصة كثير منها، وفي سنة 1987 برزت البرامج الموجهة لصالح الإدماج المهني للشباب وكانت موجهة للفئة العمرية 16-24 ممول من قبل الصندوق المشترك للجماعات المحلية، وصندوق المساعدة على تشغيل الشباب ولكن لم تنجح هذه البرامج وبالتالي مهد لبرامج أخرى بداية من 1990 إلى 1996 ويهدف هذا البرنامج إلى خلق مناصب الشغل للشباب بنفسه من خلال مؤسسات اقتصادية أو ما يعرف بالتعاونيات الشبانية كما يهدف إلى توفير مناصب الشغل للشباب بدون تأهيل من خلال إدماجهم في مؤسسات عمومية وخاصة بمبادئ:

- تفضيل الشغل المنتج والدائم

- خلق الشغل بأقل تكلفة

- إضفاء الطابع المحلي على مبادرات التشغيل

- تفضيل الإدماج عن طريق التكوين

هذا التوجه عملت الدولة كذلك على إنشاء إطار مؤسسي قائم بذاته يحضى باستقلالية قانونية ومادية لاستقطاب الأيدي العاملة، ومحاولة إدماجها في عالم الشغل وهنا توجهت المساعي بإنشاء وزارة المؤسسات والصناعات الصغيرة والمتوسطة، وقد نجحت إلى حد كبير في تنمية المشروعات الصغيرة والمتوسطة وترقيتها من خلال تقديم الحوافز والدعم أما البرنامج 1996-2004 انتهجت الدولة برنامج التخلي عن مفاهيم السابقة المرتبطة بالإدماج من حيث التكفل الكلي بالشباب لإيجاد منصب عمل وظهور مفاهيم جديدة ضمن هذا البرنامج والمتمثلة في الدعم والتسهيلات واكتفاء الدولة بوظائف التوجيه والاستشارة مع إشراك البنوك في هذه العملية وهي الممول والشريك في نفس الوقت.

2- الشباب وأزمة وقت الفراغ: أما بالنسبة لأزمة الشباب والخاصة بقضاء أوقات الفراغ، فهي ترجع في المرتبة الأولى إلى عدم التدريب على كيفية قضاء وقت الفراغ بطريقة سليمة في مراحل الطفولة المبكرة، حيث يعد هذا التدريب جزءا من وظيفة الوالدين معا، حتى بالنسبة للآباء المتقنين بالعمل، فإنهم يمكنهم تنظيم ولو ساعات قليلة من أجل القيام ببعض الأعمال التي تذكي في الأطفال الشعور بأهمية استغلال

أوقات الفراغ. مثل توجيههم نحو القراءة، أو المشاركة في الألعاب التي تنمي القدرة على التخيل والإبداع، والتردد على المتاحف والمعارض، مثل هذه الممارسات تؤدي إلى اتساع مدارك الأطفال، وأفق تفكيرهم، إلى جانب اكتساب ما يتفق مع ميولهم، ويحقق إشباع هذه الميول في نواحي الحياة الواقعية في المراحل العمرية المقبلة، حيث ينسحب الأبناء تدريجياً من هذا المجال في فترة المراهقة وما بعدها، وحيث يقف دورهم عند حد التوجيه غير الملزم والإرشاد الذي لا يأخذ صفة القهر، أما عن أنماط الممارسات الفعلية لأنشطة أوقات الفراغ لدى الشباب فهي تختلف باختلاف التوجيهات القيمة وكذلك باختلاف المستويات المادية التي توجه أنشطة أوقات الفراغ¹.

يبقى وقت الفراغ مفهوماً غامضاً، يتسم بالنسبية إلى حد كبير، يتضمن جوانب إيجابية وجوانب سلبية، يستخدم بطريقة إيجابية كتحويله إلى وقت لممارسة أنشطة تروحية ويطلق عليها أيضاً بأنشطة قضاء وقت الفراغ وتعد أساليب عاجية ووقائية لكثير من المشكلات النفسية والاجتماعية، أو يستخدم بطريقة سيئة ويصبح هنا مشكلة خطيرة تهدد الفرد والمجتمع، ويقصد به في هذه الحالة الوقت الضائع أو الوقت الفارغ الذي يعيش فيه الفرد حالة من العبث واللهو السلبي والضار، والذي قد يؤدي إلى وقوع الفرد في مشكلات منها الانحراف.

3- مخاطر الاغتراب وفقدان الهوية لدى الشباب: يقصد به العزلة عن المجتمع والعجز عن التلاؤم والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة والتمركز حول الذات والذي يمكن أن يكون سبباً رئيسياً من أسباب التمرد والاستياء التي يعبر عنها الشباب بصورة غير إيجابية، ومن مظاهر الاغتراب بين الشباب والازواء والانسحاب من الحياة الاجتماعية والفجوة بين المثل وتجسيديات الواقع وانتشار ثقافة الاستهلاك والرفض كظاهرة شبابية².

و يقصد بالاغتراب الشعور بالانفصام عن الذات أو المجتمع أو الله، أو هو التباعد وتحطيم العلاقات المتبادلة الوثيقة وتفكك الشعور بالتبعية وزيادة درجة الانفصام عن التجمعات الاجتماعية، بينما يرى البعض الاغتراب حالة من حالات التطرف عن الذات أو الموضوع أو ثوران الرفض والاحتجاج التي يقوم بها الشباب في بلدان كثيرة ما هي إلا مظهر من مظاهر التعبير عن الاغتراب.

ويكاد يتفق كل من تناول ظاهرة الاغتراب بالدراسة من علماء النفس على أن الشعور بالاغتراب يتمثل في شعور الفرد بالاستياء والتذمر والإحساس بالعزلة والوحدة، وقد يصل حد العزلة إلى انفصام الفرد عن

¹ أحمد محمد موسي، الشباب بين التهميش والتشخيص، رؤية إنسانية، ط1، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، 2009، ص49
² حمود بن خميس بن محمد النوفلي، المخاطر الاجتماعية وتحدياتهم أما الشباب في دول الخليج العربي، مداخلة في ملتقى الشباب والتحديات المعاصرة في دول الخليج العربي، جامعة السلطان قابوس، عمان، 2016، ص21.

ذاته، وفقدان مغزى الحياة وانعدام الإحساس بالروابط بين كل شيء من الأشياء والأفراد والشعور بالعداء نحوها ومعاملة غيره من الناس كأشياء مستقلة عن ذاته دون النظر إلى نوعية العلاقات التي تربطه بهم، وإحساس الفرد بفقدان المعايير الاجتماعية التي تضبط السلوك وفقدان الاحترام لها، بما يؤدي به إلى عدم ضبط سلوكه، هذا بالإضافة إلى وجود فجوة بينه وبين الآخرين، فيصبح بذلك مغتربا عنهم، وعليه يكون الاغتراب ظاهرة يمكن التعرض لها في أنماط الحياة الاجتماعية، المنتبع لها كظاهرة اجتماعية ويلاحظ ما يلي:¹

- أن الاغتراب يعني انفصال بين الفرد وما يغترب عنه، وهذا الانفصال مبني على التناقض بينه وبين الظروف المحيطة به، والتي تسبب الإحباط والتناقض الداخلي مع جوهره، وتمنعه من التعبير عن نفسه، أو قد يتجاوز الصمت إلى أعمال عنف ضد الظروف المحيطة به.

- ليس للاغتراب أشخاص بعينهم، وليس قاصرا على مجتمع دون آخر أو زمن خاص، وله أكثر من صورة، فصورة الاغتراب في بيئة معينة تختلف عنها في بيئة أخرى، وذلك لاختلاف العوامل الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في هذه البيئات والتي تسهم بصورة فعالة في زيادة كثافة وحالات الاغتراب لدى بعض الأفراد.

- الاغتراب كظاهرة إنسانية عامة سوية مقبولة حيناً، مرضية معوقة في أحيان أخرى، شائعة في كثير من المجتمعات بغض النظر عن النظم والإيديولوجيات والمستوى الاقتصادي والتقدم المادي والتكنولوجي.

- الاغتراب رفض عميق لقيم المجتمع وانعزال عن الآخرين مع سيادة الشعور بالوحدة وفقدان الجذور، وعدم إدراك لمعنى الحياة وهدفها ووجهتها، والإحساس بالتشويؤ (شعور الفرد بأنه شيء وليس إنساناً) والشعور المضطرب بالذات، وكثيراً هنا ما تنقطع سبل الحوار الجدلي البناء نتيجة التبعية والخوف والسلبية والشعور بالضالة والعجز تجاه الأشياء والموضوعات.

وهذا وتعتبر مشكلة الاغتراب تحدياً يواجه مجتمع الشباب نتيجة لتعقيد الحياة وسرعة إيقاعها مما ينتج عنه افتقاد الأمن والتواصل مع الآخرين وتضاؤل فرص التعبير وتحقيق الذات وما يرتبط بذلك من شعور بالوحدة والخوف وعدم الإحساس بتكامل الشخصية وشعور الشباب أنه أصبح بلا موقف واضح ضحية ضغوط غامضة متصارعة يعيشها المجتمع، ولا يجد لدى المجتمع حلاً لتلك الحالة التي يعيشها المجتمع مما يشعر بعدم القدرة على ضبط الأحداث والتحكم فيها وبالتالي يفقد الثقة في نفسه وتترسخ لديه قيم السلبية والقلق والرفض وضعف الانتماء.

¹ أحمد محمد موسي، مرجع سابق، ص 57

وغالبا ما يحاول التعبير عن أزمة بأي شكل من الأشكال التي قد تكون في مظاهر العنف والتمرد أو النجاح والتخريب أو الانغلاق على الذات والوقوع فريسة لمشاعر الذنب والانسحاب من الواقع أو الهجرة إلى الخارج محاولا البحث عن هويته وسط ذو هوية محددة.

4- مخاطر انفلات الشباب وأهمية استثمار طاقاتهم: من مخاطر انفلات الشباب له أبعاد خلقية واجتماعية واقتصادية وأثبتت الدراسات أن مظاهر الانفلات عند الشباب ترجع إلى تفريط أدوات الضبط والتوجيه الاجتماعي في المجتمع وهي تتمثل في الأسرة والمدرسة والمسجد والنادي ووسائل الإعلام، فكل منها انحراف عن تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه نتيجة طوفان المدينة وحرص الإنسان على تحقيق مصالحه الشخصية، البعد الآخر هو البطالة وعدم القدرة على الزواج نتيجة الأعباء المالية¹.

5- مخاطر الانحراف القيمي لدى الشباب: تكمن أهمية الشباب بالنسبة للمجتمع فيما يمثله الشباب من مصدر للتجديد والتغيير فهم يرفعون لواء التحديث في السلوك والعمل من خلال القيم الجديدة، التي يتباهى الشباب بها والتي عادة ما تدخل في مواجهة مع ما هو سائد من قيم تقليدية، لذا فإن الثقافة الفرعية التي يكونها الشباب بينهم تحمل كثيرا من القيم الجديدة والتي بعضها يحمل التغيير عن بعض العادات السلبية القديمة.

ويعيش الشباب في صراع قيمي إذ عاشوا في مناخ من اللامعيارية على حد تعبير أميل دوركايم تلك الحالة التي تفتقر فيها الحياة الاجتماعية إلى القيم والمعايير الواضحة اللازمة لتوجيه السلوك، والتي تضعف فيه القيم التي استقرت طويلا، وتزداد مشكلة الصراع القيمي عندما يواجه الشباب أزمة الاختبار من بين بدائل عديدة، وعندما تفقد الضوابط الاجتماعية فاعليتها، وهناك مصادر اجتماعية وثقافية وفكرية واقتصادية وسياسية تساهم في حدوث أزمة الصراع القيمي².

6- انتشار الجريمة والمخدرات والانتحار: في ظل هذا الجو الصعب الذي يعيشه الشباب الجزائري وجدت الجريمة والمخدرات طريقها للفتك به حيث تعرف انتشارا مخيفا في السنوات الأخيرة، وتشير الإحصائيات الرسمية إلى ارتفاع قضايا الجريمة في الجزائر بنسبة 16.62 بالمائة خلال النصف الأول لعام 2013 ويعرف الإجرام تنام متزايد بين الشباب والأحداث وهو ما أشار إليه رئيس قيادة الدرك الوطني يوم 2013/6/22 حيث دعا الأخير إلى ضرورة البحث عن الأسباب التي تؤدي إلى انتشار الجريمة بين الأحداث وفئة الشباب، وتتوسع هذه الجرائم بين مخالفة القانون وجرائم الاغتصاب التي تمثل حسب دراسة أعدتها الحقوقية

¹حمود بن خميس بن محمد النوفلي، مرجع سابق، ص12.

²ماجذ الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق، عمان، 2011، ص216.

حاجي مسعودة 54.3% من الجرائم المرتكبة في الجزائر، كما ارتفعت نسبة الجرائم المتعلقة بسرقة السيارات والنصب والاحتيال وتكوين عصابات إجرام وعصابات تهريب خاصة في الولايات الحدودية دون أن ننسى الإشارة إلى الجرائم الخطيرة مثل اختطاف الأطفال وللاعتداء عليهم وقتلهم وهي جرائم تركت الجزائريين في حيرة وذهول أقدم عليها شباب غارق في عالم الانحراف وكانت البراءة هي الضحية في عدة مدن جزائرية، ولم تتوقف الجريمة في أوساط الشباب عند هذا الحد إذ انتشرت بينهم ظاهرة الانتحار حيث شاهدنا صورا بشعة ومؤلمة لشباب في مقتبل العمر دفعت بهم ظروفهم الصعبة إلى الانهيار والإقدام على الإجرام في حق الذات إما حرقا أو رميا بأنفسهم من العمارات وهي ظاهرة إجرامية لم تكن مألوفا عند المجتمع الجزائري بهذا الشكل¹.

بوتيرة أكثر ارتفاعا تأتي الأرقام المتعلقة بانتشار المخدرات في أوساط الشباب الجزائري لتدق ناقوس الخطر حيث تشير الإحصائيات الرسمية الصادرة عن الديوان الوطني لمكافحة المخدرات إلى وجود 300 ألف مدمن ومستهلك للمخدرات، في حين تقول الإحصائيات غير الرسمية أن الرقم أكثر بكثير وتتهم الإحصائيات الرسمية بكونها بعيدة عن الواقع، وقد قدرت الهيئة الوطنية لترقية الصحة وتطوير البحث وجود مليون مدمن ومستهلك للمخدرات في الجزائر وواصل انتشار المخدرات بين الشباب ليصل إلى الجامعات والمدارس وتشير دراسة جديدة حسب البروفيسور "مصطفى خياطي" إلى وجود 25 ألف شاب جزائري في السجون بسبب المخدرات وهو رقم أقل ما يقال عنه أنه مرتفع جدا، ومن بين أنواع المخدرات الأكثر انتشارا في الجزائر القنب الهندي أو (الزطلة) والأقراص المهلوسة، ورغم ما تبذره الدولة الجزائرية من مجهودات كبيرة لمحاربة الظاهرة انطلقا من مكافحة تهريب المخدرات عبر الحدود وسن القوانين الخاصة بمنع استهلاكها وترويجها، إلا أنه من الواضح أن المشكلة في حاجة إلى بدل جهد أكبر في العناية بالشباب من حيث التربية والتعليم والتوظيف لإبعاده عن هذه الآفة المدمرة².

7-الهجرة الغير شرعية (الحرقة): في سنوات ماضية كانت هجرة الوطن واقعا مؤلما لكل مهاجر بعيد عن وطنه يتمنى العودة إليها بأسرع ما يمكن لكن الأمر تغير في السنوات الأخيرة بالنسبة لشباب يأس وبلا أمل أصبح يرى في الهجرة خارج وطنه حلما ولو على سبيل المخاطرة بأرواحهم، يفكرون في شيء واحد فقط وهو الذهاب إلى غير رجعة عن طريق الهجرة السرية هربا من أوضاع مزريّة وشعارهم روما

¹ بودرع ياسر، الواقع الصعب للشباب الجزائري، جريدة التحرير 28 جوان 2014 العدد 44632، تاريخ التصفح يوم: 14 أوت 2017، الساعة 13:30

<http://www.altahrironline.com/ara/?p=44632>

² نفس المرجع

ولا نتوما، أو يكلني الحوت ومايكلنيش الدود، شباب صارت الجزائر بالنسبة له إقامة جبرية وكأنهم في سجن لا يوفر لهم سوى الانتظار القاتل فلم يبقى أمامهم من سبيل غير الحرق أو الهجرة غير الشرعية بحثا عن الجنة المزعومة وأملا في مستقبل أفضل.

8-ثقافة اللاعقاب شجعت على العنف: عرفت فترة ثمانينيات القرن الماضي بالمرحلة التي هيأت الأرضية لما وصل إليه المجتمع الآن وذلك تزامنا وبداية النزوح الريفي بغرض البحث عن حياة أفضل ومواجهة واقع صعب داخل المدن، إلا أن عدم استيعاب هذه الأخيرة للارتفاع المذهل للنمو الديمغرافي آنذاك، ولد أزمات اجتماعية صعب الحسم فيها كالسكن والشغل، مما خلق فضاءات موازية عشوائية حاصرت المدن بعيدا عن أي تخطيط عقلائي، الأمر الذي نتج عنه ولادة بؤر مصدرة للعنف صعب التخلص منها، ويبقى التسرب المدرسي والرسوب سبب آخر من أسباب انتشار العنف خاصة أن الفئة المعنية عادة ما تغادر المؤسسات التربوية نحو الشارع، دون تحصين علمي أو تكوين، مما جعل الفئة بمثابة قنابل موقوتة للانحراف، إضافة لاستقالة الرأي العام عن الدور التربوي، وامتناع المجتمع عن ممارسة القهر الاجتماعي، ناهيك عن استقالة البيت الأسري من تأدية الدور المنوط به المتمثل في التربية. ويبقى انتشار ثقافة اللاعقاب بمثابة التشجيع الرسمي لتنامي العنف وسط الخارجين عن المجتمع إلى درجة بات فيها الفرد منقبلا للجريمة وسط توافر كل ظروف التعود عليها، كما لعبت الأزمة السياسية والأمنية دورا رائدا في توليد الشك والحذر وضرب الجانب العاطفي للجيل، الذي ولد إبان العشرية السوداء حين مورست مختلف أساليب العنف الوحشي الجماعي والفردي¹.

تاسعا: مسألة الاندماج الاجتماعي للشباب الجزائري في الحي العشوائي

إن المسألة الشبابية في الوقت الراهن تجعلنا أما قوة بشرية مقتدرة على تصنيع التحول بما لها من إرادة ومالها من كفاءات وقابلية لتعلم المعارف والتقنيات التي تقبلها والتي تستطيع بأساليب مبتكرة أن تحدث التغيير الذي يطال الراهن الإنساني، فكل تقصير أو إهمال لهذه القوة أو محاولة إلهائها أو تدجينها سيكون له انعكاسات سلبية لا تنحصر في الانسحاب وحياة الغربة والتشرد والهجرة السرية، والسلوك الإجرامي أو حتى المشاركة في المسيرات وقيادة الحركات الاحتجاجية التي تستنزف وتمتص الغضب بصفة مؤقتة، مما يؤدي إلى انتفاضات وثورات تتخطى القوالب السائدة في عملية التربية والتنشئة والتأطير الأسري والحزبي

¹ هواري بلعباس، ثقافة اللاعقاب شجعت على العنف، جريدة الخبر، عدد 1357، تاريخ التصفح يوم: 04 مارس 2016 الساعة 22:00

والنقابي والإعلامي والرياضي السائد على المستويين الرسمي والمدني، الذي يعاني من نضوب في محتوياته وحركيته¹.

إن قدرة الشباب على ابتكار أساليب وآليات التعبير عن وجوده وآراءه قد تتنوع وتختلف وقد تبدو في اللباس والكلمات الخاصة أو اللغة الخاصة التي تتناول في مواقف وردود أفعال، وفي نوع الموسيقى والرقص وتناول المخدرات هي كلها تعبير وكلمات عن احتجاجات واعتصامات وإضرابات صامتة تتقل من خلالها عبارات نحن موجودون ولدينا صعوبات وهنا ظهرت سلوكيات لديهم تستدعي التدخل والمعالجة والسريعة كظاهرة قوارب الموت، والعزوف عن التعليم وعدم الاهتمام بالقضايا الفكرية حيث يرصد في الصحافة والمواقع الإلكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي الاهتمام بالمشاكل العاطفية والجنس واللباس والموضة والرياضة أكثر من القضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية².

وحاول عدد من علماء الاجتماع والسلوك الإجرامي تأكيد العلاقة بين سكان الأحياء المختلفة العشوائية والانحراف، على اعتبار أن السلوك المنحرف هو نتيجة لمجموعة من القوى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ينطوي عليها هذا المجمع السكاني، ومن المعتاد لهؤلاء العلماء أن يربطوا بين السلوك الانحرافي ومعدلاته في هذه الأحياء، ففي المسح الذي قام به "هنتر" في بعض الأحياء العشوائية، ومدن أمريكية تبين أن 50% من كافة المقبوض عليهم من المنحرفين الذين يعيشون هذه الأحياء وأن 45% من الجرائم الكبرى التي يتم الإبلاغ عنها مسرعا هذه الأحياء، كما أن 45% من جرائم الأحداث تقع في هذه الأحياء، وفي دراسة استغرقت سبع سنوات في أحياء المختلفة في مدينة شيكاغو أتضح منها أن الجرائم البسيطة والانحراف والاضطراب العقلي بصفة عامة والانفصام الشخصية بصفة خاصة والانتحار، وفيات الرضع، وارتفاع معدلات الوفاة والمرض تتركز بهذه الأحياء³.

وهذا ما يؤدي إلى ظهور سلوكيات منحرفة في تلك المناطق دون غيرها من المناطق الأخرى في المدينة، وتتمثل هذه الظاهرة في السطو على المنازل وسرقة المحلات التجارية وغيرها باعتبارها أن تلك المناطق تأوي المتشردين والأحداث الجانحين والخارجين على القانون والهاربين من يد العدالة⁴.

¹ أحمد بوكابوس وآخرون، دراسة أوضاع الشباب المغربي، اتحاد المغرب العربي، الأمانة العامة، 2010 - 2012، ص 21

² نفس المرجع، ص ص 22-23.

³ جميلة العلوي، واقع الأحياء المتخلفة لمجتمع مدينة سطيف - حي طانجة نموذجيا. قسم علم الاجتماع، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص علم الاجتماع الحضري، جامعة منتوري قسنطينة 2006-2007، ص 57

⁴ أحمد بوذراع، التطوير الحضري والمناطق المتخلفة بالمدن، دراسة نظرية في علم الاجتماع الحضري، منشورات جامعة باتنة، 1997، ص 38

كما تبين أن المناطق العشوائية تحوي أوكار للدعارة المنظمة والانحرافات الجنسية بشكل أوسع مما هو عليه في الأماكن الأخرى من المدينة لأنها تعد أماكن جذب للفقراء من الشرائح الاجتماعية المختلفة من الناس غير الأسوياء، كما أن جوها الاجتماعي يشجع على السلوك المنحرف ويساعد على تقبله، وتتميز هذه المناطق بضعف الروابط الأسرية والضوابط الاجتماعية وصعوبة إحلال القوانين الرسمية داخل نظامها وبالتالي تصبح الجريمة ظاهرة من الظواهر الملازمة للمدن ومناطقها المتخلفة.

كما أن انتهاج أسلوب الانحراف عند الشباب لا يعبر في الكثير من الأحيان على أساليب تنشئة اجتماعية ضد اجتماعية يتعرض لها الشباب ولكن تتدرج حسب الباحثين ضمن بعد التفكك الاجتماعي، الذي يعقب الحركات التصنيعية الكثيفة التي تعمق لدى فئة من الشباب شعورا بالإقصاء النابع من تعميق بطالتهم عندما حل François Dubet أسلوب حياة شباب المناطق الهامشية حيث يقطن أبناء الطبقات الشغيلة، وكان يبحث عن الكشف عن تاريخية تشكل جماعات الشباب داخل تلك الأحياء الهامشية وجد فئتين نموذجيتين: تتمثل الأولى في فئة من الشباب المتقمصين لتقافة الطبقات الشغيلة الذي نوجدوا إباءهم عليها، ومن ثم فهي الفئة التي تشتغل وتزوج في سن مبكر، فيما تبقى فئة ثانية ترفض وضعها حيث ينخرط الشباب منها في النشاطات غير الشرعية ومن خلال الاندماج في جماعات غير شرعية وغير مرئية يسود بين أفرادها تضامن يسمح لهم بتدبير أوضاعهم.¹ وتظهر من هذا الباب أزمة قيم واقعية كعنوان للعديد من الانحرافات كالسرقة والعنف والمخدرات.... وفي هذا السياق تعبر هذه الفئة عن ثلاث اتجاهات يكون عنوانها العنف للتعبير ونموذج للاستقزاز ونموذجا للفعل.²

ويترجم هذا الشعور عند الشباب المتشعب بأفكار الطموح للمستقبل والدور الاجتماعي الرائد داخل مؤسسات المجتمع وأشارت دراسة ميدانية للباحث فقيه العيد حول اتجاهات الشباب الجزائري نحو التنمية وعلاقتها بالصحة النفسية أن نسبة 55% من الشباب الجزائري يشعرون أنهم لا يشاركون في اتخاذ القرارات التي تهمهم و68% يشعرون بأنهم لا يستفيدون من الخدمات العامة للدولة كما صرح 71% أنهم لا يشاركون في تسطير برامج التوجيه والتوعية الموجهة للشباب.³

وتؤكد نفس الدراسة أن المشكلات النفسية للشباب المنحرف في الوسط الحضري الجزائري أن الوجود الاجتماعي لهذه الفئة من الشباب يتوزع بين عالمين: الأسرة والأصدقاء، فتتفرد جماعة الأصدقاء

¹Oliver Mazel , *L'exclusion, Lesocialàladérive* Ed, Lemonde. Bruxelles, 1996, p65

²الطيب صيد، مرجع سابق، ص 388

³خالد عبد السلام، عوامل الانحراف الاجتماعي لدى الشباب الجزائري - استراتيجيات التكفل والعلاج - مجلة دراسات نفسية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، جامعة قاصدي مرياح ورقلة، عدد 13 ديسمبر 2014، ص 125

بتأثير خاص في حياة الشباب، فهي جماعته المرجعية، فيستمد الشباب منها قيمه وعاداته، وأساليب تصرفاته الشاذة، ومعايير الحكم على الذات والآخرين. تقدم له هذه الجماعة فرصة التفريغ والتنفيس الانفعالي. ومن هنا يزداد التوحد مع أعضائها سواء من حيث المظهر والملبس واللغة والسلوك.

ويتضح أن فئة من الشباب في الوسط الحضري العشوائي غاضبة غضبا شاملا، من الأسرة والمجتمع اللذين تنتمي إليهما، ويتجلى هذا الغضب في اتجاهاتهم وتصرفاتهم، فهم يعتقدون أن واقعهم البيئي والاجتماعي متصدع، تسقط فيه الأحلام والمطامح بسرعة، وأن كل ما حولهم باطل وزائف يشعر باليأس محل الثقة والأمل.

ويتمثل الاندماج من عدمه في المقدرة على التفاعل الاجتماعي، والتحرر من الأعراض العصابية والبعد الإنساني والقيمي وبين التطرف نحو العنف في الواجهة من حيث إنها سالبة، وتدل على أن انتشار المشكلات النفسية في وسط الشباب، وتعاطيهم للخمر والمخدرات، والانحلال الجنسي والسرقة والرفض والاحتجاج السلبي... ما هو إلا انعكاس مباشر لمفهوم العزلة الاجتماعية، أي عدم قدرة هؤلاء الشباب على الانخراط في العلاقات الاجتماعية المثمرة، ما يؤدي إلى تضخيم نرجسيتهم، التي تحرمهم من الانجذاب نحو شبكة العلاقات الاجتماعية، فيأتي تحركهم بعيدا عن الآخرين.¹

يحدث كل هذا في ظل غياب تأطير والهيكلية الاجتماعية للشباب الجزائري فمن خلال دراسة للأستاذ "محمد بومخلوف" بعنوان، التأطير الاجتماعي للشباب ومسألة الثقة، دراسة ميدانية للتأطير الرسمي وغير الرسمي للشباب في الوسط الحضري، توصلت أن ما يميز العلاقات الاجتماعية للشباب من ممارسات ومواقف واتجاهات يعكس واقع الهيكلية الحضرية معبرة في روح الانتماء وعدم الانتماء والانجذاب للحي والنفور ومنه الصراع وغيرها وأيضا عديد النقاط يمكن تفصيلها وهي²:

- يتأطر الشباب في الوسط الحضري الرسمي وغير رسمي بهياكل تتباين في أهدافها وتوجهاتها وهي متنوعة جدا منها: المجال الأسري وهو مجال أولي يخضع لمدي قدرة الأسرة وتحكمها كما يخضع لإمكانياتها المادية والمعنوية في التأثير في أبنائها الشباب، المجال التربوي التعليمي وهو خاص بالشباب المستمر في التعليم والتكوين حيث يجد فيه المجال المناسب للتأطير وقضاء وقت الفراغ والتفاعل مع أترابه، والمجال الحر الواقعي ويتمثل في الشارع أو الحي والمجال الافتراضي وهو مجال للدرشة وقضاء وقت الفراغ والتواصل وتبادل التعبير الحر.

¹ فقيه العبد، مرجع سابق، ص 18

² محمد بومخلوف وآخرون، التأطير الاجتماعي للشباب ومسألة الثقة، مرجع سابق، ص ص 325 - 326

- عزوف الشباب عن تأطير المؤسسات التقليدية لقلة ثقته بها ويرجع ذلك إلى ضعف إمكانياتها وبرامجها وتجهيزاتها وزيادة عن عدم توفرها في المجال القريب أي محيط الشباب، وأيضا زيادة الجهل بها لعدم الإعلان وعدم استجاباتها لطموحاته في الانفتاح وبناء شخصيته والتعبير عن أفكاره مما يجعله يبحث عن ما يناسبه واقعيا أو افتراضيا للتأثير وللبحث عن فرص الحياة والعمل والهجرة والزواج.

خلاصة:

في هذا الفصل حاولنا عرض التحول في الظاهرة الحضرية بالجزائر وما هي أهم المراحل التاريخية والأسباب التي رافقت هذا التحول لتصل إلى الشكل الحالي المعبر عن سياسات عمرانية حاولت رسم معالم المدينة الجزائرية، وكيف انعكس هذا الأسلوب في التحضر بصفة مباشرة على البناء الاجتماعي والبناء الايكولوجي للمدينة، وذلك بعدم قدرة المدينة على استيعاب سكانها وعدم مواكبة تطور الأنظمة الحضرية للكم الهائل من النزوح إليها، وترتب عليه بروز العشوائيات الحضرية كنمط معيشي مختلف يختزن العديد من الخصائص والمميزات لسكانه منها المشاكل الانحرافية والإجرامية تترجم طبيعة تأثير البيئة الايكولوجية والعلاقات بين سكانها وبالأخص لدي فئة الشباب التي تحاول في هذا الفضاء خلق حياة مزدوجة وثقافة خاصة تتماشى والتحولات الاجتماعية وكذا تحقق الاحتياجات الخاصة، وفي حالة فشلها تتموضع في حالة من التهميش والضياع وعدم القدرة على الاندماج الاجتماعي.



الباب الثاني:
نتائج الدراسة الميدانية





الفصل الخامس: المجال العام للدراسة الميدانية

تمهيد

أولاً: التعريف بمدينة سطيف

- 1- الموقع الجغرافي
- 2- المساحة
- 3- التطور التاريخي والعمراني للمدينة
- 4- النمو الديمغرافي

ثانياً: العشوائيات الحضرية بمدينة سطيف

- 1- عشوائية شوف لكداد
- 2- عشوائية عين الطريق
- 3- عشوائية الشيخ العيفة (فرماتو)

ثالثاً: تقديم حالات الدراسة

خلاصة

تمهيد:

يعتبر فصل التعريف بالمجال العام للدراسة بمثابة المخطط الذي يرشدنا ويوضح لنا وضع الظاهرة المدروسة خصوصا إذا كانت في المجال الحضري، والمتعلقة بالفضاء العمراني والممارسات اليومية لأفراده وكيف ينعكس عليهم، وأيضا كيف تترجم سلوكياتهم في هذا الفضاء، وبالعودة لعنوان الدراسة والمتمثل في فهم العوامل والآثار المسببة للسلوك الانحرافي لدي الشباب في العشوائيات الحضرية، وجب في هذا الفصل إعطاء صورة عن المدينة المركز سطيف من ناحية المساحة والموقع والتعرف على النمو الديمغرافي للمدينة وتطورها التاريخي والعمراني، بالأخص العشوائيات الحضرية وتاريخ نشأتها لفهم وضعية الشباب فيها وكيف يؤثر هذا الفضاء العشوائي في سلوكياتهم .

أولا: التعريف بمدينة سطيف

1-الموقع الجغرافي: تنتمي منطقة الدراسة جغرافيا إلى إقليم السهول العليا الشرقية، وهي بحدودها الحالية تشغل موقعا هاما في إقليم الشرق الجزائري، تتحصر بين السلسلة التلية في الشمال(جبال البابور) والسلسلة الصحراوية في الجنوب (جبال الحضنة) وبذلك تعد منطقة عبور بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب، تقع الولاية فلكيا بين خطي طول 5° و 6° شرق خط غرينتش، وبين دائرتي عرض 36.5° شمال 35° دائرة خط الاستواء، يحدها من الشمال ولايتي بجاية وجيجل، ومن الجنوب ولايتي باتنة والمسيلة، ومن الشرق ولاية ميلة ومن الغرب ولاية برج بوعرييريج.

وتعتبر منطقة عبور إستراتيجية حيث تمر بها مجموعة من الطرق المهمة كالطريق الوطني رقم 05 الذي يربط العاصمة بولايات الشمال الجزائري بالشرق، والطرق الوطنية الأخرى رقم 09، 28، 78 التي تلعب دورا في ربط ولايات الشمال جيجل وبجاية بولايات الجنوب كباتنة والمسيلة، والطريق السيار شرق غرب، وبالتالي تتمتع مدينة سطيف بموقعها الهام في مركز السهول العليا الشرقية الجزائرية، وتتميز بدرجة ربط هامة بالسكك الحديدية وتعني قدرة الشبكة على تسهيل التنقل، وقد أدى نمو المدينة الكبير خاصة في السنوات الأخيرة، إلى زيادة درجة الحراك فيها وارتفاع مستمر للطلب على النقل¹.

2-المساحة: تمثل مساحة الولاية 6504 كلم² بنسبة 27.0 % من التراب الوطني، حيث تحتل المرتبة الثانية بعد العاصمة، تضم ولاية سطيف 60 بلدية، تؤطرها 20 دائرة، وتقع بلدية سطيف في موقع هام

¹موقع وزارة الداخلية والجماعات المحلية وتهيئة الإقليم. <http://www.interieur.gov.dz>

فهي تتوسط التراب الولائي، وتم تحديد التقسيم الحالي للولاية بمقتضى القانون 09/84 المؤرخ في 04 فيفري 1984 المتعلق بالتقسيم الإداري الجديد آنذاك.

3- التطور التاريخي العمراني للمدينة: على غرار أغلبية مناطق الوطن عرفت منطقة سطيف تعاقب العديد من الحضارات، وهذا راجع لموقعها الهام وخصوبة أراضيها، وأصل كلمة سطيف يعود إلى كلمة "سيتيفيس"، وهي مشتقة من كلمة بربرية "أزديف" ومعناها الأرض السوداء. " تعرضت المنطقة للاحتلال الروماني، وأصبحت مخزنا لقمح روما فعرفت تطورا مرموقا، حيث نالت استقلالها بقيادة "داقليوط" سنة 279 م، تحت اسم "موريطانيا سيتيا ينسيس"، وخير شاهد على تطورها آثار "كويكول" ببلدية جميلة والتي تبعد عن مدينة سطيف بحوالي 48 كلم، و آثار "المونيس" قرب بلدية بني فودة، وفي سنة 419 م تعرضت المنطقة لزلزال عنيف هدمها بكاملها، كما كانت سطيف ضمن الطرق التي مر بها الوندال من طنجة باتجاه قرطاجنة وقد دخلتها الجيوش الوندالية تحت قيادة جنرسيق ومكث بها من 429 إلى 455 ميلادي، أما في القرن الخامس الميلادي فقد استعمرها البيزنطيون ومن شواهدهم القلعة البيزنطية¹.

أما في العصر الوسيط ذكرت المدينة من قبل المؤرخين والجغرافيين العرب حيث يصفها "البكري" في قوله: "سطيف مدينة كبيرة وجيليلة أولية كان عليها سور خربته كتامة مع أبي عبد الله الشيعي لأن كانت في الأول لكتامة ثم غلبهم عليها العرب، فكانوا يعشرونهم إذا دخلوها، وهي اليوم دون سور عامرة، جامعة كثيرة الأسواق رخيصة الأسعار"، كما ذكرها "ابن خلدون" في قوله: "وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة أكثرها لهم كتامة وبين ديارهم ومجالات تقلبهم مثل إيكجانو سطيف"².

وخلال الفترة العثمانية فإن منطقة سطيف كانت تسيطر عليها قبيلة عامر، بينما اقتصرت السيطرة التركية المتمركزة بقسنطينة على إبقاء قواد يجمعون الضرائب، ومن هنا فإن العمارة العثمانية بمنطقة سطيف تكاد تنعدم وظلت بعيدة عن الحكم العثماني حتى مجيء الاستعمار الفرنسي ودخوله المدينة في 15 ديسمبر 1938م، حيث قاموا بترميمات تحصينية عسكرية باستعمال مواد البناء العتيقة حيث جعلها مدينة أوربية مهمتها الرئيسية تسهيل عملية التوسع الاستعماري انطلاقا منها، وفي 1843 بدأ التوسع بشبكة معمارية داخل أسوار المدينة القديمة تجلت في بناءات وعمائر عمومية ذات طابع أوربي، وفي 1872م

¹ المخطط الولائي للتهيئة (PAW) لولاية سطيف سنة 1992.

² إسماعيل العربي، المدن المغربية، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1980، ص 236

اتخذت مدينة سطيف أبعادا توسعية جديدة حيث أصبحت تشبه الحصن بها أربعة بوابات رئيسية هي بوابة بجاية، بوابة قسنطينة، بوابة بسكرة وبوابة الجزائر، ولم يكتف بالبناء داخل المدينة العتيقة بل توسعوا خارج أسوارها بعد وصول خط السكة الحديدية¹.

وبعدها مرت المدينة بعدد المراحل في التوسع والتطور ويمكن تفصيلها فيما يلي:

أ. مرحلة الاحتلال الفرنسي (نشأة المدينة الأولى): حيث قام ببناء المدينة الاستعمارية سنة 1843، تم وضع Premier plan urbain de Sétif أول مخطط حضري في سطيف وإنشاء مراكز للبريد وبناء المساجد، تحت أمر صدر سنة 1845 مثل إنشاء المسجد العتيق 1845، ثم إصدار قرار ملكي سنة 1847 يتضمن إنشاء النواة الأوربية تشمل البنك سنة 1855، فندق المدينة وقاعة الحفلات سنة 1856، وتم استغلال الأراضي الخصبة بمرسوم 26 أبريل 1863 منها امتياز استغلال 20 ألف هكتار ومنح امتيازات لشركات أجنبية عملت على تشكيل قري محيطة بالمدينة وهي عين السفيهة، عين الطريق، فرماتو، الحاسي، الباز، عين الموس، كما تم إنشاء تجهيزات أخرى مثل²:

1- المحكمة سنة 1866 .

2- وإنشاء كنيسة Saint Monique 1867 .

3- إنشاء مدرسة Collège colonial سنة 1873 .

4- و مراكز إدارية أخرى 1874.

5- عين الفوارة سنة 1898 .

وتوسعت المدينة النواة على اتجاهين هما: الشارع العسكري في الشمال: مكان القلعة ومحاط بتكنات عسكرية والشارع المدني في الجنوب: يتميز باستغلال كبير للمجال يعكس مظاهر الحياة للمعمرين في هذه الفترة من حيث الطرق الواسعة مع أرصفة مزينة بأشجار ومحلات ودكاكين ومساكن وعمارات. (والخريطة رقم (02) في الملاحق تبرز المخطط العمراني لمدينة سطيف لسنة 1942)

ب. المرحلة الثانية من 1940 - 1962: عرفت ظهور الأحياء المحيطة بالمدينة الاستعمارية مع اندلاع الثورة التحريرية، وأصبح القطاع الزراعي الحكومي يضم أعدادا هائلة من العمال، مما أدى إلى انخفاض الأجور وزيادة نسبة البطالة من جهة وزيادة نسبة النازحين من الريف إلى المدينة وهذا راجع طبعا إلى

¹ عمر كيور، شادية خلف الله، سطيف تاريخ وحضارات، الجزائر، دون تاريخ، ص 51 52

²La ville de Sétif à travers l'histoire , http://www.setif.com/Histoire_ville_Setif.html.

السياسة العسكرية الفرنسية المتبعة في هذه الفترة من إقامة محتشدات، التقتيل والاضطهاد، التعذيب... هذا ما أدى إلى إقامة أحياء أو تجمعات بحواف المدينة النواة، ومن بين هذه الأحياء المضطهدين النازحين من الريف، وظهر حي يحياوي (طانجة) 1954م بعدما اشترى المضطهدون النازحين من الريف قطع أرضية صغيرة، وقاموا ببناء منازل فوقها، وتزامن ظهور هذا الحي تموضع مراكز للمراقبة منها Ancien parc a fourrage الحماية المدنية حاليا في الغرب، Gard mobile مركز الدرك الوطني حاليا مع بناء مدرسة ابتدائية l'école maternelle سنة 1956م، مدرسة الشيخ عبدو حاليا في الجنوب مقابل المقبرة الإسلامية، مع تواجد مقبرة للمسلمين واليهود في الجنوب¹.

في هذه المرحلة تم بناء عمارات جماعية لدير النخلة وتمركز تجزئة gaillet pierre للمدنيين الجزائريين، وبعد عام 1956م سمي بشارع بيرقاي وتجدر الإشارة إلى أن هذا المجال كان عبارة عن حقول للقمح، وبنيت هذه المساكن حول شارع الإمام بونشادة في الجنوب الغربي بمحاذاة الطريق الوطني رقم 28 نحو مدينة بسكرة، وبناء منازل جماعية من نمط "الحارة" في الأحياء المحيطة بالمحطة وظهر حي "لندريولي" سنة 1959م وعليه أصبحت المدينة مقرا للمحافظة سنة 1956م كما تم إنشاء مرافق أخرى مثل مركز التكوين المهني سنة 1957م ومحكمة جديدة سنة 1959م ومركز رئيس للشرطة، كما تم إنجاز الأحياء التالية²:

- 1- حي 66 مسكن السور القديم 1961 .
- 2- حي المستقبل 1960.
- 3- حي 130 مسكن في نفس السنة.
- 4- حي بيلار الهواء الجميل 103 مسكن سنة 1961، وأصبحت المدينة تتربع على مساحة 285.15 هكتار.

ج. مرحلة الاستقلال 1962-1970 بداية المخططات التنموية: عرفت فترة ما بعد الاستقلال المخططات التنموية، وكان أول هذه المخططات المخطط الثلاثي 1967-1970 والذي كان موجها بالدرجة الأولى

¹ جميلة العلوي، مرجع سابق، ص 38

² فاروق يعلي، التحضر والاندماج الاجتماعي للأسر النازحة، الدراسة الميدانية بمدينة سطيف، دكتوراه علوم في تخصص علم الاجتماع الحضري، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، 2012-2013، ص ص 153-154

للاستثمار في القطاع الصناعي أما بالنسبة للعمران فهذه الفترة تميزت بإتمام إنشاء بعض المشاريع السكنية التي تركها المستعمر "في إطار مخطط قسنطينة"، وأهم هذه المشاريع هي ¹:

1- حي الهواء الجميل 130 مسكن سنة 1962.

2- حي السور الجديد 121 مسكن سنة 1966.

3- حي سينيستال 230 مسكن سنة 1968..

4- حي بوعروة 150 مسكن سنة 1969.

5- حي بيزار 120 مسكن سنة 1970.

6- حي 80 مسكن سنة 1970.

د. المرحلة الرابعة 1970-1985 الانطلاق في بناء التجمعات السكنية الكبرى تميزت هذه الفترة بظهور نمط آخر من السكن وهو التجمعات السكنية الكبرى والتي جاءت لتلبية حاجات المواطنين من السكن باعتبار أن هذه الفترة عرفت أزمة سكن حادة، هذا ما جعل قطاع السكن يفرض نفسه بحددة في المخططات التنموية الرباعي الأول، الرباعي الثاني، المخططات القطاعية، القطاعات الولائية ويتصدر هذه المرحلة إنجاز المشاريع التالية ²:

1- حي بيلار 600 مسكن في الشمال.

2- 300 مسكن حي المعبودة طريق الجزائر.

3- 1000 مسكن في جنوب المدينة طريق المسيلة.

4- 400 مسكن في جنوب المدينة طريق المسيلة.

وحي 1006 مسكن، بالإضافة إلى مشاريع المنطقة الحضرية الجديدة (ZHUN) وظهر تخصيصات في كل من: فرماتو 116 قطعة أرض -عين الطريق 266 مسكن، وبعض المرافق مثل: ثانوية الخنساء، مدرسة التكوين شبه الطبي، مركز بلدي، كما شهدت المدينة امتدادا نحو الشمال والشمال الشرقي، ضف إلى ذلك إنشاء مرافق تعليمية هامة منها جامعة فرحات عباس من الشمال الغربي فازدادت بذلك مساحتها لتصل نحو 895 هكتار، أي ما يعادل استهلاك 44.97 هكتار/ سنة

¹فاروق يعلي ، مرجع سابق، ص 39

²جميلة العلوي، مرجع سابق، ص 40

هـ. المرحلة الخامسة 1985-2002 الوكالات العقارية: تميزت هذه الفترة بالاتجاه نحو اقتصاد السوق، بحيث لعبت الوكالات العقارية دوراً مهماً في المضاربة العقارية من جهة وإنجاز المشاريع السكنية من جهة ثانية، كما تحكّم النمط الفردي في هذه السياسة الجديدة وتمكين الطبقات الاجتماعية من تحقيق مشروع سكن، فتوسعت المدينة من الشرق والشمال الشرقي تكملة تكملة البرنامج الاجتماعي لـ 1014 مسكن، وبرنامج الصندوق الوطني للتوفير والاحتياط « CNEP » بالإضافة إلى تكملة 1006 مسكن، وتم تحويل السكان نحو قرية عين الطريق واستمرار البرامج السكنية لها بالإضافة إلى إنجاز مشاريع سكنية وتخصيصات كتوسيع حي حشمي تجزئة رقم 01 حي بوعروة، دالاس، حي أول نوفمبر، تجزئة أولاد براهيم، استغلال المجالات أو الجيوب الفارغة في كل من حي يحيياوي، تليجان، المعدومين الخمسة، إنجاز مشروع 200 مسكن، وضع مرافق عمومية وشركات بحى بيزار: L'inspection ERIAD SNASAT، تجزئة الهضاب، وهي سكنات من نوع فردي، بالإضافة إلى توفر المدينة على تجهيزات أخرى كالفنادق، حديقة التسلية، الأرشيف، مؤسسة سونغاز ببوعروة، السوق المغطاة لحي المستقبل، مدارس ابتدائية في كل من بن بفاق شمال حي يحيياوي، المعبودة، مركز يحيياوي، المنطقة الحضرية الجديدة"، وتعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل من حيث استهلاك المجال حيث المساحة المعمورة للمدينة 895 هكتار سنة 1980 إلى 2073 هكتار سنة تضاعفت 1990 أي بزيادة تقدر بـ 1178 هكتار، ومتوسط سنوي يعادل 107 هكتار/ سنة، بالإضافة على مشاريع الترقية العقارية حيث تتربع على 1008.88 هكتار، أما باقي المساحة 162.22 هكتار فتشغلها مشاريع صناعية واقتصادية¹.

4- النمو الديمغرافي: يقدر عدد سكان ولاية سطيف حسب الأرقام المستقاة من جداول الحركة السكانية المسجلة بمصالح الحالة المدنية للبلديات، مصححة بتاريخ 2008/12/31 بلغ 1.504.128 نسمة منهم 761.932 ذكور أي بنسبة 50.65% و 742.196 إناث أي بنسبة 49.35% موزعين على 60 بلدية بأعداد متفاوتة².

ويقدر عدد سكان مدينة سطيف وفق إحصاء 2015 بـ 2787 وعدد الأسر بها 111867 أسرة وقسمت عليه نسبة التحضر بالولاية هي 46.31% و 10.51% نصف حضريون و 43.18% ريف، وتوزيع السكان

¹ فاروق يعلي ، مرجع سابق، ص ص 156-157

² الحولية الإحصائية لولاية سطيف 2008، مديرية التخطيط والتهيئة الإقليم، طبعة 2009، ص 29

حسب المناطق لسنة 2015 كالتالي 43% ريفي 17% حضري ممتاز 29% حضري، 10% نصف حضري، 1% نصف ريفي¹.

ثانيا: العشوائيات الحضرية في مدينة سطيف

حسب دراسة قامت بها مديرية التهيئة والتعمير لولاية سطيف سنة 1994 فإن مدينة سطيف تضم خمس مراكز ثانوية: هي عين السفيهة عين الطريق، شيخ العيفة (فرماتو)، الحاسي، وشوف لكداد حيث بلغ عدد سكان المدينة 241008 نسمة 1995 ويتمركز 221727 نسمة في وسط المدينة بنسبة 92% أما الباقي فيتمركزون في الأطراف بنسبة 8% حيث يحتوي مركز المدينة على 58% من سكان البلدية ويقدر عددهم 139.789 نسمة في المقابل نجد نسبة 20% في شرق المدينة و22% يتواجدون في غربها².

أما تعداد السكان في التجمعات الثانوية محل الدراسة فهو مرتبط بالصيرورة التاريخية للتطور المدينة ويرجع ذلك لعدم قدرة المدينة على احتواء الضغط السكاني المتزايد، واستنفاد الاحتياطات العقارية المخصصة للتوسع العمراني للمركز، تم تحويل التدفقات إلى التجمعات السكانية القريبة التي استفادت من مشاريع الإصلاح والدعم والتهيئة، والبرامج السكنية المختلفة التي كان الهدف منها تثبيت سكان هذه التجمعات، وكذا إسكان فئات المدينة والمدن الأخرى، والجدول التالي يوضح مراحل النمو الديمغرافي بهذه التجمعات وفق تعدادات سكانية متسلسلة بداية من 1954 إلى آخر تعداد في 2008 .

¹ مصلحة الإحصائيات، مديرية البرمجة ومتابعة الميزانية، تقرير السكان 2015/12/31 بولاية سطيف، 2015، ص 27

²Said Atoui, **problématique de l'urbanisation spontanée en Algérie – cas de Sétif**, Mémoire pour obtenir le titre de magister du département d'architecture , université farhat Abbas.Sétif.1999–2000, p 71

جدول رقم(04) يمثل: مراحل النمو السكاني وتطور عدد المساكن بمدينة سطيف والتجمعات الثانوية المحيطة بها¹.

المؤشرات المراحل	التجمعات	عدد السكان	عدد المساكن	معدل شغل المسكن فرد / مسكن	معدل النمو السنوي %	المعدل الوطني للسكن الحضري %
1954	سطيف	88212	10115	8.72	7.88	7.4
	فرماتو	1090	149	7.31		
1966	سطيف	126020	17607	7.15	3.3	5.4
	الحاسي	452	46	9.82		
	شوف الكداد	886	128	6.92		
	فرماتو	1906	259	7.35	5.21	
	عبيد علي	317	59	5.37		
	عين الطريق	575	64	8.98		
1987	سطيف	167498	25418	6.59	2.82	5.46
	الحاسي	604	83	7.28	2.94	
	شوف الكداد	1398	204	6.85	4.66	
	فرماتو	3732	427	8.74	6.95	
	عين السفيهة	786	99	7.94		
	قاوة	443	80	5.53		
	عبيد علي	649	82	7.91	7.43	
	عين الطريق	4271	478	8.93	22.2	
1998	سطيف	211859	38554	5.49	2.16	3.57
	الحاسي	1339	226	5.92	7.5	
	شوف الكداد	5623	850	6.61	13.48	
	فرماتو	4883	843	5.73	2.47	
	عين السفيهة	1002	139	7.21	2.23	
	قاوة	1006	145	6.94	7.74	
	عبيد علي	977	171	5.71	3.79	
	عين الطريق	6303	1264	4.98	3.6	

المصدر: التعدادات العامة للسكن والسكان.

¹ يعلي فاروق ، مرجع سابق ، ص 438

جدول رقم (05): يمثل تعداد أحياء والتجمعات الثانوية لولاية سطيف 2008¹

السنة	التجمعات	عدد المساكن	عدد السكان	عدد الأسر	رقم المقاطعة
2008	الحاسي	440	2359	403	من 29 إلى 30
	شوف الكداد	2227	8060	1366	من 32 إلى 44
	فرماتو	1169	6769	1168	من 9 إلى 15
	عين السفيهة	368	1463	191	306
	قاوة	310	1521	322	31
	عبيد علي	162	983	193	28
	عين الطريق	2292	12455	2128	من 16 إلى 27

المصدر : الإحصاء الوطني للسكن والسكان 2008

من قراءة الجدول توضح لنا أن مدينة سطيف تحوز تجمعات عشوائية تقع كلها خارج محيط المدينة وتشكل حزام الضواحي، وتتميز بكثافة سكانية مرتفعة وتعددت طريقة نشوء وامتداد هذه العشوائيات ولكن تشترك خصائص اجتماعية وثقافية واقتصادية بحكم ظروف نشأتها وتاريخ نشؤها، وبالتالي تم اختيارنا ثلاثة عشوائيات لإجراء الدراسة وذلك لصعوبات مرتبطة بطبيعة الموضوع واستجابة المبحوثين وحالات الدراسة والموضوع وحساسيته، وعليه وقع الاختيار على عشوائية شوف لكداد، عين الطريق، الشيخ العيفة فرماتو، وفي العنصر الموالي نوضح تاريخ تكون ونشأت كل حي وطبيعة التركيبة السكانية فيه.

1.العشوائية الحضرية شوف لكداد: حسب المصادر التجميعية عن نشأت هذه الأحياء نجدها تعود إلى سنوات 1863 وما قاربها، من خلال المرسوم إنشاء قري زراعية محيطة بالمدينة، ويقع التجمع محل الدراسة في الجهة الغربية لمدينة سطيف وهو من التجمعات القديمة نسبيا يقع على منطقة جبلية نشأت قبل بداية الثورة وكان ذلك بقدم المعمرين الفرنسيين لإنشاء مزارع وأعمال بالمنطقة وهي محجرة من طرف المعمرين "سيمو" و"ريمو" وأيضا طاحونة من طرف "لراش" و"سلامو" ومزرعة كل من "روجي" و"بوبي" وفي هذا الأثناء كانت موجودة حوالي 07 بيوت يعمل أصحابها في أملاك ومزارع المعمرين وأغلبهم من مدينة سطيف، وتم منحهم تراخيص من طرف الحارس الفرنسي واسمه "بيرجي" لبناء

¹Recensement General de la population et de l'habitat 2008.office National des statistioudes Alger.september 2011.p 53

سكنات بالحجارة والقرميد وتوافدت في هذه الفترة عائلات من عين الخضراء وسيدي عيسي، ومن بوسعادة، خراطة، بريكة وكان أغلبهم في يقيمون خيام كبودو رحل ثم استقروا بعدها في بيوت متناثرة.

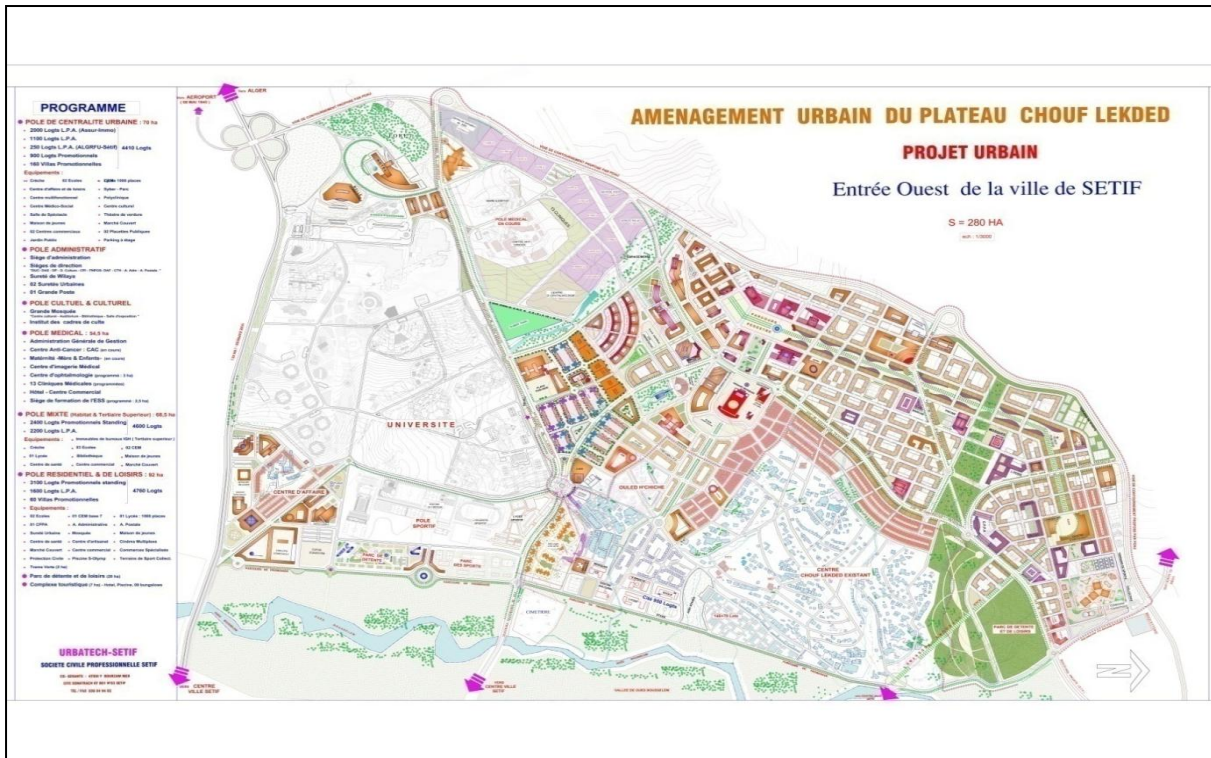
وأثناء الثورة هناك من قتل من هؤلاء المعمرين والبقية رحلوا مع بوادر الاستقلال وتركوا الأملاك، وتوافد المزيد من السكان إلى المنطقة وصلوا إلى 20 منزل يعملون أغلبهم في الزراعة والأعمال الفلاحية، وغداة الاستقلال وصل عدد المنازل ما بين 40-50 منزل غير منظم، أما بعد الاستقلال فتوسعت المنطقة خصوصا مع النزوح الذي عرفته الأرياف الجزائرية وبقدومهم لعاصمة الولاية كانوا يطالبون بالسكن فيوجهوا لمنطقة شوف لكداد باعتبارها أراضي شاغرة (كومينال)، في هذا الوقت عرفت أكبر كثافة سكانية ومع سنوات التسعينات والهروب من عدم الأمن في القرى والمداشر عرفت المنطقة توافد كبير لسكان من كل النواحي خصوصا الشمال من بوقاعة وقراها، عين الكبيرة، عموشة، وبعض البلديات الجنوبية.

وبعد عودة الاستقرار خصصت الدولة جزء من أراضي التجمع للبناءات المنظمة على شكل تجزئة وتم بيعها بعقود ملكية في الجهة السفلي تحت الطريق، وفي نفس الفترة عرف التجمع أكبر عملية للاحتيال في مجال البناء الفوضوي والقصديري و توافد سكان من كل المناطق في إطار ثقافة التحايل للحصول على سكنات بعد عمليات التهديم والترحيل الجماعية، وتقريبا من سنوات 2010 خصصت الدولة جزء من الأراضي التي كانت عبارة عن منازل فوضوية وتمت إزالتها لبناء عمارات من مختلف الصيغ (عدل)، وأيضا وفرت العديد من المرافق العمومية إضافة لما كان موجود منها ليصبح الحي يتوفر على فرع بلدي، مركز صحي، مركز بريد، ثلاثة مدارس، متوسطة، ثانوية، وسوق جوارى، و40% من أراضي التجمع اليوم قانونية وهي ملك للدولة، كما توسع التجمع من الناحية الأخرى للمرافق العمومية الكبرى وبعض الإدارات كمستشفى الأمومة والطفولة، ومركز معالجة السرطان، دار الصبر، والجامعة، القرية الاولمبية الممتدة للحي الأخر أولاد حسين.

ويقدر عدد المساكن بهذه العشوائية الحضرية ب 2227 مسكن في حين يقارب عدد سكانه 8060 نسمة أما عدد الأسر فيه فتقدر بـ 1366 أسرة وهذا حسب آخر إحصائيات لسنة 2008¹ في حين أن عدد البناءات الفوضوية والقصديرية عرفت تزايد في غياب إحصاء منظم جديد يحددها يقدرها السكان والمختصين في هذا الشأن بأنها تفوق 1000 منزل فوضوي .

¹Recensement General de la population et de l'habitat 2008.office National des statistiques Alger.september 2011.p 53

الخريطة رقم 01 تمثل التخطيط الحضري لحي شوف لكداد¹



الصورة رقم 01: توضح الشكل العام والحيز المكاني للعشوائية الحضرية شوف لكداد².



¹ المصدر قسم الهندسة المعمارية، جامعة سطيف 1

² www.Google Earth.com

2. العشوائية الحضرية عين الطريق: نشأت هذه العشوائية بداية كقرية فلاحية زراعية من طرف المعمرين وعرفت التواجد السكاني مع قدوم المعمر الفرنسي وإنشاء مستثمرة كولونيلية واسم المعمر هو "طوطو" مع وجود بعض الجزائريين العاملين عنده، وهم العائلات الأربع الأولى التي قطنت بالمنطقة وبعدها بدأت في التوسع هذه العائلات، إلى غاية الثورة حيث سكنها هذه المزرعة معمر آخر "روكس" لعامين أو ثلاثة ثم رحل وبقيت هكذا لغاية الاستقلال، حتى إنشاء القرية الزراعية بتخصيص 266 منزل ما بين الفترة الممتدة بين 1970 و1985 باعتبارها فترة النزوح الريفي وازدياد الطلب على السكن وأغلب السكان رحلوا من حي بيزار لهذه القرية، أما بداية من 1990 دخلت هذه الأراضي في الاستغلال الغير منظم لبناء البيوت القصدية باعتبار الأراضي شاغرة (دومان وكومينال) ونزحت إليها العديد من العائلات من مختلف المناطق كما حصل ذلك في مختلف التجمعات السابقة بسبب الإرهاب، أما بداية من سنة 2000 نظمت الدولة جزء منها لبيع أراضي التجزئة وأغلب السكان كانوا داخل مدينة سطيف كحي شمينوا، بيزار، بومرشي، طانجة وغيرها، كما توافد إليها في البناءات الفوضوية والقصدية أكبر نسبة على مستوي ولاية سطيف وكانوا من كل مناطق الولاية حتى من الولايات المجاورة البعيدة كيرج بوعرريج، المسيلة، باتنة، و سكنها بعض الأشخاص من تونس، المغرب، النيجر، المالي،..... وغيرها.

في نفس الوقت تم تشييد العمارات والعديد من التجزئات السكنية وكان أغلب سكانها أيضا من داخل مدينة سطيف، وبعدها تدخلت الدولة لتنظيم هذا التجمع وذلك بتهديم أغلب البيوت القصدية وتهديم جماعي لها - في حين بقي البعض منها لليوم- وترحيل السكان لعمارات في عين أرناط، عين الرمان، العناصر لتبقي بعض البنايات الغير منظمة، أما عن أهم المرافق المتوفرة فهي أربع مدارس، أربع مساجد، متوسطتين، ثانوية، مقر للدرك الوطني، فرع بلدي، مركز صحي، فرع بريدي، دار الشباب، ملعب جوارى.

ويبلغ عدد سكانه حسب آخر إحصاء سالف الذكر عين الطريق عدد المساكن 2292 عدد السكان 12455 عدد الأسر 2128، أصبحت الأراضي 65% قانونية¹، في حين أن الأرقام المستجدة في الإحصاء حسب المصادر الغير رسمية تؤكد ارتفاع الكثافة السكانية به إلى 24 ألف سكان حسب إحصائيات مركز البريد

¹ Recensement General de la population et de l'habitat 2008. office National des statistiues Alger. september 2011. p 53

الصورة رقم (02): توضح الشكل العام والحيز المكاني لعشوائية الحضرية عين الطريق¹



3. العشوائية الحضرية الشيخ العيفة (فرماتو): حسب المعلومات التجميعية تكون هذا التجمع من العائلات الأولى الأربع التي سكنت في هذا الحي قبل الثورة وكانت تشتغل في الزراعة بما أن الحي مازال لليوم تحيط بيه مزارع مختلفة، وبعدها قدم إليها معمر اسمه "مشال" ووظف الكثير من سكان هذا الحي والمناطق الأخرى كعمال وتوافدوا إليها من مقرس وبومنجل والمناطق المجاورة إلا أن تم قتله من طرف المجاهدين أثناء الثورة وبقيت زوجته " فيالا" تدير العمل والمزرعة إلى غاية الاستقلال ثم رحلت هي وباقي أفراد عائلتها.

بعد الاستقلال تكونت بنايات صغيرة محيطة بمزرعة المعمر (الفيرما) بطريقة عشوائية وبالقرميد والحجارة والطين - والبعض من هذه البنائات لازالت موجودة للوقت لإجراء الدراسة والصور المدرجة في عناصر التحليل العديدة تبرز ذلك- باعتبار الأراضي في ذلك الوقت لم يتم بعد تنظيمها، ثم بدأت في التوسع بالاعتبار البناء في أرض الشاغرة (الكومينال) وكان الوافدين من المسيلة، خراطة، بوقاعة، عين الكبيرة، وعين الروي أكبر نسبة من باقي المناطق الأخرى، كما تم تخصيص 116 قطة أرض مجهزة للسكن على شكل تجزئات وكان أغلب سكانها من وسط مدينة سطيف (مركز) .

¹www.Google Earth.com

وصولاً لفترة التسعينيات ومع بداية فترة الأعمال الإرهابية وهروب الكثير من السكان من قراهم وأراضيهم البعيدة عن المدن من بينهم سكان قري ومداشر بوقاعة، جبل عنيني، حمام قرقور، شعبة شرفة، بابور للاستقرار في محيط أمن وقريب من المدن، وفي هذه الفترة تشكل محيط عمراني عشوائي بالحي لا يخضع لمعايير البناء بل فقط بيوت قصديرية وفوضوية توزعت على ثلاث مناطق، لتتفاقم الظاهرة، وعرفت نطاق أوسع بداية من سنة 2000، كما عرفت بعد هذه الفترة بناء عمارات ذات الطابع الاجتماعي وأيضاً أمتد الحي على جانب منه للبناءات الذاتية في إطار تجزئات سكنية منظمة تراعي وجود الشوارع والطرق ومساحات بين البيوت ومخارج للشوارع ليتوسع الحي بعدها ويعرف كثافة سكانية معتبرة وفرت معه العديد من المرافق العمومية حسب الاحتياجات السكانية وهي: المدارس وعددها ثلاثة، متوسطة، فرع بلدي، فرع صحي، فرع بريدي، قاعة رياضية، ملعب جوارى، مسجد، مقر للدرك الوطني.....الخ، ليصل الحي إلى الشكل الحالي عدد المساكن 6769، عدد السكان 1169، عدد الأسر 1168 رقم المقاطعة من 9 إلى 15، 40% من الأراضي فقط قانونية وهي ملك للدولة¹، حسب آخر إحصاء للسكان لسنة 2008، وبداية من سنة 2013 تم تسوية جزء من فوضوية الحي خصوصاً البيوت القصديرية حيث تم وترحيل القاطنين بهم إلى كل من عين الرمان وعين أرناط ليبقي الحي في شكله الحالي الموضح في الصورة.

¹Recensement General de la population et de l'habitat 2008.office National des statistiques Alger.september 2011.p 53

الصورة رقم 03: توضح الشكل العام والحيز المكاني لعشوائية الشيخ العيفة (فرماتو)¹



¹www.Google Earth.com

ثالثا : عرض حالات الدراسة

الجدول رقم (06): عرض وتقديم حالات الدراسة

الحالات	الجنس	السن	مكان المقابلة	الاسرية الوضعية	المهني النشاط	المستوي التعليمي	تاريخ المقابلة	مدة المقابلة	الحالة العائلية	سبب الاتحراف أو الجريمة	تدخل السجن عدد مرات	الملاحظات
رقم 01	ذكر	27	مقهى انترنت	الأم متوفية الاب معيد الزواج عدد الاخوة 08	كان مستفاد من مشروع الجزائر البيضاء والان عاطل عن العمل	5 ابتدائي	2017/02/05	ساعتين	عازب	- الشجار مع الأصدقاء ودخول مركز إعادة التربية للإحداث - شجار مع عصابة من حي أخرو إهانة هيئة عمومية - السرقة والتعدي بالعنف - الشجار مع شباب كل الاحياء المجاورة - سرقة غرض شخصي لأحد إطارات الدولة - المشاركة في أعمال شغب بالملعب - تعاطي الخمر والمخدرات بصورة يومية	3 مرات	المبحوث أجاب على كل الاسئلة وأبدي الكثير من التعاون والتفهم للموضوع، وصرح بالكثير من الامور الخاصة، مرتب في لباسه وهندامه ، كثير الحركة ، على جسمه الكثير من الجروح ، مندفع جدا في تصرفاته، يعاني من توتر والقلق، لا يشعر بأدي حرج لدخوله السجن، كثير الضحك أثناء سرده لبعض قصص الانحراف هو وأصدقائه،اجتماعي ويشعر بالسيطرة على أصدقائه والحي الذي يسكنه وكأنه الزعيم .
رقم 02	ذكر	28	في محل لبيع الألبسة الرجالية	الأم متوفية الاب معيد الزواج عدد الاخوة 10	لا يعمل حليا من قبل في بيع الخردوات	6 ابتدائي	2017/02/24	ساعة ونصف	عازب	- سرقة سيارة وتفكيكيها وبيعها - الشجار - حيازة المخدرات وتعاطيها - سرقة منزل - اهانة هيئة عمومية أثناء تهديم بيت قصديري	4 مرات	خجول وانطوائي جدا ، هادئ لدرجة كبيرة جدا ، يجب على الاسئلة بمحدودية، لباسه وهندامه غير مرتب، هاتفه يرن بصورة مستمرة، لا تبدو عليه أي من علامات الانحراف، يعتبر دخوله السجن حالة عادية ، ويحكي الكثير من تفاصيل انحرافاته ببرودة أعصاب، غير مندمج في حيه ولكنه يتعامل معه ببرودة وللضرورة فقط

رقم 03	ذكر	32	في الحي الذي يسكنه	الوالدين على قيد الحياة الاب معيد الزواج عدد الاخوة 07	تعدد الانشطة والاعمال في الوقت الحالي عامل مهني	2 متوسط	2017/03/07	على فترات متقطعة حوالي 04 ساعات	متزوج طفلين	- اختطاف قاصر - سرقة - السرقة بالاعتداء والسلاح الابيض - سرقة منزل والاعتداء على صاحبه - محاولة الانتحار العلنية عدة مرات - السياقة في حالة سكر، تعاطي المخدرات - الشجار الدائم مع الجيران بسبب التجمع ليلا - وشرب الخمر وإثارة الضجيج في الحي	05 مرات	المبحوث في حالة قلق مستمر، يحكي قصة حياته بطلاقة وبأدق التفاصيل، وأصر على التعرف بعائلته، له عدد كبير من الاصدقاء والعلاقات ، وكثير الحركة ، يبدي رجولة و فحولة زائدة ، دون أن يشعر يتلفظ بالكثير من الالفاظ النابية، في نبرة صوته كره لكل من يمثل الدولة والجهات الرسمية. يشعر انه مالك الحي وله سيطرة كبيرة عليه يعرف كل كبيرة وصغيرة فيه .
رقم 04	ذكر	28	في حديقة عمومية	الوالدين متوفيين عدد الاخوة 06	لا يعمل حاليا سبق له العمل في مصنع حلويات و التجارة في سوق فوضي	3 متوسط	2017/03/10	ساعة ونصف	عازب	- حيازة واستهلاك المخدرات - الشجار بسبب فتاة مع شباب الحي - الضرب والاعتداء على الجيران بسبب موقف السيارات	01	هذه الحالة صاحبها خرج من السجن منذ فترة وجيزة، في حالة صدمة لدرجة يعبر عن خوفه من العودة للسجن بسبب استئناف في قضيته، يشعر بالحرج والخجل لدخوله السجن، في بداية المقابلة كان متحفظ وغير متفاعل، ثم أصبح يحكي بطلاقة عن قصته، ويعبر عن فخره بنفسه أنه راجل بالمعني الحقيقي لأنه لم يذكر أصدقائه في مجرى التحقيقات القاضية . لم تتوضح علاقاته بعد بمحيطه لكن يميل للإبتواء في المحيط الخارجي

رقم 05	ذكر	27	في حديقة عمومية	الوالدين على قيد الحياة عدد الاخوة 04	عاطل عن العمل حالياً وكان يعمل كهربائي	3 متوسط	2017/03/10	ساعتين	عازب	- دخول مركز إعادة التربية للأحداث بسبب ضرب مدير المتوسطة - السرقة مجوهرات - شجار مع عصابات حجز الاماكن في الاسواق	02	المبحوث بشوش جدا لا يتوقف عن الضحك أثناء سرد قصته، يعتبر دخوله السجن خطأ متعدد فقط، في شكله ولباسه غير مبالي وغير مرتب، لا أفق أو طموح له، كثير الحركة والوقوف والجلوس، يحكي دون خجل أو خوف ، لديه القابلية للدخول سجن مرة اخرى . غير مبالي بما يقوله أو يفعله أو نظرة محيطه له
رقم 06	ذكر	34	في مكتبته ليبيع الأدوات المدرسية	الوالدين على قيد الحياة عدد الاخوة 07	صاحب محل في الوقت الحالي غير مرخص من قبل كان موظف في وكالة التشغيل anem	2متوسط	2017/03/22	05 ساعات	متزوج لطفل	- سرقة مقترنة في ظرف الليل - مشاكل مع الجيران والهيئات العمومية - مشاكل مع شباب الحي - مشاكل مع الأسرة الوالد خصوصا والتبليغ عنه للهيئات الأمنية	01	المبحوث في حالة توتر وقلق شديد، ينتقد كل شيء عائلته، أصدقائه، زبائنه، السلطات الرسمية، يحمل كره وبغض لكل من ينتقده ، يبدو عليه نوع من التدين، بدأ الحديث عن قصته دون أي حرج أو خجل أو خوف ، ويشعر بالفخر وأنه على حق في شكله مرتب لكن مضطرب في تعاملاته مع الزبائن. يشعر بالضيق والقلق في حيه ويكره أغلب محيطه .

رقم 07	انثي	23	في منزل إحدى الصديقات لها	الاب متوفي الام متسولة عدد الاخوة 09	التسول والدعارة	5 ابتدائي	2017/04/01	4 ساعات	عازبة	- الهروب من المنزل قبل سن 19 ودخول مركز إعادة التربية - التشرد - أم عازبة - محاولة الانتحار - شرب الخمر وتعاطي المخدرات	01	المبحوثة رقيقة تحمل سمات جميلة وهادئة ، كانت تشعر بالتعب من الحمل، وكذا من محاولتها الانتحار، تتحدث بكل طلاقة عن قصتها في مرات كثيرة كانت تبكي، يبدو عليها الخوف من المجهول، تبحث عن مأوى أو أي شخص يساعدها في حياتها، تتعرض للمضايقات في الحي لذلك لا تخرج بل تستقبل من يريدونها في المنزل .
رقم 08	انثي	20	في منزل المبحوثة	الوالدين على قيد الحياة عدد الاخوة 07	التسول والدعارة	1 متوسط	2017/04/01	حوالي 6 ساعات	عازبة	- التشرد - تعرضت للاختطاف والاعتصاب وبعدها الهروب من المنزل والإقامة في دار التضامن - دخول السجن بسبب الدفاع عن النفس - أم عازبة للطفلين - التسول	02	في حالة ضياع، كثيرة التعاطي للمخدرات جسمها كله عليه علامات تشريح بالسكين أو تكسير الأشياء، تتحدث كثيرا عن أولادها ورغبتها في رؤيتهم - هم عند عائلات تبنتهم - كثيرة الكلام والضحك والبكاء، تحكي قصتها بطلاقة وعدم الخوف، غير مبالية لدرجة كبيرة، تم التأكد من قصتها من أشخاص كثر يعرفونها، لا تشعر بالأمان في حياها تخاف الخروج .
رقم 09	ذكر	33	في مكتب جمعية خيرية	الوالدين على قيد الحياة عدد الاخوة 07	العمل في الصحراء عامل مهني	4 متوسط	2017/04/14	ساعتين وأب لطفل	مطلق	- الضرب والجرح العمدي المفضي للوفاة - تعاطي المخدرات	01	المبحوث لا تبدو عليه أي علامات الانحراف فهو شخص مرتب ومنظم ، حديثه منسق ، أنيق المظهر، يحترم الآخرين، متأثرا ونادم على حادثة دخوله السجن، يبحث عن حلول وأمل للعيش ونسيان الماضي، كان متعاون جدا وسرد العديد من قصص السجن، في حيه يشعر بالخجل لذلك يسافر كثيرا وقليل الاحتكاك بالناس

رقم 10	ذكر	25	في الجامعة	الوالدين في حالة انفصال غير معلنة عدد الاخوة 03	لا يعمل	جامعي	2017/03/12	تم اللقاء به مرتين في حدود ساعة ونصف	عازب	<ul style="list-style-type: none"> - عقوبة موقوفة التنفيذ - شجارات في الحي - شجارات في الملاعب - عصابات الحي - حجز سكين في الملعب بعد ضرب أحد الأشخاص - سجن غير نافذ وعدم دخول الملعب لمدة 6 أشهر - مدمن مخدرات وشرب الخمر بصورة كبيرة جدا 	01	المبحوث في المرة الاولى من اللقاء كان في حالة سكر متقدم، يتحدث عادي وباح بكثير من الخصوصيات له ولأصدقائه ، ولكنه كان متعب وغير قادر على مواصلة الحديث ، لذلك تم ترتيب لقاء ثاني فكان في حالة عادية ، تجاوب مع المقابلة وأكد وفصل كل ما قاله من قبل، يشعر بالفخر لحالته، بالعكس يعتبر حالته طبيعية .أنيق المظهر ومتتبع للموضة ، له أصدقاء كثر وكثير الحركة، رد فعله سريع جدا، وخلال المقابلة حصل شجار مع مجموعة طلبة في الجامعة بسبب فتاة . يشعر بأنه بطل في حيه وكل الناس تهابه
رقم 11	أنثي	19	في منزل صديقة المبحوثة و مطعم	الوالدين في حالة انفصال دون طلاق عدد الاخوة 07	عاملة في محل للبيع الايسة	جامعي	2017/03/13	في فترات متقطعة ممكن اكثر من يوم كامل	عازبة	<ul style="list-style-type: none"> - التدخين وتعاطي المخدرات والخمر - السكر العلني عدة مرات - الشجارات مع الجيران - السهر ليلا ودخول البيت متأخر - الاعتداء على أحد الاقارب 	01	المبحوثة جميلة وأنيقة ، كثيرة الحركة والكلام و المكالمات في الهاتف، تدخن طوال الوقت ودون توقف، في كلامها البحث الدائم عن الموارد المالية للباس والمكياج ، والتدخين، متقلبة المزاج و المشاعر. لها صديقات كثيرات كلهم من نفس الوسط، عند الحديث عن أسرتها تتوتر و تغضب، الحي الذي تعيش فيه تمقته وتكرهه

رقم 12	أنثي	21	في منزل المبحوثة	الوالدين على قيد الحياة عدد الاخوة 3 إناث	لا تعمل	بكالوريا	2017/03/18	نصف يوم	عازبة	- دخول مستشفى الامراض العقلية - شجارات عائلية تحل بتدخل هيئات أمن - شجارات في الشارع - التدخين وتعاطي المخدرات	01	المبحوثة في حالة هيجان دائم وتوتر نفسي شديد تحكي قصتها بتأثر شديد ، تحاول دائما ترتيب الامور في المنزل وإيداء التنظيم، شكلها وهندامها أنيق، كثيرة المشاكل في المنزل ومع كل أفراد الاسرة - حضرنا العديد منها- لا تخاف مطلقا ، مندفعة وجريئة ، تدخن بصورة كبيرة جدا، تفتعل المشاكل في الحي وتتهجم على كل من ينظر لها، تحاول إثبات نفسها في الحي .
رقم 13	ذكر	31	في دار الشباب	الوالدين على قيد الحياة عدد الاخوة والاخوات 08	لا يعمل حاليا من قيل عمل في ورشة لتركيب الزجاج وبعض الاعمال الفلاحية	3 ابتدائي	2017/04/24	ساعتين وأب لطفلة	متزوج	- السرقة والاعتداء - الاعتداء بالضرب على أحد الوالدين والزوجة - تعاطي المخدرات - سرقة محل - شجار مع الاصدقاء	03	في حالة متقدمة من اللامبالاة، والانحراف بالنسبة له وخصوص السرقات مصدر العيش والكسب، فوضوي جدا، تحدث عن قصته بكل طلاقة ودون خوف أو خجل، علاقاته سيئة مع أسرته، لكن في الحي له الكثير من الاصدقاء وهم يبحثون ويتصلون به في كل وقت، يشعر بأنه محبوب في حيه و متقبل من طرفهم.
رقم 14	انثي	26	في منزلها	الوالدين متوفيين عدد الاخوة 04	لا تعمل	1 متوسط	2017/04/13	ثلث ساعات	عازبة	- الدعارة - تعاطي المخدرات والكحول - أم عازبة لطفل	02	منغلقة بالصورة كبيرة جدا، قبلت إجراء المقابلة بعد إصرار وتواصل متكرر وتدخل بعض أصدقائها ، لا تثق في الغرباء كما تقول، مرتبة وهادئة، تشعر بالخوف والتوتر لأي ضجيج أو طرق في الباب، لا تشعر بالأمان في الحي الذي تسكنه، تتعرض لمضايقات من طرف الجيران .

رقم 15	ذكر	35	في محل صديق المبحوث	الوالدة متوفية الاب غير معيد الزواج ، عدد الاخوة 08	حاليا لا يعمل من قبل عند احد الخواص حارس	3 متوسط	2017/03/10	ساعتين وأب لطفل	<ul style="list-style-type: none"> - مشاكل اسرية وعائلية بوسائل التواصل الاجتماعي - دخول مستشفى الامراض العقلية - شجارات مع الجيران - الضرب والجرح والاعتداء على الزوجة - سرقة عتاد مؤسسة عمومية - تعاطي المخدرات 	02	المبحوث في حالة ضياع بسبب المشاكل الاسرية، يشعر بعدم تفهم الآخرين له ، كثير التدخين والحركة ، والنرفزة ، يتصل بالآخرين دون الحاجة لهم، يتحدث كثيرا عن حاجته للمصروف ويطلبها صراحة من كل من يتصل به، الحي بالنسبة له هو مكان حصول المشاكل ، ووجود الاصدقاء يخفف ويساعده على نسيان مشاكله .
رقم 16	ذكر	25	في محطة نقل المسافرين سطيف	الأم متوفية الاب معيد الزواج عدد الاخوة 05	لا يعمل حاليا	5 ابتدائي	2017/02/17	اللقاء مرتين حوالي ساعة ونصف	<ul style="list-style-type: none"> - عدم الالتحاق بصفوف الخدمة الوطنية - تعاطي المخدرات - السرقة - السياقة في حالة سكر - الشجار مع شباب الحي - حرق محل ل احد الخصوم 	03	المبحوث في اللقاء الأول كان في حالة سكر وتعاطي للمخدرات (زطلة) متقدمة لذلك لم يكن مركز في حديثه، اللقاء الثاني كان مرتب ومهذب وصوته منخفض، يتحدث عن قصة انحرافه بعفوية ودون خجل، يشعر بأنه مهدد في حيه لكثرة الخصومات مع مجموعة مع شباب حيه، يبحث عن السفر والرحيل دون عودة

رقم 17	ذكر	24	في منزله	الوالدين مطلقين عدد الاخوة 08	لا يعمل أحياننا فقط ناقل غير مرخص بسيارته الخاصة	4 ابتدائي	2017/03/12	على فترات متعددة والتعر ف على الكثير من أفراد أسرته	متزوج وأب لطفلة	<ul style="list-style-type: none"> - حيازة واستهلاك المخدرات - العمل كناقل غير مرخص للأشخاص وحيازة المشروبات الكحولية - ربط علاقات الشعوذة والدعارة - الاعتداء بالضرب على أحد الجيران 	02	<p>المبحوث كثير العلاقات والروابط الاجتماعية في حيه ، الكل يعرفه ويطلب منه خدمات معينة ، بشوش ويتحدث مع الجميع ، وافق على إجراء المقابلة في منزله و عرفنا على أسرته، يجب على كل الاسئلة دون حرج أو خجل، يعاني من بعض الاضطرابات كالقلق والنرفزة في بعض المواقف، يمتلك سيارة قديمة ، لباسه وهندامه عادي، دائم البحث عن العمل ، يشعر بالتقبل في حيه ، له العديد من الاصدقاء والاصحاب ودائم الحديث معهم واللقاء بهم ، عائلته تشتكي منه السهر والافراط في شرب الكحول</p>
رقم 18	أنثي	33	في منزلها	الوالدين متوفيين عدد الاخوة 05	لا تعمل	6 ابتدائي	2017/04/25	لمرات عدة أولاد	<ul style="list-style-type: none"> - تسهيل الدعارة وفتح منزلها لذلك - القيام بأعمال السحر والشعوذة - ومشاكل والشكاوي مع الجيران - تكوين جماعة أشرار - التدخين وشرب الخمر 	01	<p>المبحوثة اجتماعية بدرجة كبيرة وكثيرة الحديث لها علاقات كثيرة ومعارف ولأصدقاء ، غير مبالية بالأمر المنزلية، كثيرة الحديث بالهاتف لا يكاد يتوقف هاتفها عن الرنين، في شكلها مرتبة وجميلة المظهر، لا مشكلة لديها في العمل الذي تقوم به سواء الشعوذة وتراها مصدر رزق ، أما الدعارة فهي للضرورة ولتربية أبنائها، تضحك كثيرا ، وتعبر عن الرضا بحياتها ، تتحدث عن بعض المشاكل الاسرية التي تزجها خصوصا أبنها ، الحي الذي تسكنه تكرهه وتمقت أفرادها، لها مشاكل عديدة معهم بسبب المترددين على بيتها .</p>	

رقم 19	ذكر	30	في حديقة عمومية عدد الاخوة 04	الوالدين مطلقين عدد الاخوة 04	لا يعمل حاليا من قبل كان تاجر	5 ابتدائي	2017/02/06	تقريبا ثلث ساعات	متزوج وأب لطفلين	- السرقة - الاعتداء والضرب و العمدي - المتاجرة وتعاطي المخدرات - خصومات مع شباب الحي	01	يبدو منظم ومرتب ولا تبدو عليه سلوكيات الانحراف ، يمتلك سيارة فخمة ، لباسه وهاتفه من الماركات الثمينة يتحدث بنبرة الرجولة المضخمة ، وقدرته على تسيير حياته ، السجن بالنسبة له تجربة جيدة جدا أفادته كثيرا، الحي الذي يسكنه يشعر فيه أنه محترم ومقبول إلى حدا ما
رقم 20	ذكر	26	اللقاء في مكان العمل محل لغسل وتشحيم السيارات	الوالدين مطلقين يعيش وحده عدد الاخوة 01	يعمل في محل تنظيف السيارات من قبل العمل في السوق والنجارة	2 متوسط	2017/03/28	عازب	- الاعتداء بالسلاح الابيض على أحد الاصدقاء - حيازة وتعاطي المخدرات - المتاجرة في المخدرات	01	انطوائي جدا ورفض إجراء المقابلة في البداية ثم أتصل بعد مدة وطلب اللقاء، تم اللقاء في مكان عمله وقت الغداء والراحة، في البداية كان يشعر بالخوف من التصريحات، ويستفسر عن الهدف منها، وعدم تعرضه للإيذاء بسببها، وبعد شرح الامر له تحدث بصراحة وصرح بالكثير من الامور الخاصة جدا، له رغبة كبيرة في تحسين وضعيته المالية رغم الصعوبات التي يتلقاها، يريد تحسين صورته في حيه والابتعاد عن أصدقائه.	
رقم 21	ذكر	22	في الشارع أمام محل لأحد أصدقائه لبيع العطور	الاب متزوجة بزوجة ثانية عدد الاخوة 06	لا يعمل مدخوله من السرقة وبيع الزطلّة (الكيف)	6 ابتدائي	2017/03/13	متزوج ساعتين	- الاعتداء على أحد الجيران - النزاع علي قطعة أرض مشتركة في الحي - بناء بيت ومحل دون رخصة - سرقة منزل من الدخول للسجن حسب إرادته - تعاطي المخدرات والكحول وتسجيل عديد القضايا بسببها	03	المبحوث اجتماعي ، يتحدث بطلاقة دون خجل أو خوف، شكله ولباسه منظم ومرتب مهتم بأناقته، لديه الكثير من الاصدقاء والمعارف، صرح بالكثير من الخفايا في عالم المخدرات، يعطي لنفسه الحق والمشروعية في المتاجرة بالمخدرات، علاقته بالحي الذي يسكنه تتسم كثرة بالمخالطة .	

الجدول رقم (07): تاريخ إجراء المقابلات والجهات التي تمت معها ومكان إجرائها

المكان	الجهة التي أجريت معها المقابلة	تاريخها	المقابلة
جامعة سطيف 2	إمام مسجد ومرشد ديني وناشط جمعي	28 فيفري 2017	الأولى
المقر الإداري للمصالح الخارجية لإدارة السجون سطيف	مدير المصالح الخارجية لإدارة السجون بولاية سطيف	05 مارس 2017	الثانية
المقر الإداري للمصالح الخارجية لإدارة السجون سطيف	طبيبة نفسية بالمصالح الخارجية لإدارة السجون بولاية سطيف	05 مارس 2017	الثالثة
بمكتب رئيس القسم بجامعة فرحات عباس سطيف 1	رئيس قسم الهندسة المعمارية بجامعة فرحات عباس سطيف1، والدكتور ح. ن بنفس القسم	10 ماي 2017	الرابعة
بمكتب المصلحة	المكلف بمصلحة شرطة العمران بولاية سطيف	التحفظ على تاريخها	الخامسة
بمقر المؤسسة	منتشط أو مساعد بمؤسسة ديوان الشباب بولاية سطيف	20 سبتمبر 2017	السادسة
بمكتب الخلية	منسقة الخلية الجوارية لوكالة التنمية الاجتماعية بولاية سطيف	20 سبتمبر 2017	السابعة
/	تضم مخبرين اجتماعيين من حي فرماتو وهم:		الثامنة
جامعة سطيف 2	عون أمن في مؤسسة تربية وناقل بسيارته الخاصة غير مرخص	08 مارس 2017	
داخل منزلها	سيده مجاهدة تبلغ من العمر 73 سنة من السكان الأوائل للحي	19 جويلية 2017	
أمام منزله	شيخ مسن من العائلات الأولى والكبيرة في الحي.	19 جويلية 2017	
بمكان عمله المكتبة الموجودة بالحي المذكور (فرماتو)	صاحب مكتبة بالحي	23 جويلية 2017	
/	مخبرين اجتماعيين من حي عين الطريق وهم كالتالي:	14 ماي 2017 ونفس التاريخ لباقي المقابلات	التاسعة
أمام منزله	شيخ من مواليد 1930 من السكان الأوائل في الحي		
في محله	صاحب محل لبيع الحليب والألبان من الأصليين سكان الحي		
في متجر وأيضا في الطريق العمومي	موظف متقاعد من البلدية من سكان الأصليين للحي		
في منزلها	أستاذة قاطنة بالأحياء الجديدة		
في محلاتهم	مجموعة من الشباب أصحاب محلات متعددة في لقاء جماعي		
/	مخبرين اجتماعيين من حي شوف لكداد وهم كالتالي :	12/11 سبتمبر 2017	العاشر
بمنزلها	سيده تقطن بالحي الفوضى منذ أكثر من 30 سنة		
في المحل	صاحب محل لبيع المواد الغذائية		
في الحي أمام مدرسة	شيخ يقطن بالحي لأكثر من 50 سنة		

جدول رقم(08) : يوضح توزيع حالات الدراسة حسب المجال الجغرافي

النسبة المئوية	التكرارات	أحياء الدراسة
28.57%	06	تجمع الشيخ العيفة (فرماتو)
33.33%	07	تجمع شوف لكداد
38.09%	08	تجمع عين الطريق
100%	21	المجموع

يوضح الجدول أعلاه توزيع حالات الدراسة على الأحياء الثلاثة وقد تم مراعاة التقريب والموازنة في عدد الحالات لكل حي وما تم مراعاته تشابه الخصائص السكانية والاجتماعية لها ، وتجدر الإشارة أن عملية وطريقة الحصول على حالات الدراسة اتسمت بالصعوبات والتعقيدات من ناحية الخوف من التصريح و التراجع في كثير من الاحيان عن إجرائها والمشكل الثاني الذي اعترضنا هو عدم توفر فضاءات وأماكن لإجراء اللقاءات والمقابلات خصوصا أنها تأخذ فترات زمنية طويلة.

جدول رقم (09): يوضح توزيع حالات الدراسة حسب الجنس

حالات الدراسة		أحياء الدراسة
الذكور	الإناث	
04	02	تجمع الشيخ العيفة(فرماتو)
06	02	تجمع شوف لكداد
05	02	تجمع عين الطريق
15	06	المجموع
21		

يوضح الجدول توزيع حالات الدراسة حسب الجنس وكانت متقاربة ومتنوعة بين الذكور والإناث لنحاول التعرف على تأثير العوامل المتمثلة في المحيط السكني والعمراني للعشوائيات الحضرية على سلوكيات كل من الإناث والذكور وكذا الاختلاف في طبيعة العلاقات والروابط الاجتماعية في الاسرة والحي والشارع لكليهما، وأيضا أماكن قضاء الوقت والفراغ وكيف يؤثر في انحرافهم واختلاف انحرافاتهم وجرائهم .

خلاصة:

يمكن القول إن مجال الدراسة المتمثل في مدينة سطيف كمجال عام عمرانيا، سكانيا، اقتصاديا، اجتماعيا وثقافيا، يشكل مادة هامة للفهم والتعمق في موضوع العشوائيات الحضرية الموجودة بها، وهي عبارة عن حزام محيط بالمدينة وتتقارب في ظروف نشأتها، التي تعود للفترة الاستعمارية وبعدها الثورة التحريرية وصولا لفترة الاستقلال والهجرة الريفية التي عرفتها تقريبا كل المدن الجزائرية لنصل لسنوات التسعينيات وعشرية الإرهاب وبقاء الهجرات متواصلة، كلها ظروف أفرزت طابع عمراني متعدد المعالم يحمل نماذج غير متجانسة في أغلبها تعبر عن فوضي في التخطيط وفشل في السياسات العمرانية الموجهة لتلبية الطلب على السكن والفشل في بناء أنماط عمرانية تبرز شكل المدينة الجزائرية، وداخل هذا النمط تتعدد الممارسات اليومية للفرد الجزائري منعكسة في هذا الفضاء المترجم في حضور الشباب الشريحة الأكبر والأكثر تطلبا في الوقت الحالي لأماكن العمل وقضاء وقت الفراغ والترفيه وكلها شروط غير متوفرة فسحت المجال لممارسات أقل ما يقال عنها أنها انحرافية لا تتلاءم والقيم المجتمعية العامة.



الفصل السادس: بنية الحي العشوائي ومساهمتها في الانحراف السلوكي للشباب

تمهيد

أولاً: البناء السوسيواقتصادي للحي العشوائي ومساهمته في انحراف للشباب

- 1- عدم الرضا على السكن في الحي العشوائي وإفرازات المحيط المضطرب.
 - 2- المحددات الاجتماعية والاقتصادية للحي العشوائي وغياب فرص العمل والبطالة.
 - 3- المرافق العمومية وثقافة الاحتجاج لدي شباب الحي العشوائي.
 - 4- المرحلة العمرية والمستوي التعليمي وجنس المبحوثين وعلاقته بالانحراف والإجرام.
- ثانياً: التشوه العمراني في الحي العشوائي: هل هو أرضية الانحراف لدي الشباب ؟

- 1- الفراغات المجالية والمساحات المهجورة والانسحاب للممارسة الانحراف لدي الشباب.
 - 2- مشاكل النظافة في الحي العشوائي وانعكاساتها على السكان والشباب.
 - 3- البعد عن الرقابة الأمنية واستغلال الشباب الفضاءات للانحراف .
- ثالثاً: البعد النفسي والانتماء للحي العشوائي وعلاقته بالانحراف الشباب
- 1- هلامية حدود الحي والشعور بالضياع والخوف وعدم الاستقرار والطمأنينة.
 - 2- اختلال التوازن النفسي في الحي العشوائي وهروب الشباب للانحراف .

رابعاً: الإقصاء والتهميش في الحي العشوائي وأثاره على الشباب

- 1- موقع الشباب المنحرف في النسيج الاجتماعي للحي العشوائي.
- 2- أنماط الانحراف السلوكي للشباب الحي العشوائي وخصوصياتها.
- 3- اندماج الشباب في مسكن عشوائي أم عمران عشوائي بالمدينة الجزائرية.

خامساً: نتائج الفرضية الأولى

خلاصة

تمهيد:

في هذا الفصل نتناول بالعرض والتحليل نتائج الفرضية الأولى المتعلقة بدور العوامل الايكولوجية والمتمثلة في البناء السوسيواقتصادي للحي العشوائي، وطبيعته المورفولوجية ونقدم أهم النماذج العمرانية المحصل عليها من الدراسة الميدانية، وطبيعة التشوه العمراني وتأثيره على السكان عامة وفئة الشباب خاصة في هذه العشوائيات الحضرية في سلوكياتهم، وكيف تساهم هذه الاختلالات الايكولوجية وتكون بمثابة الرابطة بين تفاعل الشباب ومحيطهم اجتماعيا ونفسيا، لنصل إلى عرض أنماط الانحرافات السلوكية لدي الشباب والتي لها علاقة مباشرة بين الطبيعة الايكولوجية للحي وما يحمله من خصائص اجتماعية، واقتصادية، ونفسية تؤثر عليهم وتعتبر من أهم العوامل المساعدة في توجيههم للسلوك الانحرافي والإجرامي.

أولا: البناء السوسيواقتصادي للحي العشوائي ومساهمتها في انحراف للشباب

1. عدم الرضا على السكن في الحي العشوائي وإفرازات المحيط المضطرب: إن إشكال النمو الحضري والانتساع العمراني يخضع لمدي التحكم في النمو ذاته وتوجيهه وفي غياب ذلك التحكم تنتج حالات النمو العشوائي، وعليه تكون الظروف الاجتماعية والاقتصادية للحي تأثيرا كبير على سلوكيات سكانه لأن المسكن ذاته من حيث ضيقه أو اتساعه ومن حيث فخامته وتهويته و مرافقه وارتفاعه أو انخفاضه وقدمه أو حداثة من الخصائص الذاتية التي تلعب دورا واضح في مجال تماسك جماعة الأسرة أو تفككها، وفي معرض الدراسة الميدانية الموجهة خصوصا لفئة الشباب، وعن ظروف الإقامة في الحي العشوائي توجهت إجابات المبحوثين إلى عدم الرضا عن السكن في حي المذكور، وتعددت الأسباب إلى :

- هذه الأحياء التي يسكنون فيها معروفة أنها أحياء تسمى بالضواحي وهي دائما في نظر سكانها وسكان المدينة المركزية أقل قيمة، وهي أحياء المشاكل، وأحياء الفوضى، وسكانها غير متحضرين ويحملون صفات وسلوكيات الريف و لم يستطيعوا التكيف والاندماج مع سكان المدينة المركز.

- مرتبط بهجرة الأسرة من أجل تحسين ظروفها سواء العمل أو الدراسة أو القرب من المدينة.

- عدم الرضا على المنزل والحي المقام فيه لعدة اعتبارات منها أن البناء في الغالب لا يتوفر كل المواصفات الحياة العادية.

- عدم الرضا على الحي كله ليس فقط عن شكل المنزل وعدد غرفه ومتطلبات الحياة فيه وطبيعة العلاقة مع الجيران، والمرافق العمومية وإنما الحي كله لعدم توفره وتلبيته لاحتياجات الشباب عموماً.

في هذا الصدد يذكر مبحوث الحالة (رقم 03 السن 32 دخل السجن بسبب السرقة والاعتداءات) " أننا كبرنا وجدنا أنفسنا في هذا الحي عايشين فيه كيما كان الحال ماعندناش وين نروحوا، تعلمنا فيه شرب الخمر، تعاطي المخدرات، والتورط في المشاكل ."

مبحوث الحالة (رقم 02 السن 28 سنة دخل السجن بسبب حيازة المخدرات والسرقة) "يخبرنا أنه يعيش في مسكن ضيق لا يتسع لكل أفراد الأسرة لكون الأب متزوج بعد وفاة الوالدة وله أشقاء كثر لذلك كان يضطر للمبيت عند الأصدقاء وأخيراً استقر على بناء بيت فوضوي له ولكن حصلت فيه مشاكل كثيرة ."
أما المبحوث (رقم 06 السن 34 السرقة وإهانة هيئات عمومية) يقول: "بسبب المشاكل بين الوالدين وأيضاً ومع الجيران من أجل قسمة قطعة أرض، لذلك اضطر لكراء بيت فوضوي واستقر فيه مع والدته لمدة طويلة".

أما مبحوثة الحالة (رقم 14 السن 26 الدعارة وأم عازبة) تقول "هي يتيمة الأبوين وباقي الأخوة والأخوات كل له حياته وهي امتهنت الدعارة بعد طردها من طرف أحد أخوتها لذلك لجأت لشراء منزل فوضوي في أحد أحياء الدارسة، وأنجبت بنتا تقول لست راضية على معيشتي ولا عن ظروف لي لكن هذا هو الحل رغم انها تضيف أتعرض للعديد من المضايقات والتحرشات من سكان الحي".

وعن الأصل الجغرافي لهؤلاء السكان نجد أغلبهم من خارج المدينة وتم نزوحهم بداية من الفترة الممتدة من قبل الثورة إلى غاية فترة النزوح والهجرة الريفية للتقرب من مكان العمل والمصانع والمرافق العمومية وإلى فترة العشرينيات السواء ومشاكل الأمن في القرى والمداشر الريفية وصولاً للفترة الحالية وقت إجراء الدراسة خصوصاً داخل حركة البناءات الفوضوية في عمليات احتيالي أو عن طريق إخفاء انتقالهم.

وبالملاحظة الميدانية لسكنات بعض المبحوثين نجدها تتنوع بين المنزل الفوضوي الغير منظم والمتناثر في تخطيط الغرف والمداخل و مواد البناء وضيق الغرف، وبين المنزل المشيد على طابق أرضي أو اثنين ولكن يقع في شوارع أو أراضي غير منظمة لا تراعي التخطيط العمراني للشوارع أو للممرات أو الطرقات أو العلاقات بين الجيران، في حين توجد منازل مقابلة لها على شكل فيلا منظمة

الفصل السادس: بنية الحي العشوائي ومساهمتها في الانحراف السلوكي للشباب

وفي مساحات تراعي المسافة بين بعضها وتسمح بوجود حق الطرق والشارع ولكن يبقى وجودها في هذه العشوائية الحضرية.

ويفسر غياب الرقابة الرسمية والغير رسمية وغياب المتابعة والتخطيط الذي يجعله حبيس القرارات الإدارية الرسمية البعيدة عن الواقع، من خلال المواقف وردود الأفعال الفردية والجماعية المعبرة عن عدم الرضا النهائي عن المسكن، ويظهر هذا الرفض لدى فئة الشباب ذات المتطلبات الآنية كتأسيس أسرة والحصول على منزل وفي ظل هذا العجز في احتوائهم يتجه الأغلبية لخلق فضاءات عشوائية في المدينة لأنها تأثر بالدرجة الأولى عليهم، خصوصا في مجال توجيههم للانحراف والجريمة كعوامل تستقطب الشباب الباحث عن احتياجات ومتطلبات يومية لا يستطيع تلبيتها بطريقة نظامية، وهنا تكون هذه الجيوب العمرانية العشوائية ملاذا خصبا لهم يضاف لها عوامل أخرى يجري شرحها لاحقا

والصور الآتية توضح هذه التظاهرات العمرانية العشوائية في الأحياء مجالات الدراسة الثلاث وهي: عين الطريق، شوف لكداد، حي الشيخ العيفة (فرماتو)



الصورة رقم 04 و05 وضح التداخل العمراني بين القرية القديمة والبنائات الجديدة في تجمع عين الطريق



صورة رقم 06 و 07 توضح الشكل العمراني لعشوائية شوف لكداد



صورة رقم 08 و 09 توضح التداخل السكني والفوضى في عشوائية شوف لكداد



صورة رقم 10 و 11 توضح نماذج من بناء العشوائي والفوضوي في عشوائية الشيخ العيفة



صورة رقم 12 و 13 توضح شكل الممرات والطرق في عشوائية الشيخ العيفة (فرماتو)

في هذا المجال يشرح لنا أستاذ ورئيس قسم الهندسة المعمارية بجامعة سطيف 1، صورة وتطور العمران في مدينة سطيف والمشاكل التي ساهمت في الخلل العمراني ويقول أن المدينة هي من مخلفات الحقبة الاستعمارية وكان التخطيط منظم والهدف أنهم يعمروا المنطقة، وقسمت المدينة في تخطيط الاستعمار إلى حارة للفقراء وهي للعرب واليهود والمنزل الأوروبي هي للأغنياء المعمرين، وشمل المخطط الأول لمدينة سطيف أربع أبواب: هي باب بجاية، باب بسكرة، باب قسنطينة، باب الجزائر.

ويشرح أن المدن الجزائرية تعاني اليوم من عديد الاختلالات العمرانية التي تؤثر على العلاقات الاجتماعية بين السكان ونتجت عنها مشاكل العشوائيات الحضرية وما تخرجه من إفرازات للمحيط كالتلوث، العنف الحضري، الاحتيايل على العقار، نقص وقلة المرافق العمومية، طرق الربط بشبكة الكهرباء، حوادث المرور.... وغيرها، ويضاف لها التغيرات التي يقوم بها المواطنون للبنىات، وهي مفروضة على المواطن - لكون السكن الجديد لا يلاءم وبعض القيم الاجتماعية كالشرف والحشمة - و تغيير شكل الشرفات والبنىات من ناحية الجمالية والتوسعة وهذا بسبب ضغط الطلب على السكن الذي لم يراعي التخطيط والتمركز وأدى لغياب فضاءات الحرية.

والمدينة الجزائرية عموما حسبته تختزن كثافة سكانية معتبرة ومدينة سطيف كغيرها من المدن تتكون أعلى النسب السكانية فيها من الشباب حيث يشكلون نسبة 70% وتحتاج لفضاءات الترفيه والراحة وبالتالي يدفعهم غيابها للانحراف، ويضيف أن اغلب الأحياء لا وجود للحياة فيها وهي أحياء ميتة، وإن وجدت بعض هذه المرافق فهي غير مدروس أساسا، لا تراعي الروابط الاجتماعية، ويذكر أن المناطق العشوائية هي في الأصل قري صغيرة ثم تحولت لمناطق توسع وخلقت صورة الريف لأن أغلب من سكانها من خارج المدينة وتوافدوا في شكل عائلات وأسر كبيرة ومنه كونت قرية في المدينة.

يري "ديفيد ابرهامس" أن نوع الجريمة التي يرتكبها المجرم تعتمد على عنصرين أساسين أحدهما: تركيب شخصية المجرم والأخر بعض العوامل الظرفية التي تتصل بالبيئة التي تعيش فيها، ولذلك فإن ارتكاب الفعل الإجرامي يتم من خلال تفاعل حالة الفرد الوجدانية أو الانفعالية من جهة الضغوط الآنية، التي يعاني منها والتي تعد إلى حد كبير نوعا من المتفلس أو المسلك الهروبي الذي يختاره المجرم للتخفيف من حدة هذه الضغوط النفسية التي يتعرض لها من جهة أخرى، وقد يتحقق هذا المسلك الهروبي

بشكل سلوك لا اجتماعي أو سلوك إجرامي، ويكاد ينطبق مثل هذا التفسير على المجرمين والأشخاص غير المجرمين على السواء وذلك بوصفهم أشخاصا يتعرضون إلى أزمات نفسية وضغوط بيئية حادة¹.

2. المحددات الاجتماعية والاقتصادية للحي العشوائي وغياب فرص العمل والبطالة: إن أهم ما يتم ملاحظته في العشوائية الحضرية بصورة جلية هو طبيعة السكن والحياة اليومية لسكانه المرتبطة باحتياجات العمل والوضعية الاجتماعية والاقتصادية والمستوي المعيشي، والتي بدورها تؤثر على كل سكانها وخصوصا فئة الشباب الأكثر هشاشة في المجتمع الجزائري من ناحية توفير الجو المناسب لها للعمل والإبداع، وبالاطلاع على مختلف الدراسات التي أن تؤكد الشباب الجزائري يعاني من عدة مشاكل سببها عدم الاهتمام والتخطيط للاستفادة من خبراتهم وضياعهم في عالم الانحراف والجريمة.

ويتميز نمط البناء في الحي العشوائي بقلة التجانس فيما بين مساكنه، حيث تنتشر فيه المساكن التقليدية إلى جانب البنايات الحديثة ذات الدور الواحد والدورين والثلاثة أدوار، وفي نفس الحي موجودة بنايات قصديرية وفوضوية حسب القدرة الاقتصادية للحي، ويرجع هذا التباين في البناء إلى التباين الاقتصادي الشديد لسكان الحي العشوائي، أما بالنسبة للتصميم فإنه يكتفي عادة بخبرة البناء والحرفي أو الخبرة الذاتية مما يعرض البناء لنقائص واستغلال في المساحات، وعدم احترام علاقات الجوار والعلاقات بالمحيط العام، من حيث الأخذ واحترام قواعد البناء والتعمير وتواجد المرافق العمومية وكل هذا يعرض اغلب السكان للنزاعات والتوترات بين السكان وحتى مع السلطات العمومية أثناء عملية التهديم²

وبالملاحظة الميدانية ومجموعة الصور المدرجة توضح أن ما يميز الحي العشوائي عموما هو عدم التجانس في البناء وبالتالي الشوارع وحتى المنطقة كلها، كل هذا يخلق فوضى في تنظيم المرافق العمومية توفير أماكن للعمل، وبالرجوع لنشوء هذه الأحياء العشوائية محل الدراسة نجدها قامت على أساس العمل في الفلاحة لدي المعمر ونمت بطريقة تلقائية دون تخطيط مسبق، وبالتالي كانت الغاية من السكن فيها هو العمل، فيما بعد تغير الوضع وأصبحت مجتمعات سكنية بفضل قربها من المدينة لأن كل سكان مقر عملهم خارجها ماعدا بعض المرافق، كما أن أغلب السكان يطنون هذه الأحياء إما بسبب النزوح والهجرة منطقتهم الأصلية أو هي ثقافة تحايل لأجل الاستيلاء والحصول على سكن جديد، وحسب المعاينة الميدانية تفتقر هذه الأحياء لمرافق تشغيل الشباب خصوصا، رغم وجود بعض المحلات لبيع

¹عدنان الدوري، مرجع سابق، ص 35

² محمد بومخلف، التحضر، مرجع سابق، ص ص 207 208

المواد الغذائية والخدمات البسيطة وسوق فوضوي صغير وأغلب المشتغلين فيه من خارج الحي، والشباب يرفض العمل فيه حيث يذكر مبحوث الحالة (رقم 16 سنة 25 دخل السجن بسبب السياقة في حالة سكر، السرقة) يقول: "أنا ما نخدمش في السوق ونطرح نبيع الطواجن والأعشاب هاذي يخدمها واحد ما يعرفوش أولاد الحي أحنا نحشموا ونخجلوا بهذا العمل."

ويعود سبب الرفض للعمل في مثل هذه المهن أن ظروف المجتمع تغيرت حيث أصبح طموح الشباب للعمل يتمحور في الإدارات والأعمال البسيطة الغير متعبة وذات مدخول كبير وتمكنهم من الحصول على سيارة فخة وتحقق له مكانة اجتماعية يتفاخر بها وبمجموعة العلاقات مع أشخاص ومسؤولين مهمين يحاول من خلال هذه الذهنية إيهام الناس بمكانته ووضعيته الاجتماعية.

والصورة التالية توضح بالتقريب شكل هذه الأعمال الغير الرسمية المتمثلة في سوق فوضوي يومي صغير يتوسط القرية تباع فيه بعض الخصر والفواكه وبعض المستلزمات المنزلية وأغلب من يعمل فيه من خارج التجمع.



صورة رقم 14 وتوضح السوق الفوضى في عشوائية عين الطريق

والحي السكني بالنسبة لأغلب المبحوثين مستبعد تماما في نظرهم للحصول على منصب عمل لأنه حي لسكن وحتى إن وجد فيه العمل يكون في شكل حر وهو معرض للخسارة أكثر من الربح، أو العمل دون شروط قانونية أو رخصة وبالتالي ممكن يحجز أو يغلق مكان العمل في أي لحظة .

ويقول مبحوث آخر الحالة (رقم 17 يبلغ 24 سنة دخل السجن بسبب حيازة واستهلاك والمخدرات، الاعتداءات، بيع المشروبات الكحولية دون ترخيص) " أنه في غياب منصب عمل أو أي نشاط فيه مدخول يكفي احتياجاتي ومصروفي لن أتجه لسرقة ولما تكون مزلوط ومحتاج الطريقة الوحيدة هي أنني أسرق ."

وحسب جدول عرض حالات الدراسة نجد أن الأغلبية دون عمل ومن يعمل فهو في مجال العمل الغير رسمي كناقل غير مرخص بسيارة، أو العمل عند الخواص، أو محلات أيضا دون تراخيص وكلها مجالات لا تكسب الطمأنينة لشباب ولا تغطي احتياجاتهم الشخصية لذلك يفسر الأغلبية توجههم لسرقة كأكثر القضايا التي تورطوا فيها وكانت السبب لدخولهم السجن في كثير من الحالات .

لقد غدت البطالة إحدى المشكلات التي يعاني منها الشباب، لدرجة وصفها بالأزمة العالمية التي تواجه مختلف دول العالم، نظرا لما تحدثه لدي الشباب العاطل من مشاعر القلق مستمرا حاضرا ومستقبلا، كما تخلق نوعا من الإحباط والحرمان والاعترا ب النفسى وعدم الرضا وفقدان الأمل بالمستقبل وزيادة الضغوط النفسية، ومن ثم النظر إلى البنية الاجتماعية نظرة مواجهة لا نظرة انسجام، وهنا تخلق مستويات متعددة للجريمة والانحراف تنفلت بفعل وقت الفراغ، وعدم وجود مناصب عمل تشغل الطاقة البدنية والنفسية لهؤلاء الشباب، خصوصا والفترة الموجدين بها التي تتميز بالاندفاعية والقلق وحب الظهور والتباهي بالامتلاكات كالسيارات الفاخرة والهواتف الجميلة والثياب الأنيقة ويصطدم الشاب في هذه العشوائيات بالأوضاع اليومية يضاف لها الفقر الحضري المشاهد يوميا في حيه وبالتالي ينعكس على تصرفاتهم وأرائهم للمجتمع ككل بأنهم مهودرين الحقوق وبالتالي السرقة والاعتداءات في نظرهم تعيد جزء من حقهم الضائع.

وتترجم هذه الوضعية انطلاقا من النسبة الكبيرة من الشباب الجزائري بطل من خلال الإحصائيات الحديثة للديوان الوطني للإحصاء حيث بلغ عدد البطالين 1337000 بطالا وقدرت نسبة البطالة ب 11.2% على المستوى الوطني وذلك في سبتمبر 2015، مسجلا ارتفاعا يقدر ب 0.6% مقارنة بسبتمبر 2014، أما معدل البطالة لدى الشباب من فئة 16-24 عاما قدر ب 29.9% ومن الملاحظ أن أكثر من 55.7% من البطالين غير مؤهلين ولا يحملون شهادات، كما كشفت إحصائيات التسع أشهر الأولى من سنة 2014 التي قدمها ممثل الشرطة القضائية لقيادة الدرك الوطني أن 30.57% من المتورطين في الجرائم هم ممن تتراوح أعمارهم بين 18-30 سنة، و 25.63% ممن تتراوح أعمارهم بين 30-40 سنة، فيما قدرت نسبة المتورطين الذين تجاوزت أعمارهم 40 سنة ب 13% مما يبين أن الجريمة منتشرة أكثر بين الشباب وخصوصا البطل¹.

¹ فتحة حمادي، وقت الفراغ والترهيب وعلاقتها بانحراف الشباب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، الجزائر عدد ديسمبر 2016، ص 88

ويرى هربرت ماركيز أن من الآثار التي يخلفها انتشار البطالة هو ظهور الجماعات الهامشية التي يصابها غالبا الشعور بالظلم الاجتماعي المسلط على أفرادها ويقول: " أن الجماعات التي تعيش على هامش النظام وتظم المنبوذين والغرباء المستغلين المضطهدين، العاطلين عن العمل موجودين خارج العملية الديمقراطية وحياتهم تحتاج إلى إنهاء الأوضاع للقضاء على المؤسسات القائمة بفعل العنف " ¹.

وقد أجريت على الصعيد العالمي العديد من الدراسات حول الجريمة، فاتجاه الاقتصادي يري أن الفقر يلعب دورا كبيرا في دفع الفقراء إلى ارتكاب الجريمة، حيث أن جرائم الفقراء غالبا ما تكون بسبب السخط والكره تجاه الأغنياء ونتيجة للظروف الحياتية اللانسانية التي تخلق من بين الفقراء من يتجه إلى ارتكاب الجريمة وممارستها ويرى " وليام بونجر " أن الفقر هو العامل الأساس في الانحراف الاجتماعي وان اغلب المنحرفين ينتمون إلى طبقة الفقراء والعمال وتشكل الأحياء الفقيرة في المدن موئلا ملائما للمهاجرين من القرى الذين يستدعون أقرباءهم لاحقا لكي يستقروا في هذه الأحياء المتخلفة التي تغدو بيئة تتشكل فيها ثقافات فرعية تدفع بأصحابها إلى ممارسة الجريمة ².

3. المرافق العمومية وثقافة الاحتجاج لدي شباب الحي العشوائي: دوما ترتبط احتياجات الأفراد بالمرافق الموجودة في الحي الذي يسكنه، وبالدراسة الميدانية للأحياء الثلاث تبين لنا أنها عشوائيات حضرية توسعت وازدادت فيها الكثافة السكانية خصوصا في السنوات الأخيرة، كما أولتها السلطات الرسمية بعض الأهمية من ناحية التنظيم الحضري خصوصا في الممرات الرئيسية لها، أما عن المرافق العمومية فيها فيؤكد كل المبحوثين أنهم وكفئة شباب تفنقر أحيائهم زيادة على البطالة عدم وجود فضاءات مخصصة لهم لقضاء الوقت، ونقص في المرافق للحياة اليومية يعني في الغالب الممرات والشوارع ضيقة، وتشوه العمراني نتيجة عدم الاهتمام بإتمام انجاز البناء لاسيما الواجهة، وتهميش دور الشكل المعماري الذي يشرع فيه المصمم باستخدام المفردات البصرية الشكلية كعناصر أساسية والمبادئ ثابتة، فالقائم بالبناء العشوائي لا يعير اهتماما بالذوق العام في المجال المشترك مع المحيط، ويكفيه الاهتمام بالأجزاء الداخلية، كما لا تراعي العلاقات، النقص في مجال الخدمات، الإنارة العمومية، المرافق الإدارية والتجارية والصحية، التعليم لا تكفي في الغالب كلها مرتبطة بالمدينة المركز، التغطية الأمنية تقريبا لا تلبى حجم وعدد السكان الموجود فيها.

¹ هربرت ماركيز، نحو ثورة جديدة، ترجمة عبد اللطيف شرارة، دار العودة، بيروت، 1981، ص 67

² أيمن الشبول، الأنماط الجغرافية للجريمة - دراسة أنثروبولوجية لبعض الجرائم المرتكبة في الأردن - المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، جامعة اليرموك إربد، الأردن، المجلد 25، العدد 50، جانفي 2010، ص 208

ويصرح مباحث الحالة (رقم 20 السن 26 دخل السجن بسبب حيازة المخدرات، الاعتداء بالسلاح الأبيض على الأصدقاء) " بقوله ماتسألنيش واش كان واش خصنا لأننا نغلقوا الطريق ونشعلوا النار في كل مرة نود الحصول على مطلب، وما هو موجود من المرافق لا تلبي احتياجات المواطن العادية ولا يمكن الحديث عن فضاءات الترفيه مطلقا إذا كانت في المدينة المركز لا توجد ".

يفسر هذا الأمر أن اهتمامات الجهات الرسمية بالتهيئة الحضرية وتوفير المرافق العمومية في أي من المناطق سواء المخططة أو الغير مخططة لا يخضع لضوابط أو شروط تشمل كل التدخلات المطبقة في الفضاء السوسيوفيزيائي من أجل ضمان تنظيمه وسيره الحسن وكذا تدميته كإعادة الاعتبار، التجريد، إعادة الهيكلة، التوسع العمراني، ويحمل مفهوم التهيئة مدلولاً كبيراً يظم كل الأعمال الضرورية لسياسة العمرانية هدفها المحافظة على المدينة ككائن حي موحد يتعايش فيه الجديد والقديم، بصفة منسجمة وحركة دائمة، ترتقي بها إلى مستويات ذات نوعية مقبولة وتعتمد التهيئة العمرانية على البرمجة والتخطيط كعنصرين أساسيين هدفها توجيه ومراقبة التوسع الحضاري، الذي يضمن الاستقرار والانسجام الاجتماعي والذي كثيراً ما يقلق السكان لأساليب التخطيط الذي تقوم به السلطات في المنطقة وذلك خوفاً من عمليات التهديم وفقدانهم للممتلكات وقطع الأراضي المكتسبة.

ويصرح خبير اجتماعي صاحب محل من تجمع عين الطريق أنه لا يمكن الحديث عن المرافق العمومية في هذه العشوائيات الحضرية لكونها مناطق نزوح وهجرة واحتيال للحصول على سكن في إطار تهديم السكن الفوضي ولا يهم وجود المرافق أو عدمها لأنها منطقة عبور بالنسبة لهم، ومن يطالب بالتحسينات الحضرية والمرافق هم السكان الأصليون والأوائل في الحي، كما هي مكان للعيش لأصحاب الأموال ومن لهم مكانة اجتماعية ودخل جيد للسكن والتوسيع والخروج من ضيق المسكن في المدينة وبالتالي احتياجاتهم للمرافق يكون قليل لأنهم يعتبرون المنطقة ويلخصونها في منزلهم فقط ويصرح " هو يعنيه الموجود داخل منزله أما خارج الباب فهو لا يعرف حتى لقب جاره ".

تتميز الأحياء غير المخططة بالنقص المستديم في الخدمات الاجتماعية والتسهيلات الضرورية، التي تقدمها المؤسسات الاجتماعية والإدارية والتعليمية والصحية والترفيهية وحتى الدينية والتي تكون عادة غير كافية، كما أنها تعاني من نقص في الأبنية الأساسية التي تتمثل في الشوارع والأزقة والممرات والأرصفة بدون صيانة، وكذلك شبكة مياه الشرب وشبكات الصرف الصحي وشبكة الكهرباء والغاز

وغيرها، وإن هذه الخدمات غالبا ما تهمل في المناطق الحضرية المتخلفة في الدول المتقدمة، أما في دول العالم الثالث فإن قلتها أو عدم توفرها صفة من الصفات الدائمة في كافة المناطق الحضرية المتخلفة¹.

وحسب دراسة لرضا سلاطينية بعنوان الأحياء العشوائية وانعكاساتها على التنشئة الاجتماعية وجد أن أهم ما يركز عليه عينة البحث هو عدم توفر المرافق الضرورية بمحيطهم السكني مثل المساحات الخضراء والملاعب والمكتبة العامة ومصالح الحماية قنوات الصرف الصحي والطرق غير معبدة هذا ما يؤدي إلى تجمع الأحداث في الطرقات، وكثيرا ما يترتب على ذلك إخلال بالتنظيمات المحلية الخاصة بالمرور أو إقلاق راحة السكان كما أن حجم السكان وكثافتهم، ودرجة اللاتجانس بينهم تجتمع لتشكل الثقافة الحضرية الهامشية، فيؤدي إلى تفكك الروابط التقليدية وتعرض الروابط الاجتماعية للتفكك وتكون النتيجة لهذا الوضع ضعف التكامل الاجتماعي الذي ينعكس في صورة الإقصاء والعزلة والانحراف والجريمة².

4. المرحلة العمرية والمستوي التعليمي وجنس المبحوثين وعلاقته بالانحراف والإجرام: بعد الدراسة الميدانية وكما هو معروض في جدول الحالات نجدها تتوزع في اتجاهات كل الأعمار، بداية من سن 19 وكان تبرير المبحوثين هو أنهم صغار السن ويعيشون فترة الطيش وفترة حب المغامرة والتجربة، يضاف لها المشاكل النفسية والعاطفية التي تسرع الدخول في عالم تناول المخدرات والكحول، وأيضا تأثير الأصدقاء واحتوائهم لبعض خصوصا إذا كانوا يعانون من مشاكل أسرية ومشاكل المحيط، إلى سنوات متأخرة وهي 34 سنة وحسبهم السبب هو التعود على هذه السلوكيات ودخولهم في عالم صعب عليهم أمر الابتعاد عنه.

وتشكل طبيعة المرحلة العمرية التي يمر بها الفرد المجرم وما يميزها من تحولات جسمية ونفسية كثيرا ما تكون عوامل منبهة لتكون إجرامي كامن لدي الفرد لارتكاب نوع معين من الجريمة فمثلا ميول الشباب الذين تقل أعمارهم عن 23 سنة لارتكاب جرائم السرقة يرجع إلى خصائص هذه الفترة العمرية، مرحلة النضج المبكرة والتي تمتد من 18 إلى أقل من 25 سنة، أو ما أصطلح عليه المراهقة المتأخرة وهي من أخطر فترات العمر وأشدّها خصوبة في مجال الإجرام إذا تستأثر وحدها على ربع حجم الإجرام، لذا

¹ أحمد بوذراع، مرجع سابق، ص ص 28 29

² رضا سلاطينية، الأحياء العشوائية وانعكاساتها على التنشئة الاجتماعية، دراسة ميدانية لحي مزغيش مدينة سوق أهراس، شهادة الدكتوراه علوم في علم الاجتماع الحضري، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة قسنطينة 2، 2013-2014، ص ص 374 - 375

توصف بأنها الأرضية الممهدة لعالم الإجرام، فهي تعرف كمجموعة من السلوكيات المتكررة والمستمرة يتعدى من خلالها على حقوق الآخرين والميول إلى تعنيف المعايير والقواعد الاجتماعية¹.

أما عن الحياة العائلية والوضعية الخاصة نجد أغلب حالات الدراسة تشمل كل الوضعيات والأغلبية من الشباب غير متزوجين رغم أنهم في سن تكوين أسر والاستقرار لكن ظروف العمل وعدم وجود مدخول ثابت لهم أجل هذه الفكرة، كما أن وضعهم العام المتمس بعدم الاستقرار في سلوكياتهم وتورطهم عديد المرات في السلوكيات الانحرافية يعقد من فكرة الزواج لديهم ونظرتهم إليها، كما نجد حالتين من الأمهات العازبات الأولي لديها طفلين والثانية حامل، أما المتزوجين منهم فيعانون من مشاكل أسرية عديدة خصوصا عدم الاستقرار الأسري بسبب دخول السجن ومسؤولية الأبناء، ومن ضمن حالات الدراسة أرملة و تعيش أوضاع صعبة على المستوي الاقتصادي والاجتماعي ومسؤولية تربية الأبناء.

وعن المستوي التعليمي لحالات الدراسة نجد أغلبهم يتراوح بين المستوي الابتدائي والمتوسط وكان عددهم 18 حالة تقسم بتساوي، أما المستوي الثانوي حالتين 02 والجامعي أربع 04 حالات ويفسر ذلك أن تندي المستوى التعليمي يساهم في توجيه الشباب نحو السلوك الانحرافي، لأن مغادرتهم لمقاعد الدراسة باكرا يجعل لهم وقت فراغ واسع وأيضا يدخلون عالم العمل الغير رسمي والتسول والتشرد والسرقه، أما عن جنس حالات الدراسة فتتوزع بين 06 إناث و15 ذكور، ويفسر تورط عنصر الإناث في الجرائم والانحرافات كالدعارة السرقه التشرد والإدمان، أن الجريمة كظاهرة فردية واجتماعية لا تخص الرجل فقط من حيث ارتكابها وإنما أيضا إجرام المرأة بوجه عام يقل كثيرا عن إجرام الرجل، كما دلت عليها الكثير من الأبحاث، مثلما التفاوت بين إجرام الرجل وإجرام المرأة ليس إلا تفاوتاً ظاهرياً في حقيقة الأمر، والواقع أن المرأة ترتكب العديد من الجرائم التي لا تظهر في الإحصائيات كجرائم البغاء الذي لا يضاف إلى سجل المرأة لروبوفاقت في إجرامها إجرام الرجل.

إن عدد ونوع الجرائم المرتكبة من قبل الرجال والنساء على حد سواء، تقرأ كالتالي فجرائم الرجال في السرقه والقتل والأعمال الإرهابية والمخدرات، الإدمان، الاعتداءات الضرب والجرح العمدي... إلخ وبشكل منخفض في حين الدعارة، والزنا والتشرد، في حين تكون الجرائم الرئيسية للنساء القتل، الدعارة، الزنا، ولها نصيب منخفض في الأعمال الإرهابية، وقد حاول العلماء فهم وتفسير ذلك وفق رؤى متشابهة

¹ الطاوس شاقور، الاغتراب النفسي الاجتماعي لدي الشباب المجرم، دراسة ميدانية مقارنة بمؤسسة إعادة التربية والتأهيل بالبرواقية، مذكرة ماجستير تخصص علم النفس الاجتماعي، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، 2014-2015، ص 215

حيناً ومتضاربة أحياناً أخرى، فمنهم من يري بأن جرائم المرأة تتسم بالخفاء، نتيجة قدرتها الفائقة على المراوغة والحذر والحيلة الشديدة، وما الإحصائيات المعتمدة إلا وسيلة تضليلية لا تكشف الواقع الحقيقي لأجرام المرأة.

وفي صلة التعليم بالسلوك الإجرامي ساد الاعتقاد بأن التعليم يترتب عليه انخفاض معدل الظاهرة الإجرامية وأن الأمية محرك أساسي من محركات الإجرام، وهكذا ظهرت مقوله " فيكتور هيجو " الشهيرة "إن فتح مدرسة يعدل إغلاق سجن". فالتعليم عامل مضاد للإجرام، لما يبثه في نفوس الأفراد من قيم ومعارف ودعمه للقدر الفردية على مواجهة الحياة وحل المشاكل والتبصر بالحقوق والواجبات، مما يحول بين الفرد وبين وقوعه فريسة بين يدي المحتالين والنصابين، أو دفعه نحو الجريمة تحت تأثير الخرافات التي تسود في بيئته، كما ينمي التعليم قدرات الفرد وخبراته ويدعم مواهبه فيسهل بالتالي من فرص الحصول على العمل الشريف المجزي، فيقاوم الفرد على أثره الآثار السلبية للفقر والبطالة، وبالجملة فإن هذا الرأي يميل إلى القول بأن الصلة بين التعليم والسلوك الإجرامي علاقة طردية.

ثانياً: التشوه العمراني في الحي العشوائي: هل هو أرضية الانحراف لدي الشباب ؟

1. الفراغات المجالية والمساحات المهجورة والانسحاب لممارسة الانحراف لدي الشباب: يعتبر تشوه المباني والنسيج العمراني من بين الظواهر العمرانية التي أصبحت تميز المدن الجزائرية، وكل هذا في غياب التوجه والتخطيط فنشأ هذا العمران تلقائياً في ضواحي المدن وأطرافها، وبمرور الوقت أصبح هذا المجال يعيق تطور المدينة ويشكل حزاماً حولها، ويحمل هذا التشوه ظواهر اجتماعية وقيم وعادات وأساليب الممارسة والسلوكيات المترجم في تفاعل الحياة اليومية، وعند الشباب الفضاءات المهجورة والبيوت الفارغة والمساحات المهجورة هي الملاذ الوحيد لهم وفي هذا الصدد يصرح جل المبحوثين إناث وذكور أنهم يملكون بيوت قصديرية فارغة يجتمعون فيها لشرب الخمر أو تعاطي المخدرات والزطلة، أو إقامة علاقات حميمة، إخفاء المسروقات، القمار، السهر ليلاً وتقريباً كل يوم، وهي أيضاً بالنسبة للإناث وفي بيوتهم وحسب تصريح المبحوثات رقم 13 ورقم 21 رقم 17 وسنهم بالترتيب 31. 22. 24 سنة " هي لممارسة الدعارة أو مكان لممارسة الشعوذة باعتبارها مصدر رزقهم"

وما تم ملاحظته أن أغلب أحياء الدراسة وهي شوف لكداد أو عين الطريق وفرماتو هي قريبة من الغابات وتتوزع فيها الفراغات المجالية ومجاورة وقريبة من الأودية التي تعتبر من أماكن الانحرافات لكل شباب المدينة، يضاف لهذا وجود مخمرة مرخصة وقريبة للحيين شوف لكداد وفرماتوا.

يعبر هذا الوضع أن البيئة السكنية لها اثر واضح في ظهور الجريمة لدى الفرد لأنها تكون مرتبطة بمجموعة من العوامل والمؤثرات المادية والبيئية المحيطة بالفرد في سكنه والذي له أثره جسماني ونفسي وبالتالي في طريقة سلوكه مع الأفراد المحيطين به، وبالتالي ينعكس الاطار الايكولوجي للحي العشوائي على نفسية الشباب بخلق فضاءات ينسحبون إليها لممارسة انحرافهم بعيد عن الرقابة الامنية والاجتماعية على حد سواء .

ويجمع تقريبا جل الخبراء الاجتماعيين أن الأحياء العشوائية بفعل معاناتها من نقص المرافق الترويحية لقضاء وقت الفراغ، يلجأ الشباب لاحتواء بعضهم وانحرافاتهم في مجالات فارغة وبعيدة عن الأنظار، وهذا ما أكدته أغلب الدراسات الاجتماعية التي اهتمت بموضوع الجريمة والجنوح تؤكد على أهمية البيئة السكنية بوصفها عملا مساعدا في عملية الإجرام، فالمسكن الذي يقطنه الشخص له دور في هذا المجال ونعني بالمسكن من الناحية المورفولوجية والخصائص المعيارية والشكلية التي تعبر عن بنية الوحدة السكنية لأسرة.

ويرى "جس تايلر" أن الجريمة المنظمة والعصابات يكون مصدرها الأحياء المختلفة، وفضلا عن توافر العوامل المساعدة لنشوء مثل هذه المنظمات الإجرامية، فإن المنتمين إليها يعتقدون أن المجتمع ساهم بشكل أو بآخر في جعل أحياءهم متخلفة وفي كونهم فقراء لذا فإنهم ينتقمون من المجتمع بتكوين هذه العصابات التي تقوم بارتكاب مختلف أنواع الجرائم خارج مناطق سكنهم¹.

2.مشاكل النظافة في الحي العشوائي وانعكاساتها على السكان والشباب: نجد في الغالب أن العشوائيات الحضرية مرتبطة بظاهرة الفقر الحضري بالإضافة إلى صعوبة التكيف الاجتماعي والثقافي لدي المهاجرين، وكذلك انتشار أنماط العلاقات الاجتماعية ونسقا من القيم المميزة للطبقات الدنيا من المجتمع والتي من شأنها التشجيع على السلوك المنحرف تضاف إلى ذلك الظروف الحضرية القاسية التي يعيشها

¹الحسن إحسان محمد، الفراغ ومشكلات استثماره، دراسة مقارنة في علم الاجتماع الفراغ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1986، ص ص

سكان هذه العشوائيات وتساعد على الجرائم والتفكك الاجتماعي، ونجد أنها تشكل جيوبا ريفية حول المدن، تتفاقم فيها المشكلات الحضرية والبيئية.

ويصرح الشباب أن قضايا التلوث في أحيائهم هي محصلة لغياب الجهات الرسمية والتنظيمية لهذه العشوائيات وأن الكثير منهم يعبر بلا مبالاة لهذه الوضعية وأنها تسبب لهم الإحراج حتى أن أحد المبحوثين حالة (رقم 06 سنة 34) يقطن في الحي الفوضوي يقول " السكان هنا لا يهتمهم نظافة المحيط والتشجير يضيف بحكم البناء الفوضى والاعتداء على الأراضي لا تضمن أن تصلح قطعة مجاورة لبيتك لتجدها في نزاع مع الجيران وتأخذ منك بالقوة، ويقول أنه قام بغرس العديد من الأشجار والزهور أمام محله ولكن اقتلعه الأولاد الصغار والباقي تأكله الحيوانات، ويصرح أتضايق جدا من القمامة ورائحة قنوات صرف المياه ورغم تدخل ووجود شاحنات لرمي النفايات إلا أن السكان لا يحترمون هذا الإطار التنظيمي ومنهم من جعل خلف منزله قمامة."

يعبر هذا الوضع عن الغياب كلي لتقافة النظافة والاهتمام بالحي السكني وهذا يرجع لتفكك العلاقات الجوارية أو عدم وجودها أصلا، وكل هذا الإهمال يهيئ بيئة للانحراف السلوكي ونجد أن هذه الأحياء تتسم بقلّة النظافة والتلوث ووجود النفايات وللأحياء القصدية بأنها بؤر للجرائم والتدهور الأخلاقي، يمكن القول أن الثقافة البيئية هي من مظاهر التنشئة السليمة في المجتمعات حيث يتم تربية الأطفال والأولاد عليها في كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية وبالتالي تخلق فرد مسؤول في المجتمع تجاه البيئة .

إن أي مجتمع تتحكم فيه تصرفات أفراد من خلال ما تتضمنه من الموجهات السلوكية وهي اقتصار صور السلوك في العادات الاجتماعية وعادات النظافة والتربية والمعتقدات، وتعدد الثقافات وطبيعة الضبط الاجتماعي، والتشوه العمراني الذي تعرفه هذه العشوائيات ذات تأثير وانعكاس عليهم سواء بصورة فردية أو جماعية فهي تعبر عن التلوث الجماعي وتندرج تحته كل الأضرار البيئية التي تنشأ منها الأمراض والضغطات النفسية والخلل في التوازن البيئي بين المحيط الحيوي والمحيط الإنساني.

ويصرح مخبر اجتماعي صاحب محل لبيع المواد الغذائية من السكان القاطنين بأحد الأحياء أن وسط الحي مازال هناك من يربي المواشي وهو من العائلات الأولى التي كانت تمتهن الفلاحة وتربية المواشي ومازالت محافظة على ذلك لليوم في الحي، وتمر مواشيه على الطريق المعبد، المحلات، المدرسة المقاهي وتجتاز الشارع الرئيسي للحي، ويصرح تم تدخل المصالح المعنية في إطار التسوية

الحضرية عدة مرات لتحويل نشاطه لكنه رفض، وحصلت صدمات مع الجيران بسبب الرائحة والفضلات وصلت للشجار لكن الأمر بقي على حاله والصورة رقم 17 توضح هذا الوضع، والصورة التالية توضح مكان وجود فضلات إسطبل على جانب طريق عمومي ، وفي الصورة رقم 17 أغنام ترعى في مكان ترمي فيه الفضلات عشوائيا وعلى جانب الطريق العمومي وبين المنازل ويعتبر السكان هذه الممارسات شرعية ومن حقهم ذلك وأنها لا تسبب أي حرج،



صورة رقم 15 مكان تواجد إسطبل للحيوانات في عشوائية عين الطريق



صورة رقم 16 و 17 مكان تواجد إسطل للحيوانات في عشوائية شوف لكداد

وما نلاحظه أن أغلب البنايات العشوائية لا تتوفر فيها الشروط الصحية والبيئية إضافة إلى ارتفاع نسبة التلوث بسبب انتشار بعض الحرف والمهن الملوثة ووجود حيوانات في الشارع، وتلوث الطرقات بالغبار من الطرقات الغير معبدة، ووجود الحفر بها وأحيانا عدم وجو طرق أصلا توصل أو تربط المنازل وتحدد مجال الشوارع، يضاف لكل هذا مشكلة القمامة حيث يتم إلقائها في كل الأماكن وهذا الوضع يساعد على انتشار الروائح وجذب الحيوانات الضارة والحشرات والقوارض، كما أن قنوات الصرف الصحي مكشوفة في عديد المناطق، وتعتبر وضعية الحي أيضا بعدم اهتمام سكان هذه الاحياء بالنظافة واستناعتهم من المسؤولية الجماعية للحي سواء في مجال النظافة، أو تسيير أمور الاحياء، والمشاركة في حملات تحسيسية للسكان بأهمية النظافة (الصور توضح الوضعية)



صور رقم 18 و 19 توضح أماكن رمي النفايات في وسط العشوائية الحضرية بعين الطريق



صورة رقم 20 و 21 توضح وضعية الرمي العشوائي وتلوث المحيط في عشوائية بشوف لكداد



صورة 22 و23 تظهر الوضعية قنوات الصرف الصحي شكلها في محيط عشوائية بشوف لكداد

3. البعد عن الرقابة الأمنية واستغلال الشباب الفضاءات للانحراف: في كل الأحوال يجب إعطاء مصادقية للعوامل المساهمة في السلوك الانحرافي والكشف عن أسبابها وكل هذا لأجل التخفيف منها ومحاولة معالجة مسبباتها، وهذا يندرج ضمن سياسية السلطات الأمنية من خلال الإحصائيات والقراءات بناء على دراسات تؤكد ارتباط العشوائيات الحضرية بانتشار السلوك الانحرافي والجريمة باعتبارها بيئة مناسبة لتفريخ الإجرام والمجرمين خصوصا الأحداث والشباب، وقد أشارت بعض الدراسات أن الجماعات المتطرفة كانت تحرص على الاحتماء في هذه الأحياء كما كانت عصابات تهريب المخدرات في كولومبيا كانت تلجأ للاختباء في المستوطنات المحيطة بالمدينة.

ويصرح أحد المبحوثين وهو (رقم 06 السن 34) انه قام بعملية السرقة ولم يقبض عليه إلا بعد سنتين لأنه كان لا يخرج في النهار مطلقا لتواجد الأمن، في حين يخرج في الليل ويسهر مع أصدقائه وينتقل بكل حرية ويقول: " كنت عايش مثل باتمان نحمل السيوف وداير غطاء الوجه ونخرج دوخت الأمن وهم يبحثون عني وتم إلقاء القبض عني عندما تورطت في جريمة أخرى وتم التبليغ عليها من طرف أحد أصدقائي"

وفي نفس المجال تصرح مبحوثة (رقم 14 السن 26) " تمارس الدعارة ورغم تضايق ومشاجرة الجيران لها، لكن الأمن لم يتدخل فقط عند التبليغ عليها مرة وحصل ذلك أثناء خلاف بين زبائنها حول المخدرات - الزطلة - وبالتالي تم القبض عليها بسببها."

أظهرت لنا العديد من المواقف لحالات الدراسة أن هؤلاء الشباب يصرحون بانحرافاتهم دون خجل أو خوف وأن الكثير منهم أصبحوا محترفين في ممارستها، ويفتخرون بعدم دخولهم السجن في عديد القضايا بفعل ذكائهم وفطنتهم وأيضا بفضل العوامل المساعدة لهم في الأحياء التي يسكنون ووجود أماكن وفراغات لممارستها، حيث تعتبر الدعارة في هذه الأحياء ظواهر تقلق السكان لكن دون أن يتدخلوا لتوقيفها وأيضا الكل يشتكي من السرقة وانتشار المخدرات و انتشار الفضلات لكن حسب سكان هذه الأحياء ورغم مساعيهم ونصائحهم لم تحل هذه الظواهر في ظل غياب مؤسسات الضبط بشتى أنواعه.

وتؤكد دراسة "البطران" أن هذه المناطق تزداد معدلات الجريمة فيها وتنتشر فيها الأنشطة الاقتصادية الهامشية وغير المشروعة وتصبح السيطرة عليها لعدم توفر أجهزة الضبط الاجتماعي، وتشكل مصدر إزعاج في بعض الأحيان للمناطق القريبة منها، كما يلاحظ أن الخدمات الأمنية فيها لا تتوفر بالصورة التي تتفق مع خطورة وخصوصية التركيبة السكانية القاطنة فيها، وأحيانا يكون الأمن معدوما باعتبارها خارجة عن المدينة¹.

وقد يختلف السلوك الانحرافي والإجرامي بنوعية واختلاف التجمعات السكنية وتواجدها معروف في العشوائيات الحضرية أنها مناطق تفتقر لرقابة الأمنية الشاملة، حتى في بعض الأحيان تكون غير موجودة أصلا وأهم العوامل التي تؤدي إلى السلوك الانحرافي لدي الشباب في هذه المناطق هو الاعتداء على المعايير الذي يفضي إلى السلوك الانحرافي، ومن الأمور الشائعة لكل المجتمعات التي تشجع الصراع وتنفصل فيها الأهداف المرسومة للمجتمع عن آمال الجماهير، أو التي لا تستجيب فيها الأجهزة المخططة لسرعة التغيرات الثقافية وترابطها، وتتيح فرصا كثيرة لظهور أنواع متعددة من الاعتداء على نظم المجتمع وقواعده، ومن أجل هذا سنعدد فيما يلي العوامل التي تؤدي إلى الاعتداء على المعايير أو تجعل شخصا بالذات يتعدى على معيار بعينه¹:

¹ عبد الله علي أحمد الحاتمي، اتجاهات الجريمة في المناطق الحضرية، دراسة إستشرافية لواقع وأنماط الجريمة في مدينة جدة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم العلوم الاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2007، ص 104

¹ إبراهيم أبو الحسن عبد الموجود، مرجع سابق، ص ص 47-48

- التدريب الاجتماعي الخاطئ: أو الناقص ويظهر هذا بصورة جلية في المجتمعات التي تتناقض فيها قيم وأهداف التربية العامة، وتتفكك فيها الأسرة بصورة ملحوظة وتعلو الموجهات الفردية على الموجهات الجماعية.
- الجزاءات الضعيفة: سواء بالنسبة للامثال أو الانحراف تؤدي إلى خلق حالة متميعة عند الأفراد، فيظن بعضهم أن سلوكه في المجتمع كفرد لا يعني أحداً ومن أجل هذا يجب التأكيد على الجزاءات الإيجابية في كل حالة رعاية للنظام.
- ضعف الرقابة: إذ قد يحدث أن تكون الجزاءات شديدة ولكن القائمين على تنفيذها لا ينفذونها، بسبب نقص القوى العاملة في ميدان الضبط الاجتماعي، الأمر الذي يؤدي إلى أن يتعرض المعيار للهزال في أعين الناس.
- سهولة التبرير: ويحدث هذا عندما تحاول بعض الجماعات التقليل من حدة الاعتداء على المعيار أو تلمس المعاذير، وقد يتم هذا بشكل إرادي من بعض الأفراد بقصد التخريب الاجتماعي.
- عدم وضوح المعيار: قد يؤدي إلى بلبلة الأفكار والاتجاهات وخاصة عندما يعني المعيار بالنسبة لفردين أو أكثر شيئاً مختلفاً.
- قد تحدث الاعتداءات على المعايير بصورة سرية، فيظل المعتدون بمنأى عن العقاب الاجتماعي أو القانوني، وقد تبقى الاعتداءات على المعايير إذا شملت أشخاص لا يتعاونون مع أجهزة الضبط الاجتماعي في كشف المعتدين ونوع اعتداءاتهم.
- قد تتناقض نواحي الضبط الاجتماعي فتتجمد القواعد القانونية ولا تساير التغير الاجتماعي والثقافي في الوقت الذي يتطور فيه المجتمع بصورة تعطل فاعلية هذه القواعد وتجعلها عقيمة من وجهة نظر السكان.
- بعض الجماعات الانحرافية في المجتمعات تكون من القوة بحيث تصنع لنفسها ثقافة خاصة تزيد الانحراف وتجعله قانونياً وتخلق في نفس الأفراد المنتمين لها مشاعر متعددة وقوية من الولاء.

ثالثاً: البعد النفسي والانتماء للحي العشوائي وعلاقته بالانحراف الشباب

1. هلامية حدود الحي والشعور بالضيق والخوف وعدم الاستقرار والطمأنينة: يمكن القول أن نظرة الشباب للحي الذي يسكنونه مختلفة حسباً لطبيعة علاقته مع أفراد أسرته وأيضاً أصدقاءه، لذلك نجد الأغلبية تعاني من الضغوطات النفسية عديدة ويظهر هذا خصوصاً في المشاكل والشجارات التي كانت تحدث خلال إجرائنا للدراسة الميدانية وبملاحظة بالمشاركة أن المبحوثين يعانون من التوتر القلق وكثرة النرفزة، وحتى الدخول في عراك بالأيدي أو السب والشتم، والبعض الآخر باللامبالاة والطيش، ويعبر مبحوث الحالة (رقم 13 السن 31 دخل السجن بسبب الاعتداء والضرب للزوجة والوالدين، السرقة المحلات) " أن البلاد كامل ضايق خاطري فيها مش غير دارنا وين نسكنوا." وتعبر مبحوثة (رقم 11 السن 19 دخلت السجن بسبب حيازة المخدرات، السكر العلني) "يارب نموت نتهنى والله حابة نموت كرهت حياتي."

في حين المبحوثة (رقم 12 السن 21 دخلت السجن بسبب الشجارات العائلية، حيازة المخدرات، والشجار في الشارع) تصرح "بقعتنا ماهيش تاع معيشة فيها غير العباد المنحرفين وما تقدريش تخرجي وحدك ياكلوك، تقول أصبحت أقلق عند خروجي وسماعي للسب والشتم ووصفي بالعاهرة ومساومتي في الشارع ومعاكستي بالسيارات."

أما المبحوث (رقم 10 السن 25 عقوبات موقوفة التنفيذ، الشجار في الملاعب وحيازة أسلحة بيضاء) يقول " أنا مش جايب خبر لدنيا راقد النهار وساهر الليل مع راسي وأصدقائي لذلك أنا معيد في دارستي في كل سنة لأنني لا أعلم شيء عنها، وأعيش على الشجارات لأثبت تواجدي ومكانتي في الحي."

ويعبر هذا أن الحي السكني لا يعني الكثير لشباب وجلهم يفتقر للإحساس بالطمأنينة والاستقرار والشعور بالراحة، وحسب تعبيرهم البقاء هنا يولد المشاكل والخروج من هنا يتطلب الكثير، لذلك يصرح جل المبحوثين أنهم حاولوا الانتحار لدرجة أننا تحدثنا مع مبحوثة بعد يوم من محاولتها الانتحار، وأيضاً مع أكثر من 10 ذكور حاولوا الحرق والهجرة الغير شرعية وفشلوا فيها وانتهت بضياح أموالهم ومشاكل مع أسرهم.

وعليه كانت حدة التفكير في المستقبل لدي هؤلاء الشباب يؤدي بهم للشعور بالاكتئاب والإحباط الكبير خاصة فيما يتعلق بالعمل بالدرجة الأولى، واعتبار العمل وسيلة من وسائل الاندماج الاجتماعي، وعدم

توافره قد يسهم في خلق التمايز الاجتماعي في المجتمع بين الأفراد وبخاصة فئة الشباب، مما يولد لديه الشعور بالإحباط وبالقهر والاضطهاد وكذا الصد والتهميش، ما يؤدي بهم إلى الشعور بالاغتراب، فاليأس فالانحراف والجريمة، وأيضا بعد فكرة الارتباط الزواج وتكوين عائلة التي تشعره بالأمن والاستقرار وذلك بسبب توقع الرفض والنبذ من طرف العائلات لمصاهرتة، وهذا بسبب الوصم الذي يفرضه المجتمع بلقب مجرم أو خريج سجون وهو كفيل يجعل هذا الشاب محبطا سلبيا، ذو نظرة تشاؤمية تشعره بالعجز الدائم على تغيير ظروفه وأوضاعه، وخلق اسم جديد له وعليه نجد غالبية هؤلاء الشباب يعانون من اغتراب عن ذواتهم وعن مجتمعهم ككل، هذا ما نلتسمه من خلال تعابيرهم " حنا خسرنا كل شيء الوالدين وحياتنا ومستقبلنا "

2. اختلال التوازن النفسي في الحي العشوائي وهروب الشباب للانحراف : يمكن القول التوازن النفسي لشباب في العشوائيات الحضرية مقترن بالشعور بالحرمان والدونية والافتقاد للثقة بالنفس والفراغ والقلق والنظرة التشاؤمية للمستقبل، حيث يشعر الشاب أن حقوقه مسلوبة من خلال عمليات التهميش التي يتعرض لها وتحاصره، وفي هذا النحو تتحدد أقوال المبحوثين في أن ضياعهم في عالم الانحراف والجريمة أنهم لم يجدوا من يساعدهم في مشاكلهم وكثيرا ما كنت للظروف الأسرية والأصدقاء دور فيها. وتشرح لنا هذه الوضعية المحللة النفسية بإدارة السجون - بسطيف - لها خبرة العمل 13 سنة أن مشاكل الشباب النفسية كثيرا ما تتطور من القلق والتوتر والشعور بعدم الاستقرار إلى حالات عصابية، ويكون عندهم القلق الحاد وفقدان السيطرة والاندفاعية الزائدة وبالتالي الدخول في الشجارات والاعتداءات دون الشعور بالعواقب، وتتطور لذهانية خصوصا مع الإدمان على الأقراص المهلوسة وبالتالي يستعصى علاجاتهم سواء داخل السجن أو خارجه، ويصبح الشاب ينظر لنفسه بأنه شخص ضعيف الشخصية ونظرة متدنية لنفسه مقارنة بغيره.

كما تذكر أن هناك الشخصية الخاضعة وتكون سهلة القيادة من الآخر وهنا يسهل تأثير الأصدقاء عليه خصوصا في مجال الانحراف وارتكاب الجرائم، كما تذكر أيضا تطور هذه الأزمات النفسية لتصبح شخصية سيكوباتية تعاني من سلوكيات يصعب في الكثير من الأحيان علاجها كالسرقة المرضية، بحيث يصبح لدي الشاب وسواس قهري يلح عليه ولا يهدأ أو يعود لطبيعته حتى يقوم بالسرقة، وموجد أيضا الحرق المرضي أي لا يهدأ حتى يري النار مشتعلة، وأخيرا الرغبة في الوشم وتعذيب وتشويه الذات حتى يشعر بالراحة، وتضيف المحللة النفسية أن كل هذه الاضطرابات النفسية التي يعاني منها الشباب هي

محصلة لضغوطات المحيط والأسرة مع المشاكل الداخلية تنتهي في الأخير في كثيرا من الحالات للانتحار ودخول المصححات العقلية.

وعن أهم هذه الخصائص النفسية التي من المفروض تكون ضمن العوامل المساعدة في ارتكاب السلوك الانحرافي لدي شخص يمكن أن نجملها أولا في سيكولوجية المجرم أو المنحرف وهي:¹

- **الخصائص النفسية** أشارت دراسات لبعض هذه الخصائص منها دراسة جلويك GLUECK وحددت ما يلي:
- الاضطراب الانفعالي.
- شخصيتهم غير متسقة.
- يؤدون الأفعال التي تتسبب بالخطر والألم والأذى للآخرين مع التعبير عن دوافعهم بعدوانية.
- كما بينت دراسة "إيفي بينت" LVY BENNETT أن الكثير منهم غير اجتماعي وتتقصم العلاقات مع الآخرين مما يؤدي إلى ضعف علاقاتهم الاجتماعية وينقاد البعض منهم بسهولة لمصاحبة رفقاء السوء، وهم ومتأخرين دراسيا، والخصائص السلوكية لديهم عدم الواقعية، وعدم الإحساس بالمسؤولية، نقص الإحساس بالذنب، العناد والسلبية في السلوك والتمسك برأي، ومن أهم الأمراض التي تصيبهم والناجمة عن حالات نفسية لاشعورية خصوصا هي:²
- هوس أضرار أو إشعال النار.
- الهوس أو الولع الشديد اللاشعوري في السرقة.
- جرائم اللواط أو الجنسية المثلية.
- جرائم زنا الأقارب أو المحارم.
- الجرائم الناتجة عن النزعة السادية كتعذيب الضحية أو قتلها.
- الاعتداء على الذات وإيذائها مثل الانتحار.
- الدعارة أو الاتجار في الجنس.
- الجرائم الناتجة عن مشاعر نفسية سلبية مثل مشاعر الكره والبغض والغيرة والحسد والانتقام والحرمان المادي والمعنوي والإحباط والاستبداد.
- جرائم الاحتيال والنصب والتزوير.

¹ نصر الدين جابر ، مرجع سابق، ص ص 175 - 176

² نفس المرجع ، ص 176

أما عن أهم الأعراض التي تظهر في سلوكياتهم فهي :

- أعراض القلق والوسواس.
 - الهستيريا.
 - التخلف العقلي بكل أنواعه (العته، البله، الخبل - الخرف-).
 - الذهانات (الذهان الحاد الهيجان والاندفاع، الذهان المزمن عدم التوازن الدائم الفصام).
 - الغباء، الاعصبة.
 - عدم التوازن العقلي (اضطرابات الإحساس، اضطرابات الطبع، الاضطرابات الجنسية).
- أما السمات الشخصية المضادة للمجتمع: ويقصد بها الشخصية السيكوباتية والتي تتصف بالميل الإجرامية والعدوانية وبنزعات الانتقام وضعف الضمير الخلقى وعدم الشعور بالذنب، وقد أعتبرها " كريلن" 1915 بهذا الاصطلاح، في حين "باتردج" اصطلح عليها الشخصية المضادة للمجتمع ليؤكد على أن هذا الاضطراب عبارة عن سوء تكيف نفسي¹.
- رغم هذا بقي اختلاف في تحديد أعراض معينة ولكن نذكر جملة من السمات وهي من تصنيف "كلاركلي" 1959 والتي استخلصها من عدة دراسات هي²:
- العجز عن فهم القوانين الأخلاقية السائدة في المجتمع.
 - ضعف الشعور بالاحترام أو التقدير لمشاعر الآخرين.
 - ضعف القدرة على تحمل المسؤولية.
 - الافتقار للصبر اللازم لأداء العمل الروتيني.
 - لا يشعرون بالخجل من تصرفاتهم أو العار.
 - يتمتعون بجاذبية سطحية أو ظاهرية.
 - لا يميلون إلى قول الصدق مهما كانت الأحوال.
 - يعانون من سوء التكيف.
 - لا يخشون اكتشاف جرائم جديدة.
 - يعجزون عن الاستفادة من الخبرات الماضية بما فيها التي تفرض عليهم العقوبات.
 - تبدأ عندهم السمات المضادة للمجتمع في بداية العشرينات.

¹ عبد الرحمان العيسوي، علم النفس الجنائي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002، ص ص 16 - 17

² نفس المرجع ، ص ص 19 - 20

- يعجزون أو لا يستجيبون للحالات العطف والحنان أو الحب واستقباله.

وفي دراسة "لجون بارون" حول المناطق التي يكثر فيها الانحراف والجنوح بالقياس إلى الأحياء الأخرى من المجتمع وعلاقة ذلك بعدد وقدرة مؤسسات وهيئات رعاية الشباب، ونوع العلاقات السائدة والمهن المتنوعة ونوع ومدى الكفاءة والمهارة فيها، وطبقا لهذا فان هذه الأحياء تعاني من مختلف أشكال الاضطراب سببها أن هذه الأحياء تستقطب أساسا السلوك المنحرف والأكثر تباينا وتنازعا في شؤون الحياة اليومية، كما أنها تخفي في ثناياها هؤلاء الذين يفضلون الاختفاء حتى لا تراهم العيون الباحثة عن الجريمة، باختصار هي تلتقط العناصر غير المتكيفة التي لم تستطع أن تغرس اجتماعيا ومهنيا أو التي تعاني من اضطراب في الشخصية، تجعل هذا الانغراس غير ممكن، أو أنها لم تجد مكانا في المجتمع العادي تتوجه تلقائيا إلى محيط غير متكيف يشجع على ظهور الاضطراب الشخصي والسلوكي¹.

رابعا: الإقصاء والتهميش في الحي العشوائي وأثاره على الشباب

1. موقع الشباب المنحرف في النسيج الاجتماعي للحي العشوائي: تبين لنا من خلال المقابلات لكل المبحوثين إناثا وذكورا، إن تواجدهم وسكنهم بهذه الأحياء يعني الحيز المكاني بكل ما يظهره لهم من تهميش وشعور بالإقصاء وخصوصا لدي هذه الفئة صاحبة السوابق من الناحية القانونية أو الناحية الاجتماعية حيث يفتقد الشاب للشعور بالانتماء لهذا المحيط وكل هذا يظهر في أقولهم: **مبحوث الحالة (رقم 04 السن 28 دخل السجن بسبب لحيازة والمتاجرة بالمخدرات) "أنا نعيش دون معرفة موقعنا أو دورنا في هذا المكان، و لا نملك أي قيمة ونظرة الناس ليا تجعلني أشعر وكأنني أنا من استعمرت الجزائر وليس فرنسا."**

مبحوث آخر الحالة (رقم 19 السن 30 دخل السجن بسبب الضرب والجرح العمدي، السرقة) "يضيف سومنا سوم الكلب لما تدخل للحبس وتخرج في هذا الحي الكل يشوف فيك حرايمي وممكن تقيسوا."

مبحوثة الحالة (رقم 18 السن 33 دخلت السجن بسبب الدعارة، تكوين جماعة أشرار) تقول "أنا عندي أولاد يلزم نكبرهم لكن جيراني أو الناس لي يعرفوني يحاكموني دون ما يفيدوني أو يعاونني ما نيش سامعة برأيهم فيا."

¹مصطفى حجازي، الأحداث الجانحون، (دراسة ميدانية، نفسية، اجتماعية)، ط 2، دار الطليعة، بيروت، 1975، ص ص 95-96

كما يقول مبحوث الحالة (رقم 05 السن 27 دخل السجن بسبب سرقة المجوهرات، الاعتداءات والشجار): " الدولة مش عاطيتنا قيمة وعلاه تراقب الزطلة والمخدرات هاذي حاجة عادية لينا الشباب لماذا لا تهتم بمشاكل عدم عملنا وزواجنا وهروبنا من البلاد."

يمكن أن نختصر الصورة المعبرة من حالات الدراسة أن فئة الشباب في المجتمع الجزائري تعاني من أزمة تموقعها في الفضاء العمراني سواء الحضور المادي بحصولهم على العمل ومساهمتهم في التنمية ، وكذا الحضور المعنوي والرمزي كفئة وشريحة واسعة تمثل 70% من مجموع السكان وليست عبئ على الدولة وهي مصدر الجرائم والانحراف، وتحيلنا أقولهم ومعانيها أن الشباب لم يجد لليوم تموضعه في التركيبة البنائية للمدينة الجزائرية ويعاني من التهميش والإقصاء والضياع .

تعتبر أقوال المبحوثين على حالة من الضياع التي تترجم وضعية الشباب عامة في المجتمع سواء المنحرف أو لا، حيث أن فهم تموقع شريحتهم في المجتمع ودورهم فيه يبقي غامض ويعتبرون كرقم أكثر منهم قوة اجتماعية لا بد أن تستثمر طاقاتهم في تحويل وتغيير مسار المجتمع للأفضل، فالتبعية التي تتميز بها هذه الفئة جراء البطالة والتهميش وإحساسها بعدم التحكم في عالم تتبادل فيه المعلومات بشكل متسارع ، يؤدي بهم إلى تجريب أشكال من عدم النضج المرتبطة بوضعية قهرية لها علاقة باللاتنظيم والسياسة العشوائية لاحتوائهم وتوجيههم .

بالرجوع للتحليل انتهاج العنف والانحراف عند الشباب لا يعبر في الكثير من الأحيان عن أساليب تنشئة اجتماعية ضد اجتماعية يتعرض لها هؤلاء الشباب، وإنما تندرج حسب الباحثين ضمن التفكك الاجتماعي الذي يعقب الحركات التصنيعية الكثيفة التي تعمق لدى فئة الشباب - أبناء الطبقات المهمشة - شعورا بالإقصاء النابع من تعميق بطالتهم عندما حلل Francois Dubet أسلوب حياة شباب المناطق المهمشة حيث يقطن أبناء الطبقة الشغيلة، وكان يبحث الكشف عن تاريخية تشكل جماعات الشبان تلك الأحياء الهامشية والعشوائية، ووجد نموذجين تتمثل الأولي في فئة من الشباب المتقمصين لثقافة الطبقة الشغيلة، التي وجدوا أبائهم عليها، بالتالي العمل مبكرا أيضا والزواج في سن مبكرة، فيما الفئة الثانية ترفض وضعها وينخرط شبابها في النشاطات الغير الشرعية من خلال الاندماج في جماعات غير مرئية يسود بين أفرادها تضامن يسمح لهم بتدبر أوضاعهم¹.

¹ الطيب صيد، مرجع سابق، ص 6

وتتصف المناطق الهامشية الحضرية في المدينة بخصائص معينة من حيث أنماط الحياة مقارنة بالمجري العام الحياة الحضرية في المناطق الأخرى، بيد أن هذا لا يعني بالضرورة تعبير هذه المناطق الهامشية عن ثقافة سياسية متجانسة بدرجة يعتد بها حتى يمكن وصفها بأنها ثقافة فرعية بالمعنى المألوف، وفي الدراسات الغربية عادة ما يستخدم للدلالة على ثقافة جماعات متجانسة نسبياً وتمييزة في قيمها ومعتقداتها وتوجهاتها ومعاييرها السياسية عن الثقافة السياسية في المجتمع، كما هو الحال بخصوص ثقافات والأقليات ويعود ضعف التجانس بين الهامشيين الحضريين إلى عدة عوامل منها:

- أن المناطق الهامشية بالحضر تضم خليطاً من الحضر الأصليين الفقراء ممن نزحوا لأسباب اقتصادية للإقامة بهذه المناطق والمهاجرين الوافدين إلى هذه المناطق من الريف، مما يسفر عن تجمعات نووية متنوعة الثقافات والتقاليد على هيئة شرائح لا يجمعها سوى الانتماء إلى هذه المناطق، وإن كانت هناك بالفعل عناصر أخرى أهم ترتبط بين هذه الجماعات.

- أن سكان هذه المناطق يختلفون في أصولهم الاجتماعية والمهنية (الاقتصادية) والجهوية أي طبقاً للجهات التي جاءوا منها، يرتبط وجود ولاءات وانتماءات وعصبية متنوعة طبقاً للاختلافات الجهوية بوجه خاص والتي لا تقتصر على الثنائية التقليدية، وإنما تشمل أيضاً تصنيفات أخرى عديدة طبقاً للمحافظة أو حتى القرية التي نزح منها المهاجرون.

2. أنماط الانحراف السلوكي للشباب الحي العشوائي وخصائصها: إن ضبط السلوكيات الانحرافية أو الإجرامية مقارنة بالنمط العمراني تطرقت له العديد من الدراسات، ومن خلال المقابلات الميدانية مع الباحثين تم التوصل إلى أن أهم وأكثر السلوكيات الانحرافية والإجرامية الممارسة وهي:

- المخدرات والكحول: حسب الدراسة الميدانية وبتصريح كل الباحثين ما عدا مباحث واحد منهم لا يتعاطى الباقي موزعين بين التعاطي أو المتاجرة ونجدها عند كلا لمباحثين إناث وذكور وفي كل الأوقات وكل الأنواع ولكل مباحث قصة مع بداية التعاطي والمخاطر والتأثيرات من جراء تناولها وشملت الأنواع التالية: الحشيش الزطلة أو الشيرة هي من أكثر الأنواع استعمالاً وسهولة للحصول عليها وتعتبر من المواد المستهلكة اليومية، نيفوترين أو كما تسمى الحمرا أو مدام كوراج يقولون بأنها من الأنواع التي تأخذ عندما يكون الشاب يشعر بالخوف أو بصدد القيام بعملية سرقة أو شجار مع العصابات أو أثناء السفر أما ريمفوماد، ليقزومين، بركديل، ليريك، بركينال، كيتيل للنوم والابتعاد عن الآخرين، ديازي الزرقاء، الريبلوم، سيبيتاكس، ميلانو، كولينا، لرطان تستعمل للشعور بالهدوء، ليكستا (الحلوة) من أجل

الفرح والشعور بالسعادة وهي من المخدرات للإناث ولكن يتناولها أيضا الذكور وبذلك تعمل حسب قول المبحوثين في تحول الميولات الجنسية من ذكر إلى أنثي بمعنى التخنث كما يذكر مبحوث الحالة (رقم 04 السن 28) "يتعاطي العديد من الأنواع منذ كان عمره 14 سنة ومدمن على الخمر ومتاجر فيها، أنها تخرجك من عالم المشاكل والضغوطات وتجعلك في عالم آخر فيقول: لو كان تموت أمك تنوض تشطح (ترقص) لأنك لا تحس أو تشعر بشيء".

موجودة أيضا الموضحة اليوم وهي ما تسمى بالساروخ وهي من أكثر الأنواع تناولها لأنها حسبهم تقذف بك لأعلي درجات الفرح والسعادة والراحة وعدم والقلق، أما الكحول فنجد الأنواع تختلف حسب الظروف والإدمان عليها بدرجة كبيرة لدى الذكور أكثر من الإناث ولمدة تفوق العشر سنوات.

ويصرح المبحوثون أن أغلبهم بدأ تناولها منذ سنوات الأولى من المراهقة ولم يتوقفوا عنها حتى وقت إجراء الدراسة رغم تغير ظروف حياتهم كالزواج وإنجاب الأولاد، وتتعد أماكن التعاطي بين البيوت القصدية والفوضوية التي يتقاسمها الشباب الذكور بينهم وتكون معهم صديقاتهم هن أيضا يتعاطين المخدرات، أو الغابات القريبة من مقر أحيائهم العشوائية، أو في المنزل العائلي، أو في السيارة يجتمع فيها المتعاطين ولشرب الخمر وعليه تضاف جرائم دخولهم للسجن بسبب السياقة في حالة سكر، أما الإناث فأغلبهم صرحن بتعاطيها إما في بيوت بعض الصديقات كالتدخين السجارة والزطلة، أما الحبوب والخمر فتكون أثناء القعدة أو اللقاءات في الخيمة، أو في بيوت الدعارة المختلفة، أو عند الذهاب للسهر في الملاهي.

أما عن أسعار هذه المواد فهي تختلف حسب الطلب والوسطاء للحصول عليها وهي بين 400 دج و250 دج و1200 دج حتى 2000 دج للوحة الأقراص (المشطة) وحسب النوع، وهي مدة تناولها لأغلب المبحوثين وترجع للحالة النفسية التي يكون فيها ، مبحوثة الحالة (رقم 11 السن 19) " تتعاطى أكثر من نوع للمخدرات وشرب الخمر أحيانا فقط، وتذكر أنها بسبب المشاكل العائلية مع الأم ومشكلة مع صديقة في نفس الحي الذي تسكن فيه أخذت 10 حبات كتيل ولم تستيقظ تقريبا يومين كاملين".

وبالملاحظة الميدانية وبالمشاركة يمكن القول أن المخدرات تعتبر مشكلة حقيقة في حياة الشباب ويتصارعون معها في حياتهم اليومية للحصول على موارد مالية لتلبية رغباتهم الإدمانية بكل الطرق

سواء السرقة أو بيع الاغراض، وسائرنا رحلتهم البحثية في كثير من المرات خصوصا عند الاناث والتعرف على بعض الحيل والمخاطر للحصول عليها ، وكيف تتغير حالتهم النفسية بعد تناولها.

من هذا الوضع يمكن القول أن حالة ووضعية الشباب وتعاطيهم للمخدرات هي حالة عامة لأن أغلب الشباب في كل الجزائر يتعاطى ولكن منهم الكثير لم يطاله القانون، ولم يتم إمساكه وتشير الدراسات الجزائرية إلى مميزات خاصة بالمدمنين على المخدرات وهذا ما أسفرت عليه الدراسة الابدميولوجية التي أجريت على عينة تعدادها 639 شاب أعمارهم بين 15 و 24 سنة من طرف yahi Hannoune 1991 و selhab MR وتوصلت أن بداية التعاطي يكون في سن السابعة عشر وهذا التعاطي متعدد وقام الباحث Bengounia Abdeelouaheb 1998 بدراسة تحليلية لمجموعة من الدراسات الجزائرية وتوصل إلى نتيجة مفادها أن انتشار واتجاه الظاهرة نحو الانحراف والارتفاع كما توصل من خلال دراسة على المساجين المدمنين أن 67.2% يقل سنهم عن 30 سنة، ويرتكبون عدة مخالفات وأكدت نتائج أجريت على عينة تتكون من 1169 في دراسة استقصائية من طرف سايل حدة 2015 لنزلاء السجون منهم 33% مدمنين ويقل سنهم على 30 سنة ويتورطون في ارتكاب جنح وجرائم مختلفة ويتعاطون مخدرات متعددة (كيف، أدوية، كحول)، وبتعدد عوامل تأثير الأصدقاء، البحث عن الترفيه والاستراحة، مشكل في الأداء والتوافق الدراسي وتأثير المخدرات نفسها على النظام العائلي¹.

في حين قدر عدد المستهلكين للحشيش ب 200.000 مستهلك وأكثر من مليون مستهلك عرضي، وعدد الجرائم المتعلقة بالمخدرات يمثل 8% من إجمالي الجرائم المسجلة وحسب تقارير النصف الأول من عام 2015 تبين أن 37% من الشباب تحت العام 30 متورطون في جرائم المخدرات وتوزيعهم الجغرافي بين الجزائر العاصمة 6% و 4% سطيف، وفي سنة 2014 تم حجز 1050612 قرص من مختلف العلامات والمؤثرات العقلية و1245626 غراما من الكوكايين و339.11 غراما من الهيروين وحكم 22539 وأدينوا في قضايا تتعلق بالمخدرات².

¹ حدة وحيدة سايل، أحمد فاضلي، استراتيجيات التعامل مع الأحداث الضاغطة لدى المدمنين على المخدرات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 46 ديسمبر 2016، ص 12

² تقرير المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي وبرنامج الأمم المتحدة حول ما مكانة الشباب في التنمية المستدامة في الجزائر؟ لسنة 2015، ص

وحسب المدير العام للديوان الوطني لمكافحة المخدرات وإدماجها في تقرير شرح فيه أنه هناك 32 ألف مدمن و300 ألف مستهلك لها في الجزائر هم أطفال حتى دون 12 سنة¹.

- السرقة والاعتداءات باستعمال العنف والأدوات والجرائم الأخلاقية: من بين أكثر الأنماط الانحرافية المميزة لشباب العشوائيات الحضرية هي السرقة والاعتداءات المصحوبة دوما بالسب والشتم بكل الأنواع وحتى منها المفضية للوفاة، وهي فأغلبها للحصول على مدخول مادي بعد بيع المسروقات، باعتبارها المحصل الأساسي لدخل هؤلاء الشباب الذكور بالأخص، في حين البعض من هذه الاعتداءات يحدث بفعل استفزاز من طرف الأصدقاء في جلسات تعاطي الخمر أو المخدرات، وبعدها تصبح شجار بين المجموعات أو العصابات بين الأحياء المجاورة وفي الحي الواحد وتدوم لأيام وأشهر.

كما يذكر المبحوثين أن الاعتداءات أيضا تنحصر في أحيائهم وفي الغالب بسبب النزاع على الأراضي الشاغرة التي تملكها الدولة والكل يريد امتلاكها، وهذا ما يؤدي إلى نشوب خلافات بين السكان لأن كل واحد يريد امتلاك أكبر نسبة من هذه الأراضي وأن يكون منزله أقرب من المدينة، ونجد أن الأسلوب المستعمل والمتبع لحل تلك المشاجرات هو أسلوب العنف، وهذا راجع إلى أن معظم أفراد الحي يتميزون بسرعة الغضب والتوتر والإحباط والاكتماب بسبب الوضعية المعيشية المزرية، بالإضافة إلى بعض الانحرافات الأخلاقية كعكاسة الفتيات، وسرقة بعض أشياءهم كالحلي وحقائب اليد حتى أنه هناك مبحوث أقر بأنه تورط في اختطاف فتاة وسرقة أشياءها.

فحسب دراسة توصلت نتائجها إلى أن فئة الشباب أكبر نسبة من مرتكبي جرائم التعدي على الأموال (السرقة) بالمقارنة مع الفئات الأخرى سواء في المجتمع الريفي أو الحضري، وكلما ارتفع معدل السن كلما انخفضت نسبة ارتكاب الجريمة، وتتنوع جرائم التعدي على الأشخاص (القتل) حيث أبانت أن فئة الشباب من العمر 18 إلى 30 سنة ترتفع في المجتمع الحضري ب 55% عنه في المجتمع الريفي ب 35%، وتعتبر فئة الشباب من أكثر الفئات المرتكبة للجرائم الأخلاقية (العرض) إذا كلما ارتفع السن كلما انخفضت نسبة هذه الجرائم سواء في المجتمع الريفي أو الحضري².

- تكوين جماعة أشرار: يعتبر عامل المخالطة من أهم العوامل المؤثرة في السلوك الانحرافي حسب العديد من النظريات وحسب الدراسة الميدانية مع المبحوثين نجد بأن أغلب ما يمارسونه من انحرافات

¹ صابر بلدي، العنف والمخدرات يعصفان بالمدرسة الجزائرية، جريدة العراب، العدد 9824، بتاريخ 10/02/2015، ص 17

² لخضر زرارة، مرجع سابق، ص 204

كتعاطي المخدرات والمتاجرة فيها، أو السرقة، أو الاعتداء، الهجرة الغير شرعية، كلها محصلة تشارك العلاقات مع الأصدقاء وتشجيعهم عليها، في هذا المجال يخبرنا أحد المبحوثين الحالة (رقم 10 السن 25) "أنه لا بد أن يمر الشاب في الحي بثقافة مجموعات الشجار والصراع ويعرف أمور تحرك المخدرات وما يحدث في الحي لكي يثبت وجوده ووجود أخوته وإلا لا قيمة له فيقول: نقدر في دقيقة نغلق الحي بإشارة (شرة) واحدة بين الأصدقاء".

وتشير كل هذه السلوكيات لدى الشباب أن ثقافة جماعة الحي لها تأثير كبير على المجموعات الانحرافية، وكذا بروز ثقافة عدم الخوف والمغامرة في هكذا مشاكل رغم خطورتها ويعبر هذا الوضع عن الفراغ الامني بهذه الاحياء وكذا تنازل وازاحة مؤسسات الضبط الاجتماعي التقليدية السابقة خصوصا كبار وعقلاء الحي في تسيير وتنظيم الاوضاع بالأحياء .

- **التشرد والتسول والدعارة:** يمارس هذا السلوك الانحرافي لدي الإناث وفق الدراسة الميدانية نتيجة للظروف العائلية المرتبطة في الغالب بالنزاعات العائلية على المنزل والأراضي في إطار العائلة الممتدة بين الإخوة والأعمام، والأسرة الصغيرة تنتهي بتفكك أسري أو طلاق أو جرائم داخل الأسر يتعرض بعدها بعض الفئات وخصوصا منهم الشباب الإناث للتسول والتشرد مثلما حصل مع مبحوثة (رقم 14 السن 26) " أنها طردت من طرف أخيها هي وأمها وأخواتها من المنزل وبعد التشرد وقع عليها اغتصاب من طرف شخصين وبعد وفاة أمها بقيت تنتقل بين مراكز الحماية والشارع كمحطات نقل المسافرين أو المبيت في بيوت عند أحد الأصدقاء وبعدها شراها لمنزل فوضوي في أحد أحياء الدراسة وامتھانها للدعارة كمصدر رزق بعد إنجابها لطفل مجهول الأب".

ونجد العديد من الدراسات أكدت أن العوامل المؤدية لانتشار الدعارة تتعدد منها الأسرية والفقر وأيضا الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها المجتمع ككل، وأيضا صنف الهجرة الريفية غير المخططة إلى الحضر من الأسباب التي تدعم ظاهرة الدعارة حيث أن هذه النقلة السريعة يترتب عليها احتياجات للأسرة تتعدى عمالة أفرادها التي قد تتطور إلى حالات تسكع والإدمان والاتجار في المخدرات والجريمة والدعارة، ومن العوامل التي تساعد في تعزيزها اللامساواة الاجتماعية وتدهور الحالة السكنية وظروف الضبط الاجتماعي داخل الحي¹.

¹ عادل شيهب، مرجع سابق، 152

- الهجرة الغير شرعية والانتحار: من بين أكثر الأفكار الواردة في ذهن هؤلاء الشباب محل الدراسة هي الحرق أو الخروج من البلاد بأي طريقة، وهي رغبة الإناث والذكور خصوصا بعد المشاكل الأسرية ومشاكل المحيط مع الجيران وحتى مع السلطات الرسمية من خلال السوابق والملفات الانحراف وتخبرنا مبحوثة (رقم 08 السن 20 دخلت السجن بسبب الاعتداء على شخص في إطار الدفاع عن النفس التشرّد، الهروب من المنزل، أم عازبة) "أنها حاولت الهجرة رفقة مجموعة من الشباب ذكور على الحدود المغربية إلى اسبانيا ولكن لم تنجح بسبب خلافات مالية."

في حين تذكر مبحوثة (رقم 12 السن 21) "بأنها حاولت الانتحار بالبنزين وسببها مشاكل مع صديق حميم وتطور المشكل للعائلة مع الأب وتدخل الجيران."

تبرز الهجرة الغير شرعية في الوقت الراهن من المشاكل الاجتماعية المستجدة بصورة الأزمة لكون البحر اليوم يلفظ يوميا جثث هؤلاء الشباب الذين لم يسعفهم الحظ في الوصول للضفة الأخرى على متن قوارب الموت ولم تبقي الظاهرة منحصرة في الشباب بل تعدت كل الأعمار ويعبر هذا الوضع عن ضياع أحلام الفرد في مجتمعه ويأسه من تحقيقها واقتناعه بالهجرة والمخاطرة حتى ولو كان الموت ينتظره، أي الموت ولا البقاء في الوطن.

وبينت أبحاث العلوم الاجتماعية أن مشكلات المهاجرين غير الشرعيين وتحدياتهم تتكاثر وتتضاعف، فمشكلات البطالة والتمييز العنصري وغياب حقوق الإنسان وفقدان الكرامة والفقر واليأس هي أوضاع تشكل أرضية حقيقة لانتشار الجريمة بكل أشكالها والانحراف بكل أنواع والمخدرات بكل أصنافها، وأن أغلب المهاجرين هم فئة الشباب البطال، في حين ذكرت دراسة مغربية أن الشباب بين عمر 20-29 سنة يرغبون في ترك بلدهم وكان 70% من جملتهم جامعيين.¹

- مشاكل بوسائل التواصل الاجتماعي: يجنح العديد من المبحوثين إلى الفضاء الافتراضي كوسيلة فرضها العصر، ولكن مع درجة من المشاكل وفي أغلبها تصل للشجار والاعتداء والضرب والجرح العمدي وتكسير الممتلكات وتكون في الغالب بسبب العلاقات العاطفية مع الإناث، ويصرح مبحوث الحالة (رقم 06 السن 34) "أن هذه الوسائل لم يعرف كيف يستخدمها وهو ناشط اجتماعي وجمعي بعد خروجه من السجن، حيث سببت له الكثير من المشاكل وشحنات الغضب من بعض الأطراف، وأيضا

¹ محمد غربي، الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الأبيض المتوسط، المخاطر والإستراتيجية المواجهة، ط1، ابن النديم ودار الراوند الثقافية، بيروت لبنان، 2014، ص 153

تدخله في شؤون التسيير العمومي مما جعل السلطات تستدعيه عدة مرات لما يمرره في صفحته العامة و تؤثر على المواطنين ويصرح أنا نكتب أشياء قاسية وتزعزع الأوضاع ونحتج ونضع صور تفضح الممارسات الإدارية والنتيجة أوقعت نفسي في المشاكل."

أما بحوث حالة (رقم 15 السن 35 دخول مستشفى الأمراض العقلية، وسبب دخول السجن الضرب والجرح العمدي للزوجة، سرقة عتاد مؤسسة) " سببت له وسائل التواصل الاجتماعي المشاكل العائلية مع أهل الزوجة في إجراءات الطلاق قام بتوجيه شتائم، وإهانات في هذه الوسائل مما أوقعه تحت طائلة المتابعة القانونية بالسجن والغرامة المالية."

تسبب غياب المجال العام في المدن الجزائرية اليوم وفضاء النقاش والحوار العمومي إلى التحول للفضاء موازي هو الفضاء الافتراضي عبر مختلف وسائل التواصل الاجتماعي ، وفي كثير من الأحيان كانت سببا للمشاكل أسرية ومجتمعية كبيرة ، وبما أن فئة الشباب هي الأكثر استخداما صاحبها الانسحاب لها بقوة كبيرة والنتيجة مشاكل الإدمان ومشاكل العلاقات وسوء استخدامها .

- جرائم ومخالفات تعوض بالعقوبات البديلة: نص القانون رقم 09-01 المؤرخ في 25 فبراير 2009 المعدل والمتمم لقانون العقوبات على إمكانية استبدال العقوبة السالبة للحرية قصيرة المدة بعقوبة العمل للنفع العام، لتعزيز المبادئ الأساسية للسياسة الجنائية والعقابية التي تركز بالأساس على احترام حقوق الإنسان وإعادة الإدماج الاجتماعي للمحكوم عليهم، ومساهمة العقوبة في إصلاحهم دون اللجوء المفرط لوسائل الإكراه التي تنجر عنها آثار سلبية على مختلف الجوانب، ولتطبيق هذه العقوبة وجب توفر الشروط التالية¹:

- لا يكون المحكوم عليه مسبوق قضايا من قبل.
- لا يقل سنه عن 16 سنة وقت ارتكاب الوقائع المنسوبة إليه.
- لا تتجاوز العقوبة المقررة 3 سنوات، لا تتجاوز العقوبة المنطوقة بها مدة عام حبسا نافذ.
- الموافقة الصريحة للمحكوم عليه، إلا يطبق العمل للنفع العام إلا بعد صيرورة الحكم أو القرار نهائيا.

¹ كيفيات تطبيق عقوبة العمل للنفع العام، منشور رقم 2 في 21 أبريل 2009، وزارة العدل.

أما عن كيفية تطبيقها فهي كالتالي أي في حدود مدة العمل للنفع العام بين 40 و600 ساعة بالنسبة للبالغ وتطبق المدة ساعتين عن كل يوم حبس في حدود 18 شهرا، وفي هذا الصدد وجدنا أن بعض المبحوثين قد عوضوا في بعض حالات العقوبة بالعقوبة البديلة خصوصا في الانحرافات والجرائم الأولى وكانوا دون سوابق، وقدموا خدمات في المرافق العمومية كالعامل في الحقائق العمومية، وتنظيف الإدارات العمومية وحسبهم هذا النوع من العقوبات أحسن من السجن للبقاء عامل الحرية لديهم.

وبالعودة لواقع الجريمة في المجتمع يمكن إعطاء صورة عن وضعيتها حسب التقرير السنوي لمؤشر الجريمة العالمي على موقع موسوعة قاعدة البيانات نامبيو وهذه الموسوعة أحد أكبر قواعد البيانات على شبكة الإنترنت في العالم ويتضمن تصنيفا لـ117 دولة من دول العالم، بترتيبها من الدول التي تتركز فيها المعدلات المرتفعة لمستوى الجريمة بأشكالها المختلفة، القتل والسطو والسرقة والاعتصاب، وغير ذلك من أشكال الجريمة، وصنفت الجزائر في المرتبة الثانية بين بلدان منطقة الشرق الأوسط والوطن العربي وتقييمها في مؤشر الجريمة هو 57.58 وترتيبها عالميا هو 24.¹

3. اندماج الشباب في مسكن عشوائي أم عمران عشوائي بالمدينة الجزائرية: تتشكل هوية ساكني الأحياء العشوائية وخصوصا شبابها وتظهر في القلق و فقدان الأمل، لان هذه الذات مرتبطة بالأخر الاجتماعي والتاريخي وهذا الأخر الذي يرجعون له العدا والتمثل في السلطات المحلية الحضرية التي لم تقم بأي مجهود لتحسين أوضاع المنطقة إلا محاولاتها في هدم البيوت الفوضوية، وهذا الأخر هو ضروري في حياتهم لأن الذات لا تكون حقيقة إلا بالنسبة للأخر، ولا يمكن الاستغناء عنه لأنه أساس كل تجمع بشري فقد يأخذ هذا الأخر صيغة عدوانية كما هو بالنسبة لها لباقي السكان أو لواضعي السياسة الحضرية.²

وهي مرآة تعكس لنا واقعا محليا يمكن خلاله التنبؤ بعدد من المؤشرات في المجتمع والتي تكشف لنا التفاوت الاجتماعي، والبطالة وتدهور المساكن، واللامساواة التي نستدل منها على وضع القوي الاجتماعية والإدارية في المجتمع، فالتحليل المكاني للجريمة لا نحله من واقع منفصل عن القوي الاجتماعية والسياسية التي تشكل جزءا من المحتوى المكاني لاستخدام الأرض.³

¹ إبراهيم أبو جازية، تعرف على ترتيب بلدك في مؤشر الجريمة العالمي لعام 2016، نشر بتاريخ 4 ديسمبر 2016، الساسة بوست، تاريخ التصفح يوم: 2017/10/15 الساعة 13:30 <https://www.sasapost.com/criminality-index-2016>

² فتحة طویل، العيش وسط الأحياء القصدية وعلاقتها بتجزئة أو تشكيل الهوية الاجتماعية، دراسة ميدانية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حو الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيو ثقافية في المجتمع الجزائري، ص 547

³ ديفيد هيربرت، جغرافية الجريمة الحضرية، ترجمة، ليلي بنت صالح محمد زعزوع، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، 2001، ص87

ويرى "تشانز أبرمز" أن مشكلة الإسكان مرتبطة بالثورة الصناعية، فكلما كانت الدولة أقل تصنيعا وأقل تحضرا كلما قل احتمال وجود مشكلة الإسكان لديها، فالمجتمع البدائي لا يشكل مشكلة حرجة، ولكن عندما تبدأ العائلات في الانتقال من القرية إلى المدينة وعندما يتركون مساكنهم التي تستجيب لطالبهم المتعددة والتي ترتبط بالأرض والطبيعة لينتقلوا إلى النسيج العمراني المعقد في المجتمع الحضري ومن هنا تبدأ المشكلة ومما يزيد من تعقيدها أن التقدم في الإسكان عموما متأخر إلى حد كبير عن التقدم الصناعي، ومما سبق يمكن القول أن أزمة الإسكان كمسألة اجتماعية من القضايا الهامة التي تعاني منها المدينة الجزائرية لأنها أصبحت غير قادرة على تلبية حاجات وخدمات وتجهيزات سكانها الناجمة عن عدم توازن التنمية الاقتصادية وضعف مستوي التوفير عند أغلبية المواطنين، وتزايد عدد الأسر والأفراد في البحث عن مساكن وبيوت جديدة وانهيار شبكة المرافق العامة وعدم استعمال المساحات الشاغرة بصفة منظمة ونشوء وإقامة مصانع بصفة مرتجلة مما أدى إلى تقسيم المدينة إلى مناطق عمرانية مختلفة تؤثر في وظيفتها وحجمها وهي¹: الفلل الفاخرة، السكن التقليدي العربي، السكان الاجتماعي، البناء الفوضوي، الأحياء القصديرية، البناء التطوري.

تماشيا مع هذه الصيرورة المعقدة خلقت تخبط للفرد في المجتمع وفئة الشباب كانت لها الحصة الأكبر حيث أن السياسات التنموية المتعاقبة والمبرمجة منذ الاستقلال لم تهتم للتخطيط المراحل اللاحقة واعتبرت الرهان لديها هو مواجهة المشاكل الاجتماعية كتلبية احتياجات السكن، دون بناء قاعدة وهيكل اجتماعية ترافقه تصنع وتخلق نموذج للمدينة الجزائرية تتجانس فيها كل الشرائح الاجتماعية والنتيجة هي ضياع فئة الشباب في وسط حضري يتسم باختلال عمراني لا يحتوي أو يقدم أي فضاء له للعمل أو الراحة أو الإبداع وحتى إعطاء الفرصة للمشاركة في الحياة الاجتماعية العامة، وعليه لا يعتبر السكن ملائما ما لم تتوفر فيه شروط الحياة العصرية من مرافق ضرورية وتجهيزات اجتماعية قريبة منه وهو مصدر لسعادة وليس منبع للجريمة والانحلال والاستغلال.

وبالمقارنة توزع الجريمة والمجرمين من جهة وتباينات المكان (غالبا ما يكون حضريا) وذلك من خلال مؤشرات اجتماعية واقتصادية وبيئية إلى غير ذلك، فعلي سبيل المثال أثبتت عدة دراسات أن

¹ عبد الحميد دليمي، دراسة في العمران البشري، مرجع سابق، 2007، ص 21

المعدلات الأعلى في أعداد الجرائم والمجرمين رهينة بالسكن الرديء، الفقر، والحراك السكاني العالي، وعدم التجانس الاجتماعي والفوارق الاقتصادية الحادة وتتمثل في ما يلي¹ :

- صورة المدينة أو المنطقة في ذهن المجرم والتي يتحدد على ضوءها شكل وماهية الجرائم الممكن ارتكابها في مثل هذا المكان.

- التحليل المكاني الاقتصادي للسلوك الإجرامي الذي ينظر لجرائم المال على أنها محصلة لقرارات وسياسات مالية خاطئة ومن ثم يصبح في إمكان المحلل التنبؤ باتجاه وتوزيعات الجرائم ذات الصلة في منطقة ما.

وبهذا تتميز الحياة الحضرية وعلاقتها بالجريمة بالخصائص أو المتغيرات المحددة للمجتمعات الحضرية لها بدور كبير في تبني السلوك الإجرامي، أو على الأقل تهيئ الظروف لها فحسب "إميل دوركهايم" فإن الحالة الأولى تتميز بالبساطة والتجانس، وعليه هناك إدعاء قوي بأنه عندما يصبح المجتمع وتقسيمه للعمل أكثر تعقيدا والعلاقات الشخصية أقل عاطفة يضعف الضبط الاجتماعي غير الرسمي وبالتالي يتزايد السلوك الانحرافي في المجتمع، وحسب "كلينارد" فإن تزايد حركة السكان، الصراع الثقافي، والتغير السريع، الفردية والتركيز على الماديات وانهيار الضبط الاجتماعي غير الرسمي هي خصائص حضرية تؤثر على الجريمة وجنوح الأحداث².

¹ أحمد حويتي، مرجع سابق، ص ص 101 - 102

² علي مانع، جنوح الأحداث والتغير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة (دراسة في علم الإجرام المقارن)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،

2002، ص 33

خامسا: نتائج الفرضية الأولى

- أظهرت النتائج أن مجالات الدراسة وهي الأحياء العشوائية الثلاث: شوف لكداد، عين الطريق، الشيخ العيفة (فرماتو)، تشكل تجمعات الضواحي للمدينة المركز سطيف، وتتميز بأنها مناطق نشأت وتكونت منذ مدة طويلة من وقت الاستعمار إلى اليوم، بطريقة عشوائية وهي مناطق تجمع سكاني نتيجة النزوح الريفي والظروف الأمنية وثقافة التحاليل، وليست ضواحي التوسع العمراني المنظم.

- أبانت الدراسة أن سن المبحوثين المحدد سلفا في الفئة العمرية من 18 إلى 35 سنة يعبر أن ارتباط السلوك الانحرافي والإجرامي وبقائه إلى هذه السن مرتبط بعوامل كثيرة منها الظروف المحيط السكني، وتعتبر هذه النتيجة على علاقة الشباب بالانحراف والجريمة في المجتمع الجزائري أنها ليست فقط انحرافات فترة الشباب والمراهقة بل امتدادها لسنوات بعد الثلاثون سنة يعبر عن عدم إيجاد هذه الفئة للظروف الاندماج والاشتغال في بناء المجتمع، والمساهمة في القضايا الاجتماعية.

- أما عن جنس المبحوثين بين الذكور والإناث وانخراطهم في عالم الانحراف والجريمة أبان الفرق بين نوعية وأنماط هذا السلوكيات، أما من ناحية الظروف والعوامل فهي نفسها، في حين ظهر أن انخراط المرأة في الجريمة بالمجتمع الجزائري لم يعد يعني الاختلاف بينها وبين الرجل فتقبل الإناث لوضعياتهم وحديثهم بكل طلاقة عن تعاطي المخدرات والدعارة وإنجاب الأولاد دون زواج، والدعوي للتححرر من القيود الأسرية والمجتمعية يوحى بتغيير في منظومة القيم ونظرة المجتمع للجريمة والانحراف عند المرأة.

- أظهرت الدراسة أيضا عدم الاستقرار العائلي صفة أساسية لدى هؤلاء الشباب خصوصا في العمل فالأغلبية بطالين، أو يمارسون أعمال غير رسمية ومستقرة ويمتهنون السرقة السطو لتحصيل الأموال، ومحدودية مستواهم التعليمي فالأغلبية في المستوى الابتدائي والمتوسط، وغياب أفكار تكوين أسر والاستقرار، وفي حالة وجود أسرة يعانون مشاكل أسرية يومية وصراعات بسبب الانحراف ودخول السجن وعدم القدرة على تلبية الاحتياجات الأسرية.

- أن أغلب الأحياء تركيبها العمرانية من ناحية الشكل العام والسكاني تعاني من اختلال واضح، وهو عدم التنظيم السكاني، نقص المرافق الخدماتية، نقص التهيئة العمرانية، والاهتمام بالايكولوجيا من ناحية النظافة، وجمالية الأحياء، ووجود حدائق وفضاءات عامة للراحة.

- أهم أنماط السلوك الانحرافي لدي شباب هذه العشوائية مرتبط بطبيعة هذه الأحياء مثلما أكدته الدراسات وما تتميز بهذه الأحياء من أنماط وهي السرقة، الضرب والجرح العمدي، السطو، تعاطي المخدرات والمتاجرة فيها وإدمان جلمهم عليها خصوصا الأقراص المهلوسة وكل هذه الأنماط تعبر عن عوامل التهميش والإقصاء التي يعيشها هؤلاء الشباب في المجتمع عامة.

- يعاني الشباب محل الدراسة من مختلف الأزمات النفسية وتتعدد أسبابها منها الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية من جراء البطالة والفقر مثلا وعدم الانسجام مع محيط وثقافة مكان السكن ومحيط العيش، ومشاكل أسرية متعددة تعبر عن ضياعهم، ضف لهذا مشاكل الإدمان والفشل في الحياة الخاصة والعامة والتفكير في الحلول المأساوية كالانتحار والهجرة الغير شرعية.

ما تم التوصل إليه من خلال الدراسة الميدانية هو تحقق الفرضية الأولى المتعلقة بدور التركيبية البنائية للحي العشوائي ومساهمتها في صعوبة الاندماج، سواء من الناحية الاجتماعية المتمثلة في طبيعة نشوءها وتطورها التاريخي الذي يعتبر محصلة أساسية في فهم علاقة السكان بمحيطهم، ومن الناحية الاقتصادية ما توفره هذه الفضاءات على مستوى الاكتفاء المادي والشخصي للفرد، ومن الناحية النفسية من حيث الشعور بالاستقرار والراحة في السكن داخله وخارجه، حيث ترتبط علاقة الفرد بالمحيط بقسمين الأول بالبيئة الواقعية والبيئة السيكولوجية، فالبيئة الواقعية هي كل ما يحيط بالفرد من عوامل مادية طبيعية واجتماعية سواء أثرت به أم لم تؤثر، أي هي البيئة كما هي عليه في الواقع، أما البيئة السيكولوجية فهي تمثل البيئة كما يدركها الفرد ويشعر بها ويستجيب لها وتثير انتباهه ونشاطه.

وهذا الوضع أدى إلى نشوء العديد من التجمعات السكنية العشوائية التي أخذت في التوسع تدريجيا حتى أصبحت تشكل في كثير من الأحيان قرى وأحياء تضم مئات السكنات بأنماط عمرانية مختلفة، ولا تتوفر على أدنى الاحتياجات الضرورية من البنية الأساسية والخدمات المختلفة والمناطق المفتوحة، حيث أضحت هذه العشوائيات تشكل عائقا لمختلف خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتهديدا فعليا على البيئة ومستقبل التنمية في كافة مجالاتها.

أما المحيط العام فيها فيمكن القول أن نقص المرافق والافتقار لسياسات الحضرية أمر واضح رغم بعض التحسينات من وقت لآخر، وأن هذه العشوائيات تحتوي هي الأخرى في طياتها نماذج متعددة من السكنات منها الفوضوي، والبناء عن طريق احتلال الأراضي والعقار والبناء دون رخص ودون حيازة ملكية، وأيضا البناءات المنظمة والقانونية وأدخلت ضمنها أيضا عمارات سكنية للدولة وبالتالي كونت

خليط من البناءات لا تحتوي على نمط موحد بل هي عشوائيات بداياتها قري استعمارية ثم بناءات متناثرة ثم أماكن لاستقطاب النزوح الريفي في الثمانينيات وعشرية الإرهاب فتجمعات للتخايل السكاني، فأماكن للتوسع العمراني الآن

و يحتوي هذا النموذج العمراني على خليط من الطبقات السكانية من ناحية المستوي الاقتصادي والثقافي والتعليمي والاجتماعي، تسوده قبيلة العلاقات بسبب الهجرة من منطقة واحدة جعلت منها تعبر عن تزاوج بين النسق الريفي والنسق الحضري في غير مكانه فبين المحافظ عليه وبين الاندماج الاجتماعي أفرزت هذه العشوائيات سلوكيات تتسم بالرفض في غالب الأحيان منها: الصراعات الاجتماعية في الحيز المكاني (الأراضي) أنعكس على العلاقات الاجتماعية والروابط القرابية، إلى غياب مساحات وفضاءات للحضور اليومي لكل الفئات وغموض مستوي حضور السكان فيه خصوصا الشباب الذي يعني أكثر بهذه المساحة من ناحية استقراره وتمثل الحي لديه سواء في العمل أو الاستقرار العائلي والجواري إلى تحقيق المتطلبات اليومية لديه، وصولا إلى اعتبارها الفئة المهمشة والمقصية في كل البرامج والسياسات.

وجعلت منها الفئة الأكثر ضياعا في عالم الانحراف والجريمة بواجهة منمطة تعبر جرائمهم عن الحاجة وعدم الاستثمار في طاقاتهم فمن السرقة التي تعبر عن الحاجة والفقر الحضري، إلى الاعتداء والضرب الجرح العمدي إلى التعاطي والمتاجرة في المخدرات والجرائم الأخلاقية، والتشرد المعبرة كلها تعبر عن ظاهرة خطيرة في المجتمع استقطبت الشباب للنسيان الواقع وعدم التأقلم مع السياسات المهمشة له كشريحة قوية لا بد أن تستغل وتستثمر بدل أن تضيع، فكانت هي المحصلة الرئيسية التي تعبر أن هذا الفضاء العشوائي والفضاء العمراني العام في الجزائر الذي يعاني من غياب مساحة تمثله وتحتويه في كل المجالات، وبالتالي كانت انسداد الأفق وعدم الاستقرار والضياع مؤشرات تدعوا في كثير من الحالات للهجرة الغير شرعية كحلول تفرض نفسها وليست اختيارات موفرة.

إن أهم العوامل المساهمة في تكوين السلوك الانحرافي والإجرامي لدى الشباب في العشوائيات الحضرية هي التركيبة البنائية للحي التي تعرقل اندماجهم في فضاءه العام وتؤثر على توجيههم لأنماط انحرافية معينة.

خلاصة:

يمكن القول أن الفضاء العمراني له تأثير واسع على طبيعة العلاقات الاجتماعية وإفرازاتها في المجتمع، فالتخطيط العمراني له أهمية ظاهرة في تنظيم الفرد وبناءه الاجتماعي، وبالتالي ينشأ نوع من التبادل التلقائي للأدوار في المجتمع مبني على أساس تنظيم وتسهيل الحياة اليومية، في حين العكس الفوضى العمرانية واختلال المحيط السكني ينعكس بالضرورة على سوء التسيير الاجتماعي وتداخل النسق الفردية والجماعية، وهنا ينشأ نوع من عدم التنظيم ومتمثل في المشاكل والأزمات الحضرية خصوصا منها الفضاء العمراني العشوائي كبؤر تعبر عن صعوبة الاندماج والتأقلم مع المحيط الحضري المدينة، ويعبر هذا خصوصا عند الفئة الشبانية التي تعاني من ضياعها في هذا الحيز الحضري العشوائي في شتي الجوانب كالبطالة والتهميش الإقصاء، وعدم إدراج احتياجاتهم ضمن برامج السياسات التنموية، وجود فراغات في الاهتمام بهم وعدم بناء استراتيجيات لحمايتهم من الانحراف والجريمة دفعهم للغوص فيها في شتي تشعباتها كالمخدرات السرقة الهجرة غير الشرعية... في حين كان المفروض توفير لهم بيئة سليمة توفر لهم الاحتياجات اليومية والمستقبلية وليس تقديمهم كضحايا تدفع ثمن غياب سياسات تحتويهم في الفضاء العمراني العام.



الفصل السابع: العلاقات بين السكان والضبط الاجتماعي في الحي العشوائي وانعكاساتها على سلوك الشباب الانحرافي

تمهيد

أولاً: العلاقات القرابية في الحي العشوائي وسلوك الشباب المنحرف

- 1- البناء الأسري والعائلي وانحراف الشباب.
- 2- النسق القرابي والجواري وعلاقته بحماية الشباب من الانحراف.
- 3- النزاعات والشجارات حول الأراضي داخل الحي العشوائي وأثارها على الشباب.

ثانياً: إفرزات الهجرة والتهميش الحضري في الحي العشوائي

- 1- الحي العشوائي بين الريفية والحضرية والممارسات الانحرافية لشبابه (الوجه الآخر لمدن التريف).
- 2- التنشئة الاجتماعية للشباب في الحي العشوائي: أي نموذج؟
- 3- التهميش والإقصاء الاجتماعي في الحي العشوائي للشباب.

ثالثاً: الوسط الحضري العشوائي واحتواء مجموعات الشباب

- 1- ثقافة الشباب (الثقافة الفرعية) والممارسات السلوكية في الحي العشوائي.
- 2- جماعة الأصدقاء والمشاركة في الجذب لسلوكيات الانحرافية.

رابعاً: الصدمات مع رجال الأمن والعلاقة مع المدينة المركز

- 1- موقف الشباب من احتكاكه بالمؤسسات الرسمية والأمنية.
- 2- الشعور بالتمايز الاجتماعي بين الحي والعشوائي والمدينة المركز.

خامساً: نتائج الفرضية الثانية

خلاصة

تمهيد:

نركز في هذا الفصل على تأثيرات البيئة السكنية في العشوائيات الحضرية ودورها في توجيه وتكوين السلوك الانحرافي لدي الشباب انطلاقا من طبيعة العلاقات الاجتماعية والضبط الاجتماعي بنوعيه، التقليدي والحديث من جهة وبين أنماط التنشئة الاجتماعية المتداخلة بين النسق الريفي والحضري، التي تؤثر في توجه الشباب للانحراف والإجرام في حضور أو غياب ثقافات تنشأ في هكذا مجتمعات عشوائية تحمل تفاعل مع عوامل الهجرة والتهemis والإقصاء في، وكيف يتأثر الشباب ويؤثرون في تنشئة الحي من خلال جماعات الأصدقاء وخلق ثقافات فرعية وثقافة شارع تحتويهم سلبا أو إيجابا.

أولا: العلاقات القرابية في الحي العشوائي وسلوك الشباب المنحرف

1. البناء الأسري والعائلي للحي وانحراف الشباب: من الدراسة الميدانية للمبوحين وخصوصا التقرب من حياتهم العائلية في كثير من الأحيان ودخول بيوتهم في المناسبات، تبين لنا أن اغلب الحالات تعاني من مشاكل أسرية كالانفصال بين الوالدين والطلاق ووفاة أحد الوالدين، أما عن عدد أفراد الأسرة فكلهم أسر مستقلة نواة، عدد أفرادها ما بين 4 و 9 أفراد، وهناك من لا يملك علاقات أسرية أصلا منعزل عنهم، مثال المبحوثات (رقم 14، 08، 07) لا علاقة لهم بأسرهم يعيشون حياة التشرذم ويملكن بيوت فوضوية.

في حين يذكر مبحث الحالة (رقم 06 السن 34) يقول " نحن ثلاثة إخوة مسبوقين قضائيا وسبق لنا دخول السجن وتحصل بيننا مشاكل دوما في المنزل العائلي لذلك قررت الاستقرار منعزل عن أسرتي في بيت فوضوي وللابتعاد عن مع الوالد أيضا، ويقول أن سبب انحرافنا هما الوالدين والبقعة لي نعيشوا فيها بسبب الملعقة والشوكة وصلنا للحبس أنا وإخوتي، يضيف الوالد كان مهاجر لوقت طويل من الزمن وبذلك صعب عليه التأقلم بعد العودة والوالدة هي محض شك للعديد من الجيران والأقارب في أخلاقها، لذلك تجد المشاكل بينهما في كل وقت ودون سبب مقنع."

في حين تذكر المبحوثة الحالة (رقم 12 صاحبة 21 سنة) " بأن سبب انحرافها هو ضغط الحي والوالدين وكانوا الدافع وراء دخولها عالم الأقراص المهلوسة وإقامة العلاقات مع أي كان وبشكل غير طبيعي خصوصا أنه يجلب لها مشاكل في الحي السكني وتعرضها للسب والشتم من طرف شبابيه، - وحصل هذا بالمعاينة الشخصية وتم التنقل معها لمركز الشرطة لإيداع الشكوى- وتذكر المبحوثة أن

ضغط الجيران وتدخلهم وأقولهم عني للوالدين كانت سبب دخولي للمصحة العقلية ولن أسامحهم على هذا."

أما الحالة (رقم 18 السن 33) وأم لأربع أبناء تمتهن الدعارة تقول " لدي أبن اكبر وبسبب أفراد من الحي يقومون بتحريضه على عملي ويقومون بالتنابز عليه، وبالتالي تحصل دائما شجارات عندي في المنزل ويقوم بكسر وتحطيم الأثاث في المنزل وضربي أحيانا وضرب إخوته، إذا لم تعطيه مصروف يقوم بحمل الأغراض أو سرقتها من المنزل ويبيعها من أجل الزطلة."

أما بعض المبحوثين وخصوصا الذكور يقولون بأنهم مستقيلين ولا يتكلمون في كثير من الأحيان مع كل أفراد أسرهم، يقول أحدهم نظرتهم لي مرتبطة بما يسمعونه من شكاوي الجيران وبعض الأشخاص في الحي زاد في توتر علاقتي بيهم، ويحملونني مسؤولية انحرافي وسجني ولم يساعدوني في دفع غرامتي المالية أو توكيل محامي في قضيتي.

وتذكر مبحوثة الحالة (رقم 12 السن 21) " أن توتر علاقتها بوالدها وضغوط ونظرة الأسرة والمحيط جعلتها تتخذ الحرية المطلقة في حياتها وممارساتها اليومية، وتصرح أنها تدخل على الساعة الثانية ليلا بعد السهر مع الأصدقاء ومع اعتراض والدها تقول أدخل معه في نقاشات حادة حتى أنني ضربته يوما."

يذكر مبحوث الحالة (رقم 20 السن 26 سبب دخوله السجن الاعتداء بالسلاح الأبيض على أحد الأصدقاء، حيازة المخدرات) " أنه يملك بيت فوضوي قام ببنائه هروبا من عائلته لأنهم طردوه بسبب أصدقاء كان يخالطهم ويسهر معهم."

تضيف الحالة (رقم 08 السن 20) بقولها " كنا نسكن في بيت فوضوي متكون من غرفة ومطبخ صغير ونحن أسرة متكونة من 7 أفراد وكان سبب طردنا من المنزل العائلي الكبير هو خصام على قطعة أرض للإرث ، وتشردنا تقريبا كل الأسرة."

مما سبق عرضه يمكن القول في هذا الجانب أن العلاقات الأسرية والعائلية لها دور كبير في توجيه السلوك الانحرافي للشباب خصوصا مع ضغوطات المحيط المعروف بالعشوائية، وما يختزنه من تنوع واختلاف لأنماط التنشئة الاجتماعية بين القسوة والحرمان والإهمال وهي من أكبر المسائل المؤدية للانحراف وبين الضرب والطرده، وقد يعود هذا للظروف الاقتصادية، الثقافية، الاجتماعية وكذا تفاهم

واتفاق الوالدين، وبين أن الحي العشوائي يحمل تمزقا في نمط التنشئة كغيره من المجتمع بفعل العديد من العوامل الوقتية اليوم، يضاف لها تباين التنشئة وانتشار السلوكات الانحرافية والذهنية الريفية والتدخل في شؤون البعض حيث تتطور المشاكل الأسرية والعائلية وتدفع بالشباب في غياب الاحتواء الأسري والبطالة والمخالطة السيئة لعالم الانحراف والإجرام.

ويلخص كل هذا الموقف أن انحراف الشباب بسبب العوامل الأسرية يعود لغياب أو ضعف الرقابة الوالدية وتفكك العلاقات الأسرية في الوسط العشوائي وتبعثرها في مواقف البحث عن تمفصلها في النسيج الاجتماعي، وأيضا اتساع المسافة بين الآباء وهؤلاء الشباب وعدم الاهتمام بمشاكلهم، والتميز في التعامل معهم وغياب السلطة الضابطة أو ضعف الضوابط في الأسرة والمجتمع، وضعف المشاركة في اتخاذ القرارات على مستوى الأسرة، وضعف وغياب المسؤولية الاجتماعية للفرد خاصة فيما يتعلق بالتزامات الفرد اتجاه الممتلكات والمرافق العامة وقضايا المجتمع في ضوء العناصر المشكلة للمسؤولية الاجتماعية، الفهم، الاهتمام، المشاركة والواجب الاجتماعي¹.

وقد لاحظ بعض الباحثين أن التوتر والصراع يكون موجودا في الأسر قبل الانفصال، ومن شأن هذا الوضع أن يهدد حياة الطفل بصورة أخطر من الانفصال الفعلي، وتشير دراسات " سكوت" إلى أن الطفل يمكن أن يلجأ إلى سلسلة من الهرب ليتغلب على القلق الذي يثيره الوضع العائلي المليء بالصراع، بل يمكن أن يدفعه إلى الانضمام لجماعة من المنحرفين ليفر من أسرته².

ويري " سيرل بيرت " في كتابه الطفل المنحرف أن مجرد إحساس وشعور الابن أن والده نزيل السجن، أو أمه تمتهن الأعمال غير الشريفة يعتبر عاملا كافيا لانخراطه في مزالق الجريمة والسير في ركب المنحرفين ويعدد صور الانهيار الأخلاقي في الأسرة فيما يلي³:

- عدم احترام وتقدير العادات والتقاليد وأنماط السلوك المتعارف عليها .
- تدني القيم الزوجية أو انعدامها كليا، سواء بصورة مكشوفة أو مستترة.

¹ عبد العالي دبة ويزيد عباسي، الشباب بين الحاجات والمشكلات، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة بسكرة، الجزائر، 16 سبتمبر 2015، ص 45

² روبن أوسبورن، الماركسية والتحليل النفسي، ترجمة سعاد الشراوي، دار المعارف، القاهرة، 1972 ص 159

³ سلوى عثمان الصديقي وآخرون، انحراف الصغار وجرائم الكبار، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2002، ص 91

- الهروب من الواقع الاجتماعي والأخلاقي السائد في المجتمع ومحاولة تقليد ومحاكاة نماذج معينة للحياة في مجتمعات أخرى تختلف ظروفها وثقافتها وتراثها الاجتماعي عن المجتمع الذي تعيش فيه الأسرة، ومع ذلك يبقى الانحراف الوالدين الدور الأساسي في انحراف أبنائهم سواء كان عن قصد أو دون قصد منهم.

وذهب "محمد قنمر" إلى أن القمع يسود ثقافتنا ويؤدي إلى مظاهر الإحساس بالدونية، وفقدان مشاعر احترام الذات فالصفح والضرب أسلوب اجتماعي شائع ومألوف في حياتنا وتتميز الأسر أيضا بمنطق التسلط والمركزية ال مبنية على وحدة المصالح الاقتصادية وعلى التضامن والتكامل¹.

وتشير الكثير من الدراسات أن التنشئة الاجتماعية في الوطن العربي تتميز بشيوع أنماط التربية المتسلطة المحافظة، التي تولد سلوكيات تمتاز بالطوعية والولاء للأسرة خاصة الأب، ومن نتائج التسلط ضعف الثقة بالنفس كما أنها تقتل روح الإبداع والمبادرة التي تولد سلوكيات سلبية لدى الأفراد كعدم القدرة على أداء بعض المهام التي تتطلب إعمالا لمهارات الفرد وقدراته الإبداعية.

2.النسق القرابي والجواري وعلاقته بحماية الشباب من الانحراف: إن عدم التوافق والانسجام بين المتطلبات الاجتماعية للأسرة، والتي من بينها ما تعلق بحجم المسكن وطبيعة مخططه ومختلف العوامل التي دفعت الأسر إلى محاولات التكيف المتجلية أساسا في التغيرات التي لحقت بالمساكن إضافة إلى الانعكاسات ذلك على علاقات الجيرة، ومن خلال الدراسة الميدانية والتجول بين المنازل والأحياء السكنية، ومن خلال المقابلات مع حالات الدراسة وأسرهم وكذلك بعض من محيطهم كالأصدقاء وبالإضافة لمقابلات مع الخبراء الاجتماعيين يمكن القول أن نمط القرابي والجواري في العشوائيات الحضرية يتسم بأنماط متعددة ونذكر منها:

- هناك تفكك في شبكة العلاقات القرابية والجوارية في مناطق من الأحياء خصوصا منها في البيوت الفوضوية الحديثة نسبيا وهي النوع الأول ونجد بيوتها تتسم بالفوضى والعشوائية في البناء والمداخل الأبواب واتجاه النوافذ ولا يراعي معايير الجيرة أصلا، وهؤلاء السكان أغلبهم يعرفون بعضهم البعض وعلاقاتهم مع بعض تتسم في الغالب بالتدخل في شؤون البعض، وينظر لهذه الفئة بأنها سبب المشاكل والانحرافات وهي بؤر كل الجرائم والمصدرة من أبنائها لأبناء الحي كله ويصرح أحد مبحوث الحالة

¹ إبراهيم شرع الله ، دور العوامل السوسيوثقافية في تأسيس الثقافة المجتمعية لدى الشباب، مجلة الشباب والمشكلات الاجتماعية، جامعة محمد الشريف مساعدي، سوق أهراس، الجزائر، العدد الأول، السنة الأولى، جانفي 2013، ص 122

(رقم 05 السن 27) " أنه يسكن هنا وفي الغالب لا يعرف جيرانه كما أنهم يخافون منه بسبب النظرة إليه انه خريج سجون."

ويصرح مبحوث الحالة (رقم 17 السن 24) " أنه يتعرض للسبب والشتم في بعض الشجارات مع شباب الحي ذاته بأنه ابن حي فوضوي وهوأيته المشاكل، . ويقول أحد المخبرين صاحب مكتبة أن السكن في -البيوت الفوضوية عيب في نظرنا نحن أولاد القرية والسكان الأصليين للحي .

- أما النوعية الثانية هي علاقات قرابية وجوارية مترابطة بفعل أن الغالبية منهم يعرفون بعضهم البعض وبينهم علاقات قرابة عائلية أو مصاهرة، وهم نازحين من منطقة واحدة في الغالب ويشكلون عصبية في هذه الأحياء، ويتسم الضبط الاجتماعي لديهم بالحفاظ على نمط الريف في معاملة بعضهم مع التفتح أحياناً على نمط المدينة خصوصاً في جانب شكل المنزل وسكنهم في أحياء منظمة نوعاً ما وتتوفر فيها بعض الخدمات الأساسية، وأبناء هذه النوعية هم أيضاً منخرطين في الانحراف والمشاكل ولكن في كثير من الأحيان تستطيع أسرهم وقوة الضبط الموجود فيها من إعادة إدماجهم واحتوائهم في الجو الأسري، ويصرح أحد الخبراء الاجتماعيين عون الأمن وزوجته: أن الأحياء مقسمة في الغالب وهذا النوع بالذات منغلق على ذاته ولا يندمج مع باقي الحي خصوصاً في المناسبات أو الأفراح أو الجنازات لهم تكتل خاص ولهم عادات يمارسونها مثلاً: منع الفتيات من الدراسة، وتزويجهم مبكراً، ومنع النساء من الخروج وحدهم لقضاء الأمور.

فهؤلاء النازحين المجردين فجأة من وسطهم الاجتماعي، الضيق الآمن لا يستطيعون أن يميزوا أوصارهم بسهولة ببيئتهم القديمة وبأهلهم وبني قريتهم، وبالتالي فإن النازح يجذب نحو أقاربه أي إلى الجماعة القادمة من نفس عشيرته للسكن معهم وبقربهم، ويتعلق الأمر هنا مثلما ذكر "أندري آدم" بإعادة تركيب بعض عناصر الثقافة الريفية، بحيث أن أغلب المنوغرافيات للأحياء تدل على تكرار التجمعات العائلية فيحدث أن المهاجرين من نفس الدوار أو نفس القرية ينتقلون للسكن في حي أو منطقة عمرانية واحدة ، وبعد استقرار النازحين الريفيين في الوسط الحضري كان يجب عليهم أن يخلقوا نموذج جديد للدفاع إزاء الوسط الغريب عنهم والمتباين كثيراً، وتعتبر التجمعات السكانية التي ظهرت خاصة في ضواحي المدينة شكل جديد من التجاوز بين الجماعات القرابية والعشائرية وفي نفس الحي، بما أن

الضمانات القديمة للدفاع عن الجماعة لازالت، وأن النازحين من نفس العرش يتجمعون في المناطق الحضرية ويعيدون تنظيم شبكة جديدة من العلاقات المدعمة بلهجة ثقافية، وعرقية مشتركة¹.

في حين النوع الثالث يتمثل في فئة تسكن تجزئات سكنية لها عقود ملكية وهي عائلات تمتلك قدرا واف من المستوي التعليمي والثقافي وحتى المالي، وهم كما يسمون من طرف الفئة الأولي والثانية ببرجوازية الحي العشوائي، لكنهم منعزلين عن جو الحي كله ولا يملكون علاقات لا مع الفئة الأولي أو الفئة الثانية ويملكون فلل فاخرة، وأعمال مرموقة حسبهم لذلك يقال أنهم فقط يستعملون الطريق للمرور عليها، حتى أولادهم لا يدرسون في الغالب في هذه الأحياء بل ينقلهم أوليائهم للمدينة المركز، ولا توجد لهم علاقات جيرة وقرابة في الغالب ولا حتى العلاقات الاجتماعية الأخرى بحكم المكان وتصرح مخبرة اجتماعية- أستاذة - تسكن أحد هذه الأحياء: تقول نحن هنا منذ أكثر 10 سنوات لا أعرف أحد لا أنا ولا زوجي ولا أولادي فقط تخيلي أن الحي الذي نسكنه لو أردت أن تعطي صدقة لأحد لن تجد شخص محتاج في هذه الناحية من الحي.

وعليه تعتبر رواسب القيم والمفاهيم التقليدية لها أثر فعال على طبيعة الحياة الحضرية مما يجعل القرابة تتمثل بإرث اجتماعي ثابت وعميق في هذا المجتمع، وهذه القيم والمفاهيم تجسدت على شكل رقابة اجتماعية لازلت عامل أساسي في ضبط التغيير والمحافظة على استمرارية الاتصال القرابي².

وقد خلص "ويرث" إلى أن ما يميز حياة المدينة ضعف الروابط القرابية والجيرة وتضاؤلها، ونتيجة لذلك تظهر المنافسة، وميكانيزمات الضبط الرسمي لتحل محل روابط التضامن والعلاقات الأولية القرابية التي كانت سائدة من قبل، ويمكن تفسير ذلك إلى التطور الصناعي وتوسع شبكة الأنشطة التجارية في المدينة، وسرعة استيعاب سكانها للمفاهيم، والقيم الثقافية والاجتماعية السائدة، وبذلك أصيبت الروابط والعلاقات التقليدية (القرابية) بالتمزق والتصدع وحلت محلها علاقات اجتماعية خارجية تقوم على مبدأ المصلحة المشتركة والاعتمادية المتبادلة يرى "بارك" أحد مؤسسي مدرسة شيكاغو أن جماعات الجوار في البيئة الحضرية، فقدت ما كان لها من مغزى في الأشكال البسيطة والتقليدية في المجتمع، وأن الحياة الحضرية في تصوره أضعفت العلاقات الوطيدة بين الأفراد، التي كانت سائدة في الجماعات الأولية،

¹ عبد العالي دبله ونتيجة جيماي، العلاقات القرابية للأسرة الحضرية وانعكاساتها الاجتماعية في ظل المتغيرات الحديثة، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 13 ديسمبر 2014، ص 120

² عبد العالي دبله ونتيجة جيماي، مرجع سابق، ص 119

وقضت على النظام الأخلاقي الذي كان يدعمها ويظهر ذلك خلال الإطاحة بالروابط المحلية والتأكيد على علاقات الاستقلالية بين الجيران¹.

كما يؤكد "ويرث" قائلا: "إذا رجعنا إلى المدينة نجد أن مصطلح الجوار يكاد يحمل معنى واحد وهو التقارب الفيزيقي في معظم الأحيان، لأن طبيعة العلاقات الحضرية التي تكتسي صبغة الشخصية والسطحية في الأحياء المأهولة، راجع أساسا إلى خصوصية الحياة الحضرية والتي تفرض هذا النوع من العلاقات"².

وفي دراسات "ويرث" عن وصف الجيرة في المجتمع الحضري، قارن هذا الأخير بين الجوار في الريف والمدينة، حيث أكد أن الأفراد في الريف يتقاسمون خصوصيات حياتهم، أين يخضع الفرد لسلطة الجماعة على حساب رغباته الفردية، والجوار أو التضامن الجوارى التقليدي يكون بدون مقابل ولا تفكير حيث اتسمت هذه العلاقات بالتعاون، الحماية، المودة، الإخلاص، التفاعل³.

ومنه يمكن القول أن علاقات النسق القرابي والجوارى في المجتمع الجزائري محكوم بعدة عوامل منها البنية الاجتماعية والثقافية والدينية، المبنية على أساس التعاون والتقارب والمساعدة للبعض مبنية أيضا على أساس المساواة، لكن بدون مسؤولية في محل الإقامة أو المشاركة في الحياة الجماعية، فليس من الضروري أن يلتقي الجيران كل يوم، وهناك حتى من لا يعرف جاره فالمجاورة عموما مبنية على التقارب الفيزيقي المكاني وهي غير كافية لشعور الأفراد بإحساس الجيرة، أما اليوم بفعل التغيرات التي طرأت في الفضاء العمراني الحضري والغير الحضري شابت هذه العلاقة القرابية والجوارية اهتزاز في العلاقة حيث أصبح المجتمع يتسم بالاستقالة الجماعية وتفكك العديد من روابطه.

3. النزاعات والشجارات حول الأراضي داخل الحي العشوائي وأثارها على الشباب: لعل السمة الغالبة في الأحياء العشوائية هي وقوع الشجارات والصراعات في كل الأوقات، فحسب تصريح المبحوثين سواء الخبراء الاجتماعيين أو حالات الدراسة وتختلف الأسباب لكن في الغالب كل جار متخاصم مع جاره بسبب التعدي على مساحات البعض - ماعدا في التجزئات الأحياء المنظمة - ويخبرنا عديد المبحوثين أنهم دائما كانوا يتدخلون في شجارات بين الجيران حتى أنهم يقاضون بعضهم البعض بسبب الاعتداء أو الضرب، كما يعطينا أحد الخبراء الاجتماعيين - عون أمن - تجمع فرماتو: قصة عن هذا الوضع يقول:

¹ هادفي سمية، سوسيولوجيا المدينة وأنماط التنظيم الاجتماعي الحضري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد 17 ديسمبر 2014، ص 178

² Joseph.L, Ecole de chicago, naissance de l'écologie urbaine, 1ere édition. Champ urbain 1979, p36.

³ محمد الجوهري، ظاهرة التحضر بين الإدانة والتمجيد، ط3، دراسات في علم الاجتماع الريفي والحضري، دار الكتاب للتوزيع، 1979، ص81.

أن أغلب من سكن في هذه العشوائيات الحضرية كان عن طريق البناء الفوضوي وبعدها تعديل البناء واحتلال مساحة أكبر وذلك بغرس مجموعة من الأشجار أو وضع كومة من الخردوات يحيط بها منزله، ويضيف لهم كلب للحراسة، وبالتالي يتوسع بالبناء ليلا وهنا تحصل الصدمات بين الجيران وفي الغالب اندفاعية الشباب تكون في المقدمة، وذلك في إطار الدفاع عن ممتلكات وتوسعات العائلة، كما يقومون باستغلال مكان أو حيز معين على سبيل قطعة أرض مخصصة لزراعة بعض الخضار ثم حجزها وامتلاكها وبعد مدة يرحل أحد الأقارب للعيش معهم في المنزل، ويقوم بالبناء ليلا لمنزله ثم يرحل إليه وهكذا إلا أن توسعت هذه الأحياء بالطريقة السابقة الذكر.

في حين يخبرنا أحد المبحوث الحالة (رقم 03 السن 32): بأنه كان من المتاجرين في البيوت الفوضوية يقوم بنائها مع أصدقائه في الليل ويبيعهها قبل أن يجف أسمنتها خصوصا للنساء، وحتى وأن تصل التبليغات للجهات الأمنية إلا أنهم لا يهدمون المنزل حسب، لأنهم يجدون امرأة أرملة أو مطلقة مع أولادها تمتلك قارورة غاز وبغض الأغراض المنزلية وأمام هذه الوضعية لا حل أمامهم سوى تركها.

وتحصل كل هذه الممارسات رغم وجود هيئات أمنية ورسمية تقوم بالمراقبة وفي حيز الدراسة التابعة إقليميا لهيئة الدرك الوطني لكن لا توجد مصلحة متخصصة بالمراقبة العمران لكنها تتدخل لتنفيذ القرارات الهدم وغيرها من التدخلات، في حين توجد مصلحة مختصة هي شرطة العمران تابعة لجهاز الأمن الوطني حسب مسؤول المصلحة الذي تحدث في مقابلة أجريت معه موضحا أن هدفها هو معاينة المخالفات العمرانية ويتم الأخطار عنها من طرف بلاغات أو شكاوي وفي حالة ثبوت المخالفات العمرانية يتم التدخل وفقا لقوانين هدفها المساهمة في الطابع الجمالي للمدينة وتطبيق قوانين الجمهورية بالضبط قانون* .

ويتم إتباع مجموعة من الإجراءات القانونية لتنفيذ القرارات الصادرة عن الهيئات المتمثلة في والي الولاية ورئيس المجلس الشعبي البلدي بداية من تكوين ملف قضائي يشتمل على محضر سماع، محضر معاينة، وثيقة تنقيط الشخص المخالف، وتقرير إجمالي عبارة عن مراسلة معلمة إلى السيد وكيل الجمهورية تشتمل على كل حيثيات القضية الذي يصدر بدوره قراره في شأن ملف القضية أمامه.

* رقم 04-05 مؤرخ في 2004/08/14، يعدل ويتم القانون رقم 90-29 المؤرخ في 1990/12/01 والمتعلق بالتهيئة والتعمير، عدد 51، صادر في 2004/08/15، المتعلقة بالبنائيات الفوضوية والمساحات الخضراء، أو البناء دون رخصة، عدم مطابقة البناء للرخصة، التعدي على الملكية العقارية للدولة، فتح منافذ غير مقرر، التعدي على الملكية العقارية الخاصة، الجانب البيئي كقطع الأشجار دون رخصة، إلقاء المياه الطريق العام، التعدي على طريق والرصيف العام، رمي النفايات الصلبة، التعدي على شبكات المياه والكهرباء، تلوث الجو بالحرانق.

وبعد إتمام الإجراءات تنفذ القرارات بإشراك المصالح الأمنية والمدنية ويضيف أنها تواجههم العديد من الإشكاليات خصوصا في عمليات الهدم للبيوت والمنازل دون رخص أو في فوضوية منها أن صاحب المنزل رغم إخطاره وتوجيه استدعاء له، لكنه يمتنع عن تطبيق القرار ويصل به الأمر أحيانا للتهديد بالانتحار وغيرها من المشاكل، ويذكر أن الكثير أيضا يمتنع عن دفع غرامات مالية في حالة مثلا الإضرار بالممتلكات العامة، أو تسوية وضعية المخالفة بالجيران أو التعدي على الطريق والملكيات العامة والخاصة.

وبهذه الطرق توسعت هذه الأحياء وشكلت مورفولوجية عشوائية خصوصا في شكل المنزل أو الشوارع والممرات أو توزيع محال الخدمات، إلى درجة انه تجد بيوت من قبل الثورة لازلت إلى اليوم دون وثائق وهي تدخل من الممكن في مخطط التهديم للتسوية الحضرية رغم أنها طورت وشيدت على شكل بنايات ذات طوابق والأسرة مستقرة لأكثر من 50 سنة، واغلب الأولاد متزوجين ويملكون أيضا منازل بجوار المنزل العائلي على شكل مجمع عائلي لثلاثة أو رابع أبناء (أو ما يسمى الحارة).

وبهذه الذهنية تمكن السكان من فرض وجودهم ويذكر خبير الاجتماعي متقاعد فاطن بالحي أن ثقافة الاحتيايل مكنت البراني من النجاح والظفر بقطعة أرض أو سكن اجتماعي رحل إليه في حين أولاد الحي الذين لا يتبعون هذه الطريقة لخلهم منها يعانون من ضيق المسكن ولكنها لم ينجحوا في الحصول على ما حصل عليه المهاجرين والوافدين.

يعني هذا أن العشوائيات الحضرية تساهم بشكل فعال في إفراز ثقافة التحايل من خلال آليات التكيف والتعايش التي يبتكرها السكان من أجل تحسين ظروفهم وامتلاكهم للأراضي والمساحات، والتأقلم مع الحياة في هذه المناطق خاصة بعد استقرارهم فيها، حيث يتم مطالبة الدولة ومؤسساتها بالاعتراف بهم عن طريق الاستفادة من إعانات الدولة بالإضافة إلى المطالبة بتوفير الضروريات عن طريق أعمال الشغب¹

ثانيا: إفرازات الهجرة والتهميش الحضري في الحي العشوائي

1.الحي العشوائي بين الريفية والحضرية والممارسات الانحرافية لشبابه: (الوجه الآخر لمدن التريف):
حسب الدارسة الميدانية تبين لنا أن أغلب المبحوثين أصولهم الجغرافية ريفية، وهم نازحين للحي العشوائي سواء مع عائلتهم أو وحدهم، وهناك من له وجود حتى قبل الثورة التحريرية وهناك من نزح

¹ ليلي بالعيفة، مرجع سابق، ص 209

بعد الثمانينيات في حين الأغلبية سكنوا المنطقة بعد التسعينات مع فكرة التحايل للحصول على سكن، وهناك من انتقل للعيش من وسط المدينة سطيف إلى هذه الأحياء ولكن الأغلبية يعيشون في أحياء منظمة ويملكون عقود الملكية من طرف الدولة والغرض من تنقلهم هو التوسعة في المسكن .

وحسب دراسة ميدانية لفروق يعلى عن مسألة السكن والاندماج الاجتماعي للأسر النازحة في الوسط الحضري أن انتقال الأسرة النازحة من الوسط الريفي إلى الوسط الحضري عقد من وضعيتها وجعلها تعيش عدة صعوبات وبمستويات متباينة ناتجة عن طبيعة الحياة الحضرية، منها ما تعيشه أنيا على شكل مشكلات ومنها ما يهددها مستقبلا على شكل مسائل اجتماعية، تأتي أزمة السكن في مقدمة هذه المشكلات، رغم طول مدة الإقامة للأسرة النازحة إلا أنها تواجه صعوبات في تحقيق الاندماج الاجتماعي وبمستويات متباينة حسب كل فرد داخل الأسرة الواحدة منها: مسألة البطالة، مسألة الفقر، مسألة الأمن، التعليم، الصحة وكذا وجود عدة متغيرات تؤثر هي الأخرى فيها كالمستوى التعليمي، الحالة العائلية ودرجة القرب والاتصال بالمنطقة الأصلية وتواجد الأقارب بالمدينة، ودرجة انفتاح وتسامح المدينة المستقبلية، أسباب النزوح، إمكانية العودة...¹

ونظرا لهذه الصعوبات ينجرف الكثير من الشباب للانحراف أو الإجرام كتعبيرات عن العجز في التكيف والاندماج الاجتماعي ويصرح العديد من المبحوثين أنهم من أصول الأسر المهاجرة والنظرة إليهم مختلفة و يعاملون معاملة مختلفة في مركز المدينة خصوصا في المعاملات التجارية كالبيع والشراء.

حيث ساهم تعدد أصول ومشارب الوافدين المهاجرين إلى ضعف التجانس الاجتماعي والاقتصادي لهم، ما أدى إلى تحطيم روابط الفضاءات التقليدية، وبروز التناقض في الأشكال العمرانية والمعمارية بين التقليدي والريفي والحديث المعاصر، إضافة إلى المظاهر الاجتماعية الأخرى مثل البطالة والجريمة والتشوه العمراني، وانعكاساته على مختلف مظاهر الحياة.

وأمام هذا الواقع أصبح تحديد مفهوم المدينة أمرا صعبا في ظل اعتماد سكان المدينة على مرجعيات وخلفيات ومتناقضة ومتعددة في شرعنة ممارساتهم القانونية وغير القانونية، ونيل حقهم من العيش في المدينة واستحقاق لقب المدني.

¹ فروق يعلى، مسألة الاندماج الاجتماعي للأسر النازحة في الوسط الحضري، دراسة ميدانية بمدينة سطيف، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، الجزائر، العدد الخامس، فيفري 2014، ص 181

فاستمرارية قيم الريفية عند سكان المدينة تعكس عدم قدرة هذه الأخيرة على التأثير بشكل ايجابي في القادمين الجدد إليها، وذلك لإدماجهم اجتماعيا وثقافيا بشكل يحميها من التأثير السلبي عليها وعلى القادمين الجدد إليها، لتعرف عملية التمييز بعدا آخر في المجتمع الجزائري وكان المحك الرئيسي في تحديده هو الطبقة والمركز الاجتماعي أي بين الطبقة البرجوازية التي تسكن الأحياء الراقية وتحمل قيما عصرية، والطبقة الفقيرة التي تسكن الأحياء الشعبية القصديرية الحاملة للقيم التقليدية.

إضافة إلى كون الكثير من النازحين لا يتخلون عن القيم الريفية التي تحرص على زيادة النسل وكبر حجم الأسرة، والحفاظ على العلاقات القرابية شأنها شأن ما هو موجود بالريف، ومن الواضح أن المهاجر يعيش في المدينة ولكنه في الواقع لا ينتمي إليها أي يندمج فيها اجتماعيا وثقافيا وأساليب الحياة الأخرى، إلى درجة أن تكون علاقات المهاجر محدودة جدا فهو حيث يهاجر إلى المدينة يهاجر بعاداته وقيمه وقيم مجتمعه الأصلي وطموحاته ويبقى لمدة طويلة متمسك بها مما يعرقل عملية والتكيف مع القيم الحضرية الجديدة¹.

ويري "بيار بورديو" أن استمرارية هاته الرواسب محدودة بزمن معين، ويؤكد اختفائها أو اندماجها في المستقبل فيقول: "إن الريفيين المتمسكين بدوام القيم الريفية يبدون تأهين، وحتى مثيرين للسخرية...." وأن القطيعة بالماضي وزوال العادات يعتبر أمر حتمي، وأن عدد معتبر من المهاجرين وأسره يعنى استقرارهم بالمدينة العيش فيها والانتماء إليها، ولكن ليس بالضرورة المشاركة في الحياة الحضرية العصرية بل قد يبقوا يحيون وفقا لاستجاباتهم وثقافتهم الأصلية².

وتتميز مسألة الهجرة في البلاد النامية بأنها هجرة باتجاه واحد من الريف إلى المدينة ولهذا فهي تتسبب في مشاكل عمرانية في ضواحي المدن ثم نمو الأحياء القصديرية والعشوائية، وما يترتب على ذلك من مشكلات عديدة، إذ هي تقلل من عدد الأيدي العاملة في الزراعة، كما تؤدي إلى ازدحام المراكز

¹ Mostafa Boutefnouchent , **La Famille Algerienne Sin Uvaluationes Caractirtique Recent – Ed Sned – alger** , 1980 p 155

² عبد الحميد بوقصاص، النماذج الريفية الحضرية لمجتمع العالم الثالث في ضوء المتصل الريفي الحضري، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة الجزائر، دون سنة، ص 120

الحضرية بالسكان، الأمر الذي يعوق البناء الاجتماعي عن أداء وظيفته الأساسية ولهذا تعددت المشكلات التي يتعرض لها المهاجرون ومنها¹:

- الإحساس بالفردية بين أفراد الوسط الجديد، مما يشعر المهاجر بالضيق.
- الإحساس بالغربة بسبب الانفصال عن العائلة القرابية، مما يسبب للمهاجر توترا نفسيا ينعكس في صورة صراع مع المجتمع الحضري الجديد.
- عدم استقرار المهاجر في عمله إلى حين، مما يؤدي إلى التنقل وكثرة التحول من عمل إلى آخر، ويرجع هذا إلى تعدد ميادين النشاط الاقتصادي في المدينة.
- سعة المسافة بين جيل الآباء المهاجرين وبين الأبناء أمام السمات الحضارية الجديدة في المدينة.
- صراع الأنماط الثقافية التقليدية للمهاجر مع الأنماط الثقافية التي يواجهها في المجتمع الحديث.

تؤكد الدراسات وجود علاقة بين الهجرة وارتفاع معدلات الجريمة فالتطور الحضاري ومشاريع التنمية التي تشهدها هذه المدن، أدت إلى دخول قيم وأنماط سلوكيه غريبة تختلف عن الأنماط السلوكية السائدة، مما أدى إلى خلل في البيئة الاجتماعية وحدثت تغيرات نتيجة الانتقال من قيم وأنماط سلوكيه معينه إلى أخرى مختلفة أدى إلى تعرض الأفراد إلى صراعات اجتماعيه حادة تبدو إحدى مظاهرها في الجريمة والانحراف.

2. التنشئة الاجتماعية للشباب في الحي العشوائي: أي نموذج ؟ يمكن القول أن الكثير من الدراسات تناولت مسألة التنشئة الاجتماعية للأحياء العشوائية أو المتخلفة وكلها ترى أن البيئة الايكولوجية والمحيط بكل ما يشمله من البناء السوسيوثقافي والاقتصادي للحي ومورفولوجيته، بالإضافة للنظافة والتهيئة الحضرية دون أن ننسى العلاقات القرابية والعائلية ومع الضغوط النفسية والاجتماعية التي يعاني منها الشاب تزيد من فرص الانحراف السلوكي لديه، وفي الغالب تتحدث عن إعادة إنتاج أنماط منحرفة في هذه الأوساط الانحرافية ويصرح العديد من المبحوثين أن أغلب ما يمارسونه من سلوكيات يومية هي ما تربوا عليه من طرف الأكبر سننا منهم خصوصا في الأحياء ومع الأصدقاء.

¹ محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيلوجي لأهم مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1984 ص ص 182 - 183

ويصف أحد الخبراء الاجتماعيين صاحب محل تجمع عين الطريق بأن الحي مختلط يصعب فيه فرض تربية على أبنائه: ويقول " ماتقدرش تربي أبنائك كما تريد مع الزطلة المخدرات والمشاكل، وفي بعض الأحياء الفوضوية يتم بيع الخمر بطرق غير شرعية ومرخصة من المنزل العائلي، وسماع الأغاني في البيوت بصوت مرتفع، الشعوذة، كما يضيف يصعب تربية الأبناء في جو تتميز يزماياته بشجارات عائلية والأصوات المرتفعة والسب والشتم وبذاءة الكلام."

ويذكر خبيرين اجتماعيين وهما شيخ مسن ومجاهدة من حي فرماتو أن العلاقات داخل الحي تغيرت كثيرا على ما سبق حيث كان كبار وعقلاء الحي يلعبون دور في حل الخلافات والمشاكل والصراعات وحتى تقديم النصح للشباب وتسيير شؤون الحي، ويروي الشيخ المسن قصة انه في سنوات سابقة حوالي 20 سنة قبل اليوم كانت هناك امرأة تمتهن الدعارة ولكن كبار الحي طلبوا منها التوقف واتفقوا على تخصيص مرتب شهري لها لتربية أبنائها ووافقت على الاقتراح وتم تطهير حيهم من الدعارة .

تتصف الأحياء اليوم بعدم وجود ضبط اجتماعي داخل الحي وعدم تواجد أشخاص يقدمون النصح والإرشاد، في هذا الشأن كشفت دراسة بعنوان أساليب التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالسلوك الانحرافي دراسة ميدانية في إحدى المناطق العشوائية بمدينة أسيوط بمصر، أن أشكال الانحراف التي تصدر عن الأبناء المقيمين في المناطق العشوائية والتي وردت على لسان المبحوثين من خلال تقارير دراسة الحالة وهي على الترتيب كما يلي¹:

- المشاجرات وجاءت في المرتبة الأولى.
- السرقة وجاءت في المرتبة الأولى.
- التسول وجاءت في المرتبة الثانية.
- الشتائم البذيئة جاءت في المرتبة الثالثة.
- المعاكسات جاءت في المرتبة الثالثة أيضا.
- الهروب من المدرسة وجاءت في المرتبة الثالثة أيضا.

¹ عزت مرزوق فهيم عبد الحفيظ، أساليب التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالسلوك الانحرافي، دراسة ميدانية في إحدى المناطق العشوائية بمدينة أسيوط، مذكرة مقدمة ليل شهادة الماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة أسيوط، مصر 2001

- التدخين والمخدرات والجنسية المثلية وجاءت في المرتبة الرابعة.

- الهروب من المنزل وجاءت في المرتبة الخامسة.

وإذا كانت الأسرة من خلال دورها، كأهم وسيط من وسائط التنشئة تسهم في تشكيل سلوك الأبناء، فإنه لا يمكن إنكار دور المناخ الاجتماعي الذي تعيش فيها لأسرة سواء أكان مجتمعاً محلياً أو مجاورة سكنية وما يتسم به من بعض الصفات والخصائص الاجتماعية والاقتصادية والثقافة الفرعية التي تميزه عن غيره من سائر المجتمعات، والتي لها تأثير لا يقل أهمية عن دور الأسرة على أفرادها بمعنى: أن المناخ الاجتماعي يسهم بما لا يدعوا للشك في تبنى أساليب معينة في التنشئة الاجتماعية وتختلف من مكان لآخر باختلاف الثقافة الفرعية للمجتمع إلى جانب المستوى التعليمي وثقافة الوالدين داخل الأسرة.

وعليه فإن سكان المناطق العشوائية وإن كانوا خليطاً غير متجانس إلا أنهم يتسمون ببعض الخصائص التي لا تتواجد في مجتمعات أخرى، وقد أدى ذلك إلى اتسامها بالعديد من الثقافات، الأمر الذي قد ينتج عنه ظهور العديد من أساليب التنشئة الاجتماعية التي تتبعها الأسرة في تنشئة الأبناء، يضاف إلى ذلك أن هذه المناطق تعتبر مناخاً جيداً لتنامي البؤر الإجرامية والانحرافات بمختلف أشكالها، بما يؤثر بطريقة أو بأخرى على سكان تلك المناطق بصفة عامة والنشء بصفة خاصة، هذا من ناحية، وتبنى الأسر لأساليب تتواءم مع مختلف الثقافات الوافدة إلى تلك المناطق بما يعكس طبيعة أسرهم، مما يؤدي بالبعض من الأبناء إلى الانخراط في تلك البؤر الإجرامية كنتيجة لبعض الأساليب الخاطئة في التنشئة.

3. التهميش والإقصاء الاجتماعي في الحي العشوائي للشباب: أبانت الدراسة الميدانية والمقابلات مع حالات الدراسة والخبراء الاجتماعيين، أن هذه الأحياء التي يعيشون فيها تعاني من التهميش ونقص العديد من الاحتياجات الضرورية لهم وخصوصاً الشباب وأنهم مهتمين من كل الأطراف في مجال العمل ويصرح أحد المبحوثين (رقم 02 السن 28) أنه يعاني من الحقرة في الحصول على عمل، وحتى في إقامة علاقات لدرجة أنه في غالب أيامه ينام طول النهار ويستيقظ فقط في الليل من أجل السهر والحديث مع أصدقائه، يقول لا أجد ما أفعله مع ظروف ونظرة الناس والمحيط والأسرة لي بعد دخولي السجن

في حين يخبرنا مجموعة من الشباب أصحاب محلات متعددة في هذه الأحياء أن أحيائهم قامت بطريقة عشوائية وغير منظمة لذلك مهما تحصلنا على مرافق ومكتسبات تبقى تعاني من النقص والحقرة وأن سكانها ما يملكونه لا يستحقونه.

إن المتأمل لتركيبية لمجتمع الجزائري، يلحظ أن هناك شريحة لا بأس بها من الأفراد تعيش في ظل وضعية اجتماعية متأزمة تصنف وفق المعايير الدولية تحت خط الفقر، وغالبا ما تستقر هذه الفئة في الأحياء الشعبية العتيقة أو القرى الفقيرة والتجمعات السكانية الفوضوية المتاخمة للمدن الكبرى، وتعاني من عدم القدرة على صرف تكاليف التعليم والصحة وضيق المسكن، وعدم استجابته لمتطلبات الحياة الكريمة، سوء التغذية، انخفاض الدخل، انتشار البطالة على نطاق واسع بين الشباب يولد كل هذا مناخا اجتماعيا ملائما لظهور ما يعرف بالجماعات الهامشية أو المهشمة.

وهم حسب " إسماعيل قيرة " أن هذه الأحياء العشوائية عالم له علاقاته ولغته ونمطه المعرفي والقيمي وأفراده خليط من العناصر الرثة المعدمة كليا والمحرومين والفقراء وممتهني الأنشطة غير الرسمية والمستخدمين ذوي الأجور المنخفضة، العاطلين عن العمل المتسولين، ساكني الأحياء المتخلفة، الأحداث المتشردين، وكل من يلتقط رزقهم من قلب علاقات الشارع القذرة¹.

وأمام هذا الوضع المتمسم برواج ثقافة اليأس والقنوط وانعدام الأمل في إيجاد حلول كفيلة بتغيير أوضاعهم نحو الأفضل، يصبح الوضع مهياً لهذه الجماعات لتشكيل كتل ثقافي فرعي معارض للثقافة العامة السائدة في المجتمع، تجيز وتشجع أفرادها على أتباع أساليب غير شرعية في سبيل تحقيق أهدافها كاللجوء للسرقة والنهب والاختلاس والاعتداء على الأملاك العامة والخاصة، والخطف مع طلب الفدية والمتاجرة في الممنوعات كالمخدرات والأشياء المسروقة، ومع مرور الوقت تتجذر هذه الثقافة الإجرامية ويعمل أفرادها على توريثها إلى الأجيال التي تليها وهذا ما ذهب إليه الباحثان "كليفورد شو وهنري ماكاي"، عندما صاغا نظريتهما حول الانتقال الثقافي للإجرام حيث أكدا على أن المناطق التي تعاني من عوز اقتصادي وفقير مدقع على نطاق واسع بين أفرادها ينتقل الإجرام فيها ثقافيا من جماعة لآخري ومن جيل لآخر بحيث تحافظ معدلات الجريمة على مستوياتها، ويتم الانتقال من خلال عمليات ثقافية عن طريق الاتصال الشخصي بين الأفراد وبين الجماعات سواء، بل ويصبح الإجرام تقليدا اجتماعيا بالنسبة إلى عدد كبير من المجرمين، فالمجرم الذي يعيش في هذه المناطق يجد نفسه سويا ومتوافقا اجتماعيا مع الجماعات التي يعيش بينها، كما أن هؤلاء لا يستتكرون سلوكه الإجرامي ولا يستهجنون أفعاله لأن مثل هذه الجماعات تتوقع منه هذا السلوك².

¹ إسماعيل قيرة، أي مستقبل للفقراء في البلدان العربية، مرجع سابق، ص 79

² عدنان الدوري، جناح الأحداث، الكتاب الأول، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1985، ص 212

ويري الكثير من الباحثين أن الحرمان الاجتماعي سواء كان على مستوى الأفراد أو الجماعات سمت هذه الأحياء، ويولد سلوكيات إنحرافية عنيفة ويظهر خصوصا لدى الفئات التي تعاني الفقر وقلة الموارد، ويكون نتيجة لعدم المساواة والعدالة داخل المجتمع، ويؤكد أصحاب هذه النظرية أن معدلاته ترتفع في البيئات المهمشة التي تنشأ في ضواحي المدن الحضرية، وتصبح مع مرور الوقت أحياء كبيرة عشوائية تفتقر لكثير من الاحتياجات مقارنة بالمدينة فتلبي هذه الطلبات بالاحتجاج أو العنف والانحراف.

ويضاف لهذا التوزيع الغير عادل للثروات فترتفع معدلات العنف والانحراف والجريمة في المجتمعات التي لا تأخذ بقانون المساواة في توزيع الثروات المحلية لأبناء الوطن الواحد، ففي ظل غياب التقاسم الصحيح والعدل للثروة يحصل تفاوت كبير بين الدخل إضافة لارتفاع معدل البطالة وبالتالي ارتفاع مستوى الفقر إضافة إلى وجود علاقة متبادلة بين ارتفاع مستويات جرائم الانحراف والجريمة، ومنه لما يعجز المجتمع عن تلبية حاجات الشباب يدفع بهم لضغوطات تكون نتيجتها¹:

- يعيشوا داخل مجتمع رافضين له ومحاولين الانتقام منه واستنزافه من خلال التحول لممارسة السلوكات المنحرفة والإجرامية
- يعمل على انتهاج ثقافة الانزواء والانسحاب من الحياة الاجتماعية حيث يعيش الشباب فاقد للإحساس بالانتماء ويرصد جماعات هروبية للإشباع البديل وقد تستغله في حركة مضادة للمجتمع مثل الجماعات الإرهابية.

يضاف إلى ذلك حاجة الشباب إلى العدل والمساواة في المجتمع ويشار بذلك إلى الحقوق والواجبات تجاه مؤسسات الدولة التي يرتبط بها الشباب ارتباطا عضويا في دراسته ونشاطه وقضاء حاجاته الإدارية يضاف إلى ذلك ما يشاهده في الواقع من انتشار الآفات الاجتماعية ولا يمكن أن يحرك ساكنا، ومن أجل التعرف على الحاجات نجد دراسة ميدانية "لمحمد بومخلوف وآخرون" بعنوان الشباب الجزائري واقع وتحديات، توجهت بالسؤال لعينة من الشباب الجزائري (1475 شاب وفتاه) ليؤشر على المشكلات التي يراها تؤثر أكثر من غيرها على حياته اليومية، وخلصت نتائجها إلى أن: معاناة الشباب في حياته اليومية وهي مرتبة حسب درجة الأهمية بالنسبة إلى حياته الشخصية، وتأتي مظاهر الظلم المعبر عنها (بالحقرة)

¹ علي ليلي، العالم الثالث قضايا ومشكلات، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1985، ص ص 592 - 593

وعبروا عن تعرضهم للظلم في الشارع الذي أصبح مجال لبروز الأقوى بسبب الفراغ الرهيب من الحماية، ويضاف لهذا عدم المساواة في المجتمع وعدم احترام القوانين¹.

و يرى " دارندورف" أن نمو المجتمعات التي عرفت المدينة حديثا يتوافق طرديا وزيادة الجماعات الهامشية، وعادة تعي الجماعات هذه مصالحها فيدفعها إلى فعل جماعي غايته إثارة الاهتمام المشترك. والعقبات الوحيدة التي يمكنها اعتراض هذا الفعل هي من التأخر المحتمل في ظهور وعي المصلحة المشتركة، ومن المقاومة الصادرة عن مصالح جماعات أخرى مختلفة أو متناقضة، وبما أن مزيد من النزاع المزمع ينشأ عن تطور الجماعات الممارسة للعنف المنظم كما ينشأ حد متبادل لنفوذها، إذ أن نفوذ كل جماعة يوقف نفوذ الجماعة الأخرى.

ومن جهته يرى " ميرتون " أن الصراع المفضي إلى العنف في المدينة يتمثل في أفعال التباين أو التناقض بين ما هو موجود في المجتمع، وبين ما ترغب مجموعة هامة في هذا المجتمع بصورة جدية أن يكون عليه وأن هذا التناقض يتأثر على طريقتين أما برفع المستويات التي تكون لها فاعلية وعمومية في المجتمع، أو باستمرار إيجاد ذات الظروف الاجتماعية التي تؤدي إلى زيادة حدة الصراع المفضي إلى عنف أكثر حدة².

كما أن علماء النفس الاجتماعي يرون بأن الناس عادة ما ينشأ بينهم الولاء تجاه جماعاتهم والإحساس بالافتخار بها وهو إحساس بان جماعاتهم هي أفضل في بعض النواحي من الجماعات المقارنة التي يرتبطون بها وسوءا كانت هذه المشاعر مبررة أم لا، فإن أعضاء الجماعة يتأثرون بها، ويوحد الولاء للجماعة في حالات معينة ويبقى على قيام الأعضاء بالإنجازات الكبيرة، ولكن حيث أن الافتخار بالجماعة غالبا ما يتدعم بالمقارنة السلبية مع الجماعات المشابهة فإنه يصبح مصدرا ممكنا للنزاع والصراع، وكلما اتصلت الجماعات بعضها ببعض وفي الواقع فإن الكثير من الصراع الذي نلاحظه بين شلل الأحياء والجماعات الدينية والأمم يقوم على المشاعر المبالغ فيها بالافتخار بالجماعة.

أن أحلام الشباب اليوم مرتبطة بمجيء يوم يتمتع فيه بالكرامة والحرية، ويتصالح مع أهل وطنه ومن يتولون المسؤولية فيه، فيكفي ما عانوه من تهمة حقيقي وبطالة، وإلى جانب التهميش المجتمعي

¹ محمد بومخلوف وآخرون، الشباب الجزائري واقع وتحديات، ط1، مطبعة الملكية، مخبر الارغونوما، جامعة الجزائر 2، 2012، ص ص 294-295

² علي السموك، إشكالية العنف في المجتمع الجزائري من أجل مقارنة سوسولوجية، مخبر التربية الانحراف والجريمة في المجتمع، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006، ص ص 206 - 207

فالشباب يعاني حاليا نوعا من التهميش الوظيفي، ففكرة الاستعانة بشباب لإدارة أي مؤسسة لاتزال مستبعدة وغير مطروحة بشكل جاد في بلادنا، رغم المناداة بإدماج الكوادر الشابة في المواقع الإدارية، طالما يتحقق لها شرط الكفاءة وحسن الأداء، والاعتراب الاجتماعي، أحد أخطر المشاكل التي تواجهه، بل إنه شعور أصبح ملازما لدى الكثير منهم الشباب حاليا، نتيجة لارتباطه بمتغيرات وإفرازات عدة فيه، ولا تزال، فالبطالة تلاحقه في كل مكان وهو عاجز عن توفير لقمة العيش والمسكن كي يتزوج، وجميعها أسباب كافية لزيادة الشعور بالاعتراب، فهناك شباب كثر إذا سألتهم حول ما إذا كانوا يزاولون أي وظيفة سواء مدفوعة الأجر أو غير ذلك لأجابوا بالنفي.. وهو أمر متوقع.

وحتى من يعمل فهو غير راض عن الأجر الذي يتقاضاه لقلته وتواضعه، رغم تمتعه بالمهارات المطلوبة لمزاولة مهن عدة، وتتسبب قلة فرص العمل في عدم استغلال الشباب طاقاته وإبداعاته بما يحقق طموحاته، وذلك ما يولد لديه شعورا باليأس ويدفعه للبحث عن تدابير يائسة أقلها محاولة الوصول إلى شواطئ أوروبا في قوارب الخطر.

ثالثا: الوسط الحضري العشوائي واحتواء مجموعات الشباب

1.ثقافة الشباب (الثقافة الفرعية) والممارسات السلوكية في الحي العشوائي: من خلال الدراسة الميدانية أبانت أن ثقافة الشباب الجزائري في العشوائيات الحضرية تتلخص في مجمل سلوكياتهم اليومية وبالخصوص المنحرفين منهم، ونجدهم يتفوقون في جماعات غالبا على شكل حمائية لبعضهم البعض وحتى الإناث اغلبهم يتبادلن الزيارات بين بعضهم البعض حتى أنهن يتحدثن عن بعض المشاكل تحصل لهن مع بعض وحتى السكن والتسول أو التشرذم يكن مع بعض، ويخبرنا أحد المبحوثين الحالة (رقم 06 السن 34) "أنه يفضل الانعزال وعدم مخالطة الشباب الذين تتلخص سلوكياتهم في معاكسة الفتيات وسماع الأغاني والحديث عن التخطيط لبعض السرقات أو الاحتيال على الناس."

ويحدثنا مبحوث الحالة (رقم 01 السن 27 السرقة، الشجار والاعتداءات) "أن العيش في هذا الحي يحتم عليك أنت وأصدقائك سواء ممن دخل السجن أولا أن يتخذوا أساليب دفاعية عن أنفسهم منها العدائية وممارسة العنف ضد المجتمع، لأنهم حسبه يرونه الشرير وفي نفس الوقت ينظرون له نظرة احتقار وأنه ناقص تربية، لذلك مواجهتهم بالوقاحة هي لي تنفع مع هذا البشر ولو تضعف قدامهم يأكلونك."

ويخبرنا أحد الخبراء الاجتماعيين وهو شيخ مسن من تجمع عين الطريق ومن السكان الحي الأوائل أن الحي تغير كثيرا وهو يشعر بالضيق فيه وأصبح تقريبا لا يعرف مجمل الناس، هذا لكونه يري تصرفات وسلوكات يومية للشباب غريبة حسيبه عن عادات وتقاليد تربي عليها، منها اتخاذ الشباب لنمط وثقافة السب واشتم والكلام البذيء حسيبه في المقاهي في الشارع في السوق، حتى وهو جالس على كرسي أمام بيته ويمر مجموعة شباب عليه يقول استحي مما يتلفظون به فأضطر للدخول لكون أبنائي يسمعون أيضا هذا الكلام لأنهم يعملون في محلات تحت منزلهم، يضيف لا أدري من أين هذه الثقافة لديهم، كما يقول لباسهم غريب قصات شعرهم، جلوسهم وغيرها من التصرفات التي توحى حسيبه أنهم في غير وعيهم ويقول الله غالب عليهم.

تقرأ هذه السلوكات أنه مع امتداد الجماعة واتساع نطاقها أو حدوث خلل في بنائها نتيجة التأكيد على الأهداف مع غياب التوزيع العادل لفرص تحقيقها، تضطر بعض الفئات إلى إعادة صياغة إطار ثقافي محدود يتوافق مع حجم الفرص المتاحة لها، وقد تصيب هذه الفئات أهدافا تكميلية أو حتى مخالفة للأهداف الثقافية للأهداف الثقافية العامة، وتسمى هذه الأطر الثقافية الجديدة بالثقافات الفرعية، وينظر المجتمع العام لهذه الثقافات باعتبارها مخالفة أو منتهضة للثقافة العامة بالتالي تتبلور كثقافة فرعية جانحة، وتحتوي على وسائل لغرس وتدعيم وتوجيه السلوكيات الخاصة بأبنائها بشكل يتوافق مع ويستجيب لهذا الإطار الثقافي المحدد، وتصبح ممارسات الأفراد التي قد ينظر إليها المجتمع عموما باعتبارها ممارسات جانحة أو منحرفة، استجابات طبيعية لثقافتهم الفرعية، وبالتالي لا يمكن فهم أو تفسير أو تعديل هذه الممارسات ما لم يتم فهم الكل الثقافي الفرعي لأصحاب هذه الممارسات، ويتميز البناء الثقافي للعصابات المنحرفة التي درسها "ميلر" بعدد من الخواص تتمثل في الإزعاج وإثارة المتاعب والخشونة والدهاء والمكر والإثارة والقدرية والاستقلالية¹.

وتعد دراسة " إميل دوركايم " عن الانتحار كظاهرة باثولوجية وجلاء حخته في ربطها بالأسباب الثقافية كاللامعيارية والاعتراب وكانت رافدا هاما في الاهتمام بالجانب الثقافي في تفسير السلوك الانحرافي، أما " روبرت ميرتون " فيرجع إليه الفضل في تحليل البناء الثقافي في المجتمع الأمريكي الذي وضع فواصل مهمة بين الأهداف الثقافية والوسائل النظامية لانجازها وترجع حسيبه الزيادة في كم الجرائم

¹ فهد بن سليمان القرطون، الثقافة الفرعية للوافدين ودورها في ارتكابهم للجريمة في المجتمع السعودي، دراسة مسحية على الوافدين المودعين في سجون منطقة القصيم، أطروحة دكتوراه الفلسفة في العلوم الأمنية، قسم الدراسات الأمنية، كلية العدالة الجنائية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2010، ص ص 34 - 35

إلى التغيير الاجتماعي والثقافي التي يمر بها المجتمع في اتجاهه نحو المدينة والتحضر حيث يلاحظ وجود أربع مراحل متميزة لهذا التغيير وهي¹:

- مرحلة الثقافة القبلية يكاد يكون الانحراف معدوماً فعوامل الضبط الأسري والاجتماعي وخضوع الفرد كاملاً للعرف وتقاليد تحول دون الانحراف .

- مرحلة تبدأ تنشأ فيها متلازمة التحديث وبالضرورة مرحلة التحضر، حيث تظهر بعض أنواع السلوك المنحرف بين الشباب والأحداث خصوصاً لم تكن معروفة من قبل نتيجة الهجرة إلى المدن، حيث تؤدي لاقتلاع الجذور الثقافية والاجتماعية والقيمية التي كانت ترتبط الفرد بمجتمعه الأصلي، مع الاختلاط واختلاف المعايير وانعدام وسائل الضبط الضاغطة على السلوك المنحرف لدى الأفراد والأسر مما ينجم عنه المزيد من التفكك وانفراط العلاقات الاجتماعية وبالتالي يؤدي ذلك لارتكاب الجرائم.

- في هذه المرحلة حيث يعمل كل من التعليم والأمن والاقتصاد والخدمات الاجتماعية على تكييف سلوك الشباب والأحداث وإخضاعهم للقيم الجديدة للمجتمع التي تفرضها التشريعات والقوانين.

- المرحلة الأخيرة حيث المدن الكبرى وهي معقدة ويتدخل فيها العديد من العوامل منها ارتفاع مستوى الاحتياجات الإنسانية المتطلع إليها، ازدياد القلق النفسي بين الشباب وتوفر سبل ووسائل الاتصال الكبرى بين شتي الدول الأمر الذي يساعد على انتقال أنماط الجريمة والانحراف، وكثرة العوامل الثقافية وصعوبة فهمها.

وتساءل فريق بحث عن الأسباب الاجتماعية الكامنة وراء انتشار السلوك الانحرافي بأشكاله المختلفة والمتنوعة (عنف، سرقة، اعتداء، انحرافات أخلاقية...) ومن خلال النقاش والحوار الذي جري عبر ثلاثة لقاءات تحددت هذه الأسباب حسب رأي الفاعلين التربويين في النقاط الآتية²:

• انتشار ثقافة العنف داخل الأسرة ذاتها سواء كان عنفاً بدنياً أو معنوياً أو لفظياً، أو كان بين الأزواج أو بين الإخوة، ولاسيما إذا كان بين الأزواج وعلى مسمع ومرأى الأبناء، ويمكن الإشارة هنا إلى أن هذا السلوك قد يأتي عن غير وعي، وقد يحدث حتى عند الواعين بخطورته، لكن

¹ نفس المرجع ، ص 32

² محمد بومخلوف وآخرون، ضغوط الحياة الحضرية وانعكاساتها على التربية الأسرية، دراسة ميدانية في مدينة الجزائر، مجلة مخبر الوقاية والارغنونيا، جامعة الجزائر، العدد 01، 2007، ص 91

- تحتمه ظروف السكن مثلا عندما لا يوجد مجال للابتعاد عن أنظار الأبناء، كما أن ضيق المجال السكني يعتبر بيئة مناسبة لحدوث التوتر الداخلي الذي ينتهي إلى العنف مهما اختلف شكله ولونه.
 - ثقافة العنف في الشارع، وهو سيادة قانون الأقوى بين الجماعات المنتشرة في أرجائه، وهذا يعبر عن الفراغ الذي يعاني منه هذا الوسط من أجهزة الدولة المكلفة بفرض احترام النظام العام في المجتمع، وهم يشيرون بذلك إلى جهاز الأمن وجهاز العدالة في إحقاق الحقوق وممارسة الردع عندما يتطلب الأمر ذلك.
 - سياسة اللاعقاب والالردع، كما ذهب إلى ذلك أحد الفاعلين بقوله: إن سياسة اللاعقاب المتبعة في المجتمع تشجع التمادي في الانحراف.
 - انتشار ثقافة أخذ الحق باليد، المعروف بالنأر بعيدا عن أي سلطة رسمية، وهذا السلوك في الواقع هو من رواسب المجتمعات الريفية - البدوية، التي تعيش مرحلة ما قبل ظهور مؤسسات الضبط الحديثة.
 - انحصار دور الدين في أداء الشعائر والطقوس الدينية، وغياب بعده السلوكي الذي يترجم الإيمان إلى الفعل.
 - غياب مبدأ أو فكرة الحلال والحرام كمعيار اجتماعي يوجه سلوك الأفراد في المجتمع، الذي أدى إلى انتشار ثقافة السرقة بين الكبار، والاعتناء بلا عمل وبطريقة غير مشروعة، خاصة إذا صدر ذلك ممن يمثلون القانون في المجتمع.
 - الفراغ الذي يعاني الذي يعاني منه بعض الأبناء والي يجعلهم يبحثون عن الانتماء وتحقيق الذات، الأمر الذي قد يوقعهم في أحضان جماعات الشر، فالفرد الذي لا يجد الدفاء في الأسرة ويفتقده في المدرسة فإنه سوف يبحث عنه لدى غيرهما من الجماعات التي لا يعي أخطارها.
- هناك اعتقاد سائد لدى عموم شباب مجتمعات هذا العصر بأنهم مقصيون ومهمشون، لا احد يتكلم معهم لغة مباشرة واضحة وصريحة، لا أحد أيضا يريد أن يفهم خطابهم ومواقفهم وسلوكياتهم، كل ذلك يتم تأويله تأويلا خاطئا أو جانبا لما يسعون إلى تحقيقه، وليس هناك في اعتقادهم من يساعدهم على بناء أو التخطيط للمستقبل، أو يعمل إلى جانبهم من أجل إثبات ذاتهم والتعبير عن طموحاتهم وأفكارهم، وهناك عراقيل كثيرة وحواجز منيعة تكبل تحررهم وممارسة حرياتهم، بالتالي يريدون ألا يحسوا بكونهم مهملون ولا أحد يهتم بهم، ولديهم رغبة في أخذ أمورهم بأيديهم وأن يكون القرار قراهم أو على الأقل مشتركون في صنعه، ويمكن اعتبار الشباب ثقافة فرعية لأنهم يناضلون من أجل ترسيخ هوياتهم وإثبات تميزهم عن

الكبار، لأنهم يريدون القول للكبار: لكم ثقافتكم ولنا ثقافتنا، لكم فهمكم الخاص للمجتمع، ولنا فهمنا الخاص بقضايا عصرنا، إن مشاكلنا تختلف عن مشاكلكم وطموحاتنا مغايرة لطموحاتكم، اعترفتم بذلك أم لا، أقررتم بذلك أم لا.

2. **جماعة الأصدقاء والمشاركة في الجذب لسلوكيات الانحرافية:** تعتبر علاقات الصداقة والصحة عاملا مهما في توجيه سلوك الشباب لدي بعضهم البعض سواء في الحي أو الجيرة أو العمل أو ممارسة الهويات وغيرها، كذلك مهمة وهي عنصر مآثر في الجذب والتوريط في السلوك الانحرافي والتسلل لعالم الجريمة، ذلك أن الجماعة تمتاز بالقوة والتماسك فيكون الفرد منقادا لأوامرها وأحكامها وبمجرد أن ترتكب أول عمل يتنافي وقيم المجتمع ومعاييرها الاجتماعية فإنها تفقد مقومات الضبط الذي كانت تشعر به في بداية تكوينها، ويلاحظ أن أثر جماعة الرفاق يتمثل غالبا في تهيئة الجو الملائم للشباب أين يشعر بالحرية والانطلاق والاحتواء خاصة إذا كان كل المحيط سواء الأسرة أو الحي أو مجال العمل أو الدراسة مشحون بالضغوط انفعالية تحرم الشاب من التمتع بممارسة رغباته فبتالي الانضمام للرفاق والمجموعة الأصدقاء هو الملاذ الوحيد.

واتفق علماء الاجتماع أن جماعات الأصدقاء تتميز بنمط العلاقات الاجتماعية الأكثر تعقيدا من علاقات القرابة وعلاقات الزمالة والجوار، فالفرد له كل الاختيارات المستقلة عن جماعات العمل والقرابة والجيرة في تحديد جماعات أصدقائه، وقد استوعبت النظرية الحضرية عددا من المواقف المتباينة لعلاقات الصداقة في المدينة، بحيث هناك من يؤكد زوال علاقات المودة الخالية من المصلحة والمنفعة الذاتية، كما أن الفرد الحضري رغم ما يقوم بينه وبين الآخرين من معاملات واحتكاك مستمر وغير منقطع، إلا أنه نادرا ما يتفاعل معهم على مستوى شخصي ليجد نفسه في النهاية وحيدا بلا أصدقاء.

وفي الجانب المقابل هناك من يرى أن جماعات الأصدقاء في المدينة شأنها شأن الجماعات الأولية الأخرى، بل ربما تسودها علاقات المحبة والروابط الشخصية، لأنها تنبثق عن ثقافات فرعية متميزة ومتجانسة، ولأن فرصة الاختيار في مجالها أكثر اتساعا ووفرة.

إضافة إلى ذلك هناك من يعتبر الصداقات التي تنشأ بين ساكني المدينة لها دور بالنسبة للدعم المادي والمعنوي المتبادل بينهم، غير أن ذلك لا يعني أن الصداقة في المدينة لم تتأثر بالحضرية، حيث تختلف طبيعة وأشكال الصداقات في الحضر عنه في الريف، خاصة بعدما انتشرت شبكات التواصل الاجتماعي والمنتديات الالكترونية ووسائل الإعلام الجديد في المجال الحضري، وأتاحت فرص كثيرة لتكوين جماعات الأصدقاء، فالملاحظ أن جماعة الأصدقاء في المجتمع الحضري أكثر تشتتا واتساعا من

الناحية الجغرافية والمجالية، كما أن تغير مفهوم محلية المجتمع الحضري وفقدانه لارتباطه بالقيم والمعايير والنظم الاجتماعية المتجانسة، أتاح الفرصة لتغير مفهوم الصداقات والتي تجاوزت حدود الجوار المكاني أو القرابي، وهذا يعني أن السياق الاجتماعي والعاطفي الذي تنمو فيه العلاقات الاجتماعية، أو تدعيمها تكون أكثر اتساعا وتنوعا في المناطق الحضرية، ومن ثم فمن المتوقع أن تعكس جماعة الأصدقاء هذا التنوع بدرجة ملحوظة¹.

ويوضح جل الباحثين أن دخولهم عالم الانحراف والجريمة كان دوما بفعل الأصدقاء وخصوصا في مجال السرقة والاعتداء والتعاطي والمتاجرة بالمخدرات أما عند الإناث نفس الفكرة في التسول والدعارة وتعاطي المخدرات، ويخبرنا أحد الباحثين الحالة (رقم 04 السن 28) "أنه كان يعرف صديق مثل الأخ له ويعرفه منذ الصغر يقول بدأنا نتكيفوا مع بعض ثم زطلنا الكيف مع بعض لكن أنا دخلت الحبس وهو لا أنه هو من باعني للدولة وعقبت بسببه عامين سجن وهو بقي حر."

مبحوث الحالة (رقم 10 السن 25) يقول: "أصدقائي معي دوما في الملعب لأنه من رواد الملاعب يقول أنا إنسان مقلق ومنترفز بسرعة وأنا من يأخذ حق أصدقائي في أي شجار وهم يساعدونني في احتياجاتي للمخدرات، يضيف أصدقائي مثلي تقريبا جلهم في السجن القلة القليلة خارجه نفعل نفس الأشياء لذلك نتفق دوما، نحتفل ببعضنا عند الخروج وقد نعاود الدخول بعد شهر أو شهرين لا تدري ممكن لسبب بينا في جلسات الخمر أو عدم التفاهم على توزيع الأموال من السرقات."

مبحوث الحالة (رقم 20 السن 22) يقول: "أنا لا أتكلم مع احد في المنزل بسبب خلافاتي معهم لذلك كل شيء افعله مع أصدقائي سواء السهر، القمار، السرقة بيع المخدرات، ويضيف حتى الشجارات والمعارك مع شباب آخرين من نفس الحي أو أحياء أخرى نقوم بها معا ونحن معروفين، ويضيف قمت بإدخال العديد من الفتيات صديقاتي في عالم تعاطي المخدرات خصوصا."

يضيف مبحوث الحالة (رقم 09 السن 33 سبب دخوله السجن الضرب والجرح العمدي) "أنا كنت عايش مرتاح خدام متزوج عندي ولد متفاهم مع دارنا أولاد هذا الحي العفن فسدولي حياتي، دخلت معاهم في تجارة وبعدها غرو بيا في سهرة وبعدها تطورت الأمور لعلاقة بفتاة وبعدها عراك وشجار كنت راح نقتل أو أقتل فيه، وبالفعل كدت أقتل أحدهم وبعدها دخلت سجن لسنوات ولما خرجت وجدت حياتي مدمرة ولم أستطع أن أنظر في وجه الوالدة والوالد وطلقتني زوجتي والآن أعمل في الصحراء بعيد

¹هدفي سامية، مرجع سابق، ص 180

حتى لا أتذكر هذا الحي أو من يعيش فيه... ذكريات السجن مؤلمة، يضيف أنا غبي لعبوها بيا وراحت حياتي."

مبحوثة الحالة (رقم 12 السن 21) تقول: " أنا لم أكن أعاني مع عائلتي من المشاكل الكثيرة لكن بسبب كثرة الصديقات والأصدقاء وإدماني على المخدرات وتغير سلوكاتي وإفراطي في الشرب وتناول المخدرات والسهر والرجوع متأخرة للمنزل، ساءت علاقتي بهم وتسببت بدخول والدتي في عديد المرات للمستشفى بسبب المشاكل العائلية وملاحظات وتدخلات الجيران وتقول لليوم لم أستطع الابتعاد عنهم مهما حاولت، التعود على الجو معهم صعب الخروج منه."

مبحوثتان تمتهنان الدعارة تقول إذا لم يكن لدينا علاقات لا يمكنني العمل أو الحصول على زبائن أو أرقام هواتف لا بد من المخالطة والتعرف سواء على الأصدقاء أو أي كان لأعمل.

يخبرنا في هذا المحور بالذات مخبر إجتماعي صاحب محل لبيع المواد الغذائية حي شوف لكداد أن جماعات الشباب معروفة في الأحياء والشباب المنحرفين وأصحاب السوابق يجرون بعضهم البعض للهلاك، ويضيف أنه من الصعب في الوقت الحالي مراقبة الأبناء بدرجة كلية لكون الاتصال في الشارع أو المدرسة أو العمل يتيح ذلك ومع تطور وسائل الاتصال لا تدري حتى تجد ابنك متورط في شيء لا يخطر على بالك.

إن ارتباط الحياة الاجتماعية والصدقة أمران مهمان في حياة الفرد النفسية لتأثرها الكبير عليه في المستقبل وعلى سلوكياته ومعرفة تاريخه الاجتماعي، لكون الكثير من القضايا الجنائية التي تعلن عنها الجهات المعنية نجد أن أصدقاء السوء هم السبب الرئيسي والمباشر في تورط الجاني في ارتكاب هذه القضايا، فصديق السوء دائما يسحب أصدقاءه إلى التهلكة والانحراف السلوكي وسقوطه في هاوية الإدمان وتعاطي المخدرات التي غررت بحياة الكثير من الشباب أو قد ينساق الابن وراء ارتكاب أفعال إجرامية، أو يشارك في مشاجرات ومشاحنات وتجمعات سوء وغير ذلك من الأفعال المخالفة التي يقف وراء اغلبها رفاق السوء.

وحسب دراسة ل " فريشات" و" لي بلون " وجدوا أن الشباب يتأثر بجماعة الرفاق المنحرفين على المدى القصير حتى تقبله الجماعة ودون أن يكون بالضرورة منقبلاً للنشاط المنحرف أو الإجرامي المطلوب منه، أما على المدى المتوسط والطويل تأثير جماعة الرفاق على الشباب متى كان هو متقبلاً لها،

أي يصبح هناك قبول متبادل على الشباب هنا أن يرغب في التشبه بالآخرين وعلى الجماعة أن تقبله بكل ما فيه¹.

وعليه يصبح الانحراف والإجرام بصحبة جماعة الرفاق له إيجابيات ومزايا فالجماعة تمنح الشاب تعلمًا نفسيًا وتقنيًا يساعده على الشهرة وريح أوفر للمال ويقصد بالتعلم النفسي هو التحضير المعنوي الضروري لاقتراف فعل انحرافي، فجماعة الرفاق تساعد الشاب على التغلب على المخاوف وتفادي مشاعر الذنب الناتجة عن مخالفة القانون، كما يأخذ الشاب من جماعة رفاقه الشجاعة للمرور للفعل، وتساعد جماعة الرفاق على تبرير السلوكات المنحرفة، كما يموه الشعور بالذنب لأن المسؤولية جماعية وليست فردية، أما التعلم التقني فيقصد به تعلم أسرار وخفايا عمل المنحرفين الآخرين الأكثر تجربة وخبرة، وبواسطة هذان التعلمان يصبح الانحراف مع الجماعة أكثر فائدة فتزداد اللذة لأن أفراد الجماعة يتقاسمونها معه، وتعظم الشهرة لأن أفراد الجماعة يتبادلون الحديث فيما بينهم عن حسن الأداء والقوة والشجاعة التي يبديها الشاب أثناء القيام بالأفعال المنحرفة².

وأثبتت الدراسات أن جماعة الأصدقاء من المؤثرات الخارجية والظروف التي تتيح لأفرادها المخالطة والانتماء، وهو يسهم في تزويد الفرد ببعض القيم والمواقف والعادات التي يتضمنها الإطار الحضاري العام الذي يميز المنطقة الاجتماعية، ويسهم بذلك في تكوين السلوك الجانح أو في تطويره ومن ثم زيادة معدلات الجريمة، فشخصية الفرد تتكون من خلال حيه الذي يسكنه، ومن خلال منظورين متكاملين الأول: هو دور الفرد في الحي الذي يعيش فيه، والثاني: هو مكانة هذا الحي عن بقية الأحياء الأخرى، والدور الذي يلعبه المجتمع، فالحي السوي المتوافق في قيمه مع قيم المجتمع الكبير يكون مثاليًا ويهيئ للفرد دورًا يكسبه الشعور بالاحترام والانقياد التام للقوانين وإلا فإنه يكون مصدرًا للاتجاهات الخاطئة، ويفشل في توجيه قيم الأفراد ويقودهم للانحراف بمختلف الوسائل فمثلا الحي يقدم للشارق فرصة ممكنة لتسريب مسروقاته، كما أن افتقار الحي للأمكنة الملائمة لشغل أوقات الفراغ يدفع الشباب نحو الأماكن المجانية والمعزولة وتكون في الغالب مركزًا للإجرام يديره مؤسسو مناطق الإجرام، وفي

¹ مزوز بروكو، مرجع سابق، ص 142

² نفس المرجع، 142

هذا الصدد عرف " كليفورد شو " مناطق الإجرام بالأحياء التي تحيط بمناطق السكك الحديدية والمرافئ والمصانع وأطراف المدن، حيث الفقر والازدحام وعدم الاستقرار¹.

وتشكل جماعة الأصدقاء بديلا عن جماعة الأسرة التي يشعر من خلالها بذاتيته حيث يتعلم الشاب من خلالها قيما وأنماطا سلوكية لم يعدها في أسرته، ومن ثم يجد في ذلك فرصته الأولى لعقد علاقات اجتماعية جديدة تختلف عن تلك التي سبق وعدها داخل الأسرة فمثلا يتعلم الشاب معني السلطة، ولكن هذه السلطة تختلف عن سلطة الأبوين مما ينشئ لديه النزعة الأولى لتحدي سلطة المنزل، مستمدا قوته لذلك من صحبة مؤسسته الجديدة ومن هنا حسب قول "رابسمان " تظهر خطورة رفاق السوء أي المنحرفين الذي يعقد معهم صداقات متنوعة ويتعلم الانحراف، حيث تدفع الصحبة السيئة السلوك الغير سوي عن طريق الحث والإيحاء والتقليد وربما عن طريق التهديد والوعيد، وقد تتحول الصحبة إلى عصابة إجرامية ناهيك عن تقليد الآخرين في التدخين والخمور والمخدرات والتمرد والعصيان، مما يلجئون معه إلى السرقة وأساليب الغش والاحتيال التي قد تصل إلى القتل في حالة المواجهة².

رابعا: الصدمات مع رجال الأمن والعلاقة مع المدينة المركز

1. موقف الشباب من احتكاكه بالمؤسسات الرسمية والأمنية: إن التغيرات المورفولوجية التي عرفتھا المدن الجزائرية خلال السنوات الأخيرة انعكست تلقائيا على الجوانب الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية، حيث أصبحت تضم مجتمعا غير متجانس، وأصبحت تعاني من مشكلات سكانية متراكمة خصوصا منها الأمنية ونخص بالذكر هنا الجيوب العشوائية المطروحة مشاكلها في كل مرة وفي أغلب الدراسات أنها حاضرات الانحراف والإجرام، وبالعودة للدراسة الميدانية نجد أن الأحياء الثلاث شوف لكداد، فرماتو، عين الطريق هي تجمعات تابعة إقليميا للدرك الوطني وليست للأمن الوطني، وتعتبر تحديات أمنية لصعوبة التحكم في أوضاعها وذلك للطبيعة العمرانية أولا وثانيا لكثرة حركة السكان وأيضا لوجود فراغات مجالية توفر الأماكن الخصبة للسلوكات الانحرافية خصوصا عند الشباب، وواضح أن هذه التجمعات موجودة فيها فقط فروع بلدية وبعض الخدمات الأساسية، وشباب محل الدارسة - حالات - أو السكان يعتبرون أن أحيائهم على الهامش في الاحتياجات الإدارية وأغلبهم لا علاقة له بهم إلا في استخراج الوثائق الضرورية.

¹ سعيد علي الحسنية، دور القيم الاجتماعية في الوقاية من الجريمة، دراسة مسحية وصفية على طلبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ونزلاء إصلاحية الحائر، مذكرة للحصول على درجة ماجستير في العلوم الاجتماعية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، 2005، ص 38

² سعيد علي الحسنية، مرجع سابق، ص 39

وعن وضعية الشباب ونظرتهم لهذا التواجد الرسمي والأمني يقول مبحوث الحالة (رقم 02 سنة 28): " أنه يواجه مشاكل متعددة مع عائلته وذلك بسبب تعدد دخوله للسجن إضافة للضييق المسكن العائلي وفكر في الاستقرار منفردا وقام ببناء بيت فوضوي، لكن أحد أفراد الحي الذي يسكنه بينهما خلافات وبمصطلحه (رونكيل) بمعنى ليس متفق معه قام بتبليغ المصالح الرسمية وعند حضورهم لتهديم بيته قال كنت(مزنقل) في حالة اللاوعي بسبب تناول جرعة مفرطة للأقراص المهلوسة حوالي 05 حبات فحصلت مشادات معهم ويقول قمت بالتعري أمام السلطات الأمنية والمدنية."

في حين يخبرنا المبحوث الحالة (رقم 03 سنة 32) "أنه تحصل له العديد من المشاكل مع المصالح الرسمية خصوصا أثناء البحث عنه بعد التبليغ على الانحرافات والجرائم وفي بعض الأحيان يكون لا دخل له فيها، وانه موضع شك لأي جرائم تحصل في الحي."

ويذكر مبحوث الحالة (رقم 06 سنة 34)" حصلت لي مشاكل مع الجيران بسبب نزاع على قطعة أرض وتدخلت مصالح الدرك الوطني فقامت بضرب دركي ويقول منذ هذه الحادثة توالى بعدها مشاكل وتكرر بعدها دخولي للسجن."

ويتحدث بقية المبحوثين أن علاقتهم بالمؤسسات الأمنية كانت مرتبطة بإجراءات الضبط والإحضار نتيجة الانحرافات والجرائم التي قاموا بها، وكذا العلاقة بالمؤسسة العقابية أكثر وعن صعوبة الفترة داخل السجن والمعاناة فيها، وتقول مبحوثة الحالة (رقم 07 سنة 23 الهروب من المنزل، التشرذم أم عازبة، التسول) " متشردة أنها كانت تحتمي بأفراد الشرطة أثناء مبيتها في الشارع من المتحرشين وتقول المكان آمن بوجودهم."

ويعبر غياب الأمن في المناطق العشوائية الظواهر بغياب خطط استراتيجيات أمنية تحتوي الظواهر الاجتماعية بها، والتي ويشعر السكان في هذه الأحياء بعدم وجود الأمان الذي يخلق نوعا من الصراع في إطار غياب سياسة معقنة تقوم على اعتبار السكن مجرد طوب وإسمنت بقدر ما يمثل الراحة، الأمان، ويكون خاضعا لقيم ومعايير واتجاهات المجتمع تتجسد فيه كل أطر الثقافات الفرعية.

وتبين أن المناطق العشوائية في الجزائر هي مناطق خطرة وقوة اجتماعية ضاغطة في مجتمع المدينة وهذا من خلال العديد من القضايا الاجتماعية والسياسية، حيث تعتبر ورقة رابحة يمكن اتخاذها لأغراض عديدة، وهذا ما تم تجسيده في الفترة الواقعة بين 1985 و 1988 حيث برزت كمناطق عصيان من

طرف سكان المناطق الحضرية العشوائية أمام السلطات المحلية وقواتها الأمنية، ومن ثم انتشرت الظاهرة في العديد من المدن الجزائرية، وهذا بعد أن اكتشفت السلطات العديد من المخالفات التي تمت سرّيا في مجالات الأنشطة الاقتصادية والممارسات الأخلاقية الممنوعة والمخالفات للقانون والعرف والدين¹.

أما أحد الخبراء الاجتماعيين وهو موظف متقاعد يقول أن الشباب في هذه الأحياء يعاني من التهميش خصوصا أولاد الحي الأصليين فهم الأغلبية دون سكن ودون زواج ولم يستفيدوا من سكنات وترحيل أثناء فترة تهديم الفوضى، ويقول أولاد المنطقة لم ينجحوا في الاحتيايل على السلطات في حين البرانية العكس استفادوا، لذلك يقول الدولة تتعامل مع المواطن بمنطق حيرها تعطيك حقا، ويضيف أن أحيائهم تعاني من نقص الأمن وهذه حقيقة واضحة لأنهم يرون مختلف التجاوزات يوميا، ويضيف أنه في حين تري وكثافة سكانية تفوق 2000 ساكن ولا يوجد فيها أمن تعرف أن هذه المشاكل والسرقات والاعتداءات أمور عادية يومية.

إن طبيعة الأحياء العشوائية من الناحية العمرانية والديمغرافية تجعلها مناطق صعبة للتغطية الأمنية بالتالي لا تحظى بالعدد الكافي من الدوريات الأمنية ومن الواضح أن مستوى التواجد الأمني بالمناطق العشوائية ضعيف في معظم أوقات اليوم، ويلاحظ ضعف إجراءات الوقاية من الجرائم الأخلاقية بالعشوائيات، وتجدر الإشارة إلى أن تدني المستوى الأمني بالمناطق العشوائية يعود إلى عدم وجود خطة أمنية فعالة لمكافحة الجريمة في تلك المناطق ، وتتضمن الخطط الأمنية إجراءات وقائية فعالة تسبقها حملات إعلامية وأخرى للتوعية من خلال وسائل الاتصال المتعددة، مع توفير الإمكانيات المادية والبشرية اللازمة لتنفيذ الخطط الأمنية لمكافحة الجريمة في المناطق العشوائية.

2. الشعور بالتمايز الاجتماعي بين الحي العشوائي والمدينة المركز: إن الشعور بالاختلاف الحاصل في الحي السكني وطبيعة المحيط من أهم إفرازات السلوكات والممارسات اليومية لسكانه، ويظهر هذا جليا إما في الاندماج والاستقرار والهدوء أو العكس من ذلك في الفوضى وعدم التوافق الاجتماعي والثقافي ووجود اختلافات ونزاعات وتفكك في الروابط والعلاقات الاجتماعية، ويحصل هذا كثيرا بين المناطق الحضرية والغير حضرية وتترجم هذه الوضعية في تصريح المبحوث (رقم 02 السن 28) " أن نظرة أولاد المدينة لنا نظرة تكبر وهم يحسبوا راوحهم علينا، مبحوثة الحالة (رقم 18 السن 33) " تخبرنا أنها تتعرض للتمييز بمصطلح أنت بنت الفوضوي العاهرة."

¹ أحمد بونزاع، مرجع سابق، ص 169

ويذكر كل المخبرون الاجتماعيين تقريبا للأحياء الثلاث محل الدراسة في هذا الميدان أن هذه النظرة التمييزية لسكان أحياء الضواحي ظهرت في السنوات الأخيرة في فقط ولم تكن مطروحة من قبل، وهذا التمايز ظهر بعد الهجرات الواسعة والكثافة السكانية المتزايدة وتعدد مشارب السكان وجهاتهم واختلاف وتعدد عاداتهم وأنماطهم الثقافية والتعليمية، أما التمييز الأوضح فهو بسبب أن هذه الأحياء تصدر حسبهم الانحراف والجريمة وهي بؤر لها، حتى أن البعض حسبه يخاف أن يزور هذه العشوائيات خصوصا الفوضوية منها من طرف سكان المدينة فأنت من الصعب أن تجد السكن الذي تود الذهاب إليه ويمكن أن تدخل إلى أي بيت آخر أو تمر فترى البيت آخر وما فيه لأن جل الأبواب والنوافذ تطل على بعضها ولا تحترم الخصوصيات مطلقا.

ويخبرنا أحد الخبراء الاجتماعيين وهو متقاعد بأنه ودوما يسمع أن السكان القاطنين بالمناطق العشوائية بأنهم البرانية بمعنى أنهم لا يمتلكون أي من خصائص المدينة وثقافتها خصوصا في الكلام وأيضا نوع اللباس وشكله وأيضا في سلوكياتهم حيث يقول أنهم ينعنون أيضا بالبري، ويقول ما هو شائع اليوم أن مدينة سطيف غزاها القبائل والنوايل حتى في المدينة المركز.

و بالملاحظة الميدانية لاحظنا التمايز داخل الحي العشوائي ذاته بحيث تفصل بينهم فقط الطريق لكن هناك فرق في شكل المنازل ولونها وتصميمها وكذا الممرات والشوارع في اتساعها وتنظيمها وأيضا طبيعة سكانها، فعلي جانب الطريق لليمن(كما هو موضح في الصور المرفقة)هناك سكنات متناثرة وعشوائية وغير منظمة ومصممة وفقا لظروف الصحية والعمرانية وكذا الحضرية ووجود النفايات الصناعية والنفايات اليومية وبعض إسطبلات الحيوانات وكذا وجود الحيوانات ترعى بشكل يومي، وعلى جانب الطريق في اليسار الطريق توجد بنايات منظمة ومصممة وفق مخططات عمرانية وهي أصلا تدخل ضمن تجزئات منازلها منظمة من ناحية الشكل اللون والترتيب وشكل شارع فيه ممر وطريق وغيرها (الصور توضح الوضعية)



صورة رقم 24 و 25 توضح الفرق والتمايز في الحي الواحد تفصل بينهما الطريق في عشوائية شوف لكداد

ومنه تظهر على ذات الشباب القاطن بالأحياء العشوائية وتتحدد بالاختلاف الجذري عن الآخر، اختلاف قد يصل أحياننا إلى الحروب المختلفة مع السياسات الحضرية والناس الراضين لهذه الأحياء الذين يقابلون ساكنيها بنظرة احتقار وفجور وتكالب وشراسة... التي تعبر عن تجسيد لعقالية المفاضلة ومنطق السخرية أو غريزة القوة وإدارة الاستيلاء والتكبر والتعالي والتي تسوغ للفرد أو لمجموعة الأحياء الراقية الاعتقاد من حيث دورهم وموقعهم ومهنتهم يمثلون الصفوة والنخبة والطليلة، وبصورة تبرز لهم التصرف الأعظم والأولى من بقية الناس من حيث الوجود أو من حيث الركامة التي تزين لهم نرجسيتهم بأنهم الأفضل من الساكن وسط هذه الأحياء مصدر الجريمة (الانحراف) والفساد¹.

وينتج عن كل هذا التمايز العزل المكاني حيث يتميز مجتمع المدينة بالدينامكية واللاتجانس، الأمر الذي قد يؤدي إلى عزل واضح ومتميز للجماعات والأنشطة والوظائف، حيث نجد أن مركز المدينة يشمل معظم الوظائف ذات الأهمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية للمجتمع الحضري، مما يجعل القيمة الإيجارية لهذه المنطقة باهظة الثمن، كما أن التنظيم المكاني الذي يتصف عموماً بالعزل، جعل

¹ علي حرب، الأختام الأصولية والشعائر التقديمية، مصائر المشروع الثقافي العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ص

البناء الايكولوجي للمجتمع الحضري يتحكم في تنقلات وحركة السكان، ويتيح لنا تفسير ديناميكية الحراك التنقلي وطبيعة مجتمع المدينة، خاصة أن سكان أي مدينة يميلون إلى صنع طابع اجتماعي وثقافي واقتصادي خاص بهم ويميزهم عن باقي الحضريين في مدن أخرى.

وعند النظر إلى سكان الحضر - حياتهم ومجتمعهم - يجب أن نتذكر دائما أن المهاجرين يتدفقون على المدينة من أماكن لها ثقافتها الخاصة التي قطعت شوطا بعيدا في سبيل الرقي والاكتمال ويحمل هؤلاء المهاجرين الكثير من عناصر تلك الثقافة معهم إلى المدينة دون أن يدروا إلى أي حد سيحاولون رفضها والتخلص منها، فهم يقدمون إلى المدينة مغلفين بغشاء من التراث القبلي الريفي وبأساليب مستقرة في السلوك وفي العمل وأنماط محددة من الولاء والالتزامات والأوضاع الاقتصادية وأنماط الضبط وقنوات الاتصال وهي جميعا أشياء ليس من السهل أن تموت في البيئة الحضرية والواقع أن هذه العادات الاجتماعية تتدعم بشدة من خلال نوع البيئة التي يحتمل أن يهاجر إليها الفرد¹.

وهكذا فإن وضع المهاجر في البيئة الحضرية الجديدة ينطوي على استجابات لثقافته القديمة وعلى صراعات وتوترات مع البيئة الحضرية الجديدة والمختلفة تمام الاختلاف عادة، وكذلك مع الأدوار الجديدة التي يؤديها، ولا يكون على المهاجر أن يعيش جسمانيا فحسب بل عليه كذلك أن يحافظ على كيانه في ظل تلك الظروف الاقتصادية والاجتماعية العربية عليه إلى حد بعيد، ومن المستحيل عليه أن يمزق أو اصره بسهولة ببيئته القديمة، ونجده مزودا ببعض المعايير القليلة التي يقود على أساسها أي أجزاء الثقافة الجديدة يمكن أن يتبناه وأنها يرفضه، وأي العناصر يجب أن يعيد تشكيله ويبرره متخذا منه أسلوبا جديدا في الحياة، وأي عناصر حياته وأساليبه الماضية ينبغي له أن يدفعه إلى الأعماق أو يختزنها في العمق وليس من اليسير في واقع الأمر - مثلا - الاستعانة بالعلاقة المالية عن مجموعة الالتزامات التي كان في القرية من قبل، وتأتي الضغوط إلى حد ما من السرعة اللازمة لتغيير أساليب الحياة الريفية بأساليب أخرى حضرية، وهو نوع من التحول الإجباري الذي يكلف الشخص ثمنا باهظا، وقد يكون لهذا التحول الإجباري خاصة عندما يمارسه الإنسان من أجل البقاء بعض النتائج السلبية، بل والاجتماعية، وهناك بعض الشواهد التي تدلنا - مثلا - على أن التوتر والضغوط التي ترتبط بهذا التحول تكون مصحوبة بمعدلات عالية من إدمان الخمر، المخدرات، وانحراف الأحداث، والجريمة والاضطرابات العقلية².

¹ جيرالد بريز، مجتمع المدينة في البلاد النامية، ترجمة محمد الجوهري، دراسة في علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، 1989، ص ص 168-169

² نفس المرجع، ص ص 169-170

ويري " ديفيد ريزمان " على النقيض لما سبق في مقاله " كآبة الضواحي " أنه يكتب كأحد محبي المدينة والريف وليس الضواحي، ولا يعد موقف ريزمان هذا غريبا أو غير عاديا على الإطلاق فأغلب المعلقين الاجتماعيين فينظرون إلى الضواحي على أنها منظر اشمئزاز أكثر من النظر إليها بحب، ويرون أنها متجانسة متمثلة للأعراف والعادات موجهة نحو التكيف محافظة على القديم كئيبة يتركز فيها الأطفال ويسيطرون عليها النساء كما أنها ضد الفردية باختصار، وهي أماكن من المستحيل العيش فيها ولكنها لم تكن دائما بنفس الصورة في نظر المفكرين حيث اعتبرت في نظر علماء آخرين أمل الحضارة والنسل السعيد الصحي للزواج بين المدينة والقرية¹.

ويثمن "جون ترنز" لما ذهب إليه "ريزمان" أن النظرة السلبية للمستوطنات غير الشرعية (العشوائية) خطأ كبير، فهذه المناطق تمثل نصرا كبيرا للجهود الذاتية لذوى الدخل المنخفض، وهي تدل على طاقة وقدرة الأفراد على حل مشاكلهم بدون مساعدة الحكومة، وبتعريف القيمة الحقيقية للإسكان على أنها القيمة الاجتماعية أو قيمة الاستعمال فإن الكثير من هذه المستوطنات دون المستوى من الناحية المادية لمكوناتها تكون أفضل بمراحل اجتماعيا واقتصاديا عن مشاريع الإسكان الجماعي، أما "جورج زيمل" في مقاله بعنوان المدينة والحياة العقلية بين نموذجين من المجتمعات على أساس العلاقات السيكلوجية في كل منهما ففي المجتمع الأول ينخرط الفرد فيه تماما وفي المجتمع الثاني يحتفظ الفرد بذاتيته وفرديته على وجه القوى الاجتماعية الهائلة، بمعنى أن ساكني الحضر في حاجة ماسة إلى مزيد من الدقة والتوقيت ليتمكنوا من الوفاء بالتزاماتهم وسط الشبكية المعقدة للوظائف الحضرية، وبالتالي يشعر الفرد بالضياع نظرا للتعدد جوانب الحياة وهذه الحالة النفسية هي التي تجعل الناس يبتعدون عن الاستجابة العاطفية².

¹ إيلين إيرفنج، المدن الجديدة والضواحي، ترجمة محمد أحمد غنيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص 24

² حسين إسماعيل علي، مرجع سابق، ص 761

خامسا: نتائج الفرضية الثانية

توصلت الدراسة في الفرضية المتعلقة بتنوع (وتعدد) العلاقات بين السكان وأشكال الضبط الاجتماعي في الأحياء العشوائية يؤدي إلى عدم تجانس التنشئة الاجتماعية لدى الشباب ودخولهم في صراعات تدفعهم للسلوك الانحرافي والإجرامي إلى مجموعة من النتائج وهي :

- يتميز النسق الأسري والقرابي بتفكك علاقاته ويعاني كل المبحوثين من توتر في علاقاتهم الأسرية وبصورة حادة مع الوالدين، ويظهر ذلك جليا في تغيير نظرة المبحوثين لأوليائهم وعدم وجود قيم الاحترام والتقدير لمجهوداتهم وتقديم الحماية لهم فالبعض يعتبر هذا نوع تعدي على الحريات كالسهر واختيار الأصدقاء رغم أنها أدت بهم للانحراف والسجن.
- يعاني أغلب المبحوثين من وضعيات أسرية وعائلية صعبة، زادت من صعوبات اندماجهم واستقرارهم في الحياة اليومية، البعض لا يمتلك أسر أصلا يعيش حالة تشرد، انفصال لدي الوالدين، أو الخروج عن الأسرة والاستقرار في بيوت فوضوية للهروب من الرقابة الأسرية.
- أظهرت الدراسة نتيجة مفادها أن عامل الأصدقاء والجماعات له تأثير كبير وواضح على حياة مبحوثي الدراسة ودخولهم عالم الانحراف والإجرام، حيث أن الأغلبية دخل عالم الانحراف مع رفقاءه وعملت هذه الجماعات على احتواء الشباب في هذا العالم، وبالعودة لطبيعة مجال الدراسة وهو الحي العشوائي نجد بأن هذا النوع من الصداقات مرتبط وقوي جدا خصوصا في الشارع ووجود مجالات وفراغات كثيرة في هذا المحيط مما يسمح لهم بممارسة سلوكياتهم كالتجارة والتعاطي للمخدرات، وإخفاء المسروقات بوجود بيوت لهم وأماكن خاصة بهم، ضف لهذا البعد عن الرقابة الأمنية.
- تتميز الأحياء العشوائية محل الدراسة كما سبقنا الذكر بمورفولوجية عشوائية من ناحية البناء واحتلال الأراضي ساهم هذا الأمر في تعدد العلاقات وتعقدتها، فبين علاقات الجوار المبينة على أساس الثقافة الريفية النازحة والمحافظة على قيمها داخل النسق الجديد، إلى عدم وجود علاقات أصلا بين طبقة أخرى منعزلة عن المحيط العمراني العشوائي، نجد الشباب يتأرجح بين عدم فهم وضعيته ومكانته ودوره في هذا النسيج العمراني والاجتماعي الهجين، الذي يعبر عن صعوبات يتعايش معها في اختلاف أنماط التنشئة والضبط الاجتماعيين، وبالتالي بقي محل جذب بين الثقافة الفرعية والنسقية الريفية وما تحمله من خصائص تبقى متأصلة في الأسرة والنسق القروي والجواري وتعمل على المحافظة عليه، وبين ثقافة المدينة وأساقها وتعدد أنماط تنشئتها وتصوراتها ونظرتها لهم، وكان المحصلة ثقافة فرعية للشباب خاصة

تترجم في ثقافة الشارع والاستقرار في نظام الجماعات والأصدقاء الذي احتوي حيز كبير من حياتهم في كل المجالات ومنها بالخصوص الانحراف باعتباره الوسط المستقطب لفرار الأسرة والتنشئة في الحي.

- أن حالات الدراسة الشباب وأسرهم نازحين من مناطق ريفية، تظهر مختلف مراحل النزوح الريف الذي عرفه المجتمع الجزائري ويعبر عن صعوبات ووضعيات لم تكن مدروسة لاستقطاب هذه الموجة في محيط حضري يوفر لهم الاستقرار والاندماج، ولا يكونون من الأسباب المساهمة في المشاكل الحضرية في المدينة اليوم، كعشوائيات تظهر غياب سياسات وبرامج تهتم بمكانة الفرد في الفضاء العمراني العام ومساهمته في تطويره وتحسينه بالخصوص الشباب الفئة الأكثر تضررا، في ظل غياب فضاءات تتكفل باهتماماتهم، وما تعبيرات السلوك الانحرافي والإجرامي لديهم إلا ملامح فشل وتداخل الأنساق الريفية والحضرية في المجتمع الجزائري.

- أظهرت نتائج الدراسة عن التمايز الاجتماعي ظاهرة اجتماعية واضحة في هذه العشوائيات الحضرية سواء في جانبها المادي وهو الإهمال وعدم الاهتمام بتحسين وضعية هذه العشوائيات وجعلها أماكن للعيش المحترم، أو في جانبها الرمزي وهو احتقار سكانها ونعتهم بشتى الأوصاف والخصائص وأنهم سبب المشاكل والظاهر في المدينة المركز وكل هذا أنتج ولأضفي إلى سطح المجتمع الشعور بعدم الانتساب إلى أية فئة أو طبقة معينة أو الانتساب المؤقت لها وهو ما يجعل الفرد يعيش وضعية انتقالية لا تنتهي، همها أن تجمع للسكان وليس اجتماع، ويعبر عدم التجانس الاجتماعي هذا على تنوع مستوي الاقتصاد والحياة السياسية، وتخلق وضعية هذا الاختلاف والتعدد وعدم الاستقرار التي يعيش فيها الفرد الحضري وتحدث ولا شك خلا كبيرا في شخصيته الشيء الذي يفسر ارتفاع معدلات الجريمة والانتحار والارتشاء والانحراف

تؤثر طبيعة العلاقات الاجتماعية والضبط بنوعيه (التقليدي والحديث) في التنشئة الاجتماعية للشباب العشوائيات الحضرية وتساهم في توجيههم لخلق ثقافة فرعية وثقافة شارع وجماعات الأصدقاء كلها تساعد على اكتساب وممارسة السلوك الانحرافي والإجرامي في ظل غياب نموذج اجتماعي يحتويهم.

خلاصة:

في الحقيقية يمكن القول أن الفضاء العمراني العشوائي يخبأ مجتمع قائم بذاته خصوصا من ناحية تركيبية العلاقات الاجتماعية والتفاعلات بين أفرادها، فهي تحمل نماذج متعددة ومختلفة للتنشئة الاجتماعية وأشكال الضبط الاجتماعي وتداخله بين الأنساق الريفية والحضرية ومحاولة إيجاد صبغة تحتوي هذا التنوع وتخرج نماذج تظهره خصوصا لدي فئة الشباب باعتباره واجهة لهذا الفضاء، وبالتالي كانت النتيجة غياب قدرة الأسرة على الاندماج وتراجعها وأيضا رفض وتجاوز الشباب له في ظل وجود البديل هو الأصدقاء والشارع كفضاء يعطي حرية واسعة نتج عنها الانغماس في عالم الانحراف والجريمة.



الفصل الثامن: غياب مؤسسات التأطير والهيكلية الاجتماعية في عالم الشباب بالحي العشوائي

تمهيد

أولاً: أنماط التأطير الحر للشباب في الحي العشوائي

- 1- أوقات الفراغ للشباب العشوائيات الحضرية.
- 2- الشباب المنحرف وخلق ثقافة شارع خاصة .
- 3- الفضاء الافتراضي هروب من الواقع العشوائي للحي.

ثانياً: المؤسسات الرسمية للتأطير وتواجدها الميداني لاستقطاب الشباب المنحرف

- 1- تواجد الشباب المنحرف في الجمعيات والأحزاب السياسية.
- 2- المؤسسة الدينية والخطاب الديني ودورها في مرافقة شباب الحي المنحرف.
- 3- العمل التطوعي وتنمية المسؤولية الاجتماعية للشباب المنحرف.

ثالثاً: التأطير والإدماج الاجتماعي بعد الخروج من السجن: صعوبات أم حماية اجتماعية

- 1- المؤسسات الرسمية وآليات إعادة الإدماج الاجتماعي للشباب المنحرف.
- 2- إعادة إنتاج السلوكات الانحرافية لدى الشباب والعود للجريمة .
- 3- الوصم الاجتماعي بعد الخروج من السجن وصعوبة إدماج الشباب .

رابعاً: نتائج الفرضية الثالثة

خلاصة

تمهيد:

يعتبر الحي العشوائي محصلة ونتاج للعديد من الظروف سواء المتعلقة بالظروف العامة للمجتمع منها السياسات العمرانية، أو لتركيباتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وبما أنها هذه العشوائيات ليست ضمن السياسات العمرانية نجد أنها تفتقر للعديد من الظروف الطبيعية والصحية للإقامة، وبالتالي تطرح قضية التأطير والهيكلية الاجتماعية لسكانها ضمن هذا الفضاء وخصوصاً لفئة الشباب، وعليه نعرض في هذا الفصل وضعية الشباب من ناحية التأطير ودور المؤسسات المجتمعية في توجيه وإنقاذ الشباب من الانحرافات وعالم الإجرام وتنمية روح المسؤولية الاجتماعية، ومحاولة إدماجهم في المجتمع .

أولاً: أنماط التأطير الحر لشباب في الحي العشوائي.

1. أوقات الفراغ للشباب العشوائيات الحضرية: تقوم ثقافة الترويح على عاملين أساسيين هما الوقت والفضاء، وفي مجتمع العشوائيات الحضرية نجد الأفراد على اختلاف شرائحهم، لديهم على العموم الوقت لكنهم يفتقرون إلى الفضاءات الترويحية سواء الثقافية أو الرياضية ويوجد خلل في توزيع المنشآت بين المناطق الريفية والحضرية، وتكاد تنعدم في المدن الصغيرة والأرياف وحتى في المدن الكبرى بالعدد الكافي والموجود منها يعاني من الإهمال وعدم المتابعة، وكثير من الشباب يضطر إلى التنقل لعدم وجودها في حيه إلى الأحياء المجاورة، وعليه يتجه للانحراف حيث ترتفع معدلاته في الأحياء التي تفتقر إلى فرص الترويح السليم والمنظم.

في هذا المجال يقول مبحوث الحالة (رقم 09 السن 33) " أن أغلب الوقت الذي نقضيه ومنذ فترة طويلة كان المقاهي، وفي الغالب ينتشر داخلها الكثير من الانحرافات بالخصوص تعاطي المخدرات إلى حد يقول المقاهي في النهار تكون لبيع القهوة والحليب وكذا الحلويات أما في الليل تقلب العملية وتصبح لبيع الكيف."

مبحوث الحالة (رقم 21 السن 22 السرقة، الاعتداء، تعاطي المخدرات) يقول: " الطيش والصغر والفراغ والأصحاب يخلوك تدخل في جوهم ومنها تعمل أشياء تراها عادية وموجودة عند كل الأصحاب"، في حين يخبرنا أغلب المبحوثين أنهم يعانون سوء تسيير وقتهم أولاً لاعتبارات مزاجية، وثانياً لأنهم منعزلين ويفضلون التواجد مع المقربين منهم، وثالثاً يتفادون الاختلاط في المراكز والمؤسسات العمومية لأسباب عدم تقبل الآخرين لهم في كثير من الأحيان.

إن الحديث عن وقت الفراغ وكيفية تميّته لدى شباب العشوائيات الحضرية يقودنا طبعاً بعد الدراسة الميدانية والملاحظة لهذه الأحياء أنها تفتقر لمؤسسات رعاية الشباب، وإن وجدت فإقبالهم عليها مرهون بما تقدمه من نشاطات، وعليه وجدنا أن أغلب الأوقات يقضيها الشباب بصفة حرة ودون فائدة ومنفعة تعود عليهم وأغلبها في أماكن خالية و التجمع في مساحات ومجالات مهجورة وبعيد عن الأنظار، والصور التالية توضح مكان للسهر وقضاء الوقت للشباب يحتوي على مخلفات الخمر، ويوجد في مكان غير منظم ونظيف يستحق الاستمتاع به، وهو الأنسب لهم بعيداً عن الأنظار للممارسة انحرافهم.



صورة رقم 26 و 27 توضح أماكن جلوس وسهر الشباب في العشوائية الحضرية عين



صورة رقم 28 و 29 توضح بقايا حديقة عمومية بعشوائية الشيخ العيفة (فرماتو)

ومن مؤسسات التأطير في الجزائر للفئة الشبانية مؤسسات ديوان الشباب وعن دورها أجرينا مقابلة مع رئيس مصلحة الإعلام والاتصال والتنشيط يقول: أن دورها يتمثل في هيكلية وتأطير الشباب في إطار منظم وفي الفضاءات الشبابية والمركبات الرياضية ودور الشباب، وأهم ما تقدمه هذه المؤسسات هو الفنون الغنائية والفنون التشكيلية ونشاطات المطالعة والنشاطات العلمية وإبداعات الفتاة ونشاطات الإلكترونيك.

أما عن مدينة سطيف يقول المؤسسة لا تغطي كل شباب المدينة أولاً للعجز في عددها حيث توجد خمس 05 مؤسسات للدور الشباب وتشتغل أربعة 04 فقط، وثانياً لأن اهتمامات الشباب تغيرت بتغير التكنولوجيا والمتطلبات والاحتياجات حياة اليومية، وحتى أن بعض الشباب لا يقتنع بالنشاطات الموجودة رغم أن الهدف من وجودها هو هيكلية الشباب الذي لديه هواية مع المرافقة ليكون محترف وتنمية مهاراته وملاً وقت فراغهم وحمايتهم من البقاء في الشارع دون هدف.

وعن أهم النشاطات المقدمة كتأطير للشباب يشيد بدور خلية الإصغاء ووقاية صحة الشباب من طرف العاملين أخصائيون نفسانيون واجتماعيون وأطباء عامون، فهم يسعون إلى استقبال الحالات التي تعاني من اضطراب بمختلف أنواعها من أجل التكفل النفسي والصحي وتوجيههم وعلاجهم وإعادة إدماجهم اجتماعيا، فهم يعانون مختلف المشاكل النفسية ومشكلات انفعالية كالقلق والتوتر التمرد، التعصب، ومشكلات الصحة والنمو: الإدمان على المخدرات والتدخين، والمشكلات الأسرية الخلافات الزوجية وانفصال أو طلاق أو موت أحد الوالدين، العقاب الأسري، المشكلات الجنسية نقص المعلومات الصحيحة مشكلات النضج الجنسي المبكر، السلوكات الجنسية المنحرفة، مشكلات أوقات الفراغ وسوء الاستثمار الأمثل ونقص الوسائل الترفيهية والترفيه، المشكلات الاجتماعية مثل قلة الأصدقاء أو سوء الرفقة، والخوف من مقابلة الناس، الوحدة ورفض الجماعة للشباب، العزلة الاجتماعية، الشعور بالاغتراب.

وتقدم هذه الخلايا مرافقة نفسية تتمثل في التكفل بالشباب متعاطي المخدرات الذي يقصد المؤسسات وفي حالة تعقد حالته يتم توجيهه إلى مراكز لمعالجة الإدمان، أما المرافقة الاجتماعية وهي من أهم الخدمات التي تقدمها الخلايا بإسداؤها للأفراد والجماعات التي تعيش صعوبات إدماجية عن طريق الوساطة الاجتماعية، في حين تتمثل المرافقة المهنية للشباب المحتاج إلى الإرشاد والتوجيه ومساعدتهم في الاندماج المهني كل حسب مستواه الدراسي وشهادات المتحصل عليها.

ويذكر محدثنا في المقابلة أن المؤسسات الموجهة لاحتواء والتكفل بالشباب في العام غير كافية سواء من ناحية الطاقة الاستيعابية لأنها تعاني من نقص الهياكل، ولا تقدم نشاطات في مستوى طلبات واحتياجات الشباب، كما أن احتواء فئة الشباب المنحرفين وذوي السلوك الإجرامي قليلة جدا لكونهم لا يتوجهون لهذه النشاطات، ولا يعتبرونها حل من حلول وضعياتهم الاجتماعية في محيطهم.

ويخبرنا بالتنظيم عدة حملات تحسيسية ووقائية في المناطق العشوائية والأحياء الشعبية تحت شعار لنحمي أزهار الجزائر للتحسيس بمخاطر الإدمان والمخدرات، في هذا الشأن يصرح انه يزور المؤسسة العديد من الشباب من كل الأعمار والفئات ومختلف مناطق البلدية - سطيف - لطلب المساعدة على العلاج من الإدمان خصوصا أما باقي المشاكل الأخرى فيقول لا تكون بكثرة.

أما إجابته عن سؤالنا هل يتردد أيهم بعض الشباب المنحرفين أو خريجي السجون فيجب أنها حالات قليلة ونادرة، وعن تنظيم مبادرات تخصصهم ومساهماتهم في محاولة إدماجهم وتقريبهم من هذه المؤسسات يذكر أنها لا توجد ولا تهتم بفئة معينة على حساب أخرى.

وفي سؤالنا لجل الخبراء الاجتماعيين من سكان الأحياء يصرحون أن شباب أحيائهم مهشمون ولا يجدون أي مكان للتمضية الوقت أو تطوير مهاراتهم وأغلب أوقاتهم يقضونها بين الجلوس في المقاهي أو على الأرصفة يضعون سماعات الأذن ويستمعون للأغاني ومشتغلين بهواتفهم، أو في التجارة والعمل الغير رسمي، في حين البعض يتجه للنوم نهارا والسهر ليلا، والقلّة القليلة تتجه للملعب الموجود على مستوى الحي للممارسة الرياضة، أما مسؤولي المؤسسات يصرحون بأن الشباب في الجزائر يعاني من أزمة واضحة بالنسبة لنقص الهياكل والمرافق الخاصة بهم، التي تتناسب وأعمارهم واحتياجاتهم طبعاً بعد توفير احتياجاتهم للعمل أولاً وبالتالي تكون لهم قاعات ومركبات رياضية وكذا مؤسسات ودور شباب توفر لهم نشاطات تحتوي وقت فراغهم وفقاً لمتطلبات الحياة اليومية الآن.

إن تأثير ظروف الإقامة والسكن في المناطق العشوائية مرتبط بالخصائص الاجتماعية والثقافية والايكولوجية فيها وكلها تؤثر على طريقة قضاء وقت الفراغ دون أية وسيلة عقلانية واستثماره في ظل غياب الخدمات الثقافية والترفيهية، حيث يتمثل كل من المقاهي والشارع هما المكانين الأساسيين لقضاء الوقت وهذا ينتج بيئة خصبة للتأثير سلباً على اتجاهات الشباب وسلوكه الذي يتجه للانحراف والتيارات المتطرفة.

بناء على ما سبق عرضه نستطيع القول أن وقت الفراغ يهيئ الظروف المناسبة للانحراف، كالصحبة السيئة، ضعف أو غياب المراقبة، التحرر من أي شكل من أشكال السلطة، كما أن غياب وسائل الترويح المختلفة المادية منها والبشرية، كإعدام فضاءات الترويح، غياب ثقافة الترويح، وعزوف الشباب عن الانضمام للجمعيات، ضعف تأطير الشباب... يدفع بالشباب إلى اللجوء إلى هدر وقت فراغهم أو قتل الوقت كما يطلق عليه بعض الشباب في ممارسات ضارة تؤدي بهم إلى الانحراف¹.

وترتبط ممارسات قضاء الوقت في الأحياء العشوائية بعدة اتجاهات السلبية التي تتكون لدى الشباب اتجاه قضاياهم وقضايا مجتمعاتهم الأساسية، وفي سياق ذلك تنتعش بؤرة الشك وعدم التوافق بين ما تلقوه وما يحملونه من قيم ومبادئ، وما يقدمون عليه من سلوكيات وأفعال منحرفة مما يعرضهم لمشكلة نفسية أكثر تعقيداً هي الصراع النفسي الذي يؤدي بدوره إلى الإحباط وربما إلى إيذاء الذات ثم إلى الانتحار، وامتداد لمسببات أزمة الفراغ عند الشباب تنتشر بينهم ممارسات خاطئة لاستغلال واستثمار وقت الفراغ منها: مخالطة رفقاء السوء والتورط معهم في السلوكيات المنحرفة كتعاطي المسكرات والمخدرات

¹ فتية حمادي، مرجع سابق، ص 94

والإدمان عليها، والتسكع في الشوارع والأماكن العامة ومضايقة الآخرين في المجال العام وبالأخص معاكسة الإناث وملاحقتهن بالألفاظ السوقية الجارحة، والتورط في عمليات العنف والسرقة والتخريب والوقوع تحت سيطرة الجماعات المتطرفة لنشر وبث الأفكار السلبية المتعصبة بينهم.

2. الشباب المنحرف وخلق ثقافة شارع خاصة: فيما يخص الحديث عن ثقافة الشارع التي يكتسبها الشباب أو يخلقونها ترتبط أولاً بعدة عوامل تشكل الأرضية الأساسية لخلقها، حيث يتبنى سكان تلك المناطق ثقافة الفقر وما يرتبط بها من عادات وسلوكيات وممارسات سلبية، وتصادمها مع طموحات وتطلعات مرحلة الشباب، خاصة مع تراجع دور الأسرة وعدم قدرتها على تلبية الاحتياجات الأساسية لأفرادها، وغياب المؤسسات المساندة للأسرة في القيام بهذا الدور، هذه العوامل مجتمعة تعتبر مسئولة عن شعور الشباب بالوصمة وافتقاد القدرة على تغيير الواقع بالطرق التي أقرها المجتمع، خاصة مع تزايد الفجوة بين التعليم والتوظيف، وتزايد معدلات البطالة حيث يلجأ الشباب إلى الاستقلالية المبكرة عن الأسرة والاعتماد على الذات في إشباع الحاجات الضرورية بالانخراط في بيئة الشارع وما يترتب عليه من عدم مواصلة التعليم، وضعف الروابط مع أسرة المنشأ، والزيادة المطردة في الارتباط بالشارع.

ويعمل هذا النوع من الشباب في الأعمال والأنشطة التقليدية والهامشية التي لا تحتاج إلى مهارات أو خبرات خاصة وسعيها وراء إشباع الحاجات اليومية، ويصبح الشارع بمثابة نمط حياة لهم حيث ترتبط أعمالهم وسلوكياتهم وممارساتهم بثقافة الشارع المتفق عليها بعيداً عن الرقابة الأسرية وتدرجياً يكون هذا القطاع من الشباب ثقافة فرعية تلقائية بعيدة عن أدنى إشراف أسرى أو مؤسسي - باستثناء الرقابة الأمنية المحدودة - ومما سبق يتضح أن الظاهرة رغم حداثة النسبية إلا أنه لا ينبغي النظر إليها باعتبارها ظاهرة عرضية أو مؤقتة يمكن تجاهلها كما أن التعاطي الأمني مع الظاهرة غير مفيد وكاف.

في هذا المجال تصرح الحالة (رقم 11 المبحوثة 19 سنة) مستوى جامعي تقول: "نحن الفتيات ندخل في ثقافة الشارع كل وحدة حسب مزاجها فهناك من لها مزاج في العلاقات الغرامية والحميمة، والأخرى لها في القعدات المختلطة للحديث والترفيه، وبعض لهم الجنون للتدخين والزطلة والتمرد وكل هذه الثقافة تقول يتم الدخول إليها مع بعض ونكون مجموعات والمحيط يساعد في جذب والاحتواء داخلها وعدم اكتراث الأسر بشؤون أولادها يجعل الشباب يغوص أكثر في فضاء الشارع."

الحالة (رقم 10 السن 25) يقول: "في الشارع لا بد أن تكون لك الغلبة والملوك وإلا تفقد قوتك واحترامك ويفقدها إخوتك بعدك، يضيف بدأت قصة إدماني بتناول المخدرات وهي دواء بركينال لجدتي المتوفية

تركت 7 علب، ولم أتوقف لليوم ثم أضفت عليها شرب الخمر يوميا ولمدة ثلاث سنوات لم أتوقف مطلقا أنا وثلاثة أصدقائي حيث يمر الوقت معهم بسرعة بالضحك والسهر وينقص من كمية الضغط المفروضة عني من طرف أسرتي، يضيف المبحوث حاولت مرارا التوقف لكن بخروجي للشارع ولقاء أصدقائي أعود الرجوع للشرب والإدمان وهذا هو ملخص الحياة اليومية بالنسبة لي ولآخرين كثيرين مثلي هي الثقافة السائدة والغالبة."

الحالة (رقم 17 السن 24) المبحوث مستوي ابتدائي يقول: "نحن نؤثر على بعضانا للدرجة أنو اغلب أصدقائي في الحي الذي نسكنه في السجن والقضايا هي المخدرات وتجارة الأقراص المهلوسة وحيارة الكحول في الأماكن العامة، ومخالفات من نوع السكر العلني وأهم الأماكن التي نتجه إليها هي صالة الألعاب الغير مرخصة والبعيدة عن الأنظار للسكر ولقاء الفتيات."

المبحوثة (رقم 08 السن 20) تقول: "الشارع هو بيتي وحياتي متوقفة على وجودي به وكثيرا ما أقضي اغلب وقتي في الشارع وحتى المبيت فيه، تضيف حاولت كذا مرة العمل كخادمة في البيوت أو المحلات ولكن لا أستقر فيها تذكر السبب هو عدم قدرتي على التفاعل وبناء علاقات عمل عادية لذلك أضطر للعودة للعيش في الشارع، وتضيف رغم حصولي على بيت فوضي أحتمي به إلا أنني لا أحب التواجد فيه، تضيف ربما لطول إقامتي بالشارع ونومي في محطة الحافلات تعودت على هذا الجو ولي العديد من الأصدقاء والصديقات نتشارك البرد والجوع والتحرشات وحتى أننا نتعرض للضرب والسب لكن أفضله وتضيف أشتاق لأصدقائي المشردين فيه."

المبحوثة (رقم 07 السن 23) تقول: "شيء صعب العيش في الشارع لكن هو الحل الوحيد لنا لأننا نطرد في فصل الصيف من دار التضامن - قبل حصولها على غرفة فوضوية - وبالتالي ألجأ لصديقاتي منهم التي لها بيت فوضي في الحي محل الدراسة، وتصرح أنها تعرضت للاغتصاب بعد أيام من تشردها وحملت (حامل في الشهر الخامس وقت إجراء الدراسة) وحاولت الانتحار كذا مرة لكن فشلت فيه، وتقول أن العيش في الشارع وممارسة الدعارة تعرض حياتها لخطر الموت و كل مرة أذهب مع رجل تحصل لي مشاكل هناك من يعنفني بالضرب والجرح إرغامي على تناول المخدرات والخمر، وفي الغالب تسرق بعض أموالي وحتى هاتفي النقال، وهناك من يتركني خارج المدينة في بعض المرات."

مخبر اجتماعي عون أمن في مؤسسة تربوية يعدد وضعية الشباب المنحرف في الحي وثقافتهم فيه ويقول الشباب يحتمي بالشارع في كل شيء للسهر التواجد مع الأصدقاء، وممارسة كل أشكال الانحراف،

تناول المخدرات وغيرها، ويوضح حتى طرق ومحاولات استقرارهم واتجاههم للعمل مربوطة بالصراعات ويشرح قضية العمل الغير الرسمي والبيع الفوضى في هذه العشوائيات و صراع البقاء في الشارع للكسب والعمل ويروي قصة مجموعة من الشباب بداية عمل كتجار صغار على جانب طريق وطني للبيع الخضر والفواكه وكان عددهم كبير وبعد نجاح خمسة منهم في هذا العمل وكسبهم لرؤوس أموال، استحوذوا على المكان بمنطق القوة وطرد الشباب الصغار العاملين معهم في نفس المكان وتم اقتسام ما يعادل 1 كيلوا متر بينهم ومن يتقرب من حيزهم يتم التعدي عليه بالضرب و وحجز سلعته .

وتفصح وضعية الشباب اليوم في المجتمع الفراغ الثقافي والاحتواء المؤسساتي والتأطير والهيكلية الاجتماعية الرسمية والغير رسمية الذي يعانون منه، فالشباب الذي يمضي يومه متسكعا في الشارع متعرضا لكل مخاطره ومتفرجا على الظواهر التي يزخر بها من عنف وانحراف وجريمة لا يمكن أن ننتظر منه الكثير، لأن ما يراه ويتعلمه من الشارع يجعل لديه استعدادات أكثر من غيره لينقطع عن الدراسة ويصبح عنيفا أو منحرفا، كما أن عدم تحصينه بالثقافة والوعي اللازمين يجعل من السهل التأثير عليه واستقطابه من عصابات المنحرفين أو من الجماعات الإرهابية.

في هذا المجال أراد "كوهن" أن يثبت أن الانحراف ناتج عن سبب يتمثل في الثقافات الفرعية المنحرفة بنظرة إلى فقدان المعايير باعتباره متضمنا في الثقافة الخاصة بالعصابة وأنه موقف من جانب أعضائها ضد السلطة المسؤولة، ونأخذ مثال شاب ينتمي إلى عصابة (وهو من طبقة دنيا فقيرة) يمر بتجربة إحباط المكانة ونعني بها رؤيته لأصحاب الطبقة الوسطى أو العليا من نفس عمره ينعمون حياة الرفه والحرية وهو لا يملك شيئا ولا أي حق من حقوقه فيحبط ويشعر بأنه مظلوم، فتشجعه عصابته على التعبير عن عداوته إزاء الطبقة الوسطى المكونة من مدرسين، رجال الشرطة الذين يمثلون المجتمع الذي سبب هذا الإحباط ومن هنا تظهر الثقافات الفرعية، وفي هذا الصدد يقول أن نسق قيم هذه الثقافات الفرعية يشجع على ظهور نماذج السلوك الوحشي والسلبي غير النافع، ويتمرد أفراد الطبقات الدنيا ضد قيم وثقافة الطبقات الوسطى وذلك بتكوين ثقافة فرعية تعاكس في قيمها سابقتها، ويظهر الانحراف بنشوء ثقافات فرعية ناتجة عن التفاعل الدائم بين أشخاص ينتمون للطبقة الشغيلة يعرفون نفس صعوبات التكيف

إذا وجدون صعوبة في استدخال قيم الطبقات المتوسطة ولهذا السبب ينحرفون فلإحباطات التي يعانيتها مراهقي الطبقة الدنيا تظهر أو تنتج هذه الثقافات الفرعية¹.

وفي دراسة أجريت على مجموعة من أحياء الزوج في جنوب أفريقيا استهدفت وصف نمط الحياة بهذه الأحياء واهتمت بدراسة أوضاع شباب الشوارع بالتحديد، وتوصلت إلى أن الإقامة بمثل هذه الأحياء تمثل بيئة خصبة لإنتاج العديد من الظواهر السلبية منها انتشار الشباب في الشوارع، حيث يتبنى سكان هذه الأحياء ثقافة الفقر، وما يرتبط بها من عادات وسلوكيات سلبية وتعارض ذلك مع طموحات وتطلعات مرحلة الشباب خاصة مع تراجع دورا لأسرة وعدم قدرتها على إشباع الاحتياجات الأساسية لأفرادها، وغياب المؤسسات الاجتماعية المساندة للأسرة للقيام بهذا الدور، وأن هذه العوامل مجتمعة - بجانب عوامل أخرى - تعتبر مسئولة عن شعور الشباب بالوصمة وافتقاد القدرة على تغيير الواقع بالطرق التي أقرها المجتمع وارتضاها ومن ثم فإنه لا بديل على تفضيل الشارع كرديف للأسرة.²

وطرحت العديد من العوامل لخلق هذه الثقافة لدى الشباب عموما تتلخص في النقاط التالية³:

- كثرة المال فالشباب أكثر من أسلافهم امتلاكاً للمال ويرجع ذلك لزيادة الطلب على عمالة الشباب منذ الخمسينات ولكن عادة ما ينفق الشباب هذه الأموال على اللباس السيارات والسلع الخاصة بهم وهذا ما أدى للاهتمام بأذواق الشباب كقوة شرائية.

- نمو التعليم العالي وزيادته وهو فضاء تتباين فيه خصوصية الشباب واهتماماتهم وسمات الطموح والقيم والأذواق

- طرق التنشئة الاجتماعية للأطفال والشباب فأساليب التربية الحديثة تعتبر سببا مباشرا لنشأة وتكوين جماعات المراهقين الساخطين على قيم المجتمع مع التطور الحر للشخصية الفردية وهو ما يؤدي بالشباب إلى الشعور بالاغتراب.

¹ نصيرة خلايفية، التفاعل بين الانحراف ووسائل التنشئة الاجتماعية، مشكلات وقضايا المجتمع، جامعة سكيكدة، الجزائر، العدد 06 نوفمبر 2010، ص 177

² أحمد فاروق محمد صالح، تصور مقترح لدور الخدمة الاجتماعية في مواجهة ظاهرة شباب الشوارع، دراسة مطبقة على المناطق الفقيرة بمدينة الفيوم، كلية الخدمة الاجتماعية، فرع الفيوم، جامعة القاهرة، 2003، ص 9

³ فرد ميلسون، الشباب في مجتمع متغير، ترجمة يحيى مرسي عيد بدر، ط1 دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ص 17 - 18؟

- متاعب ومشاكل المجتمع والعالم حسبما يراها الشباب حيث ينتقدون المجتمع بكل نظمه وبقائمه من الانتقادات الحادة، وهي عالم الكبار وعالم يرونه غير مسئولين عنه.

ومنه تتموقع فئة الشباب على أطراف النموذج المحلي والتعاقدية وعليه قد يبرز صراعا رمزيا قد يبدأ خفيا ثم يفجر على مختلف الأنماط ومحور الصراع هذا هو النفوذ والسيطرة، حتى ولو كانت رمزية هذا ما يجعل من رسم حدود الأنماط هذه أمرا صعبا بما أنها حدود غير واضحة¹.

3. الفضاء الافتراضي هروب من الواقع العشوائي للحي: يلاحظ من خلال مشاهدة الأنماط السلوكية الاجتماعية على أرض الواقع، بأن هناك زيادة مستمرة وإقبالا مرتفعا لأعداد الأفراد، ومن مختلف فئات المجتمع المستخدمين للإنترنت وبخاصة فئة الشباب وقد يصل استخدامهم إلى درجة الإدمان، مما قد يؤثر على السلوك الإنساني، وشبكة العلاقات الاجتماعية، وطرق التفكير في التعامل مع متغيرات الحياة، الذي من شأنه تعزيز القيم الفردية بدلا من القيم الاجتماعية.

ويخبرنا مجموعة من شباب حالات الدراسة وارتباطهم بهذه الوسائل التكنولوجية والعالم الافتراضي أنه يستهويهم بدرجة كبيرة، ويقول مبحوث الحالة (رقم 06 السن 34) " أنه يقضي تقريبا بين 6 إلى 7 ساعات يوميا في مواقع التواصل الاجتماعي يقول جابب المشاكل لروحي فيه لأنني أنتقد السياسة، كما يذكر أنه يعاني من مشاكل صحية ونفسية من كثرة تصفحه وانعزاله ويذكر أنه عالج عند طبيب نفساني وطبيب أعصاب كذا مرة."

مبحوث الحالة (رقم 21 السن 22) "يعترف بأن إدمانه على مواقع التواصل الاجتماعي سبب له الكثير من المشاكل وحسب قوله ينشر على حسب الحالة النفسية، يضيف يا عملت مشاكل خصوصا لما نكون متناول الخمر، وبعد أن أعود إلى وعي في الصباح أجد نفسي نشرت صور لفتيات اعرفهم أو صور غير أخلاقية وفيديوهات."

¹ رشيد حمدوش، بناء الهوية عند الشباب الجزائري أو ميلاد الهويات الصاعدة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الحادي عشر، جوان 2013، ص 113

مبحوثة الحالة (رقم 11 السن 19) " تقول أعيش الوحدة في البيت مع شبكة الانترنت والتلفاز فقط، ولا أتناول العشاء أو الغداء مع أفراد أسرتي لدرجة أنني لم أتكلم معهم لمدة أربع أشهر وخصوصاً مع الأب لذلك أقضي أغلب وقتي خارج المنزل وأحياناً لا أعود حتى العاشرة ليلاً ومباشرة لتصفح للفايسبوك."

في هذا المجال تؤكد دراسة "حلمي ساري" حول ثقافة الإنترنت - دراسة في التواصل الاجتماعي- أجريت سنة 2005 وتمتاز هذه الدراسة بشموليتها وتوسعها في المجال المعرفي، بما يخص تكنولوجيا المعلومات سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية، وتناولت الآثار الايجابية والسلبية على حد سواء، حيث أجريت على عينة من شباب قطر- مدينة الدوحة - من كلا الجنسين بلغ حجمها (472)، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، والتي تخص موضوع هذه الدراسة هو مشكلة العزلة النفسية والاجتماعية الناجمة عن الإدمان على استخدام شبكة الإنترنت ومن أهم أعراضها أولاً: انتشار القلق والتوتر والإحباط، وثانياً: تدمير أسر الشباب بسبب انشغال أبنائهم بالإنترنت، وثالثاً: خلخلة علاقات الشباب الاجتماعية بعائلاتهم من حيث تدمير الشباب من زيارات الأقارب¹.

وإذا علمنا أن أغلبية مستخدمي الفاييسبوك مثلاً تتراوح أعمارهم بين 18 - 24 عاماً، ويحتل الذكور النسبة الأعلى (حسب إحصائيات موقع أليكسا)، أي أن هذه المرحلة العمرية يتشكل وعيها الآن عن طريق العالم الافتراضي الوهمي فهو يخلق عالماً اجتماعياً وهمياً موازياً للعالم الحقيقي، ويعتقد مستخدميه في مصداقية العلاقات التي تنشأ من خلاله، رغم سرعة تكوينها أو التخلص منها، مما يزيح عن كاهل الشباب أي مسؤولية اجتماعية أو نفسية تصحب تكوين العلاقات والصدقات في العالم الواقعي، ويأتي هذا متسقاً مع عدم النضج الانفعالي والعاطفي للشباب في هذه المرحلة العمرية².

ونتيجة للانغلاق الاجتماعي وعدم قدرة الشباب على التكيف مع الواقع المحيط بهم، يلجأون إلى الحصول على تقدير لنشاطهم الممارس على الفاييسبوك، مثل وضع الفتيات صورهن شبه العارية أو في مواقف حياتية خاصة جداً على صفحاتهن، لجذب الانتباه وحب الظهور والشهرة، الفاييسبوك يصنع حالة من الانفصال بين الذات الحقيقية والوهمية، مما يشكل عائقاً في التواصل الاجتماعي الفعلي.

¹ فايز المجالي، استخدام الإنترنت وتأثيره على العلاقات الاجتماعية لدى الشباب الجامعي، دراسة ميدانية، مجلة المنارة جامعة آل البيت، الأردن، المجلد 13، العدد 17، سنة 2007، ص169

² هند البنا، الفاييسبوك يزيد من العزلة والفصام والانحراف بين الشباب، جريدة إيلاف، 22 جانفي 2011، التصفح يوم 16/10/2017 الساعة 22:00
<http://elaph.com/Web/Health/2011/1/626666.html>

وعليه أصبح الفايسبوك متنفسا طبيعيا وآمنا، تقصده فئات عمرية واجتماعية مختلفة، للإعلان عن وجودهم وآرائهم، فالنسبة المرتفعة لمستخدمي الفايسبوك على مستوى العالم، تعطي مؤشرا يعتبره علم النفس غاية في الخطورة، وهو عدم قدرة أعداد كبيرة من الأشخاص ممارسة حقهم الطبيعي في التعبير أو المشاركة الاجتماعية الفعالة، مما قد ينتج على المدى الطويل، مجتمعات أكثر انغلاقا وعدم وعي بالمشاكل الحقيقية المعاشة بالفعل وتوهمهم بالمشاركة الفعالة في حل قضاياهم الاجتماعية رغم ما تمثله شبكة المعلومات بشكل عام من تنوع ثقافي وفكري لازال يعتبر مبهرا للكثيرين، إلا أن الانغماس المفرط فيه - كما أشارت العديد من الدراسات النفسية في هذا المجال - قد يعزز الإحساس بالعزلة والتوحد مع الذات، وفقدان الصلة الملموسة بالواقع الفعلي¹.

وتحدث الأستاذ "عبد الرحمن عزي" عن افتراضاته الواحد والثلاثون في تأثيرات الانترنت على الشباب، حيث قدم بعض منها في مجال سوء الاستخدام بمفهوم المبالغة إلى حد الإدمان، وكذا نوع الاستخدام الذي يتعلق بقيم المجتمع فيما يخص تأثير الإعلانات والمواقع الإباحية والعلاقات الرمزية وغيرها، وقسم هذه التأثيرات إلى أنواع متعلقة ببنوية الشكل وأخري بمستوي المضمون، تتضمن العالم الافتراضي كالذات والهوية الثقافية ونذكر منها: إهدار القيم وتحييدها إضعاف الحساسية والاستحياء من الممنوعات الثقافية مما ينتج عنه تفكك البنية الثقافية من خلال طرح المواضيع المقيدة ثقافيا والإدمان والتكرار وغيرها، والهروب من الواقع (الحاجة إلى الإشباع)، أيضا المنع عن تغييرات الذات (الشعور بالمسؤولية، المشاكل الحياتية، تعديل الواقع أو تغييره..... الخ)، تقليص المحلي وتوسيع العالمي والإبحار في العالم الافتراضي².

ثانيا: المؤسسات الرسمية للتأطير وتواجدها الميداني لاستقطاب الشباب المنحرف

1. تواجد الشباب المنحرف في الجمعيات والأحزاب السياسية: تطرح مسألة المشاركة السياسية عند أي استحقاق انتخابي، في جانب مشاركة الشباب الجزائري في مآزق التواجد العددي والكمي لقضاياهم على عكس تواجدهم في مفاصل تسيير شؤونهم ومصيرهم رغم ما قدمه من حضور تاريخي، بداية من مرحلة الثورة كقوة ثورية بارزة سواء في العمل النضالي أو العسكري وصولا إلى مرحلة التشييد ما بعد

¹ هند البناء، الفايسبوك يزيد من العزلة والفصام والانحراف بين الشباب، جريدة إيلاف، 22 جانفي 2011، التصفح يوم 16/10/2017 الساعة 22:00 <http://elaph.com/Web/Health/2011/1/626666.html>

² عبد الرحمن عزي، السعيد بومعيزة، الإعلام والمجتمع، رؤية سوسيولوجية مع تطبيقات على المنطقة العربية الإسلامية، تقديم زهير إحدان، دار الورسم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 275

الاستقلال، مروراً بمرحلة العشرينية الحمراء ودوره فيها وأخيراً نتحدث عن شباب يحمل طموحات وأمال أكثر مما يقدمه من حلول في مآزق المشروع التنموي الحالي ومساهمته فيها وهنا تأتي ضرورة تواجد هذه الفئة بصفة عامة.

ويصرح أغلب المبحوثين أنهم لا يهتمون بالمشاركة والدخول في القضايا السياسية والانخراط في الأحزاب السياسية بدافع المواطنة ومصلحة العامة، بل هي فقط من أجل المصلحة الشخصية والتمثلة خصوصاً في التعرف ببعض الشخصيات والاستفادة منها في قضاء بعض الأمور والإشكالات اليومية أو من أجل الحصول على موارد مالية أثناء الحملات الانتخابية.

مبحوث الحالة (رقم 13 السن 31) يقول أنه كان يحتك في كون موعد انتخابي بحزب ويشارك في تنشيط الحملات الانتخابية مقابل مبالغ مالية لسد احتياجاته اليومية.

المبحوثة (رقم 11 السن 19) لها علاقات مع أحزاب سياسية وعملت في العديد من الحملات الانتخابية وجاءت الفكرة لها من أصدقائها، تقول تعرفت على الكثير من الأشياء في المجال السياسي، في حين أنها لا تؤمن بأي من أفكارهم تقول كلهم يكذبون ولن يقدموا لنا أي حلول حتى الحصول على سكن مجرد وعود منهم.

مبحوث الحالة (رقم 01 السن 27) يقول: "أنا لا أعترف ولا أتدخل في أي من المجالات السياسية وكلها شعارات لا معنى لها وعود وقتية ولا تنفعني في حياتي وكل من يسيرها لا سياسي ولا مير ولا طبيب نفسي ولا مختص اجتماعي أحتاج للعمل والمال."

مبحوث الحالة (رقم 06 السن 34) مهتم بالقضايا السياسية الحرجة ويقول: "غيرت كثيراً في حياتي وله صفحة على مواقع التواصل الاجتماعي تساهم في إصلاح العديد من المشاكل في الحي حسبه، وسببت له أيضاً عديد المشاكل والملاحظات لدرجة أنه استدعي عدة مرات وتلقي تنبيهات بشأن ما يكتب."

نفس المبحوث توتر عند الحديث في هذا المجال وأجاب سبب مشاكلنا وأخطائنا هي من غياب سياسة تجمعنا وتوفر لنا العمل للزواج وفتح بيت وأكد راح نكونوا عاقلين، وحسبه يجب أن تتاح الفرصة للشباب للتعبير عن آرائهم في الأمور العامة والسياسية والكف عن تهميشهم المقصود.

أما عن دور الجمعيات والانخراط فيها نجد فقط مبعوثين فيها، ولا نلمس لها لأي دور في هذه الأحياء العشوائية، في حين يذكر المبحوث الحالة (رقم 09 السن 33) أنه يشارك في جمع بعض التبرعات والمواد الغذائية في مواسم معينة.

وحاولنا التقرب من بعض الجمعيات والتعرف على أنشطتها وأعمالها في مجال خدمة الشباب ومساعدتهم في حل مشاكلهم ومحاولة إدماجهم ومرافقتهم بعد الخروج من السجن لكن لم نجد هذا النوع من الجمعيات بل موجودة الجمعيات الخيرية بكثرة ونشاطها محصور في هذا المجال فقط، في حين توصلنا لجمعية واحدة فقط تهتم بهذا الشأن وموجهة لإعادة إدماج النساء المسجونات ولكن لم توافق على إجراء المقابلة أو التعريف بنشاطها وأعمالها بحجة أنها أسرار كما اشترطت مبالغ مالية لتقديم العمل مكتوب في شكله النهائي فقط.

أبان مسار التجربة الحزبية الجزائرية عن هشاشة المؤسسات الحزبية وضعف قواعدها، وأكدت من ثمة افتقارها إلى تمثيل حقيقي على مستوى القوى الشعبية فقد فشلت الكثير من الأحزاب في تحقيق الشعارات التي رفعتها والبرامج التي وعدت بها والطموحات التي رافقت تأسيسها ونشأتها، وبفعل حضورها الباهت في حياة المجتمع، وتحولها من مؤسسات تمثيلية للتأطير السياسي وبلورة المطالب، إلى قنوات مغلقة تغيب فيها مظاهر الشفافية والممارسة الديمقراطية، وأصبحت تستقبل وتنتج فقط نخبا لا تستحضر سوى مصالحها عبر تبرير الخطابات السائدة¹.

إن المتصفح لمشهد البناء الاجتماعي للمجتمع الجزائري يلاحظ غلبة عنصر الشباب في هذا الأخير الذي يتميز بعدة خصائص تتطوي على إشكاليات عديدة كانت محصلة تجارب سياسية سابقة أقرت لخدمة المجتمع وأسفرت هذه التجارب عن محصلات يمكن جملها في النقاط التالية التي توضح واقع الشباب وصلته بمجتمعه وه²:

- الشباب الشريحة الاجتماعية الكبرى في قطاع المدينة التي تواجه البطالة والتهميش والمحاصرة.
- عجز السياسات المختلفة على دمج الشباب في العملية التنموية.
- تعرض الشباب لمختلف الانحرافات والأمراض الاجتماعية.
- تنامي الاتجاهات العدوانية نحو المؤسسات الرسمية.

¹ إدريس لكريني، محاسبة الديمقراطية، التدايعات المحتملة لاحتجاجات حركة 20 فبراير في المغرب، مجلة السياسة الدولية، العدد 184، أبريل 2011، ص 90.

² عبد الحليم مهور باشة، الدولة وتهميش الشباب في الجزائر، مجلة الباحث الاجتماعي، جامعة قسنطينة، عدد 10 سبتمبر 2010، ص 229

- شعور الشباب بالظلم (الحقرة) وعدم القدرة على تجاوز الواقع.
- صراع الأجيال مابين أقل من 20 سنة وجيل ما بعد 50 سنة.

وكل هذه النتائج يعتبرها الشباب الجزائري من مسؤولية الدولة الممثلة في النخب السياسية ورجال الإدارة التي تلاعبت بمستقبلهم وبالعودة إلى التاريخ القريب والذي تدخل الشباب فيه للمطالبة بمزيد من الحرية والمساحة في الممارسة السياسية والاجتماعية بداية من أحداث أكتوبر 1988 المطالبة بتحسين الظروف الاجتماعية والمساح بالمشاركة في مفاصل الحكم إلى غاية صدور دستور 1989 الذي أقر التعددية بل الأحادية.

وبالرجوع لتاريخ الشباب الجزائري مع القضايا السياسية نجده يمر بمراحل من الثورة التحريرية إلى المطالبة بالتعددية وصولاً إلى الدخول في الحركات الاحتجاجية ذات المرجعيات المختلفة (الإسلامية، الأمازيغية) وأخيراً وجوده ضمن مآزق المشروع التنموي كلها أفرزت شباب لم يستهوى العمل السياسي الحزبي الرسمي كما استهوته الحركات الاجتماعية الاحتجاجية حيث انخرط فيها بقوة، والمتتبع للمساحة السياسية يمكن أن يلاحظ الاهتمام الذي يعبر عنه الشباب المتعلم عبر هذه الفترات كمرشح في الانتخابات في حين نجده أقل حضوراً كناخب وهذا ما يعزي إليه بعض الشباب المتعلم وخصوصاً الجامعي في بعده عن المشهد السياسي والقضايا المصيرية، ورغم قوتهم العددية فإن إيمانهم بالعمل الحزبي والنقابي لم يلقي الاهتمام الكافي ولم تنتج لهم ثقافة التفاوض والمطالبة بالتغيير إضافة للأفكار التي كونها عن الأحزاب كونها مؤسسات خالية من الحياة الفكرية والسياسية ويسودها منطق الشللية والتزلف للأقوى وعبادة الشخص كما لا ننسى النظرة السلبية للنخب الحاكمة وخطاباتها التي رفضت مبدأ التداول السلمي على السلطة وترك مواقعها لنخب جديدة أكثر قرباً من المجتمع وأقل سناً¹.

ويعاني الشباب الجزائري من التهميش والإقصاء من مناصب إيداء الرأي وفرص المشاركة في بناء المجتمع، رغم وفرة الشباب الموهوبين والطاقات الفريدة، وتفوق الشباب الجزائري في العديد من الفعاليات والمشاركات الإقليمية والدولية، واستبعاد الشباب وعدم انخراطه في التنمية المجتمعية، ولا تقتصر المشاركة على نشاط أو مجال واحد من أنشطة الحياة لكونها حق وواجب في ذات الوقت فمن حق كل فرد بالمجتمع أن يشارك في مناقشة القضايا التي تهمه، وينتخب من يمثله بالبرلمان وان يرشح نفسه إذا ما توفرت لديه الضوابط القانونية والقدرة على القيادة.

¹ عبد الناصر جابي، الشباب والانتخابات الرئاسية في الجزائر 29 مارس 2009 تاريخ التصفح يوم: 2017/10/20 الساعة 11:00

2. المؤسسة الدينية والخطاب الديني ودورها في مرافقة الشباب المنحرف: نتفق أنه هناك جملة من الأسباب والعوامل متضافرة تؤدي إلى الانحراف، أو الخروج عن خط السير أو المنهج الصحيح أي تؤدي إلى الجريمة والانحراف، ومن أهمها على الإطلاق ضعف الوازع الديني، الجهل وتراجع دور المؤسسات الدينية، وتراجع دور المسجد، لذلك كان دوره مهما في حماية الأفراد من الانحراف والجريمة.

وعن دور المؤسسات الدينية وهي المسجد بصورة خاصة وتواجدها في هذه الأحياء العشوائية بصورة كافية حيث نجد تقريبا ثلاثة مساجد في الحي الواحد لكن رؤية الشباب لتواجدها ينحصر في تأدية العبادات الدينية، وإن كانوا مرتبطين بها فيصرح الأغلبية أنهم لا يترددون عليها، حتى أنهم لا يؤدون فريضة الصلاة إلا نادرا ويصرح بمحوث الحالة (رقم 01 السن 27) "أنه لا يثق في الأشخاص المتدينين أصلا يضيف أنه معروف بالمشاكل والانحراف لتعدد دخوله السجن، وهم أيضا لم يتقربوا منه لنصحه أو إرشاده."

باقي المبحوثين إناث أو ذكور يصرحون حاولنا في عديد المرات التوبة بمصطلحهم العدول عن الانحراف والتوقف عن السرقة وتناول المخدرات ولكن في السر فقط ودون التقرب من الأئمة أو المساجد لطلب المساعدة ويعتقدون أنهم محكومون بنظرة الانحراف واستهزاء العامة منهم خصوصا إذا حالوا الإقلاع عنها و يؤكدون فشلهم في ذلك .

عن الجانب الديني ومساهمته في مساعدة الشباب المنحرف الذي دخل السجن أو الشباب في المجتمع والانحراف الاجتماعي عامة يشرح في مقابلة إمام ومرشد ديني متعاقد مع مركز إعادة التربية يقوم بتقديم دروس وحصص دينية للمساجين يقول بأن الخطاب الديني في المجتمع اليوم لا يلبي ولا يتفهم احتياجات الشباب، خصوصا مع التغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري من خلال تغلغل التكنولوجيات الحديثة في الحياة اليومية والمترجمة بالخصوص في شبكة العلاقات والتفاعلات الاجتماعية، أما فيما يخص العشوائيات الحضرية أخبرنا أنه توجد العديد من المساجد والجمعيات المسجدية فيها لكن دورها يخضع للقوانين وأيضا للذهنيات الأحياء الموجودة فيها.

أما في مجال التدخلات الاجتماعية الخاصة بالفئة الشباب نجدها ضعيفة بالنظر للعدد الشباب المنحرفين وأنواع الانحراف لديهم وهذا حسب راجع لشعبوية الحي الذي يسكنونه حيث تتخذ بعض أساليب العنف كآليات دفاع عن وجودها في هذه الأحياء العشوائية، ويخبرنا أيضا بتقديمه لدروس في السجن يلاحظ أن أغلب الفئة العمرية الموجودة هي بين 20-32 سنة وحسبه أغلب القضايا المتورطة فيها

هي المخدرات، السرقة، الدعارة، الاعتداء والخيانة الزوجية، وحالتهم النفسية تتميز بالقلق والندم والبكاء والشعور بالصدمة وتنعكس خصوصا على جسمهم وشكلهم الخارجي في حين يبدأ في التأقلم بداية من قضاء ثلاث أشهر فما فوق في كثير من الأحياء، وأحيانا الضحك والهستيريا لعدم الوعي بالظرف الحقيقي ومحاولة الهروب من الواقع، ويضيف أن العملية التي يقوم بها تكون أسهل لدي هذه الفئة من ناحية زرع الوازع الديني وتنميته في نفوس المنحرفين ويجد أن النساء أكثر تأثر وتقبل لما يطرحه أكثر من الذكور يضاف لهذا أن الشباب الأقل من 18 سنة لا توجد لديهم قابلية لمثل هذه الدروس يعتبرونها مجرد كلام فارغ.

ويخبرنا أن النشاطات المسجدية ونشاطات الجمعيات الدينية والإرشادية تبقى محتشمة إن لم نقل غير موجودة في مجال توعية الشباب من الآفات الاجتماعية وخطورة وضياح مستقبلهم بعد الانحراف أو دخول السجن، خصوصا من النظرة المجتمعية وصعوبة الاندماج بعدها، ويذكر أنه نادرا ما يتقدم له أحد الشباب للمساعدة في هذا المجال إلا في حالة تقربه هو منهم، والخطاب المسجدي ضعيف كما لا تستغل المساجد في الجانب التوعوي والإرشادي ودورها هامشي لكون خطبها مستغلة سياسيا أكثر منها اجتماعيا، والمسجد نجده غائب عن التطورات والمظاهر الموجودة في الحي الموجود فيه وكأنه في عزلة عنه ولا يتوافق مع البيئة الموجود فيها.

إن الهدف من الإرشاد الديني وبمساعدة رجال الدين الذين لديهم خبرة في المعاملة العقابية بهدف تنمية القيم الدينية والأخلاقية لدى السجين وزيادة إدراكه ووعيه بشأن الأسباب التي أدت به إلى ارتكاب الجريمة، فعن طريق الإرشاد الديني يتمكن السجين من تكوين بصيرة جيدة عن العوامل والأسباب الذاتية التي دفعته إلى القيام بذلك السلوك الإجرامي، وكذا معرفة وإدراك العوامل الخارجية التي ساهمت في موقفه، ومن ثمة الشعور بالمسؤولية والواجب.

ونشر "دوركايم" حول قضايا الدين بأن وظائفه هامة يؤديها لفائدة قيام مجتمع بشري سعيد وقوي، وأكد دور الدين في تنظيم العلاقات الاجتماعية بما تضمنه من قواعد، ابتداء بتلك الخاصة ببناء الأسرة والمحافظة عليها، واحترام الملكية الخاصة، وأكد دور الأفكار الخاصة والقناعات الشخصية، والمحافظة على الأمن الاجتماعي إلى جانب تقديم خدمات من شأنها توفير الدعم المعنوي للفرد ومساعدته على العيش في حالة تناغم مع النفس وما يتعلق بحاجاته النفسية.

3. العمل التطوعي وتنمية المسؤولية الاجتماعية للشباب المنحرف: شكل العمل التطوعي أهم الوسائل المستخدمة لتعزيز دور الشباب في الحياة الاجتماعية والمساهمة في النهوض بمكانة المجتمع في شتى جوانب الحياة، وتزداد أهمية العمل التطوعي يوماً بعد يوم نظراً لتعدد ظروف الحياة وازدياد الاحتياجات الاجتماعية، وخير شريحة ممكن أن تنجح العمل التطوعي وتعطي فيه باندفاع وحماس تصل به إلى حد الإبداع هي فئة الشباب، إلا أننا رغم ذلك نجد أن هناك مؤشرات تدل على عزوف الشباب عن الانخراط في العمل التطوعي بشتى أنواعه أو تركزها في زاوية ضيقة تؤثر على واقع الشباب والعمل التطوعي وأسباب عزوفهم وسبل تحفيزهم للعمل التطوعي.

ونجد بعض المبحوثين يشاركون في الأعمال التطوعية ولكن بدرجة محدودة، ومنهم مبحوث الحالة (رقم 09 السن 33) مشارك في هذا العمل الخيري يخبرنا أنه يساعد في العمل التطوعي كسائق للسيارة إسعاف خيرية وسيارة الجناز وكذا المشاركة في حملات جمع التبرعات والمساعدات للجمعيات الخيرية وحملات لتنظيف الحي.

أما مبحوث الحالة (رقم 06 السن 34) يقول: "أنه مساهم في العديد من التظاهرات والنشاطات الثقافية في بعض الجمعيات الخيرية منها ما تعلق بأيام تحسيسية حول مضار التدخين وأيضاً مشاركته في قوافل للتوزيع المساعدات الخيرية، كما نظم كذا مرة وبمساعدة أصدقائه وبعض أقاربه حملات لتنظيف المقابر."

يقصد بالعمل التطوعي الجهد المبذول من أفراد المجتمع بدافع وقناعة للمشاركة طواعية من واقع الشعور بالمسؤولية واعتبارات أخلاقية أو إنسانية أو دينية ينبع من الإحساس بالانتماء إلى المجتمع، ومع أن العمل التطوعي لا يهدف إلى تحقيق أي ربح مادي، إلا أن هذا النشاط يشكل في الكثير من البلدان إضافة مادية هامة ودافعا من دوافع التنمية بشتى مجالاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للنهوض والارتقاء بالمجتمع ودفع عجلة التنمية.

وتظهر أهمية العمل الاجتماعي التطوعي للشباب لما يحققه من نتائج كثيرة لدى الشباب من خلال تعزيز الانتماء الوطني لديهم، وتنمية قدراتهم ومهاراتهم الشخصية العلمية والعملية من خلال مشاركتهم في أنشطة المجتمع المختلفة وإعطائهم الفرصة لإبداء آرائهم وأفكارهم في القضايا العامة وإبداء الحلول لها.

وهناك العديد من التحديات والمعوقات التي تشوب العمل التطوعي، بعضها مرتبط بالمتطوع نفسه والآخر بالمجتمع ومؤسساته والرسمية، ومن الأسباب التي قد ترتبط بالفرد الطبيعة الشخصية لدى بعض الأفراد وسلبيتهم في العمل، فتجد البعض يضع العديد من الحواجز النفسية التي تعوق مشاركته التطوعية في المجتمع، وعلى سبيل المثال الخجل أو عدم الشعور بالمسئولية تجاه المجتمع ومؤسساته سواء لعدم الثقة بهذه المؤسسات أو لعدم توافق مهام هذه المؤسسة مع شخصية الفرد واستعداداته، وهناك أسباب أخرى تحول دون مشاركة الشباب المنحرف في العمل التطوعي قد تكون اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية..

في دراسة "إيمان شومان" 2012 التي أوضحت فيها أن لدي العمل التطوعي أهدافا وغايات تربوية واجتماعية منها التعرف على القدرات واكتشاف المواهب والمشاركة في تنظيم وتنفيذ البرامج التربوية والتوعية وكذلك المشاركة في معالجة السلوكيات المنحرفة كما يشمل الأهداف الاجتماعية للعمل التطوعي تحقيق مبدأ التكافل بين أعضاء المجتمع وتوفير الرعاية الاجتماعية لأفراد المجتمع الأكثر حاجة، وإقامة وتوطيد روابط العلاقات الاجتماعية والتماسك الاجتماعي، والمساهمة في تطوير العمل الخيري وتحقيق الأمن وخاصة الأمن الاجتماعي¹.

ويقصد بالوضعية الاجتماعية والاقتصادية للحي هو دور النظم والأنساق الاجتماعية في إنتاج الحي العشوائي ماديا واجتماعيا، أي أن هذه الأحياء ظاهرة عمرانية ناتجة عن عدة عوامل موضوعية متفاعلة، من حيث تجسيدها على أرض الواقع الملموس فقد ساهمت فيه عدة عوامل اجتماعية ثقافية وتعكس مقومات سكانها وما يتميزون به من إرادة وتضحية وتضامن وتعاون، وهي القيم والسمات التي يحملها الجيل الأول بالخصوص من سكان هذه الأحياء، فالنسق التعاوني مثلا الذي يعتبر من أهم الأنساق الاجتماعية الريفية ومن سمات المجتمع الريفي الأساسية، ويستمر وبدرجة محسوسة في الوسط الحضري عند النزوح، وقد لعب دورا أساسيا وهاما في توفير فرص الاندماج للأسر النازحة خاصة في ميدان التعاون والسكن².

¹ أميرة يوسف بابكر بدري، إدراك الشباب ورؤاهم حول المسؤولية الاجتماعية، دراسة ميدانية لطلاب وطالبات جامعة الملك عبد العزيز، مجلة إضافات، عدنان 29-30 شتاء ربيع 2015، ص 282

² محمد بومخولف، التحضر، مرجع سابق، ص ص 206-207

ثالثا: التأطير والإدماج الاجتماعي بعد الخروج من السجن: صعوبات أم حماية اجتماعية

1. المؤسسات الرسمية وآليات إعادة الإدماج الاجتماعي للشباب المنحرفين: إن مسألة الاندماج في المجتمع بعد الخروج من السجن للفئة الشباب في العموم وفئة المنحرفين، تبقى رهينة نظرة المجتمع أولا الذي لا يرحم وحتى للمنحرف الذي لم يدخل السجن - الوصمة الاجتماعية - لا يبرؤه أبدا ويحمله لقب سجين طوال حياته، أما إذا كان المتهم فعلا مذنباً فإن المجتمع ينفر منه ومن التعامل معه بعد خروجه مهما اختلفت الدوافع التي رمت به خلف القضبان وهذا ما يضاعف من إحباط السجين ويجني على مستقبله.

إلى جانب معاناة السجين من نظرة المجتمع الدونية له فإنه غالبا ما يعاني أيضا من غياب الدعم المعنوي والنفسي والمادي من طرف الأسرة، فبمجرد إصدار القاضي للحكم تغادر بعض الأسر المحكمة ودون رجعة ولا توديع ابنهم السجين ، فما بالك باستقباله بعد الخروج من السجن فهذا النوع من الأسر يتنكر للسجين ويرفض الاعتراف به كفرد من الأسرة معتبرين ذلك عارا على سمعة الأسرة أما إذا كان السجين أو السجينة متزوجا فإن الطرف الآخر غالبا ما يطلب الطلاق قبل انقضاء مدة الحكم ، أو تبقى العلاقة في فتور وتأرجح خصوصا إذا عاود الدخول مرة أخرى.

و عن المشاريع والمؤسسات بعد الخروج من السجن يذكر مباحث الحالة (رقم 21 السن 22) أن علاقته بالبشر بعد الخروج من السجن غير عادية لأنه لا طموحات له ومن الأحسن الابتعاد عن عنهم والبقاء وحده، وأغلب الناس لا يرضون بتشغيله، لعدم وجود ثقة في المحيط، يقول حاولت في عديد المشاريع المتعلقة بالجزائر البيضاء ولم يقبل ملفي وأيضا وضع ملف للقرض المصغر رفض هو الآخر.

مباحث الحالة (رقم 13 سنه 33) يقول: "بعد خروجي من السجن أول ما فكرة فيه هو العمل ولكن دون جدوى لم يرضي أحد تشغيلي لذلك عاودت السرقة ودخلت السجن بسببها مرة أخرى."

مباحث آخر يطرح قصة دخوله السجن وخروجه منه كأكبر مشكلة حصلت له في حياته حيث أغلقت في وجهه كل الأبواب، يضيف حاولت في كذا مشروع لكون دوما أفشل وبحكم إدمانه على المخدرات يقول كنت ألجأ لسرقة حلي أمي حتى أتمكن من شراء قطعة زحلة وقارورات خمر."

في هذا المجال قال "عمار حمديني" رئيس الهيئة المدنية لإدماج ذوي السوابق العدلية والوقاية من العودة للجريمة، أن عدد السجناء الذين تم إدماجهم من قبل الهيئة المدنية لإدماج ذوي السوابق العدلية، تجاوز 2000 سجين مدمج، وهذا منذ فترة تأسيس الهيئة في 2003 إلى غاية الحصول على الاعتماد من

طرف الدولة في 2013، إضافة إلى تكفلها بـ 1080 عائلة مسجون، أما عن الفترة الممتدة من 2013 أوضح المتحدث أن هيئته كانت بصدد ترتيب أمورها وتنظيمها وكشف، عن تأسيس مركز لإدماج المسجونين فور خروجهم من السجن سيكون مقره بالجزائر العاصمة، حيث سيكون وجهة للسجين وفرصة لإعادة إدماجه مع المجتمع وعالم الشغل، وأضاف أن هيئته بصدد إنشاء ورشات خياطة للنساء المسجونات هي الأخرى ستساعد النساء اللواتي تخرجن من السجن على العودة للاندماج مع المجتمع وإبعادهن عن السقوط مرة أخرى في فخ الجريمة، للإشارة فإن الهيئة المدنية لإدماج ذوي السوابق العدلية والوقاية من العودة هي هيئة علمية تضامنية إدماجية انبثقت من المجتمع المدني وتعمل على التضامن والتكفل بذوي السوابق العدلية من أجل دمجهم في الحياة الاجتماعية العادية داخل المجتمع المدني الجزائري¹.

وترتبط السياسة العقابية الجديدة التي تبناها المشرع الجزائري بموجب قانون تنظيم السجون 04/05 وبهدف تحقيق الأهداف المسطرة بإعادة إدماج المحبوسين اجتماعيا للتقليل من الظاهرة الإجرامية أو على الأقل مكافحتها، لذلك ومن أجل تفعيل هذه السياسة التي تعتمد على مساهمة عدة هيئات وجهات فقد ذكر أن القانون جاء ينص على آليات تتمثل في وتهدف عملية إعادة التربية للمحبوسين وفق المادة 88 إلى تنمية قدرات ومؤهلاته الشخصية والرفع المستمر من مستواه الفكري والأخلاقي وإحساسه بالمسؤولية، وبعث الرغبة فيه للعيش في المجتمع في ظل احترام القانون وبإشراك الهيئات التالية²:

- لجنة تطبيق العقوبات
- لجنة تكييف العقوبات
- اللجنة الوزارية المشتركة
- لجنة إعادة التربية
- المصالح الخارجية لإدارة السجون المكلفة بإعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين وهي مكلفة بتطبيق إعادة الإدماج بالتنسيق مع المصالح والهيئات العمومية ومؤسسات المجتمع المدني للتكفل بالمحبوسين المفرج عنهم والموضوعين تحت يد القضاء.

¹ حليلة هلاي، 67 بالمائة من خريجي السجون يعودون إليها، في ظل غياب آليات تساعدهم على الاندماج الاجتماعي، جريدة البلاد، العدد 5237، 08 فيفري 2017، تاريخ التصفح 13 /10/ 2017 الساعة 16:00

<http://www.elbilad.net/article/detail?id=66045>

²قانون تنظيم السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين، الأمانة العامة للحكومة، رئاسة الجمهورية، سنة 2007، ص 22

في هذا الشأن يصرح مدير المصالح الخارجية لإدارة السجون بولاية سطيف أن بعض التهم لا تقبل لفتح سجل تجاري كقضايا الإرهاب أو التهريب والاتجار بالمخدرات، واغلب من يتقدم للمساعدة من ذوي المستوي التعليمي الابتدائي والمتوسط، وبالتالي يصعب مساعدتهم في بعض الحالات بسبب مستواهم وأيضاً عدم وجود شهادات للتكوين المهني تساعدهم على ولوج عالم الشغل والإدماج الاجتماعي، في حين يخبرنا انه اليوم تقدم عدة تربيصات للمساجين أثناء قضاء فترة عقوبتهم في عدة تخصصات وإبرام اتفاقيات مع مختلف المديریات والمؤسسات، وحتى إفساح الفرصة لهم لإكمال دراستهم حيث موجودة من أقسام محو الأمية إلى الثالثة ثانوي، ويذكر أن الذكور أكثر تواصلاً وإقبالاً للاستفسار عن المتابعة والبحث عن فرص العمل والإدماج الاجتماعي في شتي المجالات، والإناث يذكر يجدن صعوبة في التواصل وأيضاً متابعة الإجراءات القانونية وأغلبهم يرفضن التواصل بعد الخروج ويكون البقاء في المنزل هو الحل لديهم بسبب المضايقات العائلية ومضايقات المحيط ونظرته لهن.

وحسب المسؤولين عن قطاع السجون فإنه هناك سعي حثيث لتكثيف البرامج وتوسيع الجهود لتطهير المجتمع من الدوافع المغذية لظاهرة الجريمة والسلوكات المنحرفة، من خلال اعتماد سياسة كفيلة بتأهيل المسجونين وفق مبادئ الخدمة الاجتماعية، وتشمل الرعاية داخل المؤسسات تعليم النزلاء، الأُميين منهم بتمكينهم من مزاولة برامج محو الأمية وتعليم الكبار، أو الذين يرغبون في مواصلة مشوارهم الدراسي، بتمكينهم من الدروس التدميمية وتسهيل عملية تسجيلهم في المؤسسات التعليمية المناسبة، وانخراطهم وكذا ترشحهم في المسابقات الرسمية كشهادة التعليم الأساسي أو المتوسط وكذا شهادة البكالوريا، وقد نص القانون صراحة على تأمين تعليم المحكوم عليهم بإقراره ضرورة وأن تنظم لفائدة المحبوسين دروس في التعليم العام والتقني والتكوين المهني والتمهين والتربية البدنية وفقاً للبرامج المعتمدة رسمياً، مع توفير الوسائل اللازمة وفقاً للمادة (94) من قانون تنظيم السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين، 2005، وقد كشفت الإحصائيات (من كلمة وزير العدل في مداخلته في المنتدى الوطني حول "دور الحركة الجمعوية في إعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين)، أن 59% من المساجين لا تزيد أعمارهم عن 30 سنة أي أن النسبة عالية من المسجونين هم الشباب المنحرف، كما تكشف إحصائيات شهر ماي من سنة 2004 التي صنفت 16959 سجين تتراوح أعمارهم ما بين 18 و 27 سنة، وهم يشكلون نسبة 44.2% من التعداد الإجمالي للمساجين، وأن ما يعادل 15271 سجين تتراوح أعمارهم ما بين 27 و 40 سنة أي بنسبة 39.62% من مجموع المساجين، وبذلك فإن شريحة الذين تتراوح أعمارهم ما بين 18 و 40 سنة تشكل 83.62% من إجمالي المساجين، كما كشفت الإحصائيات أن 84% من مجموع

المساجين لا يتعدى مستواهم الدراسي مستوى التعليم الأساسي، وأن النسبة الغالبة تنحدر من منحنيات المدينة وتجاعيدها¹.

وقدمت لنا منسقة الخلية الجوارية للتضامن لمدينة سطيف بطاقة عن خدمة الإدماج والآليات المقدمة للشباب التي تبدأ قبل خروجهم من السجن من خلال الاتفاقيات المبرمة مع إدارة السجون، وتشمل الاتفاقية الأولى القيام بالحملات التحسيسية داخل السجن محتواها التعريف ببرامج المساعدة والتوجيه والوساطة الاجتماعية، وبعد خروجهم من السجن برسائل توجيهية يتقدمون بها للخلايا الجوارية الموجودة على كل مستوي منطقة التدخل التابعة لوكالة التنمية الاجتماعية - الدائرة والبلدية مقر الإقامة - وأخري موجهة لغرفة الصناعات التقليدية والحرف، ووكالة التشغيل.

وتشرح طريقة استقبال وتوجيه المسجون بعد تقدمه لطلب المشروع وفهم البرامج والمتمثلة في:

- جهاز إدماج النشاط الاجتماعي.

- برنامج إدماج حاملي الشهادات.

- برنامج الجزائر البيضاء.

- برنامج الأشغال العمومية ذات الاستعمال المكثف لليد العاملة.

وتوضح أن هذه البرامج لا تشترط أو تنتظر في قضية دخول السجن أي كانت وأيضا لا تشترط شهادة السوابق العدلية لذلك يقبل الكثير من الشباب عليها، وحسب تقييمها والممارسة الميدانية وبالإحصائيات فإن أكثر البرامج ملائمة وقبولا من طرف المسجونين هي برنامج الجزائر البيضاء لكونه البرنامج الذي يتوفر على مبالغ مالية معتبرة وكل عقد في سنة يمول فيه الشاب بـ85 مليون سنتم كل ثلاث أشهر، والأعمال المدرجة له هي القيام بالنظافة في الحي والمساحات الخضراء، وتنظيم الأحياء.

ويستطيع المشاركة في البرنامج الرابع وهو الأشغال العمومية ذات الاستعمال المكثف لليد العاملة وهو مشروع كبير في مجال صيانة الطرقات الغابات والأشغال الصغيرة في مجال الفلاحة والري، والعقد لمدة ثلاث أشهر فقط.

في حين يقبل البعض على البرامج الأخرى وهي برامج تدخل في مجال التوظيف في الإدارات والخدمات أكثر منها مشاريع ذات مداخيل أكثر وفي حالة رفض كل هذه البرامج يتم توجيههم إلى برامج القروض المصغرة والتنسيق معم في هذا المجال.

¹النشاط التربوي والتأهيلي داخل السجون (المديرية العامة لإدارة السجون) www.mjustice.dz

أما تطبيق الاتفاقية الثانية فهي من خلال التكفل ومساعدة عائلة المحبوس خصوصا في حالة تكون ظروفها صعبة من ناحية الفقر والعوز، أو وجود أحد أفرادها معاق، من خلال منحهم الاستفادة من المنحة الجزافية، ويجري هذا التكفل بعد طلب المحبوس ذلك من مصلحة الإدماج وبعدها يجري تحقيق مع العائلة ويتم إدراجهم ضمن برامج الوكالة، عموما ويتم مساعدتهم في مجال توفير مناصب شغل قارة أو مؤقتة لأفراد هذه الأسرة، واستفادتهم من منح المناسبات والأعياد، كما تتم مرافقتهم طبيا ونفسيا في حالة وجود ضرورة لذلك كإجراء عمليات جراحية أو توفير الأدوية للأمراض المزمنة، وتقديم المساعدة النفسية إذا لزم الأمر في حالة وجود مشاكل وصعوبات في تقبل موضوع وظروف العائلة وعلاقتها بالمسجون.

وبرغم هذه الآليات المقدمة وبرامج إعادة التربية وإدماج المحبوسين تبقى محدودة الفعالية ما لم يتم استمرارها إلى مرحلة ما بعد انقضاء فترة العقوبة، وبإشراك باقي القطاعات في سياسة إعادة الإدماج الاجتماعي، عن طريق تشجيع العمل الجماعي في ميدان حماية المحبوسين وضمان الدعم لهم التي تهدف أساسا إلى تقليص الهوة بين السجن والمجتمع، وفتح السجون أمام نشاط الجمعيات وإعانات المتطوعين وتفعيل دور التعاون بين قطاعات الدولة والمجتمع المدني في مجال إعادة المحبوسين وترسيخ ثقافة الإدماج الاجتماعي في سلوك الأفراد.

2. إعادة إنتاج السلوكات الانحرافية لدى الشباب والعود للجريمة: من خلال الدراسة الميدانية وبملاحظة سجلات هؤلاء الشباب المحاورين، وكما موضح في الجدول عرض المقابلات أن أغلبهم دخل السجن وارتكبوا السلوكات الانحرافية لأكثر من مرة، وتعددت آرائهم وأسبابهم بين الظروف والضغوط السكنية وطبيعة المحيط العشوائي، وما يحتويه من نقائص واختلال في شتي الجوانب الاقتصادية الاجتماعية والثقافية، وطبيعة العلاقات والتفاعلات الاجتماعية وانعكاساتها على نفسياتهم وسلوكاتهم وتصرفاتهم خصوصا السلبية والانحرافية، ويخبرنا أغلب المبحوثين مثلا الحالة (رقم 03 السن 32) "أنه حاول مرارا وتكرارا الابتعاد عن هذه الانحرافات لكنه في كل مرة يفشل في ذلك، وأحيانا دون قصد منه خصوصا أنه متزوج له أولاد، وزوجته حسب قوله لم تعد تتقبل دخوله وخروجه من السجن، وكثيرا ما كانت تترك المنزل وترفض العود له وطلبت الطلاق كذا مرة، ويقول أحاول أن أترك هذا المستنقع ا من أجل أولادي".

في حين يصرح مبحوث آخر الحالة (رقم 13 السن 31) "أنه يعود في الغالب لهذه السلوكات ويعاود دخول السجن بسبب الحاجة لأن سبب دخوله هو السرقة وأيضا مجارات للأصدقاء".

كما يخبرنا مبحوثين آخرين إناث أو ذكور أن جو الأصدقاء بوجود المخدرات هو السبب الذي يجعلنا دوما ندخل السجن لأكثر من مرة، في حين أن الذين دخلوا مرة واحدة ولم يتكرر ذلك يقرون أن ظروف السجن ودخوله قاسية جدا وظروف الإقامة فيه لا تحتمل.

في حين يوجد بعض المبحوثين الغير مبالي بقصة دخوله وعدد المرات حتى أنه يقول رغم مرارة تجربة دخول السجن إلا أنهم تعلموا الكثير فيه وفهموا القوانين جيدا إلى درجة أنه يعترئهم بعض الغرور ويقولون نحن نعرف الآن النطق بالحكم في أي قضية قبل أن يصدره القاضي، كما يعتبرونه تجربة في الحياة وتمر ويقول أحدهم: "أن المثل الشعبي عندنا يقول الحبس للرجال".

ويعترفون بتعلم فنيات وتقنيات بعض الجرائم من خلال الاختلاط بذوي الخبرة في السجن حيث توجد فئتين حسبهم فئة دخلت السجن بسبب إحدى الجرائم كالقتل أو السرقة، وما إلى ذلك من الجرائم التي تستغرق عقوبة طويلة الأمد وهو ما يسمح لهم بالحصول على تكوين داخل السجن، ويحاول السجين إصلاح حياته وأخطائه ويحصل على مورد رزق بعد الخروج من السجن، لكن هؤلاء السجناء يصطدمون بواقع مرير بسبب رفض المجتمع تشغيل ذوي السوابق حتى لو كان يتوفر على مؤهلات وكفاءة مهنية.

أما الفئة الأخرى فهي الفئة المثقفة وكانت تشغل مناصب محترمة داخل المجتمع وقادتهم الصدفة والحظ السيئ للسجن كإصدار شيك بدون رصيد أو التهرب الضريبي أو اختلاس الأموال، فيتم الزج بهم وسط المجرمين ويتعايشون معهم لأوقات طويلة حتى تصبح تصرفاتهم تحمل شيئا من الإجرام، لأن السجون توفر المناخ الملائم لتكوين مجرمين وجانحين فيخرجون أكثر خطورة مما دخلوا عليه، وأول ما يحاولون فعله بعد الخروج من السجن هو مواصلة حياتهم كما تركوها لكن للأسف المجتمع لا يقبلهم ولا يقبل بتوظيفهم في وظائف من نفس المستوى قبل السجن بسبب انعدام الثقة لأن الشركات والمؤسسات لا تثق في السجين حتى لو أعلن توبته فيضيع مستقبله كما ضاع ماضيه.

وتشير إحصائيات وردت على لسان "عمار حمديني" رئيس الهيئة المدنية لإدماج ذوي السوابق العدلية والوقاية من العودة أن ما نسبته 67 بالمائة من المساجين يرتكبون جرائم للعودة إلى الحبس مجددا، في ظل غياب آليات تحتضنهم وتعيدهم للطريق السوي وأمام نبذ المجتمع لهم، وطالب المتحدث بضرورة أنسنة السجون والتكفل بالفئات الهشة داخل المؤسسات العقابية على غرار القصر والنساء وكذا

تكوين المساجين، وتمكينهم من افتكاك شهادة تسمح لهم بالاندماج مباشرة بعد نفاذ فترة سجنهم وإعادتهم إلى شغلهم حتى لو استوجب الأمر منحهم شغل آخر¹.

ويفسر العود للجريمة أنه مسؤولية المجتمع وفيها الخطر الذي يتعرض إليه عند تفشيها، قد يؤدي إلى ممارسات جديدة يفرضها المجتمع على نفسه لتحقيق التكيف مع الوضعية الجديدة التي تحقق الدفاع الاجتماعي، لأنه إذا كانت الجريمة ظاهرة إنسانية فإن انتشارها أخذ منحى ثقافي عالمي يهدد أمن وتطور المجتمعات مهما كان انتمائها الحضاري أو الإيديولوجي، وعليه فإن عملية إعادة الإدماج الاجتماعي للمفرج عنهم ليست مسؤولية المؤسسات العمومية وحدها، ولكنها مهمة المجتمع بكل مؤسساته، ومنه يجب العمل على تعديل التصورات الاجتماعية للمحبوس لدي كل أفراد المجتمع وعلى جميع الأصعدة لان المجرم اليوم هو نتاج نقص رهيب في المبادرات².

وفي دراسة "سعيد الشهراني" عن عوامل العودة للجريمة في سجون منطقة الرياض أجريت على عينة قوامها 115 نزيلا عائدا، وتوصلت للنتائج التالية³:

5- جرائم المسكرات والمخدرات والأخلاقيات من أكثر الجرائم ارتكابا من قبل العائد عند أو سابقة، وجرائم السرقات والمخدرات والمسكرات والأخلاقيات من أكثر الجرائم ارتكابا عند آخر جريمة، إضافة إلى هذه الجرائم من أكثر الجرائم بالنسبة للعود الخاص.

6- اتضح أن جرائم العود تكثر في البيئات الحضرية وضواحيها أكثر منها في القروية وغالب العائدين لديهم سابقتين فأقل.

7- هناك علاقة بين العود وتدني المستوى التعليمي للعائد، إذا يلاحظ الانخفاض الشديد في المستوى التعليمي للعائدين.

8- اتضح من الدراسة أن غالبية أفراد العينة يوافقون على أن السجن لأول مرة يتعلمون من السجناء وأصحاب السوابق أساليب وأفكار جديدة عن الجريمة بسبب الاختلاط داخل السجن.

4. الوصم الاجتماعي بعد الخروج من السجن وصعوبة الاندماج للشباب: توصلت دراسة عن التصورات الاجتماعية للسجين أن النظرة له ترتبط بتغير الذهنيات الاجتماعية ويحدث ذلك عندما تظهر الحوادث التي

¹ حليلة هلال، 67 بالمائة من خريجي السجون يعودون إليها، في ظل غياب آليات تساعدهم على الاندماج الاجتماعي، جريدة البلاد، العدد 5237، 08 فيفري 2017، تاريخ التصفح يوم: 13 / 10 / 2017 الساعة 16:00 <http://www.elbilad.net/article/detail?id=66045>

² سميرة هامل، التصورات الاجتماعية للسجين لدي مسؤولي المؤسسات المتعاقدة مع وزارة العدل وأثرها في إعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين، دراسة ميدانية بالمؤسسات العمومية لولاية باتنة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس العيادي، قسم علم النفس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2011-2012، ص 144

³ عبد الله بن ناصر بن عبد الله السدحان، مرجع سابق، ص ص 20 - 21

يراهما المجتمع منبهة بالخطر أو يحتمل أن تهدد تنظيمه الحالي، فإدراك المجتمع من خلال التوعية عبر وسائل الاتصال والتواصل المختلفة بأن المفرج عنه الذي يواجه الرفض من مجتمعه على مختلف المستويات وأهمها الحصول على عمل، قد تكون له صورة سلبية عن نفسه داخل المجتمع وعليه يتموضع بطريقة سلبية بالنسبة للعدالة¹.

في هذا المجال يقول المبحوث الحالة (رقم 16 السن 25 دخل السجن بسبب حيازة وتعاطي المخدرات، السياقة في حالة سكر) "بعد خروجك من السجن يراك الناس حثالة المجتمع مسلوب الحقوق ومحقور والكلب أحسن منا".

ومبحوث الحالة (رقم 09 السن 33) يقول: "ينظر لك الناس بعد خروجك من السجن أنك لست بشر وأنت تحشم من نفسك والمجتمع لا يرحم ويصعب عليك التأقلم بعد الخروج منه".

أما مبحوث الحالة (رقم 02 السن 28) يقول: "السجن صعب تشعر وكأنك عصفور في قفص ولما تخرج تأخذ مدة طويلة حتى تتعود على حياتك اليومية والعائلية، وتجد نفسك لا تريد الحديث أو التقرب من أي كان في الأسرة أو الشارع أو المحيط العام، ويقول أن المجتمع من المفروض يقيم الفرد حسب خطئه لان دخول السجن للمرة الأولى من المفروض لا يلام عليها الفرد لأنها تكون دائما غلطة وعدم دراية، أما إعادة السلوك الانحرافي ودخول السجن لمرات عدة يعتبر عن قصد والفرد لم يستطع الابتعاد عن هذا الجو ونظرة المحيط له تتسم بالعدوانية أكثر".

أما مبحوث الحالة (رقم 16 السن 25) يقول: "بعد خروجي من السجن أري في نظرة الناس أنني مثل الإرهابي يخافون مني والكثير منهم يتحاشى لقائي أو الحديث معي، وحتى أنا لا أحس بوجود الناس أو الجيران لغيتهم من تفكيري بعد دخولي وخروجي للسجن في المرة الثانية، وأنا لا أراهم موجودين أصلا وأفعل ما أشاء سواء صواب أو خطأ".

أما جل الإناث يصرحن نحن النساء النظرة لنا دائما فيها شكوك أما في حالتنا المعروفة بالانحراف فإن نظرات المجتمع لنا تذبحنا يوميا ، ونحن بالنسبة للأغلبية مجرد حيوانات هائمة إلا القلة القليلة التي تحمل في قلبها مشاعر الإنسانية".

وعن وضعيات وحالات الإدماج والاندماج وهي من بين الإشكاليات المطروحة بقوة في المجتمع عامة ولدي الشباب خاصة الذين دخلوا السجن أو يعانون من مشاكل في المحيط السكني والأسري عموما، يقرون أن نهم يعانون من صعوبة أولا في إيجاد مدخول مالي أو منصب عمل من خلال ما توفره مراكز

¹ سميرة هامل، مرجع سابق، ص 143

ومصالح الدولة كثقافة المقاول، وتأهيل علمي واجتماعي يخضها الشباب ذوي السوابق العدلية، ويبحث عن فرص لإعادة بناء نفسه وتحسين صورته في المجتمع ويتجه لهذا المنحي كون الدولة توفر من سبل الإدماج عدة برامج تتماشى وطبيعة السلوك الانحرافي والإجرامي المرتكب، وتعطي له المرافقة الإدارية والتوجيهية للمشروع لكن ما يواجهه أن هذه المشاريع تعجيزية حتى للشباب البطال دون سوابق ووفي ظل الظروف الأسرية والاجتماعية وحتى نظرة المحيط تصبح هذه المشاريع مفلسفة في ظل غياب الرأسمال الاجتماعي للمساهمة والمساعدة في إنجاح هذه المشاريع.

ويصرح أحد المبحوثين الحالة (رقم 01 السن 27) المستفاد من مشروع المقاول الصغير والعامل في مجال النظافة وله 7 عمال، وفي هذا الإطار تعرف المؤسسة المصغرة بأنها مؤسسة تشغل من 1 عام إلى 9 عمال وتحقق رقم أعمال أقل من عشرين 20 مليون ديناراً أو يتجاوز مجموع حصيلتها السنوية 10 ملايين ديناراً¹، وعن الوضعية الحقيقية لهذه المشاريع يقول المبحوث أنها لا تدوم والعقد لا يجدد ، "ويضيف بأن الأموال التي تقضاها اشترى منها سيارة والباقي وفره لاحتياجاته ومصاريفه، خصوصاً انه مدمن خمر ومخدرات وبالتالي لم يستطع إنجاح المشروع رغم حصوله عليه".

في حين يصرح مبحوث الحالة (رقم 15 السن 35) "أن الشروط وعدد السوابق وخطورتها يؤثر على الحصول على هذه المشاريع ويضيف أن الناس لا تثق فينا نظرنا لسمعتنا وتصرفاتنا ويقول وعلاه الناس رايحة تشارك سراق طبعاً يخافوا".

أما مبحوث الحالة (رقم 03 السن 32) يقول " حاولت العمل كذا مرة آخرها كان عند مقاول في مجال دهان العمارات ولكن هذا المقال رغم معرفته لظروفي إلا أنه كان يتماطل دفع أجرتي فأضطر لتهديديه بتخريب العمل بعده كان يعطيني حقي "

أما عن الاندماج الاجتماعي في المحيط السكني والأسري نجد أن اغلب الشباب المسبوقين تلقون أزمات نفسية حادة نتيجة نظرة الاحتقار والازدراء التي تطالهم من المجتمع، إضافة إلى تصنيفهم في خانة من لا يجب مصاحبتهم أو مشاركتهم في أي حال من الأحوال، وتسبب النظرة السلبية للمجتمع اتجاه المسبوق قضائياً أزمات عديدة، فكثيراً من خريجي السجون يعانون من نظرة النقص ويتلقون في كثير المرات صدمة رفض المسؤولين طلب توظيفهم، وذلك باعتبارهم من ذوي السوابق العدلية، وهذا ما يسبب لهم أزمة اقتصادية قد تطال حتى أوليائهم، ما يؤدي بهم في بعض الأحيان إلى التشرد والضياع، ومعظم

¹ القانون التوجيهي لترقية المؤسسات الصغيرة والمتوسط، الفصل الثاني، ديسمبر 2001، ص 9

خريجي السجون على اختلاف الجريمة التي ارتكبوها والعقوبة التي قضوها، يعانون من نظرة النقص والذل والاحتقار من أفراد المجتمع، وهذا ما يخلق لديهم نوع من الانعزال عن المجتمع، فتصبح العقوبة الحبسية تلاحقه في كل حياته، فيصبح أسير النظرة السيئة التي يرسمها المجتمع ضده، وهذا ما يشكل لديه أزمات نفسية حادة نتيجة الرفض الاجتماعي له، وكثيرا ما تكون العودة إلى الجريمة حلا من حلول الهروب من نظرة المجتمع القاسية، فيلجأ المجرم إلى تكرار ما فعله من أجل الانتقام من تلك النظرة التي يصنعها له المجتمع، لأنه يرفض السجن حتى لو كانت الجريمة بسيطة، ويعرقلون إصلاحه وتقبل توبته، ومن ثم مساعدته في الاندماج فيه من جديد.

وكان الهدف من دراسات العودة للجريمة هو التخطيط للوقاية منها ورسم سياسات تخطيطية، هو مكافحة الجريمة التي تظل الهدف الاسمي لحماية المجتمع، ولذا فإن الأبحاث في جغرافية الجريمة تتمحور حول عدد من النقاط وهي¹:

- تصنيف البيئة المحلية بمقاييس متفاوتة حتى يمكن من خلالها التعرف على الفرص المهيأة بها لارتكاب المجرمين لأنواع محددة من الجرائم .
- معالجة القصور في البيئات المحلية من الناحية الطبيعية والاجتماعية وفق منظور معين.
- معالجة المشكلات التي تنجم عن سلوكيات بعض مرتكبي الجرائم، فنمة أمور يمكن معالجتها ووضعها موضع تنفيذ مثل زيادة عدد الدوريات من رجال الأمن في المنطقة.
- الاستفادة من تطبيق بعض من أفكار الحيز الدفاعي الحصين أو المنيع لسمات التصميم العمراني لإنشاءات المستقبل على الموقع أو الأماكن الأكثر عرضة للجريمة، عبر تشديد الرقابة من خلال خصائص حماية المباني في المنطقة، مع إدخال التحسينات في المنازل ومشاريع الإسكان الحكومية.
- التركيز على الإجراءات الرامية إلى تقوية شعور الانتماء والهوية المشتركة بين الأفراد في البيئة المحلية.

¹ ديفيد هيربرت، مرجع سابق ، ص 94 - 95

ثالثا: نتائج الفرضية الثالثة

تتلخص نتائج هذه الفرضية التي مفادها غياب التأطير (بأنواعه) والهيكلية الاجتماعية الحضرية بالأحياء العشوائية يدفع بالشباب لخلق فضاءات واقعية وافترضية وثقافة شارع قد تجرهم للانحراف والإجرام وهي:

- أن العشوائيات الحضرية محل الدراسة السابقة الذكر تعاني من غياب واضح في الهيكلية الاجتماعية التي تتوافق بين طبيعة الكثافة السكانية المتواجدة بها وبين المؤسسات والفضاءات التي تقدم لها التأطير، بالخصوص لفئة الشباب الذي يعتبر الأكثر استقطابا لهذه الفضاءات وفي غيابها تطرح العديد من الطرق للتأطير الذي يتنوع بين الرسمي والحر.

- أن أغلب الشباب كما سبق الذكر يعاني من صعوبات ومشاكل كالبطالة، والفقر ومزاولة الأعمال الغير الرسمية يضاف لها الوضعيات الأسرية المعقدة التي تتيح أوقات فراغ واسعة للشباب وهنا تبرز الطريقة التي يقضي بها هذا الوقت الذي يتباين بين النوم في النهار والسهر في الليل، ولتجمعات مع الأصدقاء له الحصة الأكبر، وقضاء الوقت في الفضاء الذي أتاحتها التكنولوجيا الحديثة وبالخصوص موقع الفيسبوك، ومشاهدة الفيديوهات.

- أما عن مؤسسات التأطير الرسمية فغيابها كلي في هذه الأحياء حتى أن وجودها يعتبر شيء غير عادي، كدور الشباب وفضاءات الرياضة، الراحة، وبالتالي كان المجال لظهور ثقافات تعوض هذا النقص بالأخص الشارع الذي أصبح يحتل مكانة مهمة في تأطير الشباب خصوصا في الفضاء العمراني العشوائي وما يتميز به من وجود مساحات لممارسة هذه الثقافات خصوصا منها الانحرافية والإجرامية.

- أظهرت الدراسة أن مؤسسات التأطير الرسمية كالمساجد والجمعيات والأحزاب السياسية دورها غائب في مجال التأطير ومرافقة الشباب في مشاغلهم ومشاكلهم اليومية، وتنمية روح المسؤولية المجتمعية والمشاركة في هذه الأحياء العشوائية، وحتى الشباب لا يعير هذه المؤسسات أي أهمية ويرى أنها مجرد ديكورات تتوسط أحيائهم والغالب تبحث عن مصالحها المؤقتة لديهم.

- توصلت الدراسة لنتيجة مفادها أن غياب فلسفة التأطير كمشروع مجتمعي لدى كل المؤسسات في المجتمع ساهم في ضياع الشباب وانسياقهم في عالم الانحراف والجريمة كتعبير عن الفراغ وعدم الاهتمام.

- يشكل فضاء التواصل الافتراضي اليوم مجالا جديدا يستقطب تقريبا كل الشباب وأيضا المنحرفين في محاولة للتعبير عن العزلة الاجتماعية وحرية التعبير وكذا فضاء لقضاء وقت الفراغ وما يتيح من ربط للعلاقات الاجتماعية المفتوحة على كل الاحتمالات لا تراعى أو تتحكم فيها نظرة المحيط السكني للمنحرف .

- يعبر الشارع اليوم في فضاء المدينة العام والعشوائيات الحضرية عن فضاء ليس بجديد يحتوي يوميات الشباب وما يخلقونه من ثقافات خاصة بهم، محاولين التعبير عن تواجدهم وطرح اهتماماتهم وفشلهم فيه رغم غياب التأطير الايجابي فيه .

- يعاني الشباب في العشوائيات الحضرية محل الدراسة من تبعات سلوكهم الانحرافي في شتي المجالات والأكثر ضررا هي الشعور بالاحتقار والذل من طرف محيطه الاجتماعي، وتشكل نظرة الوصم الاجتماعي له عائقا في الاندماج والعودة للحياة العادية وبذلك ينعزل ويحاول الهروب من نظرة الناس وصورتهم عنه، وهذا ما يجعل الكثير منهم يعود للجريمة كتعبير عن محاولات يائسة للاندماج والرفض الاجتماعي .

- توصلت الدراسة أيضا أن غياب التأطير ساهم في الانحراف لدي الشباب العشوائيات وساهمت أيضا ضعف آليات الإدماج الرسمي المتمثلة في إدماج الشباب الذي دخل السجن في عالم الشغل وتذليل الصعوبات الإدارية، والإدماج الغير الرسمي المجتمعي الذي يعاني منه الشباب بصورة واضحة على كل المستويات في الأسرة الشارع الحي الذي يكسبه، التقبل من طرف المجتمع، ونظرتهم له كمحبوس سابق.

- كل هذه المعطيات جعلتهم ضحايا للمرة الثانية وبالتالي بقية الدورة منحصرة في أن الحي العشوائي يتميز بخصائص على مستوى الايكولوجي التي تهيئ الظروف لاكتساب السلوك الانحرافي والعلاقات الاجتماعية المتسمة بالتعقد والتنوع التي أضاعت الشباب في هذا النسيج الاجتماعي وجعلته يتجاذب بين الأنساق الريفية والحضرية وتختم بغياب التأطير والهيكلية الاجتماعية وآليات الإدماج الاجتماعي وبالتالي عودة الشاب لنفس الظروف التي تساهم في إعادة إنتاج السلوكيات المنحرفة والإجرامية.

غياب التأطير الرسمي وغير الرسمي والهيكلية الاجتماعية بالعشوائيات الحضرية يساهم في توجيه الشباب للتأطير الحر في فضاء الشارع أو الفضاءات الافتراضية وبغياب المراقبة ينساق الشباب إلى الانحراف والإجرام.

خلاصة:

إن مسألة التأطير في المجتمع ترتبط بعدة عناصر متصلة فيما بينها، تبدأ من الأرضية الأولى هي وجود مرافق وهاكل تهتم بالتخطيط والبرمجة للشباب، تمر بعدها لمساهمة لكل مؤسسات التنشئة الاجتماعية في المجتمع بتكامل أدوارها تختتم بالمراقبة والإشراف وتتبع اهتمامات الشباب حسب التغيرات الحاصلة في المجتمع، لذلك يمكن القول أن غياب تأطير الشباب في الأحياء العشوائية مرده هو غياب هذه الفلسفة في الوسط الحضري العام في المجتمع، وبالتالي شريحة واسعة من الشباب تتأطر تأطيرا حرا وغير مراقب لذلك نجد فئة كبيرة منها تضيع في عالم الانحراف والإجرام.

الاستنتاج العام: بعد عرض النتائج وتحليلها ومناقشتها يمكن القول أن النتائج التي خلصت لها هذه الدراسة هي:

- العشوائيات الحضرية محل الدراسة متواجدة على أطراف المدينة المركز ولها امتداد تاريخي نشأة من وقت الاستعمار الفرنسي، ثم توسعت بالفعل النزوح الريفي الذي عرفته الجزائر في الثمانيات والهجرة من أجل العيش في المدينة وفي التسعينيات بالفعل الظروف الأمنية والسنوات التي بعدها دخلت في ثقافة التحاليل للحصول على مساكن في إطار تسوية وضعيات البناء الفوضوي.

- أنماط السكن الموجودة في هذه العشوائيات هي ثلاث أنواع الأول البناءات الفوضوية من ناحية شكل المنزل والمواد المبنية به، النوع الثاني منازل وسكنات مبنية بطريقة أكثر تنظيماً لكن دون رخص وملكية وتشكل تجمعات سكنية واسعة وهي تحسينات لكثير من السكنات الفوضوية القديمة، وتشكل النسبة الأكبر من مجموع سكنات العشوائيات الحضرية، النوع الثالث المنظم والرسمي دخل حيز التوسعات والتخطيط العمراني وهي سكنات ومنازل منظمة في الشوارع والممرات وعبارة عن فلل، يضاف لهذا عمارات سكنية مبرمجة في كذا سياسات حضرية.

- تتميز هذه العشوائيات الحضرية بشكل عمراني عشوائي يحمل الفوضى في البناءات والسكنات وشكل الشوارع والممرات والطرق ، بنقص واضح في المرافق والهيكل الخدماتية التي تضمن الاستقرار لسكانه، ويترجم هذا النقص في عدم التوازن الحضري بالحي السكني وبالتالي يساعد على نمو الصراعات والأزمات في محيط يعرف اللاتنظيم خصوصاً على المساحات والشاغرة.

- الحي بالنسبة بالشباب لا يعني في تمثلاتهم الاستقرار والراحة بل يعني مقر لسكن وعدم الاندماج الاجتماعي والمعاناة في كل النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والشعور بغياب العدالة الاجتماعية والتهميش والإقصاء والإبعاد .

- الحي العشوائي مجال خصب للعديد من التناقضات الاجتماعية على كل المستويات السكنات، العلاقات الاجتماعية، التفاعلات والروابط الاجتماعية والتي بدورها تخلق جو مناسب وحاضن للانحراف والجريمة.

- يعاني الشباب في هذه العشوائيات الحضرية من صعوبات وضغوطات اجتماعية ونفسية تترجم في غموض تمثل الحي لديهم، أيضا الحصول على مصدر للاستقرار المادي، والصعوبات عدم وجود نموذج

موحد للتنشئة الاجتماعية أنتج صراع بين الفئات السكانية المختلفة في الحي، عدم وجود مساحات ومرافق وهياكل تهتم بمرافقة الشباب في حياته اليومية.

- شريحة واسعة من الشباب دخلت عالم الانحرافات السلوكية المرفوضة اجتماعيا وقانونيا أغلبها تعبر ضياع وعدم الاستقرار، وتعبر الأنماط الأكثر شيوعا وهي السرقة السطو الاعتداءات الضرب والجرح العمدي، الانحرافات الأخلاقية، والتعاطي والمتاجرة بالمخدرات أنها محصلة المشاكل الاجتماعية في المجتمع وغياب سياسيات وبرامج تحتوي هذا الشباب.

- المخدرات مشكلة أساسية لدي الشباب وأغلبهم يعاني من مشاكل الإدمان بالخصوص نفسيا واجتماعيا وعدم القدرة على تحقيق التوافق الاجتماعي رغم محاولات العلاج والتوقف عن التعاطي.

- يبقي الشباب المنحرف الذي دخل السجن خصوصا رهين النظرة المجتمعية وصعوبة المواجهة في الحياة اليومية في مجال العمل والاحتواء الأسري ووجود مؤسسات تقدم الدعم النفسي والاجتماعي لإعادة الإدماج والتكيف الاجتماعي.

- نقص التأطير والتكفل بشباب العشوائيات الحضرية والشباب عموما يعتبر من أسباب العود للجريمة لغياب فضاءات عمرانية وأسرية تقدم لهم الدعم المعنوي والمادي وبالتالي يتجهون للتأطير الحر المتمثل في الشارع، جماعة الرفاق، وتأطير الفضاء الافتراضي.

- تتميز العلاقات الاجتماعية بتعقدها وتنوعها وتتأثر بتزاوج وتداخل القيم الريفية والحضرية في المدينة الجزائرية وبالتالي تغير أنماط الضبط الاجتماعي التقليدي أمام الأشكال الجديدة له .

- يعتبر السلوك الانحرافي والإجرامي لدي الشباب نوع من التجارب وفي تعابيرهم ومدلولاتهم عدم الخوف أو الخجل في طرحها وتقديم أسباب تبريرية لها مربوطة بالواقع الاجتماعي والتمهيش والإقصاء الاجتماعي وعدم أخذ الفرصة في الحياة العامة.

في الأخير يمكن القول أن البيئة الحضرية وبكل ما تختزنه من خصائص ومميزات لها تأثير واضح على سلوكيات وممارسات الأفراد اليومية سواء الايجابية أو السلبية حيث تكون ممثلة فيما لا يتقبله المجتمع ذاته بقوة العرف والمبادئ التي اتفق عليها أو ممارسات تصل لحد الضبط والعقاب القانوني، وبالتالي يخضع الفرد هنا لتأثير العديد من العوامل ضمن فضاءه العمراني الذي يوجه سلوكه في هذا المنحى والمرتبط بالطبيعة الايكولوجية لمحيطه والذي يفتقر لشروط السلوك السوي والعادي، تترافق معه

طبيعة العلاقات والروابط بين مختلف الفاعلين في يومياته، وما يتوفر من أفق واقعية لتحقيق طموحاته واحتياجاته .

وينتج عن عدم التحكم في البيئة العمرانية والحضرية عموماً فشل في خلق وتناسق الأنماط الحضرية وبالتالي يخلق خلل في الممارسات والسلوكيات، والتي تترجم في غياب الضبط الاجتماعي أو تغييره وعدم قدرته على مسايرة التحولات الاجتماعية الحاصلة في المجتمع، بفعل عجز وفشل مؤسسات التنشئة الاجتماعية فيه، وتعبيرها عن تفكك في البني والأنماط المختلفة كالأُسرة، المدرسة، الحي، الشارع ، المؤسسات الدينية، وبقية مؤسسات التأطير سواء منها الرسمية أو الحرة.

خاتمة :

من خلال هذه الدراسة التي تبحث في العوامل المسببة لسلوك الانحراف لدى الشباب وبالتحديد في مجال جغرافي وهو العشوائيات الحضرية، توزعت في جانبها النظري للبحث في الأطر النظرية والمعرفية التي تفسر السلوك الانحرافي، وذلك بإحاطة شاملة لكل الاتجاهات والنظريات التي تجعله محصلة لعامل معين دون الآخر لتتوصل إلى نتيجة مفادها انه محصلة لمجموع العوامل التكاملية في البيئة الحضرية العشوائية التي حاولت هي الأخرى العديد من النظريات تفسيرها مركزين على تبني المقاربة الايكولوجية والتي مفادها أن الظاهرة الحضرية تعبر عن نمط عيش مميز يتكون من ثلاث منظورات متصلة فيما بينها، بنية مادية تقوم على قاعدة من السكان، ونظام إيكولوجي كنسق لتنظيم الاجتماعي المتضمن بنية اجتماعية وشبكة من المؤسسات الاجتماعية ونمط من العلاقات الاجتماعية والروابط، و المواقف والأفكار ومجموعة من الأشخاص المشتركين في أشكال نمطية من السلوك الجماعي والخاضعين لميكانيزمات متميزة من المراقبة الاجتماعية (كجانب ثقافي).

والمتتبع لهذه الأطر النظرية لتقييم الواقع الحضري في الجزائر والذي يتميز بصيرورة مرتبطة بالظروف التاريخية، بداية من المخططات العمرانية للاستعمار الفرنسي وتوجهه لسياسية بناء قري زراعية محيطة بالمدينة، وبعده ظروف النزوح والهجرة الريفية لفترات متتالية منذ الاستقلال إلى غاية التسعينيات، كل هذه العوامل أفرزت خليط عمراني غير متجانس متداخل بين الأنساق الريفية والحضرية، هذا الوضع أدى إلى نشوء العدد من التجمعات السكنية العشوائية وأخذت في التوسع تدريجيا حتى أصبحت تشكل في كثير من الأحيان قري وأحياء تضم مئات السكنات بأنماط عمرانية مختلفة، والتي لا تتوفر على أدنى الاحتياجات الضرورية من البنية الأساسية والخدمات الضرورية .

وأفرزت هي الأخرى عديد الظواهر الاجتماعية والسلوكيات التي تعبر عن ظواهر وسلوكيات متناقضة في الفضاء العمراني لفئات متعددة وكان للشباب النصيب الأكبر من ناحية عدم فهم تموضعهم في المجتمع عامة وفي الأحياء العشوائية خاصة ومعاناتهم مع البطالة وصعوبات الاندماج الاجتماعي، والشعور بالتهميش والإقصاء وحرمانهم من فرص العيش والمشاركة المجتمعية، والأهم هو غياب برامج وسياسات تحتوي ميول واحتياجات الشباب وبالتالي ساهمت وأثرت على توجيههم لمسارات الجريمة والانحراف .

وللبحث والتوصل لكل هذه العوامل وكيف تتداخل بين بعضها البعض لتشكل مجالا حضريا خصبا لشيوع السلوك الانحرافي لدى الشباب توجهنا لدراسته في العشوائيات الحضرية ولطبيعة الموضوع الذي

يبحث في خصوصيات انثروبولوجية تتركز على السمات الاجتماعية والثقافية لسكان هذه العشوائيات، فرضت الدراسة المنهج الكيفي بكل ما يحمله من أدوات أساسية للوصول إلى أدق التفاصيل والحقائق وحددت بالشباب القاطن بالعشوائيات الحضرية، ويشتركون في خصائص محددة مسبقاً ضمن معايير السلوك الانحرافي و الإجرامي.

لتتوصل في الأخير الدراسة لنتائج مفادها أن الظاهرة الحضرية في الجزائر تتنوع وتتعدد بحسب الظروف التي مر بها المجتمع الجزائري وانعكست في حقيقة واضحة على سلوك الفرد حيث لم يصاحب هذا التوسع والنمو العمراني أي هيكلية أو تحضير على مستوي القيم والممارسات اليومية مما أدى إلى اختلال على مستوي البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري في أنساقه خصوصاً منها الثقافية والاجتماعية، وجعلها تبدو مدن ضائعة لا تحمل أي توافق أو تناسق حضري منظم .

وارتبطت هذه البيئة بمجموعة من الظواهر الاجتماعية مثل الفوضى العمرانية والشكلية، وسوء التكيف النفسي والاجتماعي، وفسح مجال عدم التجانس الاجتماعي في الفضاء العشوائي لبروز الفوارق والطبقات وتعقيدا في بنيتها أدى بذلك إلى إطار من التراتب الاجتماعي، وجعل الفرد في حراك متباين ومتذبذب داخل الجماعات مشكلا عدم الاستقرار وانعدام الأمن كمياري ظاهر يعبر عن فشل التداخل بين الأنساق الحضرية والريفية بالمجتمع.

وأن البيئة الحضرية العشوائية تخلق أولا لأسباب تتعلق بظروف يمر بها المجتمع وبالعودة للمجتمع الجزائري نقرأ بأن كرونولوجيا إنشاء وبناء المدن في الجزائر ومشاكل العشوائيات الحضرية فيها يعود للفترة الاستعمارية وقبل الثورة وللمراحل المتتالية التي تحكمت فيها الظروف الاجتماعية والاقتصادية، وكذا البرامج والسياسات التنموية لتطوير المدن وإصلاح الريف وهذا ما خلق بعض الجيوب العشوائية حول المدن والتي تتميز بنقص الشروط والظروف العامة للإقامة، وبالتالي عملت على بروز خصائص عمرانية في الشكل تتميز بالعشوائية وعدم الانسجام والفوضى في النمط العمراني وكذا تميز السكان بنوع من الخصائص التي تجمع بين سلوكيات الأنماط الحضرية للمدينة وبين المحافظة على الأنماط الريفية كنوع من إثبات الوجود للقيم والمبادئ في حراك المدينة اليومي، وبروز نوع جديد من الأنماط والتفاعلات السكانية تظهر صور الفعل والتنظيم الاجتماعي بين أفراد مجتمع المدينة نتيجة لعدم الولاء وضعف الشعور بالانتماء لهذا المجتمع حيث طرأ تغير في مفهوم الأسرة والجيرة باعتبارهما مؤسستين مهمتين من مؤسسات الضبط الاجتماعي في المجتمع، والتي تكسب الفرد بعض الثبات في القيم والمعايير السلوكية، ولكن ذلك يتلاشى في ظل العشوائية وعدم التجانس، وبالتالي فسح المجال لبروز الفئات الدنيا

التي تعيش ظروف فيزيقية واجتماعية متردية تتمثل في تدني مستوى المعيشة، التكديس السكاني، البطالة، وانتشار الأمية والافتقار للخدمات والمرافق الأساسية، وكذا انتشار وشيوع السلوك الانحرافي والإجرامي. وبفعل عوامل متعددة تنبع من طبيعة الحي العشوائي تنعكس على سلوكيات سكانها وبرزت لدى فئة الشباب أكثر تترجم في اكتساب السلوك عن طريق التعلم والمخالطة والاتصال مع الأشخاص، حيث يصبح الشاب منحرفا حينما تتغلب الاتجاهات والمواقف التي تدفعه لمخالفة القانون وارتكاب الجريمة، وبفعل التفكك الأسري وروابط القرابة حيث يكون الوسط الأسري غير ملائم ومرجعا للتعلم سلوك الانحرافي وتعلم بعض الأنماط السلوكية الغير مقبولة اجتماعيا، وبفعل ما يتميز به من خصائص ايكولوجية تعتبر من العوامل المساهمة والحاضنة لانتشار السلوك الانحرافي وإعادة إنتاجه بفعل ضعف مؤسسات الضبط الاجتماعي وتغير وتراخي أساليب التنشئة الاجتماعية وبرز وصعود ثقافات شبابية جديدة يحتويها الشارع وفضاءات تأطير حرة وكذا غياب فلسفة وهيكل متكاملة لتأطير ومرافقه الشباب لتحقيق احتياجاته وطموحاته.

وفي رحلة البحث لهؤلاء الشباب عن ذواتهم ووجودهم ضمن النسيج الاجتماعي العام يضيع الكثير منهم في مفارقات الواقع المجتمعي وما يقدمه من خيارات قد تكون أغلبها لا تتماشى ورغباتهم الحالية ويرى أن المجتمع ككل والدولة كجهاز مؤسساتي عاجز عن فهم طموحاته وتحققها، المتسمة بالبحث عن أدوار لهم كفاعل اجتماعي وليس اعتبارهم كفئة ضاعت في عالم البطالة والتمهيش والادمان على المخدرات، ومنه كان هذا الوسط العشوائي بمثابة القاضي لمحاكمتهم ونبذ سلوكياتهم وممارساتهم الانحرافية بمعنى التخلي عن اندماجهم واحتواء أخطائهم وكانت الوصمة الاجتماعية لهم هي محصلة هذه الدورة لإعادة إنتاج السلوكيات الانحرافية والإجرامية .

قائمة المصادر والمراجع:

✓ المعاجم والقواميس والموسوعات

- 1- ابن منظور، لسان العرب، المجلد 4، دار صادر بيروت
- 2- بودون ريمون وبوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986
- 3- بينت طوني وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2010
- 4- جوردون مشال، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، ط2، 2007
- 5- دنكش ميشل، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، بيروت 1980
- 6- فيريول جيل، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة أنسام محمد الأسعد، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، 2011
- 7- مان ميشل، موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة عادل الهواري وآخرون، مكتبة الفلاح، 1994
- 8- معتوق فردريك، الموسوعة الميسرة في العلوم الاجتماعية - عربي -انجليزي - فرنسي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، 2012

✓ قائمة الكتب باللغة العربية

- 9- أبو الحديد فاطمة علي، دور المجتمع المدني في مواجهة الفقر في المناطق العشوائية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2012
- 10- أبو الحسن عبد الموجود إبراهيم، ديناميات الانحراف والجريمة (التفسيرات - القضايا - الممارسة العامة)، المكتب الجامعي الحديث، أسوان، 2007
- 11- أبو علام رجاء محمود، مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، ط4، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2004

- 12- أحسن مبارك طالب، الأسرة ودورها في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2005
- 13- أحمد محمد موسي، الشباب بين التهميش والتشخيص، رؤية إنسانية، ط1، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، 2009
- 14- إسماعيل العربي، المدن المغربية، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1980
- 15- أوسبورن روبن، الماركسية والتحليل النفسي، سعاد الشرقاوي، دار المعارف، القاهرة، 1972
- 16- إيفرنج ألين، المدن الجديدة والضواحي، ترجمة محمد أحمد غنيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990
- 17- بريز جيرالد، مجتمع المدينة في البلاد النامية، محمد الجوهري، دراسة في علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، 1989
- 18- بن دريدي فوزي، المناخ المدرسي، دراسة ميدانية، ط1، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، 2009
- 19- بوحوش عمار ومحمد محمود الذنبيات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، الجزائر، 2001
- 20- بوزراع أحمد، التطوير الحضري والمناطق المتخلفة بالمدن، دراسة نظرية في علم الاجتماع الحضري، منشورات جامعة باتنة، 1997
- 21- بوقصاص عبد الحميد، النماذج الريفية الحضرية لمجتمع العالم الثالث في ضوء المتصل الريفي الحضري، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة الجزائر. دون سنة
- 22- بوكابوس أحمد وآخرون، دراسة أوضاع الشباب المغاربي، اتحاد المغرب العربي، الأمانة العامة، 2010 - 2012
- 23- بومخولوف محمد، التحضر، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2001

- 24- بومخلوف محمد وآخرون، التأطير الاجتماعي للشباب ومسألة الثقة دراسة ميدانية للتأطير الرسمي وغير الرسمي للشباب في الوسط الحضري، مخبر الوقاية والارغونوميا قسم علم الاجتماع جامعة الجزائر 02، ديسمبر 2015
- 25- بومخلوف محمد وآخرون، التأطير الاجتماعي للشباب ومسألة الثقة، دراسة ميدانية للتأطير الرسمي وغير الرسمي للشباب في الوسط الحضري، مخبر الوقاية والارغونوميا، جامعة الجزائر 2، ديسمبر 2015
- 26- بومخلوف محمد وآخرون، الشباب الجزائري واقع وتحديات، ط1، مطبعة الملكية، مخبر الارغونوميا، جامعة الجزائر 2012، 2
- 27- بومخلوف محمد وآخرون، واقع الأسرة الجزائرية والتحديات التربوية في الوسط الحضري، القطيعة المستحيلة، ط1، مخبر الوقاية والارغونوميا، جامعة الجزائر، أكتوبر 2008
- 28- تومبسون ميكل وآخرون، نظرية الثقافة، ترجمة علي سيد الصاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، دار المعرفة، الكويت، 1997
- 29- توهامي إبراهيم، التهميش والعنف الحضري، مخبر الإنسان والمدينة، جامعة منتوري قسنطينة، 2004
- 30- جابر سامية محمد، الجريمة والقانون والمجتمع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999
- 31- جابر نصر الدين، السلوك الانحرافي والإجرامي، مخبر التطبيقات النفسية والتربوية، جامعة منتوري قسنطينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة.
- 32- حجازي عزت، الشباب العربي ومشكلاته، عالم المعرفة، الكويت، دون سنة
- 33- حجازي مصطفى، الإنسان المهذور، دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، ط1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب 2005.
- 34- حرب علي، الأختام الأصولية والشعائر التقدمية، مصائر المشروع الثقافي العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2001
- 35- دليمي عبد الحميد، السياسات الحضرية، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2004

- 36- دليمي عبد الحميد، دراسة في العمران البشري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007
- 37- دليمي عبد الحميد، دراسة في العمران، السكن والإسكان، مخبر الإنسان والمدينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة، 2007
- 38- دوركايم إميل، قواعد المنهج، ترجمة محمود قاسم والسيد محمد بدوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988
- 39- الدوري عدنان، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الاجرامي، ط3، الكتاب الأول، ذات السلاسل، الكويت، 1984
- 40- زرواتي رشيد، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، ط1، الجزائر، 2002
- 41- سلاطنية بلقاسم وإسماعيل قبيرة، عصر المشكلات، ط 1، منشورات الدار الجزائرية، الجزائر، 2015
- 42- شاقوري عبد القادر، الهجرة الغير شرعية في حوض البحر الأبيض المتوسط، الأسباب وسياسات المواجهة، الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الأبيض المتوسط - المخاطر واستراتيجية المواجهة، ط1، ابن النديم، بيروت لبنان، 2014
- 43- شحاتة محمد ربيع وآخرون، علم النفس الجنائي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1994
- 44- صالح أحمد فاروق محمد، تصور مقترح لدور الخدمة الاجتماعية في مواجهة ظاهرة شباب الشوارع، دراسة مطبقة على المناطق الفقيرة بمدينة الفيوم، كلية الخدمة الاجتماعية، فرع الفيوم، جامعة القاهرة، 2003
- 45- الصديقي سلوى عثمان وآخرون، انحراف الصغار وجرائم الكبار، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2002
- 46- عازر عادل وثروت إسحاق، المهمشون بين الفئات الدنيا في القوى العاملة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة، 1989

- 47- عبد العاطي السيد السيد، علم الاجتماع الحضري، بين النظرية والتطبيق، جزء مشكلات وتطبيقات، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب، الإسكندرية، 2000
- 48- عبد الله أحمد عبد الله، في اجتماعيات الجريمة والانحراف، قراءات معاصرة في النظريات الاجتماعية المفسرة للجريمة والانحراف الاجتماعي
- 49- عبد الله نجيب، صلاح محمد عبد الحميد، ثقافة العشوائيات، ط1، مؤسسة طيبة القاهرة، 2009
- 50- عبد المجيد عبد الرحيم، علم الاجتماع الحضري، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 1976
- 51- عبد النبي أحمد عبد السلام، العلاقة بين التحضر والجريمة في ليبيا، من منظور جغرافي، قسم الجغرافية - كلية الآداب - جامعة عمر المختار. دون سنة
- 52- عدنان ياسين مصطفى، سوسولوجيا الانحراف في المجتمع المأزوم، ط1، إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، 2011
- 53- عرابي عبد القادر، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، دار الفكر، دمشق 2007
- 54- عزي عبد الرحمن، السعيد بومعيزة، الإعلام والمجتمع، رؤية سوسيولوجية مع تطبيقات على المنطقة العربية الإسلامية، تقديم زهير إحدادن، دار الورسم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010
- 55- علام ابتسام، الجماعات الهامشية دراسة انثربولوجية، جماعات المتسولين بمدينة القاهرة، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية جامعة القاهرة ومشروع توثيق الإنتاج العربي في علم الاجتماع
- 56- عوض السيد حنفي، سكان المدينة بين الزمان والمكان، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1997
- 57- عياد أحمد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006
- 58- غدنز أنتوني، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005
- 59- غربي محمد، الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الأبيض المتوسط، المخاطر والاستراتيجية المواجهة، ط1، ابن النديم ودار الراوفا الثقافية، بيروت لبنان، 2014

- 60- غريب سيد أحمد والسيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الريفي والحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988
- 61- غيث محمد عاطف ، نظرية علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1990
- 62- فقيه العيد، المشكلات النفسية للشباب المنحرف في الوسط الحضري الجزائري دراسة ميدانية لواقع الصحة النفسية لدى الشباب وعلاقتها بالعنف الإجرامي على عينة من الشباب المنحرف بمؤسسات الوقاية، الجزائر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2005 - 2006
- 63- قيرة إسماعيل وآخرون، التصورات الاجتماعية ومعاناة الفئات الدنيا، مخبر الإنسان والمدينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع - عين مليلة الجزائر، دون سنة
- 64- قيرة إسماعيل وآخرون، عولمة الفقر المجتمع الأخر مجتمع الفقراء والمحرومين، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003
- 65- قيرة إسماعيل، الإشكاليات النظرية والواقع، مجتمع المدينة نموذجا، منشورات جامعة منتوري قسنطينة 1999
- 66- قيرة إسماعيل، أي مستقبل للفقراء في البلدان العربية، مخبر الإنسان والمدينة، جامعة منتوري قسنطينة، دار الهدى للنشر والتوزيع، 2005
- 67- كبور عمر، شادية خلف الله، سطيف تاريخ وحضارات، الجزائر، دون سنة
- 68- كريب إيان، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسن غلوم وآخرين، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، 1999
- 69- كنونة مسعودة وآخرون، أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية، دار البعث، قسنطينة الجزائر، 1999
- 70- ليلي علي ، العالم الثالث قضايا ومشكلات، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1985
- 71- ماركيز هيربرت ، نحو ثورة جديدة، ترجمة عبد اللطيف شرارة، دار العودة، بيروت، 1981

- 72- مانع علي ، جنوح الأحداث والتغير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة(دراسة في علم الإجرام المقارن) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002
- 73- مصطفى محمود، العشوائيات وثقافة الفقر دور الدولة وآليات المواجهة، ط2، العربية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، 2014
- 74- معمر داود، مقارنة ثقافية للمجتمع الجزائري، دراسة لبعض الملامح السوسيو نفسية والاقتصادية، ط1، دار الطليعة، المحمدية الجزائر، 2009
- 75- معن خليل العمر، علم المشكلات الاجتماعية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2005
- 76- معوض جلال، الهامشيون الحضريون والتنمية في مصر، ط1، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، القاهرة، 1998
- 77- ميلسون فرد، الشباب في مجتمع متغير، يحي مرسى عيد بدر، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2007
- 78- نعامة سليم، سيكولوجيا الانحراف، ط1، مكتب الخدمات الطباعية القاهرة، 1985
- 79- هيربرت ديفيد، جغرافية الجريمة الحضرية، ترجمة ليلى بنت صالح محمد زعزوع، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، 2001
- 80- ويتمر باربرا، الأنماط الثقافية للعنف، ترجمة ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، 2007
- 81- الأعرجي زهير ، الانحراف الاجتماعي وأساليب العلاج، دار الفكر العربي، مصر، 2005
- 82- الجميلي خيرى، الخدمة الاجتماعية للأحداث المنحرفين، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1994
- 83- الجوهري محمد، ظاهرة التحضر بين الإذانة والتمجيد، ط3، دراسات فيعلم الاجتماع الريفي والحضري، دار الكتاب للتوزيع، 1979

- 84- الحسن إحسان محمد، الفراغ ومشكلات استثماره، دراسة مقارنة في علم الاجتماع الفراغ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1986
- 85- الحسيني السيد، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، دار المعرفة، القاهرة، 1981
- 86- الحيدري إبراهيم، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، ط1، دار الساقى، بيروت لبنان، 2015
- 87- الدوري عدنان ، جناح الأحداث، الكتاب الأول، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1985
- 88- الزيود ماجد، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق، عمان، 2011
- 89- الساعاتي سامية حسن، الجريمة والمجتمع، ط2، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1983
- 90- السعد صالح ، المخدرات والمجتمع، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1996
- 91- السمري عدلي وآخرون، علم الاجتماع الجريمة والانحراف، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2010
- 92- السموك علي، إشكالية العنف في المجتمع الجزائري من أجل مقارنة سوسيولوجية، مخبر التربية الانحراف والجريمة في المجتمع، جامعة باجي مختار عنابة الجزائر، 2006
- 93- السويدي محمد، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري تحليل - تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1984
- 94- الطيب نوار، جرائم القتل في المجتمع الجزائري، دراسة العوامل والآثار والطرائق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر 1994
- 95- العيسوي عبد الرحمان، علم النفس الجنائي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002
- 96- القاضي جلييلة، التحضر العشوائي، ترجمة منحة البطراوي، ط1، المركز القومي للترجمة، دار العين للنشر، القاهرة 2009

97- القطب إسحاق وعبد الإله أبو عياش، النمو والتخطيط الحضري في دول الخليج العربي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980

98- المصراتي عبد الله أحمد عبد الله، الظاهرة الإجرامية: الماهية والتفسير بمنظور اجتماعي معاصر
<http://www.shaimaatalla.com/vb/showthread.php?t=9190>

99- المنجي الزيدي، ثقافة الشارع، دراسة سوسيوثقافية في مضامين ثقافة الشباب، مركز النشر الجامعي، تونس، 2007

100- الوريكات عايد عواد، نظريات علم الجريمة، ط 1، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت، 2004

✓ المجالات والدوريات

101- إسماعيل حسين علي، المؤشرات الحضرية لمدينة كلار، دراسة في علم الاجتماع الحضري، مجلة كلية الأدب، العدد 101، المجلد 02، 2012

102- أوزي أحمد، سيكولوجية العنف - عنف المؤسسة ومأسسة العنف-مجلة علوم التربية، المغرب، العدد 36 سنة 2014

103- بومخلوف محمد وآخرون، ضغوط الحياة الحضرية وانعكاساتها على التربية الأسرية، دراسة ميدانية في مدينة الجزائر، مجلة مخبر الوقاية والارغوميا، جامعة الجزائر، العدد 01، 2007

104- بومدين رشيد سيدي، أهى فوضي عمرانية حقا؟ ترجمة محمد هناد، نقد - مجلة الدراسات والنقد الاجتماعي، عدد الاضطرابات الحضرية، العدد 16، الجزائر، 2002

105- توهامي إبراهيم، الأحياء المتخلفة بين التهميش والاندماج في البناء السوسو اقتصادي حضري، مجلة الباحث الاجتماعي، قسم علم الاجتماع- جامعة قسنطينة العدد 5 جانفي 2004

106- حمادي فتحة، وقت الفراغ والترويح وعلاقتها بانحراف الشباب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، الجزائر، عدد ديسمبر 2016

107- حمدوش رشيد، بناء الهوية عند الشباب الجزائري أو ميلاد الهويات الصاعدة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الحادي عشر، جوان 2013

- 108- خلايفية نصيرة ، التفاعل بين الانحراف ووسائل التنشئة الاجتماعية، مشكلات وقضايا المجتمع،
جامعة سكيكدة، الجزائر، العدد 06 نوفمبر 2010
- 109- دبله عبد العالي ونتيجة جيماي، العلاقات القرابية للأسرة الحضرية وانعكاساتها الاجتماعية في
ظل المتغيرات الحديثة، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 13 ديسمبر 2014
- 110- دبله عبد العالي ويزيد عباسي، الشباب بين الحاجات والمشكلات، مجلة علوم الإنسان والمجتمع،
جامعة بسكرة، العدد 16 سبتمبر 2015
- 111- دليمي عبد الحميد، المدينة الجزائرية بين استحالة الهروب وصعوبة الصراع، مجلة العلوم
الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، عدد12، 2007
- 112- دليو فوضيل، المنهج البيوغرافي (استعمال السيرة الذاتية والحياتية في علم الاجتماع) المصدر
مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 27، العدد 02، السنة 1999
- 113- سايل حدة وحيدة ، أحمد فاضلي، استراتيجيات التعامل مع الأحداث الضاغطة لدى المدمنين على
المخدرات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 46 ديسمبر 2016
- 114- سعدون نوري عبد الله، العوامل الاجتماعية المؤثرة في ارتكاب الجريمة، دراسة ميدانية لأثر
العوامل الاجتماعية التي تؤدي إلى ارتكاب الجريمة بمدينة الرمادي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم
الإنسانية، العدد 1 سنة 2011
- 115- شرع الله إبراهيم، دور العوامل السوسيوثقافية في تأسيس الثقافة المجتمعية لدى الشباب، مجلة
الشباب والمشكلات الاجتماعية، جامعة محمد الشريف مساعدي، سوق أهراس، الجزائر، العدد الأول،
السنة الأولى، جانفي 2013
- 116- صيد الطيب ، مسألة الاندماج الاجتماعي وسوسيو جوية الفعل العنيف لدى شباب الطبقات الهامشية،
مجلة العلوم الاجتماعية لجامعة سطيف 02، العدد 19، ديسمبر 2014.
- 117- طويل فتيحة ، العيش وسط الأحياء القصديرية وعلاقتها بتجزئة أو تشكيل الهوية الاجتماعية،
دراسة ميدانية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حو الهوية
والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيو ثقافية في المجتمع الجزائري

- 118- عبد السلام خالد، عوامل الانحراف الاجتماعي لدى الشباب الجزائري - استراتيجيات التكفل والعلاج - مجلة دراسات نفسية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، عدد 13 ديسمبر 2014
- 119- عنصر يوسف، مشكلات الشباب الجزائري، الواقع والتطلعات المستقبلية، مجلة الباحث الاجتماعي، جامعة قسنطينة، عدد 10 سبتمبر، 2010
- 120- فيلالي صالح، ظاهرة الانحراف من منظور سوسولوجي، الباثولوجيا الاجتماعية والتوسع العمراني، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، عدد 03 جوان 2008.
- 121- قبيرة إسماعيل، من هم فقراء الحضر، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية العدد 205، بيروت لبنان، 1996
- 122- لكريني إدريس، محاسبة الديمقراطية-التداعيات المحتملة لاحتجاجات حركة 20 فبراير في المغرب، مجلة السياسة الدولية، العدد 184، أبريل 2011
- 123- مهور باشة عبد الحليم ، الدولة وتهميش الشباب في الجزائر، مجلة الباحث الاجتماعي، جامعة قسنطينة، عدد 10 سبتمبر 2010 .
- 124- هادفي سمية، سوسولوجيا المدينة وأنماط التنظيم الاجتماعي الحضري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد 17 ديسمبر 2014
- 125-يسار عابدين، العنف الجماعي ضد المدينة، استباحة للتاريخ والتراث دون مقاومة، مجلة فكر، العدد 113، جانفي 2010
- 126- يعلى فروق، مسألة الاندماج الاجتماعي للأسر النازحة في الوسط الحضري، الدراسة الميدانية بمدينة سطيف، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، الجزائر، العدد الخامس - فيفري 2014
- 127- يوسف أميرة بابكر بدري، إدراك الشباب ورؤاهم حول المسؤولية الاجتماعية، دراسة ميدانية لطلاب وطالبات جامعة الملك عبد العزيز، مجلة إضافات، عددان 29-30 شتاء ربيع 2015

- 128- الزغبي علي زيد، أزمة المشاركة والاندماج الاجتماعي في البلدان العربية، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 05 مارس 2013
- 129- السدحان عبد الله بن ناصر بن عبد الله ، أسباب العودة إلى الجريمة، دراسة عن أسباب عودة الأحداث إلى الانحراف، مجلة التعاون، تصدر عن الشؤون الإعلامية بالأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، العدد 42، ماي 1996
- 130- المجالي فايز، استخدام الإنترنت وتأثيره على العلاقات الاجتماعية لدى الشباب الجامعي، دراسة ميدانية، مجلة المنارة جامعة أل البيت، الأردن، المجلد 13، العدد 17، سنة 2007
- ✓ أطروحات الدكتوراه ورسائل الماجستير
- 131- بركو مزوز، إجرام المرأة في المجتمع الجزائري العوامل والآثار، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس الإكلينيكي، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2006-2007
- 132- بلعيفة ليلي ، ثقافة التحايل في العشوائيات الحضرية لمدينة سطيف، دراسة ميدانية لعشوائية قاوة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص ديمغرافيا حضرية، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سطيف، 2010-2011
- 133- بن عطية محمد، البحث عن أسس اختيار نوع التدخل العمراني في السكن العشوائي بمدينة المسيلة، مذكرة ماجستير، معهد تسيير التقنيات الحضرية، جامعة المسيلة، 2009-2010
- 134- بودون عبد العزيز، المشكلات الاجتماعية للنمو الحضري في الجزائر، حالة مدينة قسنطينة، أطروحة دكتوراه دولة في علم الاجتماع، جامعة قسنطينة، 2002
- 135- بومعيزة السعيد ، أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب، دراسة استطلاعية بمنطقة البلدية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، قسم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2005-2006
- 136- جيملي بوبكر، الشباب والمشاركة السياسية في الجزائر، دراسة ميدانية لعينة من الشباب الجامعي بجامعة قسنطينة، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع والتنمية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر 2009-2010

- 137- زرارة لخضر، الجريمة بين المجتمع الريفي والمجتمع الحضري (دراسة مقارنة)، مذكرة دكتوراه علوم في علم الاجتماع تخصص تنظيم وعمل، قسم علم الاجتماع والديمغرافية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2007-2008.
- 138- سلاطنية رضا ، الأحياء المتخلفة والنمو العمراني، دراسة ميدانية لحي الديار الزرقاء مدينة سوق اهراس، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الحضري، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006
- 139- سلاطنية رضا، الأحياء العشوائية وانعكاساتها على التنشئة الاجتماعية ، دراسة ميدانية لحي مزغيش مدينة سوق أهراس، شهادة الدكتوراه علوم في علم الاجتماع الحضري، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة قسنطينة 2، 2013 - 2014
- 140- سلامة جهاد صالح عبد اللطيف ، الأبعاد الاجتماعية السياسية في التطوير الحضري لأحياء الفقراء، رسالة ماجستير بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين 2010
- 141- شاقور الطاوس، الاغتراب النفسي الاجتماعي لدى الشباب المجرم، دراسة ميدانية مقارنة بمؤسسة إعادة التربية والتأهيل بالبرواقية، مذكو ماجستير تخصص علم النفس الاجتماعي، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، 2014-2015
- 142- شيهب عادل، الفقر والانحراف الاجتماعي - دراسة للتسول والدعارة - بحامة بوزيان، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الحضري، قسم علم الاجتماع، جامعة منتوري، الجزائر، 2007-2008
- 143- عباسي يزيد ، مشكلات الشباب الاجتماعية في ضوء التغيرات الاجتماعية الراهنة في الجزائر دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة جيجل "القطب الجامعي تاسوست جيجل، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع التنموية، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015 - 2016
- 144- عبد الله يوسف محمد محمود، أثر الامتداد الصناعي في المدن الجديدة على توطن السكان، دراسة تطبيقية على مدينتي العاشر من رمضان والسادات، رسالة ماجستير منشورة، قسم التخطيط العمراني كلية التخطيط العمراني والإقليمي، القاهرة، 2008

- 145- على بوعنافة، الشباب والمشكلات الاجتماعية في المدن الحضرية، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، ط2007، 1
- 146- فهيم عزت مرزوق عبد الحفيظ، أساليب التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالسلوك الانحرافي، دراسة ميدانية في إحدى المناطق العشوائية بمدينة أسيوط، مذكرة مقدمة ليل شهادة الماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة أسيوط، مصر 2001
- 147- هامل سميرة، التصورات الاجتماعية للسجين لدي مسؤولي المؤسسات المتعاقدة مع وزارة العدل وأثرها في إعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين - دراسة ميدانية بالمؤسسات العمومية لولاية باتنة - مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس العيادي، قسم علم النفس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2011-2012
- 148- يعلي فاروق، التحضر والاندماج الاجتماعي للأسر النازحة، الدراسة الميدانية بمدينة سطيف، دكتوراه علوم في تخصص علم الاجتماع الحضري، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2012-2013
- 149- الحاتمي عبد الله علي أحمد، اتجاهات الجريمة في المناطق الحضرية، دراسة إستشرافية لواقع وأنماط الجريمة في مدينة جدة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم العلوم الاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2007
- 150- الحسنية سعيد علي، دور القيم الاجتماعية في الوقاية من الجريمة، دراسة مسحية وصفية على طلبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ونزلاء إصلاحية الحائر، مذكرة للحصول على درجة ماجستير في العلوم الاجتماعية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، 2005
- 151- العلوي جميلة، واقع الأحياء المتخلفة لمجتمع مدينة سطيف - حي طانجة نموذجيا- قسم علم الاجتماع - مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص علم الاجتماع الحضري -جامعة منتوري قسنطينة 2006-2007
- 152- القرطون فهد بن سليمان ، الثقافة الفرعية للوافدين ودورها في ارتكابهم للجريمة في المجتمع السعودي، دراسة مسحية على الوافدين المودعين في سجون منطقة القصيم، أطروحة دكتوراه

الفلسفة في العلوم الأمنية، قسم الدراسات الأمنية، كلية العدالة الجنائية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2010

✓ الندوات والملتقيات العلمية

153- حويتي أحمد، دور البحث العلمي في الوقاية من الجريمة والانحراف، أعمال ندوة البحث العلمي والوقاية من الجريمة والانحراف، ط 1، مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2001

154- كوسة نور الدين، قراءة في مسار الإدماج المهني للشباب في الجزائر 1962-2004- أعمال الندوة العلمية الدولية، الإدماج والاندماج الرهانات والاستراتيجيات والمرجعيات، جامعة تونس، المعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي بيئر الباي، دون سنة

155- النوفلي حمود بن خميس بن محمد ، المخاطر الاجتماعية وتحدياتهم أما الشباب في دول الخليج العربي، مداخلة في ملتقى الشباب والتحديات المعاصرة في دول الخليج العربي، جامعة السلطان قابوس، عمان، 2016

✓ المنشورات والقوانين

156- تقرير الأمم المتحدة للإسكان والتنمية الحضرية المستدامة، المؤتمر الثالث، الدورة الأولى، نيويورك، 17 و18 سبتمبر 2014

157- تقرير المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي وبرنامج الأمم المتحدة حول ما مكانة الشباب في التنمية المستدامة في الجزائر؟ السنة 2015

158- الحولية الإحصائية لولاية سطيف 2008، مديرية التخطيط والتهيئة الإقليم، طبعة 2009

159- القانون التوجيهي لترقية المؤسسات الصغيرة والمتوسط، الفصل الثاني، ديسمبر 2001

160- قانون تنظيم السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين، الأمانة العامة للحكومة، رئاسة الجمهورية ، سنة 2007

161- القمة العالمية للتنمية المستدامة، تقرير تقييم التقدم في المنطقة العربية، الملخص التنفيذي بتاريخ ديسمبر، 2001، وعدل بشهر يونيو، 2012

162- كفيات تطبيق عقوبة العمل للنفع العام، منشور رقم 2 في 21 أفريل 2009، وزارة العدل

- 163- مجلة مجلس الأمة، العدد الثامن والعشرون، ديسمبر، 2006
- 164- المخطط الولائي للتهيئة (PAW) لولاية سطيف سنة 1992.
- 165- المصدر قسم الهندسة المعمارية، جامعة سطيف 1
- 166- مصلحة الإحصائيات، مديرية البرمجة متابعة الميزانية، تقرير السكان 2015/12/31 بولاية سطيف، 2015
- 167- المعهد العربي لإنماء المدن، الرياض عدد 1997
- 168- المعهد العربي لإنماء المدن، الرياض، عدد 1986
- 169- Recensement Générale la population et de l'habitat 2008.office National des statistiques .Alger. septembre 2011
- ✓ الجرائد
- 170- بودرع ياسر، الواقع الصعب للشباب الجزائري، جريدة التحرير 28 جوان 2014 العدد 44632
<http://www.altahrironline.com/ara/?p=44632>
- 171- صابر بلدي، العنف والمخدرات يعصفان بالمدرسة الجزائرية، جريدة العراب، العدد 9824
- 172- حليلة هلال، 67 بالمائة من خريجي السجون يعودون إليها، في ظل غياب آليات تساعدهم على الاندماج الاجتماعي، جريدة البلاد، العدد 5237، 08 فيفري 2017
<http://www.elbilad.net/article/detail?id=66045>
- 173- هواري بلعباس، ثقافة اللاعقاب شجعت على العنف، جريدة الخبر، عدد 1357
<http://www.elkhabar.com/press/article/101357/#sthash.YqxsivD1.dpuf>
- 174- هند البنا، الفايبيوك يزيد من العزلة والفصام والانحراف بين الشباب، جريدة إيلاف، 22 جانفي 2011،
<http://elaph.com/Web/Health/2011/1/626666.html>

✓ الكتب باللغة الاجنبية

- 175- David Hunter, Slums Challenge and Response, New York Free Press 1964
- 176- Hari srinivas, Defining squalors settlements
http:// www.gdrc.oeg/uem/define squatter. htmil.2008.
- 177- Joseph, École de Chicago, naissance de l'écologie urbaine, 1ere édition.
Champ urbain 1979
- 178- louis Wirth ,Urbanism as a Way Of Life , The American Journal Of
Sociology, Volume XLIV , July 1938 , Number 1, www.jstor.org/stable/2768119
- 179- Malawska –Peyre: le trafic de drogues dans les quartiers sensibles ,Annales la
recherche urbaine 1999N 84 Paris
- 180- Md.Zahangir Hossain , Deviant Behavior :A Study of Causes , NU journal
Humanities ,Social Sciences et Businness Studies, Vol 1,NO 1 December 2014
- 181- Michel Legrain , Le grand Robert ED. robert paris.1997
- 182- Mostafa boutefnouchent , la famille algerienne sin uvaluations caractirtique
récent – ed sned – Alger , 1980
- 183- Oliver Mazel ,L'exclusion ,Lesocialàl dérive Ed, Lemond. Bruxelles,1996
- 184- Pierre Bourdieu :La jeunesse n' est qu' un mot.repris question de sociologie
.Éditions de Minuit 1984.
- 185- Said Atoui , problématique de l'urbanisation spontanée en Algérie – cas de
Sétif ,Mémoire pour obtenir le titre de magister du département d'architecture ,
université farhat Abbas. Sétif.1999-2000

✓ المواقع الالكترونية

186- عبد الله أحمد عبد الله المصراطي، الظاهرة الإجرامية الماهية والتفسير بمنظور اجتماعي معاصر.

<http://www.shaimaatalla.com/vb/showthread.php?t=9190>

187- بحث حول مفهوم المدينة من منظور علماء الاجتماع ، مدونة مآدبة فكر .

<http://ma2dobat-fikre.blogspot.com/2014/05/blog-post.html>

188- إدريس الغزواني، ماكس فيبر والظاهرة الحضرية، موقع بوابة علم الاجتماع.

قائمة المصادر والمراجع

http://www.bsociology.com/2016/11/blog-post_92.html

189- حسين بولمعيّز، السكن العشوائي وأثره على النمو الحضري في المدن الصغيرة، مدينة الحروش، شمال شرق الجزائر، المجلة الإفريقية للعلوم السياسية، تبسة الجزائر.

https://swideg-geography.blogspot.com/2014/07/blog-post_20.html#.WbmAxPNJaG4

190- موقع وزارة الداخلية والجماعات المحلية وتهيئة الإقليم. <http://www.interieur.gov.dz>

191- إبراهيم أبو جازية، تعرف على ترتيب بلدك في مؤشر الجريمة العالمي لعام 2016، نشر بتاريخ 4 ديسمبر 2016، الساسة بوست،

<https://www.sasapost.com/criminality-index-2016>

192- عبد الناصر جابي، الشباب والانتخابات الرئاسية في الجزائر 29 مارس 2009، [www: aswat ,com](http://www.aswat.com)

193- النشاط التربوي والتأهيلي داخل السجون (المديرية العامة لإدارة السجون) www.mjustice.dz

194- La ville de Sétif à travers l'histoire , http://www.setif.com/Histoire_ville_Setif.html

195- www.assakina.com/studies/18276.html

196- www.ons.dz

197- www.Google Earth.com

الملاحق

جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم والاجتماعية

قسم علم الاجتماع والديمقراطية

دليل المقابلة

عوامل وأثار السلوك الانحرافي لدي شباب العشوائيات الحضرية
دراسة ميدانية ببعض الأحياء العشوائية بمدينة سطيف

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم تخصص علم الاجتماع الجنائي

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد بومخلوف

إعداد الطالبة:

فايزة مجدوب

ملاحظة: المعلومات الواردة في هذه المقابلة سرية
وتستخدم لأغراض البحث العلمي فقط

السنة الجامعية 2017-2018

المحور الأول: البيانات الشخصية

	1-الجنس
	2-السن
	3-المستوي التعليمي
	4-المهنة
	5-حي الإقامة
	6-منطقة النزوح والأصل الجغرافي
	7-المستوي التعليمي للوالدين والمهنة إن كانا على قيد الحياة
	8-نوع المسكن وعدد أفراد الأسرة
	9- سبب دخول السجن إن حصل ذلك

المحور الثاني: مساهمة التركيبة البنائية للحي العشوائي في صعوبة اندماج الشباب وشعورهم بالتهميش والإقصاء مما يدفع بهم لسلوك الانحرافي والإجرامي.

10. هل يسبب لك أي إخراج سكنك أو نزوحك للعيش في العشوائية الحضرية محل إقامتك؟

.....
.....

11. هل أنت راض عن إقامتك في هذا الحي أم غير راضي من كل النواحي؟

نوعية مسكنك وشكله وتلبيته لاحتياجاتك اليومية:

.....
.....

12. عدم رضاك هل دفعك لفعل أو تغيير وضعك بطرق غير قانونية ومقبولة اجتماعيا ؟

كالاحتجاج التظاهر قطع الطريق إشعال النيران تكوين مجموعات وعصابات.

.....
.....

13. هل تشعر أن الحي الذي تسكن فيه يعاني من التهميش والإقصاء في رأيك لماذا؟

.....
.....

14. هل الأوضاع الاقتصادية التي تعيشها كالبطالة والتهميش كانت سببا في دفعك للقيام بالسرقة والسطو

على الممتلكات العامة والخاصة أو التسول والشعوذة وتسهيل الدعارة وممارستها؟

.....
.....

15. المجالات والفراغات المظلمة والمهجورة بالحي الذي تسكنه هل توفر لك الجو للقيام ببعض

التصرفات كتعاطي المحذرات وبيعها وشرب الخمر القمار أو الاغتصاب؟

.....
.....

16. هل انتمائك لهذا الحي الذي تسكنه يشعرك بعدم الاستقرار والأمن والطمأنينة وبالتالي يدفعك للقلق

والاضطراب والشعور بالضيق مما يجرك للانحراف؟

.....
.....

المحور الثالث: تنوع وتعقد العلاقات بين السكان وأشكال الضبط الاجتماعي في الأحياء العشوائية مما

يؤدي إلى عدم تجانس وترابط التنشئة الاجتماعية لدي الشباب ودخولهم في صراعات تدفعهم للسلوك

الانحرافي والإجرامي .

17. كيف تصف علاقتك بأسرتك وهل كانت سببا في دفعك لعالم الإجرام والانحراف ؟

.....
.....

18. هل تربطك علاقات صراع مع الجيران وكانت سببا في شجارات وصددمات كانت سببا في تشرذك واعتدائك على أحد أفراد الحي؟

.....
.....

19. بما أنك تسكن في حي عشوائي وأغلب سكانه مهاجرين وكل له ثقافته وعاداته وتقاليده هل يسبب هذا صراعات بينكم وهل كنت تعتدي على المختلفين عنك أم أنك كنت ضحية أحياننا أخرى؟

.....
.....

20. علاقتك بشباب الحي الذي تسكنه هل دفعت بك وساهمت في ولوجك عالم الانحراف كالتهديد وضرب وتكوين جماعات أشرار والاشتراك في الاعتداء والتخريب؟

.....
.....

21. هل حصلت لك صدمات ومتابعات من طرف رجال الأمن تبعا للتصرفاتك شكاوى ضدك من طرف سكان الحي الذي تسكنه وهل تساهم في التبليغ عن بعض الانحرافات أو الجرائم في محيط حيك؟

.....
.....

22. في علاقتك واحتكاك مع أفراد المدينة المركز (سطيف) هل تتعرض للمضايقات والنظرات الدونية بأنك من أفراد الأحياء الأقل تحضرا من تلك التي يسكنوها ويشعروك بالتمايز الاجتماعي والتفرقة؟

.....
.....

23. كيف تنظم أو تشارك في بعض الأعمال التطوعية والخيرية داخل الحي الذي تسكنه وكيف تساهم في تواصلك بسكان الحي؟

.....
.....

المحور الرابع: غياب التأطير (بأنواعه) والهيكلية الاجتماعية الحضرية بالأحياء العشوائية يدفع بالشباب لخلق فضاءات واقعية وافتراضية وثقافة شارع قد تجرهم للانحراف والإجرام.

24. كيف تقضي وقت فراغك في الحي وهل يجرك هذا الوقت للانحراف ولماذا؟

.....
.....

25. هل مارست سلوكيات الانحرافية وإجرامية مع رفاقك وأصدقائك في الحي كالمعاكسات وصراعات مع أعضاء الأحياء الأخرى؟

.....
.....

26. هل حدث وأن قمت ببعض السلوكيات السياسية والانتخابية وأوصلتك لقضايا يعاقب عليها القانون كالتطرف الديني والسياسي والإرهاب؟

.....
.....

27. إن كنت تقضي وقتاً على مواقع التواصل الاجتماعي هل تسبب ذلك في مشاكل وسلوكيات انحرافية وإجرامية أو ضد أفراد آخرين من حيك أو غيره ووصلت للقضاء؟

.....
.....

28. هل تواظب على ممارسة ألعاب في الحي وأنزعج أفراد حيك وتسببت لك في مشاكل وانحرافات؟

.....
.....

29. كيف تقيم علاقتك بكبار الحي والعقلاء في حيك وهل ساهموا في مساعدتك وإرشادك عند ممارستك للتصرفات وسلوكيات انحرافية؟

.....
.....

30. هل ترى أن المسجد والخطاب الديني في الحي الذي تسكنه يقوم بمهامه خصوصا اتجاه الشباب المنحرف وهل ساعدك في التوجيه والإرشاد؟

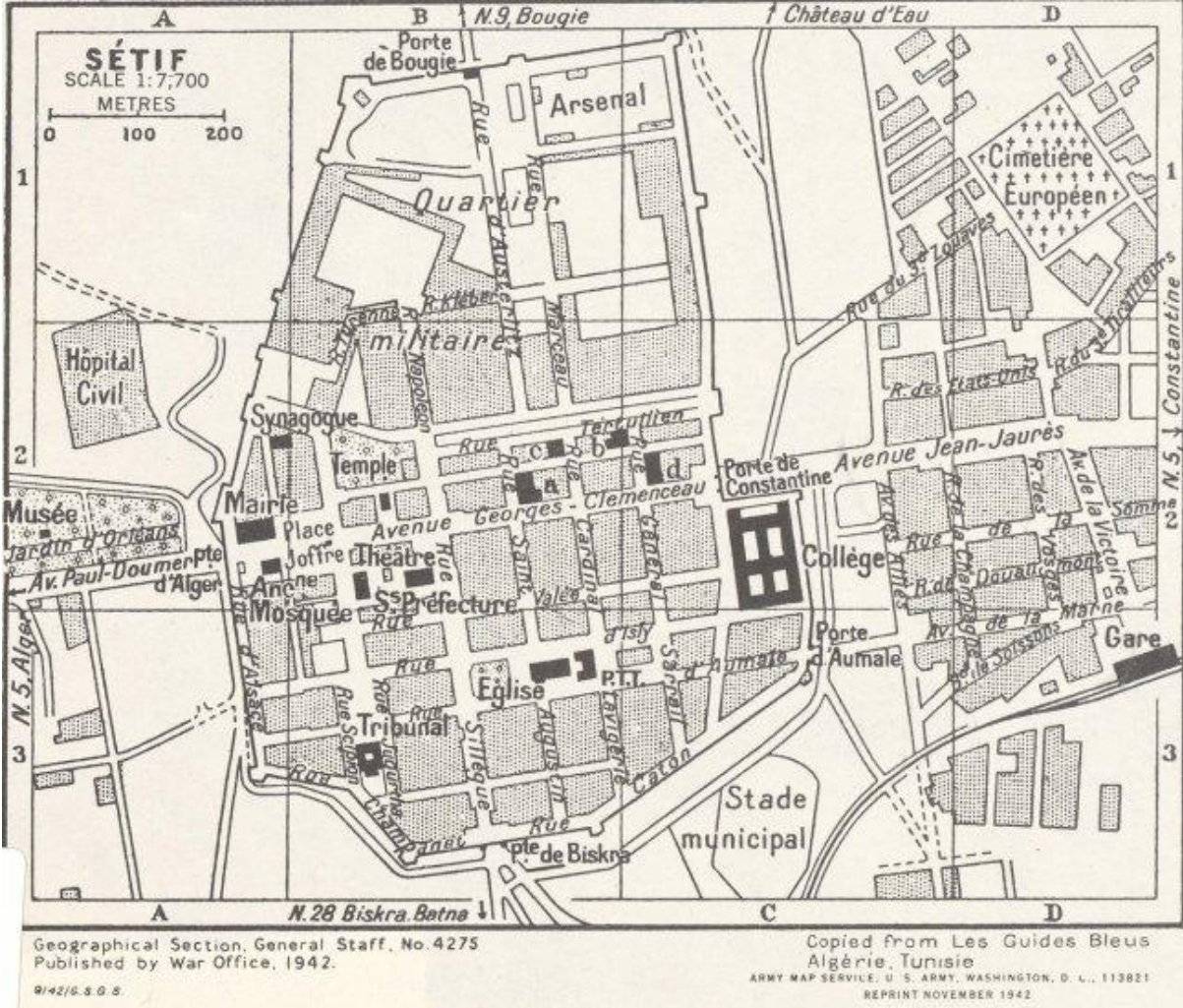
.....
.....

31. بسكنك في هذا الحي العشوائي وبكل ظروفه وما يلبي لك من احتياجات هل ترى أنه مجال (فضاء) مناسب لاحتواء الشباب وحمايتهم من الانحراف والإجرام أم العكس؟

.....
.....

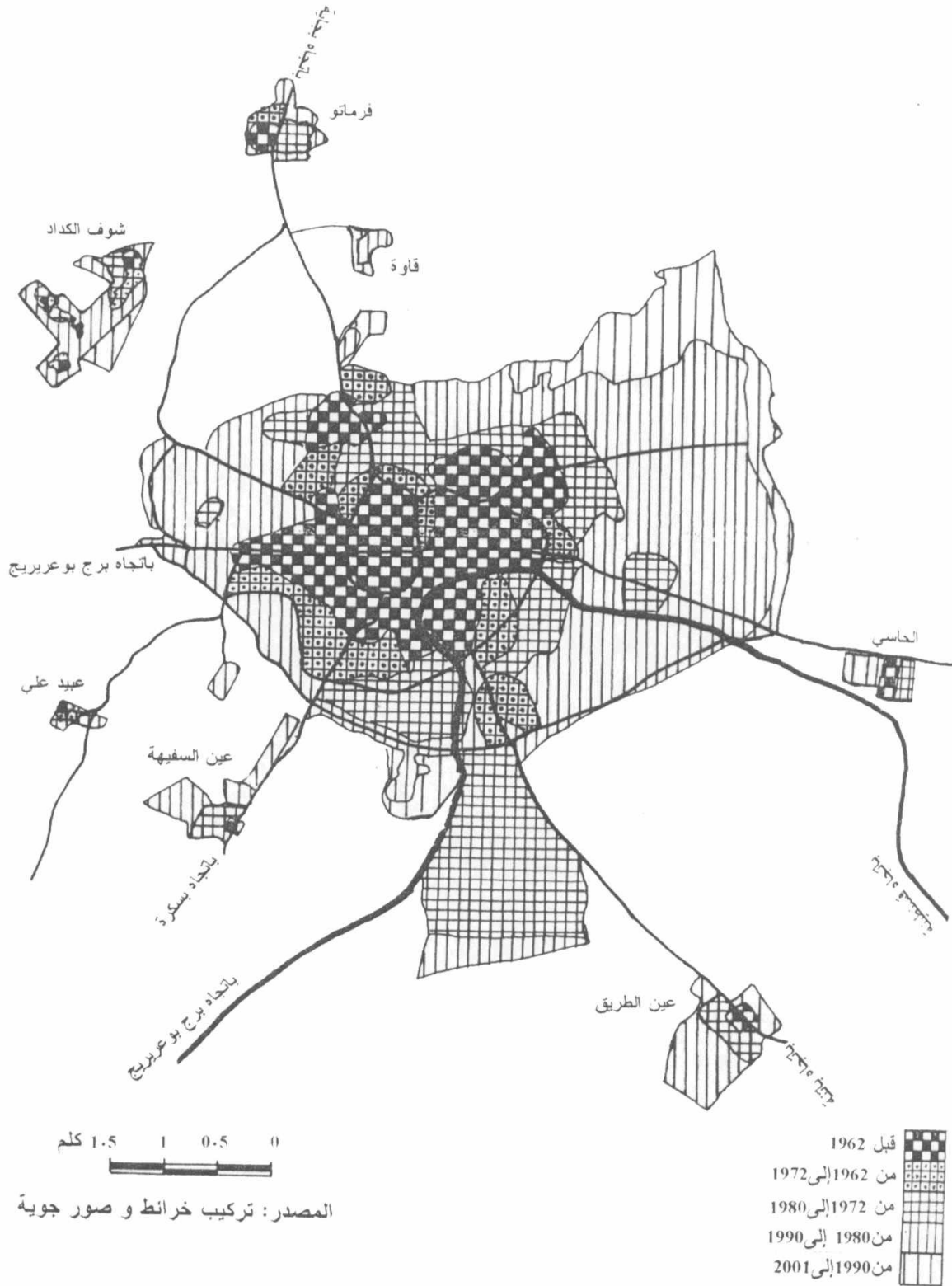
كل الشكر للتعاون التجاوب

الخريطة رقم (02) تمثل شكل لمدينة سطيف تعود للفترة 1942¹



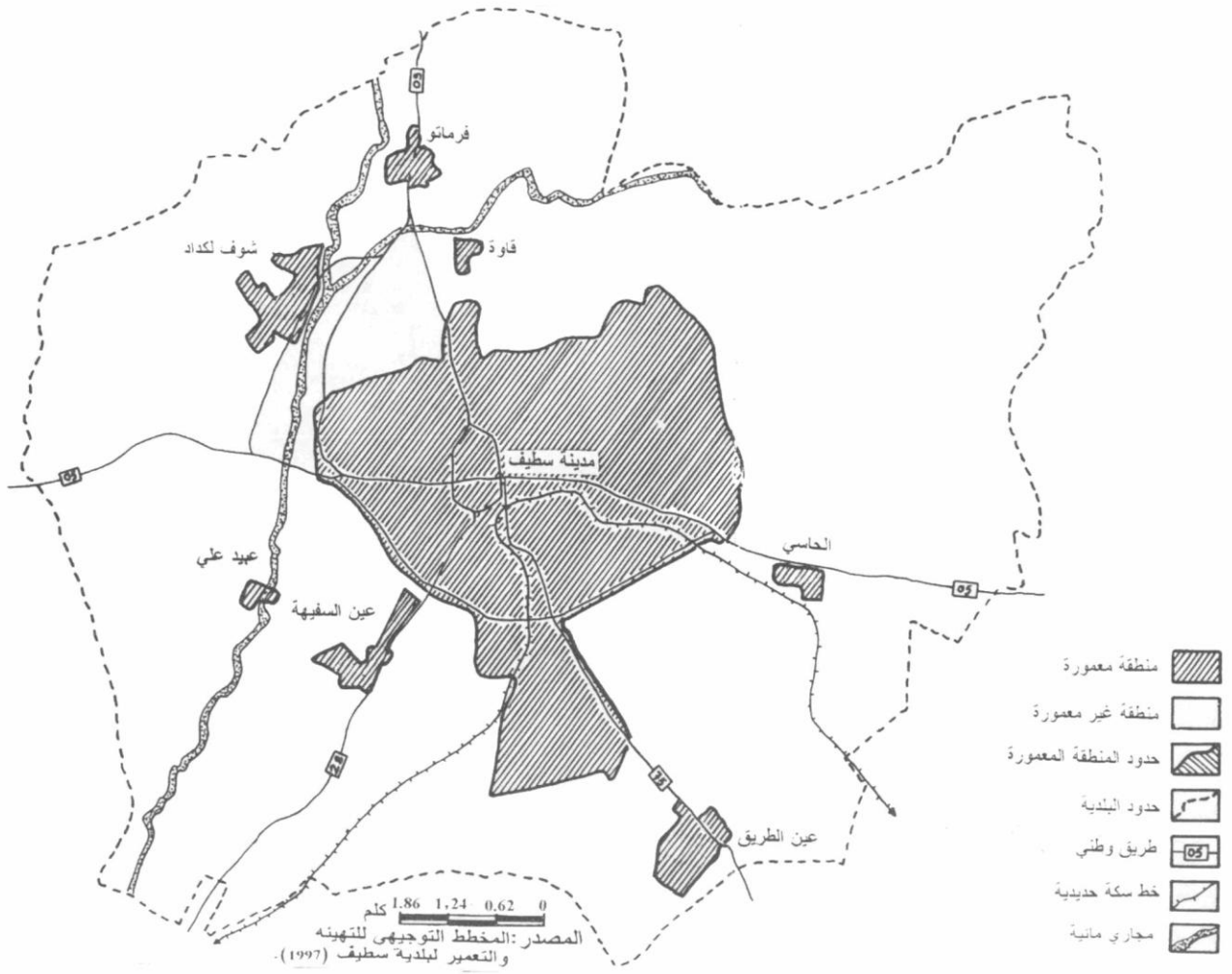
¹ المصدر المتحف العمومي لولاية سطيف

خريطة رقم (03) تمثل مراحل التوسع المجالي لمدينة سطيف والتجمعات المحيطة به¹



¹ المصدر مصلحة الميزانية والبرمجة لبلدية سطيف

خريطة رقم (04) : تمثل التوسع العمراني لمدينة سطيف سنة 1997¹



¹المصدر مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية لبلدية سطيف